[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كتاب قصص الانبياء
المسمى بالعرايس المشهور
فضله تاليف الامام
العلامة ابا اسحاق
احمد بن محمد بن
ابراهيم الثعلبي
رحمة الله
عليه
امين
م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده * والصلاة على محمد وآله * قال الاستاذ أبا اسحاق احمد بن محمد ابن ابراهيم الثعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على ذكر قصص القرآن بالشرح والله المستعان * وعليه التكلان باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى أخبار الماضين * على سيد المرسلين * قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الماضين والانبياء والأمم الخالية لخمسة أمور منها اظهارا لنبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يكون فيها الانقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شئ من العلوم الى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار من مضى من القرون وسير الأنبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحي الله اليه واخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليل على صحة نبوته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وأنكر ما جاء به وقال كما اخبر الله تعالى قالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبي عليه السلام قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض (والحكمة) الثانية انما قص عليه القصص ليكون له اسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم ولينتهوا عن أمور عوقبوا واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فتمم الله له بذلك معالي الاخلاق فلما امتثل لقوله تعالى واستعمل أدب الأنبياء أثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت

عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن (الحكمة الثالثة) أنه انما قص عليه القصص تثبيتا له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر الى أخبار الامم قبله علم أنه عوفي هو وأمته عن كثير مما امتحن الله به الانبياء والاوليا وخفف عنهم في الشرائع ورفع الأثقال والأغلال التي كانت عليهم في الامم الماضية كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفف الشرائع والباطنة تضعف الصنائع وقال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما قص الله تعالى هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الأنبياء والأمم فوصل ليله بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه اداء لشكره حتى تورمت قدماه فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا اكون عبدا شكورا ثم افتخر عليه السلام فقال بعثت بالحنيفية السمحة (والحكمة الرابعة) انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتهذيبا لامته وذلك أنه ذكر الانبياء وثوابهم والاعداء وعقابهم ثم ذكر في غير موضع تحذيره اياهم عن صنع الأعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحوها من الايات وكان الشبلي رحمه الله تعالى يقول في هذه الاية اشتغل العام بكثرة القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين احياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن فيهم في ابقائه ذكره مثبتا له تعجيل جزاء في الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الى قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام في ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين والناس أحاديث يقال ما مات ميت والذكر يحييه وقيل ما أنفق الملوك والأغنياء الاموال على الصنائع والحصون والقصور الا لبقاء الذكر كما قال الدريدي

وانما المرء حديث حسن بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

مجلس في صفة خلق الارض * قال الله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء ونظائره كثيرة في القرآن اعلم أن الكلام في نعت خلق الارض على سبعة أوجه (الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها) روت الرواة بالفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق الارض والسموات ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلى وارتفع منه زبد ودخان وبخار وأرعد من خشية الله فمن ثم ترعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أي قصد وعمد الى خلق السماء وهي بخار

مطلب في بدء خلق الارض

وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ما ظهر من الارض على وجه الماء مكة فدحى الله الارض من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعني أصلها وهو قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه في المشرق والاخرى في المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لموضع قدمه قرار فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدر الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض وهي كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا امد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله الاية روى أن لقمان لما قال هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر حكمته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لوثيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وثقل الدنيا وما عليها حرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار كوني فكانت فذلك قوله عز وجل انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء الشعراء

لا تخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه * فان ذلك بين الكاف والنون

وقال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت التي على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدري ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو نفضتهم ألقيتهم عن ظهرك أجمع قال فهم لوثيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى دابة فدخلت في منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذي أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالى والجبال

أوتادا

أوتادا وقوله تعالى وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم يعني لكيلا تتحرك بكم
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ما خلق الله الارض فجحت فقالت يا رب تجعل
على بني آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فأرساها الله تعالى
بالجبال فأقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال
له جبل قاف فأحاط بها كلها وهو الذي أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال
وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من أنت
قال أنا قاف قال فأخبرني ما هذه الجبال التي حولك فقال هي عروقي فاذا أراد
الله أن يزلزل أرضا أمرني فحركت عرقا من عروقي فتزلزلت الارض المتصلة به
فقال يا قاف أخبرني بشئ من عظمة الله تعالى فقال ان شان ربنا العظيم تقصر عنه
الصفات وتنقضي دونه الاوهام قال فأخبرني بأدنى ما يوصف منها قال ان وراءى
لأرضا مسيرة خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال
من البرد مثلها لولا ذلك الثلج لاحترقت من حر جهنم قال زدني فقال ان جبريل
عليه السلام واقف بين يدى الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة
ألف ملك وهم صفوف بين يدى الله تعالى منكسوا رؤسهم لا يؤذن لهم في الكلام
الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالى لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله
تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا
يعني لا اله الا الله وروى يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب عن سليمان
عن أنس قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها
فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يا رب هل من شئ أشد من
الجبال قال نعم الحديد فقالت يا رب هل من خلقك من شئ أشد من الحديد قال
نعم النار قالت يا رب هل من خلقك شئ أشد من النار قال نعم الماء قالت فهل
من خلقك شئ أشد من الماء قال نعم الريح قالت يا رب فهل من خلقك شئ أشد من
الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله (الباب الثاني
في حدود الارض ومسافتها وأطباقها وسكانها) روى عبد الله بن عمر عن رسول الله

مطلب في حدود الارض

صلى الله عليه وسلم أنه قال بين كل أرض الى التي تليها مسيرة خمسمائة عام وهي
سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها
تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفي الارض الثالثة خلق
وجوههم مثل وجوه بني آدم وأفواههم مثل أفواه الكلاب وأيديهم كأيدي
الانس وأرجلهم كأرجل البقر وآذانهم كآذان المعز وأشعارهم كأصواف الضأن
لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض
الرابعة فيها حجارة الكبريت التي أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبي

صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال
الرواسى لانماعت قال وهب هى مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم
وهى التى قال الله تعالى وقودها الناس والحجارة * اخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن المزنى
قال ثنا عبد الله بن محمد بن يونس المقرى قال ثنا محمد بن منصور قال ثنا أحمد بن الليث
قال ثنا أبو حفص عمر بن جعفر القشيرى قال ثنا على بن الحسين قال سمعت منصور
ابن عمار يقول بينما أردت الحج اذ دفعت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت
من أصحابى ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول فى بكائه الهى
وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولكنى عصيتك اذ عصيتك وخالفتك
اذ خالفتك بجهلى فالآن من عذابك من ينقذنى وبحبل من أتصل اذ انقطع حبلك
عنى واذنوباه واغوثاه بالله قال منصور فأبكانى والله فوضعت فمى على شق الباب
وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الاية قال
فسمعت عند ذلك اضطرابا شديدا ثم خمد الصوت فوضعت أحجارا على الباب لاعرف
الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا بأكفان أصلحت وعجوز تدخل الدار باكية
وتخرج باكية فقلت لها يا هذه ما هذا الميت لك فقالت اليك عنى يا عبد الله لا تجدد
على أحزانى فقلت انى أريد هذا الوجه الله الكريم لعلك تستودعينى دعوة فانى
منصور بن عمار واعظ أهل العراق قالت يا منصور هذا ولدى قال فما كانت صفته
قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتسب ما يكتسب فيجعله أثلاثا
ثلث لى وثلث للمساكين وثلث يفطر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى
اذا كان آخر ليلة أخذ فى بكائه وتضرعه فمر رجل فى هذه الليلة وتلى آية من كتاب الله
تعالى فلم يزل حبيبى يضطرب حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى * وقال
منصور بن عمار دخلت يوما خرابة فوجدت شابا يصلى صلاة الخائفين فقلت
لنفسى ان لهذا الفتى لشانا عظيما لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من
صلاته فلما سلم سلمت عليه فرد على فقلت له ألم تعلم أن فى جهنم واديا يسمى
لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى فشهق شهقه وخر مغشيا
عليه فلما أفاق قال زدنى فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا
وقودها الناس والحجارة الاية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه
مكتوبا فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة
الثانية نمت فرأيته فى المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل الله
بك فقال آتانى ثواب أهل بدر وزادنى وزادنى فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف
الكفار وأنا قتلت بسيف الملك الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب أهل النار

كأمثال

كأمثال البغال لها أذناب كأمثال الرماح لكل ذنب منها ثلاثمائة وستون فقارا
فى كل فقار ثلثمائة وستون فرقا من السم كل فرق منها ثلثمائة وستون قلة من سم
لو وضعت قلة من ذلك السم فى وسط الارض لمات جميع أهل الدنيا من نتنه وفسد
منه كل شئ وفيها حيات أهل النار أمثال الاودية لكل حية منها ثمانية عشر ألف ناب
كل ناب منها كالنخلة الطويلة فى أصل كل ناب ثمانية عشر ألف قلة من السم لو
أمر الله حية أن تضرب بنابها أعظم جبل فى الارض لهدته حتى يعود رميما وانها
لتلقى الكافر فتنشه فتقطع مفاصله * والارض السادسة فيها دواوين أهل النار
وأعمالهم وأرواحهم الخبيثة واسمها سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفى
سجين * والارض السابعة خلقها الله مسكنا لابليس وجنوده وفيها عشه فى أحد
جانبيه سموم وفى الاخر زمهرير وقد احتوشته جنوده من المردة وعتاة الجن
وفيها بيت سراياه وجنوده فاعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة وروى
سلمة بن كهل عن أبى الزرعا عن عبد الله قال الجنة اليوم فى السماء السابعة فاذا كان
غدا جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم فى الارض السفلى فاذا كان غدا يجعلها الله
حيث يشاء وأما بعد قعر الارض فكافيك به حديث قارون حيث خسف الله به
الارض وبداره وبأمواله ففى الخبر أنه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ
قعرها الى يوم القيامة وقال النبى عليه السلام بينما رجل يتبختر فى برديه وينظر
فى عطفيه وقد أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة

مطلب في ذكر الايام التي خلقها الله تعالى

* (الباب الثالث فى ذكر الايام التى خلقها الله تعالى) * قال الله تعالى قل أئنكم
لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات
يوم الثلاثا والنور يوم الاربعا والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة ه

مطلب في ذكر اسما الارض والقابها

* (الباب الرابع فى ذكر اسمائها وألقابها) * قال وهب الاولى من الارض تسمى
أديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطيحا والخامسة متثاقلة والسادسة
ماسكة والسابعة ثرى * وأما اسماؤها المذكورة فى القرآن فهى سبعة أيضا سماها
الله فراشا فقال الذى جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال أمن جعل الارض قرارا
وسماها رتقا فقال والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض
بساطا وسماها مهادا فقال ألم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال
والارض ذات الصدع يعنى بالنبات وسماها كفاتا فقال ألم نجعل الارض كفاتا *
قال مجاهد بن سعيد كنت أمشى مع الشعبى بظهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة فقال
هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات * ويحكى أن عبد الله
ابن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد المجوس شاب متطبب يدعى تحقيق

الكلام وأظهر مسئلة تحريق الانفس بالنار وكان يزعم ان الجسد كثيف منتن في حال الحياة فاذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب الى زيادة نتنه وأن الواجب احراقه وازراء رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد افتتنوا بمقالة هذا المجوسي فكتب الفقيه الى عبد الله بن طاهر أن اجمع بيننا وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبي تداعته أمه وحاضنته أيهما أولى به فقال له الأم فقال ان هذه الارض هي الأم منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا اليها فأفحم المجوسي وأنشد في معناه لامية بن أبي الصلت

والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد

سئل يحيى بن معاذ الرازي أن ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهي أمه وفيها نشئ فهي عشه ومنها رزق فهي عيشه واليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين الى الجنة (الباب الخامس في ذكر أسمائها وألقابها وما زين الله به الارض) وهي سبعة اشياء أولها الأزمنة وزين الأزمنة بأربعة أشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الأشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة زينها بأربعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومساجد العشاير وزينها أيضا بالانبياء عليهم السلام وزين الانبياء بأربعة ابراهيم الخليل عليه السلام وموسى الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب وأصحاب الشرائع وأولوا العزم وزينها أيضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم أيضا بأربعة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وروى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما انفتل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال معاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل يا رسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدين فقال أنا الشمس وعلي القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان في كتاب الله تعالى لا يفترقان حتى يردا علي الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون وروى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم بأربعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا بأنواع الحيوانات والنبات والجمادات * (الباب السادس في عاقبتها ومآلها وآخر حالها) * اعلم أن الله تعالى وعدها بسبعة أشياء أحدها التبديل وهو

مطلب في ذكر اسمائها والقابها وما زين الله به الارض

مطلب في عاقبة الارض ومآلها وآخر حالها

قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفى الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز
النقى الحوارى لم يعص عليها قط طرفة عين ولا وصم فيها ولا قصم مستوية كالصلب
المهند والثانى الزلزلة قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن
ويكثر الهرج قيل وما الهرج يارسول الله قال القتل فاذا اكلت أمتى الربا كانت الزلزلة

مطلب اذا أكثر الربا كانت الزلازل

واذا اجاروا فى الحكم اجترى عليهم العدو واذا ظهرت الفاحشة كان الموت واذا منعوا
الزكاة قحطوا ولولا البهائم لم يمطروا وفى الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضى الله
عنه فأخذ بعضادتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة انكم رجفتم
وان الرجف من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم أحدثتم أشياء
حتى أعجلتم فهل أنتم منتهون أو يفر عمر من بين أظهركم والثالث البروز قال الله تعالى
وترى الارض بارزة يعنى لفصل القضا والرابع الرج قال الله تعالى اذا رجت الارض
رجا قال المفسرون كما يرج الصبى فى المهد حتى ينكسر كل شئ عليها فرقا من ربها والخامس
الرجف قوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال والسادس المد حتى تتخلى وتلقى ما فى
بطنها قال تعالى وألقت مافيها وتخلت والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض
دكا دكا وقوله تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى أن الربيع بن خيثم كان اذا قرأ هذه
الاية أخذ يجلد ذراعيه ويقول أين أنت يومئذ * (الباب السابع فى وجوه

مطلب فى وجوه الارض

الارض المذكورة فى القران) * وهى سبعة أولها مكة خاصة لقوله تعالى فى الرعد والأنبياء
أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى أرض مكة والوجه الثانى أرض المدينة
قوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى أرض المدينة وقال تعالى ان
أرضى واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث
أرض الشام قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التى يعنى بلاد الشام وقوله تعالى
ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين والرابع أرض مصر قوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقال تعالى اجعلنى على خزائن الارض
انى حفيظ عليم وقوله فلن أبرح الارض حتى أى أرض مصر وقوله تعالى ان فرعون
علا فى الارض وقال ويستخلفكم فى الارض كلها أرض مصر والخامس أرض المشرق
فذلك قوله تعالى ان ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض والسادس الارضون كلها
قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ومامن دابة فى الأرض ولا طائر يطير
بجناحيه الا أمم أمثالكم يعنى بالامم فى القضا ويرا أمثالكم من التسخير وقال ولو أن
مافى الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسابع
أرض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها
عبادى الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر

العاملين * (مجلس فى ذكر السموات وما يتصل به) * وترتيب هذا الباب فى هذا المجلس على سبعة أبواب لقول وهب كادت الاشياء أن تكون سبعا السموات سبع والأرضون سبع والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة الاف عام والايام سبعة والكواكب سبعة وهى السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعى بين الصفا والمروة سبعة ورمى الجمار سبعة وأبواب جهنم ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قوله تعالى فلبث فى السجن بضع سنين وايتاؤه ملك مصر سبع سنين وقال انى أرى سبع بقرات سمان وكرامة المصطفى صلى الله عليه وسلم سبع لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة أشياء قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله وفاكهة وأبا وأمر بالسجود على سبعة أعضاء (الباب الاول فى بدء خلق السموات) يروى فى الاخبار المشهورة المأثورة أن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلى وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد ثم فتقها بعد أن كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الاية (الباب الثانى فى جواهرها وأجناسها) قال الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضا (الباب الثالث فى هيئتها وحدودها) قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة كذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر فى الخالق قال تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانه لا تحيط به الفكرة تفكروا فى أن الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه (الباب الرابع فى أسمائها وألقابها) قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا دنياح والثانية رتقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة طقطاف والسادسة شمساق والسابعة اسحا قايل * واما أسماؤها المذكورة فى القرآن

مطلب ذكر السموات وما يتصل به

مطلب فى بدء خلق السموات

مطلب فى ذكر جواهرها واجناسها

مطلب فى هيئتها وحدودها

مطلب فى أسمائها وألقابها

فسبعة أولها البنا قوله تعالى والسماء بناء والثانية السقف قوله تعالى وجعلنا
السماء سقفا محفوظا والطرايق قوله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قوله
تعالى سبع سموات طباقا والشداد قوله تعالى سبعا شدادا والرتق والفتق قوله تعالى
كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قوله تعالى وهي دخان وروى أن الملائكة قالت
يا رب لو أن السماء والارض حين أمرتهما عصياك ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر
دابة من دوابي فتبتلعهما قالت يا رب فأين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قالت
يا رب فأين تلك المرج قال في علم من علومي وقد ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالي
حديث غريب جامع لما تقدم من الابواب في صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها
وأهلها وسكانها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل
حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال ثنا اسماعيل بن عيسى قال ثنا
اسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا
وزينها وهي ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة
خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلى واسمها الرقيع وبينها وبين السماء الثانية
مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد
وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقولون سبحان ذي الملك والملكوت وخلق
السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثالثة
مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على الوان شتى صفوفا لو قيست شعرة بين
مناكبهم لما انقاست رافعين أصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واسمها
فيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصف جسده من نار ونصفه من ثلج
وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفي النار وهو يقول يا مؤلف بين
الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها هواء الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة
عام ولون السماء الثالثة كلون الشنة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون
وفيها ملائكة ذو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة وله ستة أجنحة ووجوه
شتى وأصوات شتى رافعوا أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحي الذي لا يموت أبدا
صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف
أحد منهم لون صاحبه من الخشية وخلق الله السماء الرابعة بينها وبين السماء الثالثة
مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها أرفلون
وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السموات الثلاث وكذلك أهل كل سماء اكثر عددا
من السماء التي تليها على الضعف وفي السماء الرابعة ملائكة لا يحصي عددهم الا الله تعالى
وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال وهم قيام
وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم في أمر من أمور

فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي الى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا اله الا هو قال وخلق الله السماء الخامسة غلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها اللاحقون ومنها هواء الى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الاربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا ابصارهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة غلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها هواء الى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها جند الله الاعظم الاكبر الكروبيون لا يحصى عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله في أموره الى أهل الدنيا رافعوا أصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهي من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء السابعة غلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على سبعمائة الف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في سبع سموات وسبع أرضين ويخلق الله في كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهي من درة بيضاء ومن السماء السابعة الى مكان يقال له مرهوثا مسيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش الملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وأنوار شتى في جسده لا يشبه بعضهم بعضا رافعوا أصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يطرفون لو أن الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه ولا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك غمامة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة اليها كما بين سبع سموات وسبع أرضين والعرش فوق ذلك في عليين لا يعلم منتهاه الا الله تعالى

(الباب الخامس في ذكر الايام التي خلق الله الاشياء بها) روت الرواة أن الله تعالى ابتداء بخلق الاشياء يوم الاحد الى الخميس وخلق في يوم الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق في الساعة الاولى الآفة والآجال وفي الثانية الأرزاق وفي الثالثة آدم عليه السلام وذلك قوله عز وجل فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها الآية

مطلب في ذكر الايام التي خلق الله الاشياء بها

(الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات) وهي عشرة أشياء الاول الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا وهاجا والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا والكواكب قال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وهي على ضربين منها معلق كتعلق القناديل في المساجد ومنها مركب كتركيب الفص في الخاتم وهي مع كثرتها مختلفة الصور ما خلق الله كوكبا على مثال كوكب وفي بعض الاخبار ربما يكون من

مطلب في ذكر ما زين الله به السموات

حيوان في الارض ولا دابة تدب دون العرش الا وفي خلق الكواكب مثلها والعرش
قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه
قال في العرش مثال ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى وان من
شئ الا عندنا خزائنه وان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية لخفقان
الطير المسرع ثمانين ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور
لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلقة ملقاة
في فلاة وان لله ملكا يسمى خرقيائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح
مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر الى العرش فزاده الله تعالى
في الأجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة
خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم
يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله له في الاجنحة والقوة وأمره أن يطير فطار
مقدار ثلاثين ألف سنة أخرى فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى اليه
أيها الملك لو طرت الى النفخ في الصور مع أجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشي فقال
الملك سبحان ربي الاعلى فانزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم وقال كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش
قال لم يخلق الله تعالى شيأ أعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون ألف جناح
في كل جناح سبعون ألف ريشة في كل ريشة سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف
فم في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر
المطر والورق وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا والملائكة أجمع فالتوت الحية
بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية * والكرسي قال الله تعالى وسع كرسيه
السموات والارض روى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال الكرسي لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسي
أمانا لأهل الايمان من شر الشيطان وروى اسماعيل بن مسلم عن أبي هريرة أنه كان
معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما يفتح الباب فاذا التمر قد أخذ
منه ملئ الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال اذا
فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب فاذا هو قائم بين يديه
فقال له يا عدو الله أنت صاحب هذا قال نعم فاني لا أعود انما كنت آخذه الا لأهل
بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك
أن تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضا ففتح الباب وقال
سبحان من سخرك لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أليس قد عاهدتني

أن لا تعود فقال دعني هذه المرة فاني لا أعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتني أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعني علمتك كلمة اذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن قال نعم قال فما هي قال الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذه انه كذلك صدق الخبيث * واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شئ أحصيناه في امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون وقال ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء كتابه نور وقلمه نور وعرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستون نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شان ويروى أن اول ما خلق الله القلم فنظر اليه نظر هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة * ويحكى أن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموما فقال له روح عني يا ابن الزيات فانشأ يقول

الهم فضل والقضا غالب * وكائن ماخط في اللوح
فالتمس الروح وأسبابه * اياس ما كنت من الروح

وروى الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وان في السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج سبعون ألف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قوله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى قال كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش اليها ينتهي علم الخلائق كل ورقة منها تظل أمة من الامم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم وأما الجنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من يدخل الجنة يحيى لا يموت وينعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة

ملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران وروى مجاهد عن مسروق عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء أطت وحق لها أن تئط ليس منها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصحراء تجأرون الى الله تعالى (الباب السابع فى ذكر مآلها وآخر حالها)

مطلب فى ذكر مآلها وآخر حالها

اعلم أن الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدها المور فقال تعالى يوم تمور السماء مورا يعنى تدور وركد وران الرحا من هول يوم القيامة والثانى أنها تصير كالمهل قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعنى المهل دردى الزيت والثالث أخبر أنها تصير كالدهان قوله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قوله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قوله تعالى اذا السماء انفطرت وقال تعالى السماء منفطر به والانفطار اكثر من الانشقاق والسادس الانفراج قوله تعالى واذا السماء فرجت والسابع الكشط قوله تعالى واذا السماء كشطت أى نزعت من مكانها وطويت طيا قوله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب الاية وأحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذا السما * فليس سواه له مضطرب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

* (مجلس فى ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدو أمرهما ومعادهما) *

مطلب فى ذكر خلق الشمس والقمر

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الأمين بقراءتى عليه فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة قال أخبرنى أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقى الحافظ قال ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمى قال ثنا أبو عصمة يحيى ابن أبى مريم الخراسانى قال نا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينما هو جالس ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس انى سمعت العجب من كعب الأحبار يذكر فى الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاحتفز وقال وما ذاك قال قال زعم كعب الأحبار أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان فى النار قال عكرمة فطارت من ابن عباس شظية ووقعت أخرى غضبا ثم قال كذب كعب كذب كعب ثلاث مرات بل هذه يهودية يريد ادخالها فى الاسلام والله تعالى اكرم وأجل من أن يعذب على طاعته ألم تر الى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعنى دؤوبهما فى طاعته فكيف يعذب عبدين أثنى عليهما أنهما دائبان فى طاعته قاتل الله هذا الحبر وقبح حديثه ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض فجعل ينكت به فى الارض وظل كذلك ما شاء الله ثم انه رفع رأسه

ورمى بالعود وقال الا أحدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول فى الشمس والقمر وخلقهما ومصيرهما قلنا بلى يرحمك الله فقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله لما أبرم خلقه احكاما ولم يبق غير آدم
خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان من سابق علم الله أن يدعها شمسا فانه خلقها
مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها وأما ما كان فى سابق علم الله أن يطمسها ويحولها
قمرا فانه خلقها دون الشمس فى العظم ولكن انما يرى صغرها من شدة ارتفاع السماء
وبعدها من الارض فلم يزل الله الشمس كما كان فى بدء الأمر ولم يعرف الليل من النهار
ولا النهار من الليل ولا يدرى الاجير الى متى يعمل ولا متى يأخذ أجرته ولا يدرى
الصائم الى متى يصوم ومتى يفطر ولا يدرى المرء كيف يعبد ولا يدرى المسلمون
متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدرى المدينون متى يحل دينهم ولا يدرى
الناس متى يزرعون ومتى يبدرون ويزرعون لمعاشهم ومتى يسكنون راحة لابدانهم
وكان الله أنظر لعباده وأرحم بهم فأرسل جبريل عليه السلام فأمر جناحه على القمر
وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور فذلك قوله
تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد
الذى فى جوف القمر مثل الخطوط انما هو أثر المحو ثم خلق الله الشمس من ضوء نوره ثم
خلق الله تعالى للشمس عجلة من نور ثلثمائة وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة
وستون ملكا من الملائكة من أهل سماء الدنيا قد تعلق كل منهم بعروة من تلك العرى وخلق
الله مشارق ومغارب فى قطر الارض وكنفى السماء ثمانين ومائة عين فى المشرق من طينة
سوداء وثمانين ومائة عين فى المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يفور غليانها كغلى القدر
اذا ما اشتد غليانها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب فى عين حمئة وانما يعنى حمئة مسودا من طين
فكل يوم لها مطلع جديد ومغرب جديد ما بين أولها مطلعا وأولها مغربا أطول ما يكون النهار
فى الصيف وآخرها مشرقا ومغربا أقصر ما يكون النهار فى الشتاء فذلك قوله تعالى رب
المشرقين ورب المغربين يعنى آخرها ههنا وآخرها ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق
والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون
كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم
فى الهوى باذن الله تعالى لا يقطر منه قطرة والنجوم كلها ساكنة فى ذلك البحر جارية فى
سرعة السهم وانطلاقه فهو فى الهوى مستو كأنه موج مكفوف أو جبل ممدود ما بين
المشرق والمغرب وتجرى الشمس والقمر والخنس فى سرعة دوران الرحا من أهوال يوم
القيامة وزلازلها فى ذلك البحر فذلك قوله تعالى وكل فى فلك يسبحون والفلك دوران
العجلة فى لجة غمرة ماء ذلك البحر والذى نفس محمد بيده. لو بدت الشمس من دون ذلك
البحر لأحرقت كل شئ على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدى القمر من دون ذلك

البحر لا فتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا من شاء الله أن يعصمه
من أوليائه وأهل طاعته قال ابن عباس رضى الله عنه قال على بن أبى طالب
رضى الله عنه بأبى أنت وأمى يا رسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد
أقسم الله تعالى بالخنس فى القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فما الخنس فقال عليه السلام
يا على هى الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشترى وزحل وعطارد وبهرام والزهرة
فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر فى الفلك وأما سائر
الكواكب فكلها معلقات فى السماء كتعليق القناديل فى المساجد وهى تدور مع السماء
دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة لله تعالى قال النبى صلى الله عليه وسلم
وان أحببتم أن تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة هاهنا ومرة من
هاهنا وان لم تستبينوا الفلك فالمجرة وبياضها مرة من هاهنا ومرة من هاهنا فذلك
دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودورانها
اليوم كما ترون فتلك صلاتها ودورانها الى يوم القيامة فذلك قوله يوم تمور
السماء مورا يعنى تدور دورا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع
من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشروا أجنحتهم يجرونها
فى الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات
الليل ما بين الطول والقصر فى الشتاء كان ذلك أو فى الصيف أو ما بينهما فى الخريف
والربيع فاذا أحب الله أن يبتلى القمر والشمس ويرى العباد آية من الآيات يستعتبهم
رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس عن العجلة وقال مرة خرت الشمس
عن العجلة فتقع فى غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا أراد الله تعالى أن يعظم تلك
الآية ليشتد خوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شئ منها فذلك حين
يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها فاذا أراد الله أن يجعل
أية دون أية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان فى الماء ويبقى سائر ذلك على
العجلة وهو كسوف دون كسوف وابتلاء الشمس والقمر تخويف للعباد واستعتاب
من الله تعالى فأى ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم
يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة وفرقة تقبل على العجلة فيجرونها الى الشمس
وهم فى ذلك يقودونها فى الفلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل ليلا كان
أو نهارا لكيلا يزيد فى طولها شيأ وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك
القوة فالذى ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك
السواد الذى يعلوه فهو من غمر ماء ذلك البحر وهو خروجهما من ذلك الماء فاذا
أخرجوها كلها اجتمعت الملائكة حتى يضعوها وذلك حين تنجلى للعالم حتى
يحمدون الله تعالى على ما قواهم لذلك ويتعلقون بعرى العجلة حتى يجرونها

باذن الله تعالى فى لجة ذلك البحر حتى اذا بلغوا بها المغرب أدخلوها فى بعض تلك العيون فتسقط من أفق السماء فى العين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق الله وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة أتعجبين من أمر الله وذلك أن الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فأهل المدينة التى بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم الذين كانوا آمنوا بهود واسمها بالسريانية برقيشا وبالعبرانية جابلق واسم المدينة التى بالمغرب بالسريانية برجيسا وبالعبرانية جابرسا نيوت على كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة الاف رجل فى الحراسة عليهم السلام ومعهم الكراع لا تنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ فى الصور والذى نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين تطلع وحين تغرب ومن ورائهم ثلاث امم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم منسك وتارس وتاويل ومن ورائهم يأجوج ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بى اليهم ليلة أسرى بى الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فأبوا أن يجيبونى فهم فى النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بى الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فأجابوا وأنابوا فهم اخواننا فى الدين من أحسن منهم فهو مع المحسنين ومن أساء فهو مع المشركين ثم انطلق بى الى الامم الثلاثة فدعوتهم الى دين الله وعبادته فأبوا على وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى فى النار فاذا ما غربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة فى سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع من مغربها أم من مطلعها وتكسى ضوأ وان كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل ثم ينطلق بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان فى سرعة طيران الملائكة فتنحدر حيال المشرق حتى تصل السماء فاذا وصلت الى السماء فذلك حين ينفجر الصبح فاذا انحدرت من بعض تلك العيون فذلك حين الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضئ النهار فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا فى الطلوع والغروب فذلك تمام ستة أشهر اذا رجعت وذلك من عين الى عين فى الطلوع والغروب الى اخرها عينا فذلك تمام السنة بعدد أيامها ولياليها ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضعه على البحر السابع مقدار عدة هذه الليالى فى الدنيا منذ خلقها الله تعالى الى يوم ينصرم فاذا كان عند غروب الشمس أقبل ملك من الملائكة قد وكل بالليل فيقبض قبضة

من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال أصابعه وهو يراعي الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعها ثم ينشر جناحيه فتبلغان قطر الارض وكنفي السماء ويجاوزان ما شاء الله خارجا في الهوى فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق ضم جناحيه ثم يضم الظلمة كلها بعضها الى بعض ويقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التي تناولها من الحجاب بالمشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع فمن هنا ك ظلمة الليل اذا ما نقل ذلك الحجاب الى المشرق والى المغرب فاذا نفخ في الصور انقضت أيام الدنيا فضوء النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطلعهما الى مغربهما الى ارتفاعهما الى السماء السابعة الى محبسهما تحت العرش حتى يأتي الوقت الذي وقته الله لتوبة العباد وتكثر المعاصي في الارض ويذهب المعروف فلا يامر به أحد ويفشوا المنكر فلا ينهى عنه أحد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش كلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد اليهما جواب حتى يحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المجتهدون في الارض وهم يومئذ عصابة قليلة في الارض في كل بلد من بلاد المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده ولا يصبح نحو ما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في أماكنها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول أخففت قراءتي أم قصرت صلاتي أم قمت قبل حيني قال ثم يقوم فيعود الى مصلاه فيصلي نحو صلاته الليلة الثانية ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويخالطه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء ثم يقول فلعلي قصرت صلاتي أو خففت قراءتي أو قمت في أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت في أماكنها أول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادي بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المجتهدون في كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يجأرون

الى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فاذا اماتم لهما مقدار ثلاث
ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما
أن ترجعا الى مغاربكما فتطلعا منه انه لاضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند
ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان
من مغربهما قال فبينما المجتهدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون
فى غفلتهم اذ نادى مناد الا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر
الناس فاذا هم بهما أسودان لاضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما فى كسوفهما قبل
ذلك وذلك قوله وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان
كذلك مثل البعيرين القرينين ينازع كل واحد منهما صاحبه ويتصارخ أهل
الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها والاحبة عن ثمرات قلوبها فتشتغل كل
نفس بما كسبت فأما الصالحون والأبرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب
لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة
فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهى منتصفها جاءهما جبريل عليه السلام
فيأخذ بقرونهما ويردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما من تلك العيون
ولكن يغربهما من باب التوبة قال عمر بأبى أنت وأمى يا رسول الله وما باب
التوبة قال يا عمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب
مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع
فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى الخلق الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع
الشمس من مغربها ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الله الدنيا
الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة فى ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال
معاذ بن جبل بأبى أنت وأمى يا رسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم
العبد على الذنب الذى أصابه فيعتذر الى الله تعالى فلا يعود اليه كما لا يعود
اللبن الى الضرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد
المصراعان ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط واذا أغلق
باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها فى الاسلام
الا ما كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان يجرى عليه قبل ذلك اليوم فذلك
قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل
أو كسبت فى ايمانها خيرا فقال أبى بن كعب بأبى أنت وأمى يا رسول الله فكيف
بالشمس والقمر يومئذ وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبى ان الشمس والقمر يكسيان
النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعن ويغربن كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم
رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها فيلحون على الدنيا ويجروا فيها الأنهار ويغرسوا

فيها

فيها الاشجار وَأما الدنيا فلو نتج للرجل فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة
من لدن طلوع الشمس من مغربها الى أن ينفخ فى الصور وقال حذيفة جعلنى
الله فداك يا رسول الله فكيف عند النفخ فى الصور قال يا حذيفة وَالذى نفسى بيده
لينفخن فى الصور ولتقومن الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيه الماء
وَلتقومن الساعة وَقد أخذ لبن لقحته من تحتها فلا يشربه وَلتقومن الساعة والثوب
بين الرجلين فلا ينشرانه وَلا يطويانه وَلا يتبايعانه وَلتقومن الساعة وَالرجل قد
رَفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلى هذه الاية وَلتأتينهم بغتة وَهم لا يشعرون
فاذا قامت الساعة قضى الله فى أهل الدارين وَميز أهل الجنة وَالنار وَلم يدخلوا
بعد أن يدعوا الله تعالى بالشمس وَالقمر فيجاء بهما أسودين مكورين قد وقعا
فى الزلازل وَفرائصهما ترعد من هول يوم القيامة وَهول ذلك اليوم وَمن
مخافة الرحمن تعالى فاذا كانا حذاء العرش خرا ساجدين لله تعالى فيقولان يا آلهنا
قد علمت طاعتنا ودؤبنا فى طاعتك وَسرعتنا للمضى فى أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا
بعبادة المشركين ايانا فقد علمت أنا لن ندعوهم الى عبادتنا وَلم نذهل عن عبادتك
فيقول الله تعالى صدقتما انى قد قضيت على نفسى أن أبدئ وَأعيد انى معيدكما
الى ما بدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما
من نور عرشى فارجعا اليه فيلمع من كل وَاحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار
نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ وَيعيد قال عكرمة
فقمت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من أمر الشمس وَالقمر حتى أتيناه
فأخبرناه بغضب ابن عباس وَما وجده من حديثه وَبما حدثنا عن رسول الله صلى الله
عليه وَسلم فيهما من ما بين مبدئهما الى معادهما قال كعب الاحبار انى حدثت عن
كتاب دارس منسوخ قد تداولته الأيدى وَابن عباس حدث عن كتاب حديث
العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وَعن سيد الانبياء وَأفضل المرسلين ثم
قام يمشى الى ابن عباس فقال بلغنى ما كان من وجدك من حديثى وَما حدثت به من
كتاب الله تعالى وَمن سنة رسول الله صلى الله عليه وَسلم الا وَانى أستغفر الله من ذلك
مع أنى لم أتقوله من تلقاء نفسى وَلكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدرى ما كان فيه
من تبديل الكفار وَاليهود وَأنت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن
ناسخ للكتب وَعن سيد المرسلين وَأنا أحب أن تحدثنى بما حدثت به أصحابك من
حديث الشمس وَالقمر وَأحفظ عنك الحديث فاذا حدثت بشئ من أمر الشمس وَالقمر
فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذى تحدثنى به مكان حديثى الاول قال عكرمة
فوالله لقد أعاد ابن عباس الحديث وَانى لأستقراه فى قلبى بابا بابا فما زاد شياء
وَلا نقص شياء وَلا قدم وَلا أخر فزادنى ذلك فى ابن عباس رغبة وَللحديث حفظا

مطلب في قصة آدم عليه السلام

والله أعلم * (مجلس في قصة آدم عليه السلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة) *
(الباب الاول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه السلام) قال الحكماء
خلق الله الخلق ليظهر وجوده ولو لم يخلق لما عرف أنه موجود وليظهر كمال علمه
وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تأتى الا من قادر حكيم وليعبد فانه يجب
عبادة العابدين ويثيبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وان كان غنيا عن عبادة
خلقه لا يزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لانه محسن فأوجدهم ليحسن
اليهم وليتفضل عليهم فيعامل بقضائه يقضي بالعدل ويقضي بالفضل وخلق المؤمن
من خاصة الرحمة كما قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وقال جعفر بن محمد الصادق والضمائر أي
للرحمة خلقهم وليحمدوه لانه يحب الحمد ويروى أن آدم عليه السلام لما خلقه الله وعرض
عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال
يا رب هل لا سويت بينهم فقال تعالى أحب أن أشكر * قال أبو الحسن القتال
خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة وخلقك للمحبة له قال الله
تعالى الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم قالت العلماء خلقكم لاظهار القدرة
ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل
والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق لاجل محمد صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام آمن بمحمد وامر أمتك أن يؤمنوا به
فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت
عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه عنهم لا يجليه
حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون
قال علي رضي الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل
ليترك سدى فيكم وقيل خلقهم وقال الاوزاعي بلغني أن في السماء ملكا بياض بأصله
ينادي ألا ليت الخلق لم يخلقوا ويا ليتهم اذ خلقوا عرفوا لما خلقوا له وحاسبوا
فذكروا ما عملوا وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته الهي غيبت عني أجلي
وأحصيت علي عملي ولا أدري الى أي الدارين منقلبي لقد أوقفتني وقفة المحزونين
أبدا ما أبقيتني قال أبو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلا
فما دام الروح في جسده فهو في البلوى فاذا فارق الروح الجسد فهو في البلا فأنى له
السرور وهو بين البلوى والبلا وقال بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر
مقامك في الدنيا ان ربك حلف وقال لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس
حلف وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأنت المسكين بين

تعالى

مطلب في خلق آدم

تعالى وبين ابليس مطرود رضاه لاه (الباب الثاني في خلق آدم عليه السلام وكيفيته وصفته) قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام أوحى الله الى الارض انى خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار ثم بعث جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من تراب الارض فلما أتاها ليقبض منها القبضة قالت الارض انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن تأخذ منى شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فأمر الله ميكائيل عليه السلام فأتى الأرض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله ملك الموت فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فقال وأنا أعوذ بالله أن أعصى له أمرا فقبض منها قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سبختها وطينها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان فى ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت الى الله تعالى فأمره أن يجعلها طينا ويخمرها فلذلك اختلفت أخلاقهم فعجنها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها ثم أمر جبريل عليه السلام أن يأتى بالقبضة البيضاء التى هى قلب الأرض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام فى ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الصفيح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبى صلى الله عليه وسلم وهى يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست فى أنهار الجنة كلها فلما أخرجت من الانهار نظر الحق سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتقطت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة الف قطرة واربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها فى السماء والأرض فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم عجنها بطينة آدم ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذى اذا ضربته بيدك صلصل أى صوت ليعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا وألقاه على طريق الملائكة التى تهبط وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الاية قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقا على باب الجنة وفى صحيح الترمذى بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير أول البقرة ان الله خلق آدم بيده

من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الأولاد على ألوان الأرض وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم فقال خلق آدم وجهه من تربة الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس وفخذيه من أرض اليمن وساقيه من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز ويده اليمنى من أرض المشرق ويده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملك من الملائكة يعجب من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال لأمر ما خلقت ثم ضربه بيده فاذا هو جوف فدخل في فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم ان فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا قال ابليس في نفسه والله لئن فضل هذا على لأعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسر ابليس من المعصية وقوله الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وفي الخبر ان جسد آدم كان ملقى أربعين سنة يمطر عليه الحزن ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم في أولاده وتصير عاقبتها الى الفرح والراحة قال وأنشدني في هذا المعنى أبو عوانة المهرجاني

يقولون ان الدهر يومان كله * فيوم محباة ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم محبة * وأيام مكروه كثير البدايه

وأنشدني ابن الاعرابي فقال

محن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك بالفلتات

وأنشدني أبو بكر الصولي لابن المعتز

أي شيء أعجب من ذا * لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالقفزان

(الباب الثالث في صفة نفخ الروح) قالت العلماء لما أراد الله تعالى أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة الى أن قال في الرابعة ادخلي كرها واخرجي كرها فلما أمرها الله تعالى بذلك دخلت فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتي عام ثم نزلت في عينيه والحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يرى آدم بدو خلقه وأصله حتى اذا أتت بعد عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت في خياشيمه فعطس فقبل فراغه من عطاسه نزلت الروح الى فيه ولسانه ولقنه الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فاجابه ربه عز وجل فقال يرحمك ربك يا آدم للرحمة

مطلب في صفة نفخ الروح

خلقت

خلقتك قال تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم نزلت الروح الى صدره وشراسيفه
فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه فذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقوله تعالى
خلق الانسان من عجل فلما وصلت الروح الى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص على جسد
آدم وفي بعض الاخبار ان آدم لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مد يده ووضعها
على أم رأسه وقال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال انى أذنبت ذنبا فقال من أين علمت
ذلك فقال لأن الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة في أولاده اذا أصاب أحدهم مصيبة
أو محنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحما ودما وعظاما
وعروقا وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما
قارف الذنب بدل بهذا الجلد وبقيت منه بقية في أنامله ليتذكر به أول حاله
قال عبد الله بن الحارث كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكان
النسر يأتي الحوت في البحر فيخبره بما في البر ويخبره الحوت بما في البحر فلما خلق الله آدم
جاء النسر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيا ليُنزلني من
وكري وليخرجنك من البحر فلما أتم الله خلق آدم ونفخ فيه الروح قرطه وشنفه وسوره
وختمه ومنطقه وألبسه من لباس الجنة وزينه بانواع الزينة ويخرج من ثناياه
نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في جبينه كالقمر ليلة البدر
ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وقال طوفوا به في سماواتي يرى
عجائبها وما فيها ليزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا وأطعنا فحملته الملائكة
وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شئ من آياتها وعجائبها فطافوا
به السموات كلها وهو يسلم على الملائكة ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر يقال له
الميمون له جناحان من الدر والجوهر فركبه آدم عليه السلام وجبريل آخذ بلجامه
وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله
فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله يا آدم هذه تحيتك وتحية
المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسما كلها واختلف
العلماء في هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس اسما الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد
ابن اسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس علمه اسم كل شئ حتى القصعة
والقصيعة ثم أمر الملائكة بالسجود له كما قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين وأكثر العلماء على أن الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة
الذين كانوا مع ابليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية
لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من
الكافرين (الباب الرابع في ذكر خلق حوا رحمها الله تعالى) قال المفسرون
لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحشيا لم يكن له من يجالسه ويؤانسه

مطلب في الاسما التي علمها الله لادم

مطلب في ذكر خلق حوا

فالقى الله تعالى عليه النوم فخلقها الله من ضلع من أضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيرى من غير أن احس آدم بذلك ولا وجد ألما ولو ألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون علمه ماهذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حوا قالوا صدقت ولم سميت حوا بذلك قال لانها خلقت من شئ حي قالوا ولماذا خلقها قال لتسكن الي وأسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقمها تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها وقيل فى الحكمة ان الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين والرجال يزدادون كل يوم حدة وجمالا والنساء يزيدون على مرور الأيام قبحا لأنهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فسادا وفى بعض الاخبار أن آدم عليه السلام لما رآى حوا مد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لى فقالت الملائكة حتى تؤدى مهرها قال وما مهرها قالوا أن تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت وروى سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يخلق جارية بعث الله اليها ملكين أصفرين مكللين بالدر والياقوت فيضع أحدهما يده على رأسها ويضع الاخر يده على رجلها ويقولا بسم الله ربنا وربك الله ضعيفة خلقت من ضعيفة المنفق عليها معان الى يوم القيامة

(الباب الخامس فى ذكر امتحان الله تعالى أبونا آدم عليه السلام)

مطلب فى ذكر امتحان الله تعالى ادم

قال أهل التاريخ لما اسكن الله تعالى آدم وحوا الجنة وأباح لهم نعيم الجنة كلها الا شجرة واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين واختلفوا فى هذه الشجرة التى هى شجرة المحنة ماهى فقال على رضى الله عنه هى شجرة الكافور وقال قتادة هى شجرة العلم وفيها من كل شئ وقال محمد بن كعب ومقاتل هى السنبلة وقيل هى الحنطة وهى الكرمة فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فأكلا عما نهاهما ربهما عن اكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى فى ذلك حتى اكلا منها وكان وصول عدو الله ابليس اليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكر أصحاب الاخبار أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحوا فمنعته الخدمة فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التى خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة فى فيها فأدخلته فى فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة

وقد كان دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال والخلد فاغتنم لذلك الشيطان فاتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخوله الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فأدخله الجنة فاحتال فى اخراج آدم من الجنة فوقف على باب الجنة وتعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو فى كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فمكث على باب الجنة ثلثمائة سنة لا ياذن الله له فى اخراج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاووس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال أنا طائر من طيور الجنة اسمى طاووس فبكى ابليس فقال له الطاووس من أنت ومم بكاؤك فقال له ابليس أنا ملك من الكروبيين وانما بكيت تأسفا على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقك قال له الطاووس أيفوتني ما أنا فيه قال بلى وانك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبيدون الا من تناول من شجرة الخلد فانهم المخلدون من تلك الخلائق قال الطاووس فأين تلك الشجرة قال ابليس هى فى الجنة قال الطاووس ومن دلنا بمكانها قال ابليس أنا أدلك عليها ان أدخلتني الجنة قال الطاووس فأين لى بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك لمكان رضوان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكنى سأدلك على خلق من خلق الله يدخلكها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو دون غيره فانه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر اليها فان لنا فيه سعادة الابد لعلها تقدر على ذلك فجاء الطاووس الى الحية وأخبرها بمكان ابليس وما سمع منه وقال رأيت بباب الجنة ملك من الكروبيين من صفته كيت وكيت فهل لنا أن ندخله الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فاسرعت نحوه الحية فقال لها ابليس نحوا من مقالته للطاووس فقالت كيف لى بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها أتحول ريحا فتجعليني بين أنيابك قالت نعم فتحول ابليس لعنه الله ريحا ودخل فى فم الحية وأدخلته الحية الجنة فلما دخل ابليس أراها الشجرة التى نهى الله عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدى آدم وحواء وهما يعلمان أنه ابليس فناح عليهما نياحة أحزنهما وبكى وكان أول من ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكى عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك فى أنفسهما واغتما ثم ان ابليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الجنة قال نهانى ربى عنها فقال ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى أن يقبل منه فاقسم لهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا بذلك وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوا الى

اكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى اكلها وروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله
ابن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبى يقول سمع جدى
يقول سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثنى أن آدم ما اكل من الشجرة وهو
يعقل ولكن حوا سقته الخمر حتى اذا سكر أذنته اياها فاكل فذلك قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخمر مجمع الخبائث وأم الذنوب ويقال لما قال الله لآدم وحوا
أن لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها ولا ناكل منها ولم يستثنيا فى قولهما فوكلهما
الله الى أنفسهما حتى اكلا المنهى عنها وسمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت
أبى يقول سمعت جدى يقول كان ابراهيم بن أدهم يقول لقد أورثنا تلك الاكلة حزنا
طويلا وقال الشبلى أول الدن دردى هذا أبونا آدم باع ربه بكف من حنطة وقال
فلما اكل من الشجرة ابتلاه الله بعشرة أشياء أولها معاتبته اياه على ذلك بقوله ألم أنهكما
عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين الثانية الفضيحة فانه لما
أصاب الذنب بدت سوأته وتهاوى عنه ما كان عليه من لباس الجنة فتحير آدم وصار
هاربا فى الجنة فلقيه شجرة العناب فاخذت بناصيته وناداه ربه افرارا منى يا آدم
قال بلى يارب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالمقصر حياء يوم القيامة ويروى
أن آدم لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف باشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطى
بها عورته فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فأعطته ورقة فطفقا يعنى
آدم وحوا يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافا الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه
فى الحلاوة والمنفعة وأعطاه الله ثمرتين فى عام واحد والثالثة أوهن جلده وصيره
مظلما بعد أن كان جلده كله كالظفر وأبقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على أنامله ليتذكر
بذلك أول حاله والرابعة أخرجه من جواره ونودى انه لا ينبغى أن لا يجاورنى
من عصانى فذلك قوله تعالى قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو يعنى آدم وحوا
وابليس والحية والطاووس فهبط آدم الى سرنديب من أرض الهند وقيل على جبل
من أرض الدهناء يقال له برد وقيل واسم وحوا بجدة بلد من أرض الحجاز وابليس
بالابلة من أرض العراق وهى البصرة وقيل بيسان والحية باصبهان والطاووس
بأرض كابل ويقال ان الحكمة فى اخراج آدم من الجنة أنه كان فى صلبه من لا يستحق
الولاية ولا يصلح لحضيرة القدس فاذا أخرجهم من صلبه أعاده اليها ويقال ان الله
أخرج آدم من الجنة قبل أن أدخله فيها وذلك قوله انى جاعل فى الارض خليفة ولم
يقل فى الجنة اخبرنى نافل بن اذفر بن أحمد باسناده عن عثمان بن علية قال
سمعت الوضين بن عطاء يذكر أن آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فجاءنا ابليس
بالخطيئة الى الارض فلا ينبغى لنا الفرح فى الدنيا ولكن الحزن والبكاء ما دمنا فى
دار الدنيا حتى نرد الى الدار التى سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا

يا ناظرا يرنو بعيني راقد * ومشاهد الايام غير مشاهد
منتك نفسك وصلة فابحتها * سبل الرجا وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي * درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله اخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

والخامسة الفرقة ففرق بينه وبين حوا مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلفا فسمي المزدلفة واجتمعا بجمع فسمي جمع جمعا وتعارفا بعرفة في يوم عرفة فسمي الموضع عرفات والسادسة العداوة التي بينهم العداوة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين والسابعة النداء عليه باسم العصيان فقال تعالى وعصى آدم ربه فغوى وروي أن ابراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالي في أمر آدم فقال يا رب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فأوحى الله اليه يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد والثامنة تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الاية والتاسعة جعل الدنيا سجنا له ولأولاده وابتلاه بهواء الدنيا ومقاساة البرد والحر فيها ولم يكن له بهما عهد لتعوده هوا الجنة وهو كما قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سجسج لاحر فيها يؤذي ولا برد فيها يؤذي العاشرة التعب والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى هو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب

مطلب فيما ابتليت به حواء وبناتها

فصل * وابتلى حوا وبناتها بهذه الخصال وبخمسة عشر خصلة سواهن الاولى الحيض يروى أنها لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى آن لك على أن ادميك أنت وبناتك في كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا شئ كتبه الله على بنات آدم الثانية ثقل الحمل والثالثة الطلق وألم الوضع قال تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفي الخبر لولا الزلة التي أصابت حواء كان النساء لم يحضن ولكن حليمات وكن يحملن سرا ويضعن سرا والرابعة نقصان دينها والخامسة نقصان عقلها عن أبي سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداهن فقيل له ما نقصان عقلها ودينها يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك من نقصان عقلها أو ليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم فذلك نقصان دينها السادسة أن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين السابعة تخصيصهن بالعدة الثامنة

جعلن تحت أيدى الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه
السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم التاسعة ليس لهن من الطلاق شيأ
ولا يملكن ذلك وانما هو للرجال العاشرة حرمن الجهاد الحادية عشر ليس منهن نبى
الثانية عشر ليس منهن سلطان ولا حاكم الثالثة عشر لا تسافر احداهن الا مع ذى
محرم الرابعة عشر لا تنعقد بهن الجمعة الخامسة عشر لا يسلم عليهن وعاقب

مطلب فيما عوقب به ابليس

ابليس لعنه الله فى عشرة أشياء أولها عزله عن الولاية وكان له ملك الارض وملك سماء
الدنيا وكان خازن الجنة الثانية أخرجه من جواره وأهبطه الى الارض الثالثة مسخ
الله صورته فصيره شيطانا بعد ما كان ملكا الرابعة غير اسمه فكان اسمه عزازيل
فسماه ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى الخامسة جعله امام الأشقيا السادسة
لعنه الله السابعة نزع منه المعرفة الثامنة أغلق عنه باب التوبة التاسعة جعله
مريدا أى خاليا من الخير والرحمة العاشرة جعله خطيب أهل النار ووعد الحية
بخمسة أشياء قطع قوائمها وامشاؤها على بطنها ومسخ صورتها بعد أن كانت أحسن
الدواب وجعلها بين التراب وجعلها تموت فى كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بنى
آدم وهم أعداؤها حيثما يرونها يقتلونها وأمر صلى الله عليه وسلم بقتلها فى الصلاة
وفى حال الاحرام عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما سالمناهن ولا صالحناهن ولا رأيناهن الا حاربناهن من ترك شيأ منهن خيفة
منهن فليس منى يعنى الحيات عن ابى الاحوص الحسنى قال بينما ابن مسعود يخطب
ذات يوم واذا هو بحية تمشى على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقصبة حتى قتلها
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكانما قتل رجلا
مشركا قد حل دمه

مطلب فى حال آدم بعد هبوطه

(الباب السادس فى حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان
منه) قال ابن عباس لما اهبط آدم الى الارض على جبل سرنديب وذكروا أن ذروته
من أقرب جبال الارض الى السماء وكانت رجلا آدم على الجبل ورأسه فى السماء يسمع
دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان يأنس آدم بذلك فهابته الملائكة واشتكت نفسه
فحطت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأخذ
أولاده الصلع فلما نقص من قامته قال رب كنت جارك فى دارك ليس لى رب
سواك ولا رقيب دونك آكل فيها رغدا وأسكن حيث أحببت فاهبطتنى الى هذا
الجبل وكنت أسمع الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك وأجد ريح الجنة وطيبها
ثم أهبطتنى الى الارض وحططتنى الى ستين ذراعا فقد انقطع عنى الصوت والنظر
وذهبت عنى رائحة الجنة فأجابه الله بمعصيتك يا آدم فقال آدم ذلك بك يا رب
وقال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة واستقر جالسا على الارض
عطس عطسة فسال أنفه دما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل

ذلك دما هاله ما رأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالحمم ففزع آدم فزعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه وبكى أربعين عاما وبعث الله اليه ملكا فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغشى فاستراح مما كان يصيبه من الغم وقال شهر بن حوشب بلغني أن آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى وقال ابن عباس بكى آدم وحوا على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة ولم يقرب آدم حوا مائة سنة فلما أراد الله أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب توبته كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الاية واختلفوا فى تلك الكلمات ما هى فقال ابن عباس هى أنه قال آدم عليه السلام يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال ألم تنفخ فى من روحك قال بلى قال ألم تسبق لى رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكنى جنتك قال بلى قال فلم أخرجتنى منها قال بشؤم معصيتك قال يا رب ان أنا تبت وأصلحت ترجعنى الى الجنة وهى الكلمات وقال عبد الله بن عمر ان آدم قال يا رب ارأيت ما أتيته اتيانه من تلقاء نفسي أو شئ قدرته على قبل أن تخلقنى بيدك قال لا بل قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يا رب فكما قدرته على فاغفر لى وقال محمد بن كعب القرظى هى قول لا اله الا الله سبحانك وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت أرحم الراحمين وقال سعيد والحسن ومجاهد وعكرمة هى قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الاية ثم أنزل الله ياقوتة من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت قدر الكعبة لها بابان باب شرقى وباب غربى وفيها قناديل من نور ثم أوحى الله تعالى الى آدم ان لى بيتا حرما بحيال عرشى فانه فطف به كما يطوف حول عرشى وصل عنده كما يصلى عند عرشى فهناك أستجيب دعاك فانطلق آدم من أرض الهند الى أرض مكة لزيارة البيت وقيض الله له ملكا يرشده فكان كلما نزل ووضع عليه قدمه عمرانا وما تعداه مفاوز وقفار فلما وقف بعرفات وكانت حوا طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمى ذلك اليوم يوم عرفة فلما التقيا وتعارفا وعرف كل صاحبه سمى ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن قال أتمنى المغفرة والرحمة فسمى ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما وانصرفا الى أرض الهند قال مجاهد حدثنى ابن عباس أن آدم حج من ارض الهند أربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأى شئ كان يحمله فوالله ان كانت خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة فهنوه بالحج وقبول التوبة فقالوا بر حجك يا آدم فداخله من ذلك فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام فتقاصرت الى آدم نفسه وقال أبو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصى

مطلب الكلمات التى تلقاها آدم

من شجر الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الاكليل وتحاتت الورق فنبت منه انواع الطيب فلذلك كان أصل كل طيب بالهند وقال ابن عباس نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند في أوديتها وكان أصله من الجنة فامتلأ ماهنالك طيبا فمن ثم يؤتى بالطيب من الهند وأصله من ريح آدم وريحه من ريح الجنة وأنزل الله معه الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصى موسى عليه السلام كانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى وروى سفيان عن حذيفة باسناده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذي كان لباسه من الجنة فيبس وتطاير بارض الهند فعبق منه الشجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يا رسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال اجل انما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصير الله المسك في سرتها فاذا رعت من ذلك جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الادميون قالوا يا رسول الله فأين تقع قال قال لي جبريل في ثلاث كور لا يأتي شئ من الارض الا فيها أرض الهند وارض السعد وارض التبت قالوا يا رسول الله العنبر انما هي دابة في البحر قال كانت هذه الدابة بأرض ترعى في البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها ومامعها فقذفها في البحر وهي أعظم ماتكون من الدواب غلظها ألف ذراع وانما ترمي به كما يرمي البقر أخثاءها فربما يخرج من جوفها العنبرة وزنها ألف رطل وخمسمائة رطل ونحو ذلك ثم ان آدم وجد ضربانا في رأسه وجسده فشكى ذلك الى الله تعالى فنزل عليه شجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال ان في هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام ودله جبريل عليه السلام على الاهليلج الاسود والاصفر فقال ان ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فانك لن تداوى أنت وذريتك بدواء هو أفضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقي في جوفك لم تخف منه وان خرج أخرج الداء كله وأبرأه قال أهل الاخبار ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذى الهوى وأحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكى ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فانزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشا منها ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحواء أول من غزلت وآدم أول من نسج وأول من لبس الصوف عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ماتقول في حرفتي فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال أنا رجل حائك قال حرفتك حرفة
أبينا آدم عليه السلام كان اول من نسج آدم وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة
أيام وان الله يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منكم
القبيح فكان آدم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم
ومن اذاكم فقد اذى آدم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان
حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم الى الجنة وعن ابى أمامة الباهلى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلة الاكل عليكم
بلباس الصوف تعرفون به فى الاخرة وان النظر فى الصوف يورث القلب التفكر
والتذكر ويورث الحكمة والحكمة تجرى فى الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل
طمعه وكل من قل تفكره كثر طمعه وعظم بدنه وقسى قلبه والقلب القاسى بعيد
من الله بعيد من الجنة قريب من النار قالوا ثم ان آدم بعد ستر عورته اشتكى
فقال له جبريل ما الذى أصابك فقال أجد فى نفسى قلقا واضطرابا لا أجد الى
العبادة سبيلا ثم أجد فى لحمى وجلدى كدبيب النمل قال له جبريل ذلك يسمى الجوع
قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف أهديك الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه بثورين
أحمرين والعلاة والمطرقة والمنفخة والكلبتين ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع
فى يد آدم فطار منه شرارة فوقعت فى البحر فدخل جبريل اليها وأتى بها فدفعها
الى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبى صلى الله عليه
وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزاء من نار جهنم بعد أن غسلت بالماء سبع
مرات فلما جاء بها فى الثامنة نطقت النار فقالت يا آدم انى أطيعك وانى منتقمة
من عصاة أولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انها لن تطيعك ولكنى أبحتها
لك ولاولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع فسجنها فى الحجر والحديد فذلك
قوله تعالى أفرأيتم النار التى تورون انتم الاية ويروى ان آدم لما اخذ النار
احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل تحرق يدى ولا تحرق يدك قال لانك
عصيت الله وانى لم أعصه ثم أمره جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل
الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك
حبتان ولحواحبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة
ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال آدم ما أصنع بهذ اكله فقال يا آدم خذها
فانها سبب سد جوعتك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيى فى الدنيا وبها تلقى الفتنة
أنت وأولادك الى أن تقوم الساعة ثم أمره أن يشد الثورين ويقطع من الخشب
ويضعه عليهما فجعل ذلك وجعل يحرث الارض عليهما فهو أول من حرث الارض
وبكى الثوران على ما فاتهما من نعيم الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت

منه الجاورس وبالا فنبت منه الحمص ورثا فنبت منه العدس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها ونبت من ساعته فقال آدم أكله فقال لا اصبر حتى يدرك فلما أسبل وأفرك قال اكله قال لا وعلمه الحصاد فلما حصد قال اكله قال لا وعلمه الدياس فلما داس قال اكله قال لا وعلمه الطحن بالحجرين فلما طحن قال اكله قال له لا وعلمه العجين ويقال ان آدم لما نخل دقيقه فأمره جبريل أن يلقي النخالة في الارض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال له اكله قال لا فأمره أن يحتفر حفيرة ويضع الحطب فيها ويوقد عليها نارا ففعل ذلك حتى جعله خبز ملة وهو أول من خبز الملة فلما أخرجه قال اكله قال لا حتى يبرد فلما برد اكله فلما اكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذي وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما آن لك أن تاكل كد يمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفي آدم من الطعام وجد تشكيا ولم يدر ما هو فشكى ذلك الى جبريل فقال ذلك العطش قال وبما اسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له احتفر الارض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالا أبرد من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب منه شربة فشربها فاطمأن ثم انه بعد ذلك وجد شكوى أشد من الاول والثاني فقال لجبريل ما هذا الذي أجده قال لا أدري فبعث الله اليه ملكا ففتق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك مخرج فلما خرج ما أذاه ووجد ريحه بكى على ذلك سبعين سنة قالوا ولما أنزل الله الى آدم الحديد نظر الى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر أشجارا قد عتقت ويبست فأوقد على ذلك الحديد حتى ذاب وكان أول شئ ضرب وكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذي ورثه نوح وهو الذي فار بالعذاب قالوا ولما أهبط آدم اخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدى من الأيدي ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة حمل وقيل ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فاما التي هي في القشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والبلوط والشاهبلوط والنارجيل والرمان والموز وأما التي لها نوى كالخوخ والمشمش والأجاص والعناب والفرسك والرطب والعنبري والنبق والزعرور والمقل واما التي لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والاترنج والخرنوب والخيار والبطيخ وقال ابن جريج أهبط الله على آدم بآسة فيها نور الى الارض وأهبط معه آسة فيها عريشة من عنب وريحانة فعاد

آدم اكارا وغرس فلما طلعت جاء ابليس فسرق ثمرها فقال له آدم ويلك أخرجتني من الجنة ولا تريد أن تجعل لي رزقا قال له ان لي حقا قال وما حقك قال لي نشوها ولكم سائرها وقال ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسة وهي سيدة ريا حين الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام أهل الدنيا وبالعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا وروى ابن عباس وعائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرى فكلوه فانه يسبح في شجره ويستغفر لآكله وقال ابن عباس لما أهبط آدم الى الارض كان أول شئ اكله من الثمار التين وقال كعب أول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصلح المعيشة الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما أهبط الى الارض فرأى سعتها ولم يرفيها أحدا غيره فقال يا رب أما لارضك هذه من عامر يسبح ويقدس لك غيري قال الله تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي واوثره باسمي فأسميه بيتي أنطقه بعظمتي وعليه وضعت جلالي واجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن فوقه ومن تحته ومن احترمه لحرمتي استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتي وأباح ديني أجعله أول بيت وضع ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويضجون ضجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الي وزارني واستضافني وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلا بحاجته يعمره يا آدم ما كنت حائف ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قريبة بمكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج ذريته وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذريته وقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقام رجل فقال ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة وأدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على ذلك فهو من أهل النار وقال وهب بن منبه رحمه الله أوحى الله الى آدم بعدما تاب عليه يا آدم اني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة فيما بينك

وَبين الناس فاما التى لى فتعبدنى لا تشرك بى شيأ وَأما التى لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه وَأما التى بينى وَبينك فمنك الدعاء وَمنى الاجابة وَأما التى بينك وَبين الناس فان ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال آدم يا رب شغلت بطلب المعيشة وَالرزق عن التسبيح وَالعبادة وَلست أعرف ساعات التسبيح من أيام الدنيا فأهبط الله اليه ديكا وَأسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح فى السما سبح فى الارض فيسبح آدم بتسبيحه وَيروى أن الله تعالى أوحى الى آدم لما أراد أن يهبطه الى الارض يا آدم انى منزلك أنت وَذريتك دارا مبنية على أربعة قواعد أما الاولى فانى أقطع ما تصلون الثانية أفرق ما يجمعون الثالثة أخرب ما يبنون الرابعة أميت ما تلدون وَلذلك قيل

لدوا للموت وَابنوا للخراب * ولذلكم يصير الى ذهاب

(الباب السابع فى ذكر هبوط ابليس الى الارض وَحاله فيها بعد اللعنة) *

مطلب فى ذكر هبوط ابليس الى الارض

قال الله تعالى قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو الاية قال الشعبى أنزل ابليس من السماء عليه عمامة ليس تحت ذقنه منها شئ أعور فى احد رجليه نعل وروى ابن المبارك عن حميد انه كره ان يتخصر فى الصلاة لان ابليس هبط متخصرا وعن عبد الله بن عمير أن ابليس قال يا رب أخرجتنى من الجنة من أجل آدم وَانى لا استطيعه الا بسلطانك قال فأنت مسلط عليه قال يا رب زدنى قال لا يولد له وَلد الا وُلد لك مثلاه قال يا رب زدنى قال صدورهم مساكن لك تجرى مجرى الدم قال يا رب زدنى قال أجلب عليهم بخيلك وَرجلك وَشاركهم فى الاموال وَالاولاد وعدهم وَما يعدهم الشيطان الا غرورا قال آدم يا رب قد سلطته علىّ وَانى لا أمتنع منه الا بك قال لا يولد لك وَلد الا وكلت به من يحفظه من قرنائه السوء قال يا رب زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها وأزيدها والسيئة بمثلها وَاحدة وَأمحوها قال يا رب زدنى قال قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال رب زدنى قال التوبة لا أنزعها من وَلدك ما كانت الروح فيهم قال يا رب زدنى قال أغفر وَلا أبالى قال حسبى وروى أن ابليس قال يا رب لعنتنى وَأخرجتنى من الجنة وَجعلتنى شيطانا رجيما مذموما مدحورا وَبعثت فى بنى آدم الرسل وَأنزلت عليهم الكتب فما رسلى قال الكهنة قال فما كتبى قال الوشم قال فما حديثى قال حديثك الكذب قال فما قرأتى قال الشعر قال فما مؤذنى قال المزمار قال فما مسجدى قال مسجدك السوق قال فما بيتى قال بيتك الحمام قال فما طعامى قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال فما شرابى قال شرابك كل مسكر قال فما مصائدى قال مصائدك النساء وَروى مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس أن ابليس لما اخرج ألقى الله عليه الحرقة والغلمة فنكح نفسه فباض

أربع بيضات فمنها ذريته وروى اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق قال بلغني أن ابليس تزوج الحية التي دخل في فيها حين كلم آدم عليه السلام بعدما أخرج من الجنة فمنها ذريته (الباب الثامن في ذكر ما روى من الاخبار فيمن ترای له ابليس فرآه عيانا وكلمه شفاها) يروى ان آدم التقى با بليس في الارض فلامه على صنعه وقال يا ملعون أى شئ هذا الذى أحللت بى وبذريتي واخرجتني من الجنة وفعلت وفعلت قال فبكى ابليس وقال يا آدم نخيلك انى فعلت بك ما تقول وأنزلتك هذه المنزلة فمن فعل بى ما أنا فيه وأحلنى هذه المنزلة ويروى أن ابليس تصور لفرعون في صورة الانس بمصر في الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك أما تعرفنى قال لا قال فكيف وأنت خلقتني ألست القائل أنا ربكم الأعلى ويروى أن سليمان سأل ابليس فقال أى الاعمال أحب اليك وأبغض الى الله فقال له لولا منزلتك عند الله ما أخبرتك انى لست أعلم شيأ أحب الى وأبغض الى الله تعالى من استغنا الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من آدمى الا وقد عمل خطيئة أوهم بها الا يحيى بن زكريا ولقد قال رب أرنى ابليس لا سأله عما هو واعزم عليه ان لا يكتمني شيأ سألته عنه فأوحى الله تعالى الى ابليس أرأيت عبدى يحيى بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكتمه شيأ يسألك عنه فأتاه وقال يا يحيى أنا ابليس أمرنى ربى أن آتيك كما هبطت الى الارض فاذا على رأسه خطاطيف تطير وحقواه محفوفتان باكوار كورها هنا وكورها هنا وفى رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التى تطير على رأسك قال بها أخطف عقول بنى آدم قال فما هذه الخلاخيل التى فى رجليك قال أحركها لبنى آدم حتى يغنى أو يغنى له قال فأى ساعة أنت على ابن آدم أقدر قال حين يمتلى شبعا وريا قال فهل وجدت فى نفسى شيأ قال لا قال على حال قال نعم قدم اليك طعامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيت اليك حتى اكلت اكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيى لاجرم لا أشبع أبدا فقال ابليس لاجرم لا أنصح آدميا أبدا وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا فى جهازه وخرج الناس وخلى الموضع قال ابن عباس قال على رضى الله عنهما لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا على لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع فى قلبى من ذلك شئ وقلت ويلك من أنت فان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف آخر يهتف بأعلى صوته اغسله فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدخل قبره مغسلا قال على جزاك الله خيرا قد أخبرتنى أن ذلك ابليس من أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم ويحكى

مطلب في ذكر ما روى من الاخبار

ان قوما من بنى اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف موقفا كنت تقفه
بين يدى الله تعالى حسبما كنت تقف قبل أن عصيت ربك قال انكم لا تطيقون
رؤية ذلك فألحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا الى خشوعه وخضوعه ماتوا عن
آخرهم ويروى أن رجلا كان يلعن ابليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم
نائم اذ أتاه شخص فأيقظه فقال قم فان الجدار يسقط فقال له من أنت الذى
أشفقت على هذه الشفقة فقال له أنا ابليس قال كيف هذا وأنا ألعنك كل يوم
ألف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى فخشيت أن تكون منهم
فتنال معهم ما نالوه (الباب التاسع فى قصة قابيل وهابيل) قال الله تعالى
واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا الى آخر القصة قال أهل العلم بقصص
الماضين ان حوا كانت تلد لآدم توأمين فى كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانها
ولدته مفردا وكان جملة ما ولدته حوا أربعين ذكرا وأنثى بعشرين بطنا أولهم قابيل
وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث وكثر الله فى نسل آدم
كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الآية * قال ابن عباس
لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفا ورأى فيهم آدم الزنا
وشرب الخمر واختلف العلماء فى وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى
آدم حوا بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما
فى بطن ثم هابيل وتوأمته لبود فى بطن واحد قال محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم
بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حوا فى الجنة قبل أن تهبط الى الارض فحملت له
بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما ولم تر
معهما دما لطهر فلما هبطا الى الارض واطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته
فوجدت فيهما الوحم والنصب والطلق والدم حتى اذا اشب أولاده زوج
غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر
وكان يزوج أخوات من شاء الا توأمته التى ولدت معه فانها لا تحل له وذلك أنه لم
يكن نساء يومئذ الا أخواتهم فلما ولدت له قابيل وتوأمته اقليما حملت بهما
فى الجنة وهابيل وتوأمته لبود فى بطن واحد حملت بهما فى الارض وكان بينهما
سنتان فى قول الكلبى وأدركوا ثم أمر الله تعالى آدم أن ينكح لبود قابيل أخت
هابيل وينكح هابيل اقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجمل النساء
وأحسنهن خلقا فذكر ذلك لولده هابيل فرضى وسخط قابيل وقال هى أختى
ولدت معى فى بطن وهى أحسن من أخت هابيل فأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة
وهما من أولاد الارض فأنا أحق بأختى فقال له أبوه انها لا تحل لك فأبى أن
يقبل ذلك منه وقال ان الله لم يأمرنى بذلك وما هو من أمر ثم قال لهما آدم قربا

مطلب فى قصة قابيل وهابيل

قربانا

قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها قال معاوية بن عمار سألت جعفر
الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم ما رغب
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم لأن الله تعالى أهبط آدم وحوا الى الارض وجمع بينهما وولد له بنتا
فسماها عناق فبغت وهي أول من بغى في الارض فسلط الله عليها من قتلها فولدت
لآدم على اثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك أظهر الله تعالى جنية من الجن
يقال لها عمالة في صورة انسية وأوحى الله الى آدم أن زوجها من قابيل فزوجها
منه فلما أدرك هابيل أهبط الله الى آدم حوراء في صورة انسية وخلق الله تعالى
لها رحما وكان اسمها تركة فلما نظر اليها هابيل ورمقها فأوحى الله الى آدم أن زوجها
من هابيل ففعل فقال قابيل ألست اكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال
يا بني ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكنك آثرته علي بهواك فقال له
ان كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه
قالوا وكانت القرابين حينئذ اذا قبلت نزلت نار من السماء فأكلتها واذا لم تقبل
لم تنزل نار لأكلها وتأكلها السباع فخرجا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب
صبرة من الطعام من أردى زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي أيقبل مني أم لا لا يتزوج
أختي أبدا قال وكان هابيل راعيا صاحب ماشية فقرب جملا سمينا من خيار ماشيته
ولبنا وزبدا وأضمر في نفسه الرضى بالله والتسليم لامره وقال اسماعيل بن رافع
ان هابيل نتج له جمل في ابله فلما كبر لم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره
فلما أمر بالقربان قربه قالوا فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت
الجمل والزبد واللبن ولم تأكل من قربان قابيل حبة لانه لم يكن بزاكي القلب
وقبل قربان هابيل لانه كان زاكي القلب فما زال يرتع في الجنة حتى فدى
ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر الى قوله من
المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر
فيه الحسد والبغي فكان يضمر ذلك قابيل في نفسه الى أن أتى آدم مكة ليزور البيت
فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت فقال ذلك للارض
والجبال فأبيا فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما يسرك فرجع آدم وقد
قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا
يعني قابيل حين حمل أمانة أبيه ثم خانه قالوا فلما غاب آدم أتى قابيل الى هابيل
وهو في غنمه فقال لأقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني
وتنكح أختي الحسنة وأنكح أختك الذميمة فيتحدث الناس أنك خير مني وأفضل

منى و يفتخر ولد لك على ولدى فقال له هابيل وما ذنبى انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين قال عبد الله بن عمر ان المقتول كان أشد ولكنه منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الاية أى طاوعته وساعدته فقتله قال السدى لما قصد قابيل قتل هابيل رآى هابيل فى رؤس الجبال ثم أتاه يوما من الايام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرين سنة واختلفوا فى مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل بود وقال بعضهم على عقبة حرى وحكى محمد بن جرير الطبرى قال جعفر الصادق بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم فلما قتله ولم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الأرض من بنى آدم فقصدته السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى تروح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون أين يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له فى الارض ثم ألقاه فى الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال يا ويلتى أعجزت أن اكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين يعنى من حمله لا على قتله وروى عن الاوزاعى قال حدثنى المطلب بن عبد الله قال لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله أين أخوك هابيل قال ما أدرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان صوت دم أخيك ليناديني من الارض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا عن الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه وأمر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث فى الارض حدث فأتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

وروى عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سريانى وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته فى ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث

مطلب موضع قتل قابيل هابيل

مطلب
اول من ركب الخيل وتكلم بالعربية يعرب

يا بني انك وصي احفظ هذا الكلام ليتوارث فرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر في المرثية فاذا هو شجع فقال ان هذا يقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فما زاد فيه ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل اذاق الموت هابيل * فواحزنا لقد فقد المليح
ومالى لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولها رنين * لهابلها وقابلها يصيح
لقتل ابن النبي بغير جرم * فقلبي عند قتلته جريح
وجاورنا لعين ليس يفنى * عدو لا يموت فنستريح

وقالت حواء

دع الشكوى فقد هلكا جميعا * بموت ليس باليمن الربيح
وما يغنى البكاء عن البواكى * اذا ما المرء غيب في الضريح
فبك النفس وانزل عن هواها * فلست مخلدا بعد الذبيح

فأجابهما ابليس لعنه الله شامتا بهما

تنح عن البلاد وساكنيها * فني الجنان ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء * وقلبك من أذا الدنيا مريح
فما زالت مكايدتى ومكرى * الى أن فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحى * بكفك من جنان الخلد ريح

وقال سالم بن الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم اوتى فقيل له حياك الله وأضحكك ولا أبكاك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين وولد له شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منها وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصى آدم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فأخذ بيد أخته اقليما وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فأتى اليه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان أخيك الا لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت أيضا بيتا لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر بواحد من ولده الا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال

ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه أباك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي قال مجاهد فعلقت احدى يدي قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهه الى الشمس حيثما دارت وعليه في الصيف وفي الشتاء حظيرة من ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى غرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي نسل شيث عليه السلام

(الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام) ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها الى شيث وأمره أن يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بالعلم وأخفى شيث وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يا رب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل ورأى فيهم رجلا يزهر وهو أضواهم نورا فقال يا رب من هذا فقال ذلك داود فقال يا رب كم عمره قال ستون سنة قال يا رب زده في عمره قال لا الا أن تزده من عمرك فقد جف القلم بأعمار بني آدم وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعون سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة سنة وستون سنة جاء اليه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجلت علي يا ملك الموت قال ما فعلت بل أنت استوفيت أجلك قال آدم قد بقي من عمري أربعين سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيأ فانزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله تعالى أكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم ونسيت ذريته وجحد ثم جحدت ذريته فأمر الله بالكتاب والشهود من يومئذ قال ابن اسحاق وغيره ثم ان آدم مات وجمعت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيث واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي أول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة وبعث الله اليه بحنوط وكفن من الجنة وولیت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاث ثياب ثم الحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذا سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين

مطلب في ذكر وفاة آدم

تكبيرة فاما خمس فهى الصلاة وخمس وعشرون تفضيلا لآدم وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن اسحاق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار ابى قبيس وهو غار يقال له الغار الكبيرة وروى ابو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على بود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكان وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حوا بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام

مطلب في خصائص آدم

(باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام) قال الاستاذ خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه في أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قائل كريم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ولقنه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل وأباح له جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الأسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وامرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته في الارض وعرف الملائكة فضله عليهم ولعن ابليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه فأمرهم بالثقلين وجعله أبو البشر وجعله خليفة وهو أول خلقه وأول تائب وأول مجتبا وأول مصطفى وأول خلق الله في الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم * (مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام) *

مطلب في ذكر النبي ادريس

قال الله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا قال أهل العلم بأخبار الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن يرد وقيل يازيد بن مهلابيل ابن قينان بن انوش بن شيث بن آدم واسمه أخنوخ وسمى ادريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمه أشوت وكان ادريس أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر في علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الى السما على ما قال ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشيت في الشمس يوما فتأذيت ففكرت فيمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت على فيه فقال تعالى ان عبدي ادريس سألني أن أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فأذن الله له ثم ان ادريس سأله وكان فيما يسأله أن قال أخبرت أنك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لي اليه

ليحقق لى كم بقى من أجلى و يؤخر أجلى فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه أتى الى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة فقال له أفعل لك كل شئ استطيعه فقال لى صديق من بنى آدم يتشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان أحببت أن أعلمه أجله متى يموت فيتقدم فى نفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فأخبره باسمه فقال انك كلمتنى فى انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال انى لاأجده يموت عند مطلع الشمس قال فانى أتيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات والله ما بقى من أجل ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا قال وهب وكان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الارض جميعهم فى زمانه فعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره الليلتين فقال له الليلة الثالثة انى اريد أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فأذن لى فى ذلك فقال له ادريس لى اليك حاجة قال وما هى قال اقبض روحى فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لأذوق كرب الموت وغمه فاكون له أشد استعدادا ثم قال له لى اليك حاجة اخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فأذن الله له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لى أبواب النار حتى أردها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت أخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهم فقال له الملك ما لك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذنى دخل الجنة وبامرى يخرج فهو حى هناك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة * (قصة هاروت وماروت) * قال الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان آصف فى مدة زوال ملك سليمان هذا ما علم آصف ابن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات

مطلب قصة هاروت وماروت

استخرجوها

استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس انما ملككم سليمان الا بهذه قال السدى وذلك أن شيطانا تمثل على صورة انسان فأتى نفرا من بنى اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسى سليمان وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية فقالوا له ادن فقال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو منها الا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فأما علماء بنى اسرائيل وصلحاؤهم قالوا معاذ الله ان يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان وأما الجهال والسفلة فأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم وقصة الملائكة لسليمان فانزل الله هذه الآية اظهارا لعذر سليمان وبيانا لبراءة سليمان فهذه قصته الاية * وأما قصة هاروت وماروت فقال المفسرون ان الملائكة رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك فى زمن ادريس النبى عليه السلام فعيروهم بذلك وانكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الأرض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو أنزلتكم الى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما ينبغى لنا أن نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الأرض فاختاروا عزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت وعزرائيل وانما غير اسمهما لما اقترفا الذنب كما كان اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التى ركبها فى بنى آدم وأهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزرائيل فانه لما وقعت الشهوة فى قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه الى السماء فأقاله ورفعه وسجد اربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطاطيا رأسه حياء من الله تعالى وأما الآخران فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك أنه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال على رضى الله عنه كانت من أهل فارس وكانت ملكة فى بلدها فلما رأياها اخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت فى اليوم الثانى ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفى نفسها من الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فأبت وعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر

فشربا الخمر فانتشيا و وقعا بالمرأة وزنيا بها فرأهما انسان فقتلاه قال الربيع
ابن أنس وسجد للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا * وقال علي رضي الله عنه والسدى
والكلبي انها قالت لاتدركاني حتى تعلماني الذى تصعدان به الى السماء فقالا نصعد
باسم الله الاكبر فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا
قال الاستاذ فعلى قول هؤلاء هى الزهرة بعينها وقال آخرون هى هذه الكوكبة
الحمراء واسمها بالفارسية ناهيد وبالقبطية بادخت يدل على صحة هذا القول ما أخبرنا
به يحيى بن اسماعيل باسناده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال كان النبي
عليه السلام اذا رأى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله
الزهرة فانها فتنت ملكين هاروت وماروت وقال مجاهد كنت مع ابن عمر ذات
ليلة فقال لى ارمق الكوكبة يعني الزهرة فاذا اطلعت فأيقظني فلما طلعت أيقظته
فلما نظر اليها سبها سبا شديدا فقلت يرحمك الله تسب نجما سامعا مطيعا فقال ان
هذه كانت بغيا فلقى الملكان منها ما لقيا وكذلك قال ابن عباس وانكر الآخرون
هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التى جعلها الله تعالى
قواما للعباد وأقسم بها فقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وانما كانت
هذه التى فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى زهرة بجمالها فلما زنت
مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المرأة
الموافقة لهذا الاسم فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق اسمه لاسم هذا الرجل فلعنه يدل عليه ماروى
قيس بن عباد عن ابن عباس فى هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء
بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما أمسيا
هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما
أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا الى ادريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه
أن يشفع لهما الى الله تعالى وقالا له انا رأينا ما يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد
لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله
بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما ببابل
يعذبان * واختلف العلماء فى كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان
بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من أقدامهما الى أصول أفخاذهما
وقال مجاهد ملئ جبا نارا فجعلا فيه وقال عمرو بن سعيد هما معلقان منكسان
فى السلاسل يضربان بسياط الحديد وروى أن رجلا قصدهما لتعلم السحر
فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة أعينهما مسودة جلودهما بين ألسنتهم وبين
الماء أربعة أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال

مطلب كيفية عذاب هاروت وماروت

لا اله

لا اله الا الله وقد نهى عن ذكرها فلما سمعا كلامه قالا له من أنت قال من الناس قالا له ومن أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمدا الله وأثنيا عليه حمدا كثيرا وأظهرا الاستبشار فقال الرجل وما استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنى انقضاء عذابنا وروى هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امراة من دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شئ دخلت فيه من أمر السحر وما تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكي حتى رحمتها ثم قالت اني لاخاف أن اكون قد هلكت كان لي زوج غاب عني فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم نكن كثيرا حتى وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقالت أتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفري فارجعي من حيث أتيت فقلت لا قالا فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت لأبول ففزعت فلم أفعل فرجعت فقالا فعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيأ فقلت لم أر شيأ فقالا لم تفعلي شيأ فارجعي الى بلادك ولا تكفري فأبيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت قلت لم أر شيأ قالا كذبت لم تفعلي فارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس أمرك فقلت لا فقالا لي اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني حتى ما أراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قالت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني وذهب في السماء حتى ما أراه فقالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك فاذهبي فقلت للمرأة والله ما أعلم شيأ ولا قالا لي شيأ فقالت لا تريدي شيأ الا كان خذي هذا القمح فابذريه فبذرته ثم قلت له اطلع فطلع فقلت له حقل فحقل فقلت افرك ففرك ثم قلت اطحن فطحنت ثم قلت اخبز فخبزت فلما رأيت أني لا أريد شيأ الا كان سقط في يدي فرجعت وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيأ ولا أفعله قط أبدا قال الاوزاعي بلغني أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الارض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا ظهر من شرابها أو صب في الارض لقتل كل دابة ولو أن حلقة من السلسلة التي ذكرها

الله وضعت على جبال أهل الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلا
دخل النار وخرج لمات أهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي
صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه فقال ابكي يا محمد وقد غفر الله لك *
ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا اكون عبدا شكورا وبكى جبريل فقال يا جبريل
أتبكي وأنت الروح الامين أمين الله على وحيه قال أخاف أن ابتلى بما ابتلى به
هاروت وماروت فهذا الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد
أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نودي من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد
امنكما من غضبه فلا يعذبكما وان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء
كفضل جبريل على سائر الملائكة * (مجلس في قصة نوح عليه السلام) * مطلب في قصة نوح
قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه الاية وهو
نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن أنوش بن قينان بن
شيث عليه السلام وأمه قنوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل بن محويل بن أخنوخ
أرسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث قال ابن عباس
وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال
الجبل صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة
وأن ابليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه منه وكان يخدمه
واتخذ ابليس شيأ مثل الذي يزمر به الرعاة فيجيء منه صوت لم يسمع الناس مثله
فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعوا اليه في السنة
فيتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم
في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهم
فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قول الله تعالى ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الاولى قال ابن عباس وكان آدم أوصى أن لا يناكح بنو شيث
بنو قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليه حافظا لئلا يقربه أحد
من ولد قابيل وكان الذي يأتونه ويستغفر لهم بنو شيث فقال مائة من بني
شيث صباح لو نظرنا ما فعل بنو عمنا يعنون بني قابيل فهبطت المائة الى نساء
السهل صباح الوجوه من بني قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ما شاء الله
فقال مائة أخرى لو نظرنا ما فعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبسهم
النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فجاءت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثر
بنو قابيل حتى ملؤا الارض واكثروا الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا وهو
ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويخوفهم
بأسه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله قال رب اني دعوت قومي

ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءى الا فرارا وقال تعالى وقوم نوح من قبل
انهم كانواهم أظلم وأطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما
فاسقين وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلف
فى لبد ثم يلقى فى بيته فيرون أنه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى ايس من ايمان قومه
فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصى فقال يا بنى انظر الى هذا الشيخ
اياك أن يغررك فقال يا أبت مكنى من العصى فأعطاه العصى فقال ضعنى
فى الارض فوضعه فمشى اليه فضربه بالعصى فقال نوح رب قد ترى ما يصنعون
بى عبادك فان يكن لك فى عبادك حاجة فاهدهم وان يكن غير ذلك فصبرنى
الى أن تحكم بينى وبينهم وأنت خير الحاكمين فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من
قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فأيسه من ايمان قومه
وخبر أنه لم يبق فى أصلاب الرجال ولا أرحام النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم
وقال رب انهم عصونى الآية الى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث
ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا وهى اسماء أصنام لهم كانوا يعبدونها من
دون الله الى قوله تعالى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك
ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا الى قوله تعالى ولا تزد
الظالمين الا تبارا أى هلاكا ودمارا فأجاب الله دعاءه وأمره أن يصنع الفلك
كما قال تعالى واصنع الفلك بأعيننا ووحينا الآية قال نوح يا رب وما الفلك
قال بيت من خشب تجرى على وجه الماء حتى أنى أغرق أهل المعصية وأريح أرضى
منهم قال نوح يا رب اين الخشب قال يا نوح انى على ما أشاء قدير قال نوح يا رب
اين الشجر قال اغرس الشجر فغرس الساج وأتى على ذلك أربعون سنة وكف
فى تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فأعقم الله أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد
فلما أدرك الشجر أمره ربه أن يقطع الشجر فقطعه وجففه ولفقه قال يا رب كيف
أتخذ هذا البيت قال اجعله أزور على ثلاث صور رأسه كرأس الديك وجوفه
كجوف الطير وذنبه كذنب الديك مائلا واجعله مطبقة واجعل أبوابها فى
جنبيها واجعلها ثلاث طبقات واجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا
بابها فى عرضها وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا والذراع الى المنكب هذا قول
أهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع
الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون
عليه وهو فى عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة
ثم يقولون ألا ترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء ويضحكون
منه وذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه فيقول

نوح ان تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وأوحى الله الى نوح أن عجل صنعة الفلك فقد
اشتد غضبى على من عصانى فاستأجر نوح نجارين وأولاده يعملون معه سام
وحام ويافث ينحتون السفينة فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وستون
ذراعا وعرضها ثلثمائة وثلاثين ذراعا وطولها فى السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا
هذا قول ابن عباس فى رواية الضحاك وطلاها بالقار داخلها وخارجها
وشدها بالدسر وهى مسامير الحديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات
ألواح ودسر وفجر الله له عين القار بجنب السفينة تغلى غليا حتى طلاها به
فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع
الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليهم من البر والبحر والسهل
والجبل وقد جعل الله فوران التنور آية بينه وبين نوح وعهد الله اليه فقال إذا
رأيت التنور قد فار فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل زوجين
اثنين كما قال تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور أى عذابنا وهو الطوفان
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين الآية واختلف العلماء فى قوله تعالى وفار
التنور قال على بن أبى طالب رضى الله عنه يعنى طلع الفجر ونور الصبح وقال
ابن عباس انبجس الماء من وجه الارض والعرب تسمى وجه الارض تنورا وقال
قتادة التنور أشرف موضع فى الأرض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور
الذى يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لحواء ثم انتقل الى أن صار الى نوح
فقيل اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك فنبع الماء من التنور
فعلمت به امرأته فأخبرته واختلفوا فى موضعه فقال مجاهد كان ذلك فى
ناحية الكوفة وروى السدى عن الشعبى أنه كان يحلف بالله ما فار التنور
الا فى ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور
عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران الماء علما لنوح ودليلا على هلاك
قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام فى موضع يقال له عين وردة
وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن
بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى
قال ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة فأقبلت الوحوش والطير
والدواب الى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين
فكان أول ما حمل نوح فى الفلك من الدواب الذرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل
الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول له ادخل
فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زل بها

لسانه

لسانه فلما قالها نوح خلا الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج يا عدو الله قال ما أخرج وما كان لك بد أن تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك قال مالك بن سليمان النهروى ان الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضرر والبلايا فلا أحملكما قالا احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضراه عن وهب بن منبه قال لما أمر الله تعالى نوحا أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالاسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال أنت يارب قال فأنا أألف بينهم حتى لا يتضاررا فحمل نوح السباع والدواب فى الطبقة الاولى فألقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * لعمرك ما المحموم دوما سوى الاسد

وجعل الوحوش فى الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم فى الطبقة العليا وجعل الذرة معه فى الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يقتلها شئ واختلفوا فى أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى وأهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن يرسى السفينة قال بسم الله فرست واذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية ومن آمن وما آمن معه الا قليل منهم وكم هم قال قتادة لم يكن فى السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته فى السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته فجاء بالسودان قال الكلبى أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى ما دام فى السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال اللهم اجعله عسرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحاق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كانوا آمنوا معه وأزواجهم جميعا قال مقاتل كانوا اثنين وسبعين رجلا نوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم الجميع فكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم نساء ونصفهم رجال وحمل نوح جسد آدم معه وجعله معرضا حاجزا بين الرجال والنساء قالوا فلما ركب نوح فى الفلك وأدخل معه كل من آمن فكان ذلك فى شهر آب بالرومية فلما دخلها وحمل معه من حمل تحركت ينابيع الارض والعوط الأكبر وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال الله تعالى ففتحنا أبواب

السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعني التقى ماء السماء
وماء الارض فجعل الله الماء ينزل من السماء وينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان
بين ارسال الماء وبين احتمال الماء الفلك أربعين يوما وليلة ثم احتمل الماء
الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة
فناداه نوح وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوى
الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وكان عهد
كنعان الجبال أنها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم
من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء فارتفع
فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلا جبل في الارض خمسة عشر
ذراعا * وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك أنها خشيت عليه
من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل فتعلقت قلته فلما بلغها الماء
خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتها رفعته بيدها
حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله أحدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة بأهلها
الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شئ حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت
بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت الذى كان بحجه آدم صيانة له من الغرق
وهو البيت المعمور وخبأ جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت
السفينة بالحرم ذهبت في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودى وهو جبل
بالحضر من أرض الموصل فاستقرت عليه * قال مجاهد تشامخت الجبال
وتطاولت لئلا ينالها ماء فعلى الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لأمر
ربه الجودى فلم يغرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى واستوت على
الجودى وقال ابن عباس استوت السفينة على الجودى وقد بادما على
وجه الارض من الكفار ومن كل شئ فيه الروح والاشجار فلم يبق شئ من الحيوانات
الا نوح ومن معه في الفلك وصالا عوج بن عنق فذلك قوله تعالى وقيل بعدا
للقوم الظالمين أى هلاكا قال ابن عباس كان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب
منه من طوله ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها
ثم ياكله فقال لنوح اجعلني معك فقال اخرج يا عدو الله فاني لم أومر بك وطبق
الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ ركبتي عوج بن عنق فلما استوت السفينة
على الجودى قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي احبسي ماءك وغيض الماء
أى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التى في الارض لانها آخر ما بقي
في الأرض من ماء الطوفان وروى عن على بن زيد عن ابن يوسف بن مهران

عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى أتى الى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب من على رأسه وقد شاخ فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا بل مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتا ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث يأكلاه فلما كثر الفار في السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك أنه توالد في السفينة فأوحى الله تعالى الى نوح أن اضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفار فأكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح أن البلاد قد يبست قال بعث نوح غرابا يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد جفت قال فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله الا ننطلق به الى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له فقال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا قال أهل التاريخ أرسل الله الطوفان لثلاث عشر خلت من آب وله ستمائة سنة من عمر نوح * تتمة ألفي سنة ومائتي سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشورا وأقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالمين صام نوح وأمر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام النظر الى الماء فأمروا بالاكتحال يوم عاشورا الذي خرجوا فيه من السفينة * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ في ناحية باقردى من أرض الجزيرة موضعا وابتنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى سوق ثمانين فأوحى الله تعالى الى نوح أنه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة سنة

وخمسين سنة وكان جميع عمره ألف سنة إلا خمسين عاما ثم قبضه الله اليه هذا
قول أكثر العلماء وكذلك هو فى التوراة وقال عون بن أبى شداد عاش نوح
بعد الطوفان الف سنة الا خمسين عاما وقبله ثلثمائة وخمسين سنة فعلى هذا
القول يكون عمر نوح ألف سنة وثلثمائة سنة * ويروى أنه قيل لنوح لما
احتضر كيف وجدت عمرك قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر
ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه سام وجعله ولى عهده وكان ولد له سام قبل
الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه سام وهو بكره
فقال يا بنى أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين فأما الذى أنهاك عنهما فالاشراك
بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما
اللذان أوصيك بهما فانى رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله
وقول سبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جعلت السموات السبع والارضون
السبع لخرقتهما حتى تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله فى كفة ميزان لرجحت
بالسموات السبع والارضين السبع وما فيها وأوصيك بسبحان الله فانها صلاة
الخلق وبها يرزقون * ذكر خصائص نوح عليه السلام وهى خمسة عشر خصلة مطلب فى ذكر خصائص نوح عليه السلام
لم يسمى أحد من الانبياء باسمه وسمى بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان أول نبى
من أنبياء الشريعة وأول داع الى الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من
عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله
تعالى أوحى اليه بعد الطوفان انى خلقت خلقى وأمرتهم بطاعتى فانتهكوا معصيتى
فاشتد لذلك غضبى فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصنى وعذبت بذنوب
بنى آدم جميع خلقى فبى حلفت انى لا أعذب بمثل هذا العذاب أحدا من
خلقى بعدها ولكن أجعل الدنيا دولا بين عبادى ثم أجزهم بأعمالهم اذا اجتمعوا
عندى وكان عليه السلام أطول الأنبياء عمرا وقيل له اكبر الانبياء وشيخ المرسلين
وجعل معجزته فى نفسه لأنه عمر ألف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة
ولم يبالغ أحد من الرسل فى الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا
واعلانا واسرارا ولم يلق نبى من أمته من الضرب والشتم وأنواع الأذى
والجفى ما لقى فلذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين
وجعل ثانى المصطفى فى الميثاق والوحى قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح
والنبيين من بعده وفى البعث هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة
بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظه بما فيه وأجراه
فوق الماء وسماه شكورا فقال ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا واكرمه

بالسلامة والبركة فقال تعالى يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية قال محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل وروى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج قال عطاء ودعا نوح على حام أن لا يعدو شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيدا لولد سام ويافث فلما هبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده أثلاثا فجعل لسام وسط الارض ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك ما بين فيسون الى شرقي النيل وما بين منجر الجنوب الى منجر الشمال وجعل لحام قسمة غربي النيل وما بين منجر الريح الجنوب وما وراءه الى سيحون الى منجر الريح الدبور وجعل قسم يافث من فيسون فما وراءه الى منجر الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

مطلب في ذكر قصة هود

* (مجلس في قصة هود عليه السلام) * قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الآية الى تتقون وهو عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح وهم عاد الاولى وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشجر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهي رمال يقال لها رمل عالج ودهنا ويبرين ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض وكثروا وقهروا أهلها لفضل قوتهم التي آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يعط غيرهم كما قال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة أي عظما وطولا وقوة وشدة قال أبو حمزة اليماني كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبي كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا قال وهب كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى فيها صنم يقال له صدا وصنم يقال له هود وصنم يقال له هبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهو هود بن عابر بن عبد الله بن رباح ابن الحلود بن عباد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وقال محمد بن اسحاق ابن سيار وهو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة فأمرهم هود أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك

عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة باتخاذهم المصانع يبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاثين سنة حتى أضر بهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد وطلبوا من الله تعالى أي الفرج منه وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيخرج من مكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة عارف بحرمتها ومكانها من الله تعالى وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق بن سام وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت الخبيري رجل من عاد فلما قحطوا المطر جهدوا وقالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة يستقون لكم فبعثوا منهم قيل بن عز ولقيم بن هزال بن هزيل وعليك بن صد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعيد بن عفيرة وكان مسلما كتم اسلامه وجلهمة بن الخبيري قال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن صد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ورهطا من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعون رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون لهم من البلا الذي أصابهم شق عليه ذلك وقال هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيوفي والله ما أدري كيف أصنع بهم فاني أستحي أن آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون أنه ضيق مني بمقامهم عندي وقد هلك من وراهم من قومهم جهدا وعطشا فشكى أمرهم ذلك الى قينتيه الجرادتان فقالتا له قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك يحردهم فقال

ألا يا قيل قم ويحك فهينم * لعل الله يصحبنا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا * قد أضحوا ما يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس يرجوا * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * وقد أمسوا نساؤهم غياما
وان الوحش يأتيهم جهارا * ولا يخشى لعادي سهاما
وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم

من

من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا بنا هذا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعيد بن عفير وكان قد أسلم وآمن بهود عليه السلام سرًّا انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وآمنتم بالله ربكم سقيتم وأظهر اسلامه عند ذلك فقال جلهمة بن الحيبرى خال معاوية حين سمع قول مرثد وعرف أنه قد دخل فى دين هود عليه السلام فقال هذه الابيات

ألا يا مرثد بن سعيد فانك من * قبيل ذوى كرم وامك من ثمود
وأما هود فانا لن نطيعه ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
وانك لتأمرنا بالترك لدين وفد * وزمرة الصد والعبود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وابنه نهر وكان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعيد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعيد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم اعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فى شئ مما يدعون به وفد عاد وكان قيل بن عنز قد أمر وفد عاد أن يؤمنوا عليه فقالت وفد عاد اللهم اعط قيلا ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل فى دعوتهم فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فأعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقى اللهم لم أجئ لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم يا الهنا ان كان هود اصادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثة واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم ناداه مناد من السحاب الا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحاب الثلاثة فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه المنادى يقول

اخترت يا قيل رمادا أرمدا * لم تبق من آل عاد أحدا
لا ولدا تتركه ولا والدا * الا جعلتهم رميما همدا

وبنوا اللودية رهط بن هزال بن هزيل بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من وادلهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ بأمر ربها أى كل شئ مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت

قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها * أخبرنا الحسن ابن محمد بن الحسين نا محمد بن جعفر نا الحسن بن علوة نا اسماعيل بن عيسى نا اسحاق بن بشر اخبرني المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى الى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الارض مما يلي المشرق والمغرب قال فقال الخزان يا رب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فاوحى الله اليها أن ارجعي فاخرجي على قدر خرق الخاتم وهي الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حضيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذ به الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا قال محمد بن اسحاق والسدي بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فاخرجتهم منها فهلكوا فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيرا سودا التلقيهم في البحر فألقتهم فيه قال ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادي فقال سبعة رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادي فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمي به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى كانهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخلجان فمال الى الجبل فأخذ بجانب منه فهزه فاهتز في يده ثم أنشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه * يا لك من يوم دهاني أمسه
يبات بالوطا شديد اوطائه * لولم يجيئني جئته اجتسه

فقال له هود ويحك يا خلجان أسلم تسلم فقال له ما لي عند ربك اذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم في السحاب كانهم البخت قال هود تلك الملائكة قال ان أسلمت أيقيدني ربك منهم لقومي قال ويحك هل رأيت ملكا يقيد من جنوده فقال لو فعل ما رضيت فجاءت الريح فألحقته بأصحابه وأهلكته وأفنى الله عادا سوى من بقي من قومهم بمكة ونواحيها * أخبرنا الحسين بن محمد الدينوري أنا احمد بن محمد بن اسحاق السني أنا أبو يعلى الموصلي أنا اسحاق بن أبي اسرائيل وعبيد الله بن عمر القواريري أنا جعفر بن سليمان الضبيعي أنا فرقد السبخي عن عاصم عن عمرو البجلي عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

يبيت قوم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير وليصيبهم خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة ببني فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عادا بشربهم الخمر واكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية ابن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمرة من أمصار عاد فأخبرهم بهلاك عاد فقالوا له أين فارقت هود وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيكرة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنوز بن يعفر بن أخي معاوية بن بكر معهم وقالوا وقد قيل لمرثد ابن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قد أعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم فقال مرثد اللهم أعطني برا وصدقا فاعطى ذلك وقال قيل أختار أن يصيبني ما أصاب قومي فقيل له هلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فاصابه الذي أصاب عادا من العذاب فهلك وقال لقمان يارب أعطني عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء ابعار ضان عفر في جبل وعر لا يقع عليه المطر أو عمر سبعة أنسر اذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستحقر بقاء الابعار واختار عمر النسور فعمر عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى اذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ للقمان يا عم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخي هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسور غداة من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكانت نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبد لم ينهض مع النسور قام الى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد في نفسه وهنا ولم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى الى الجبل رأى نسره لبدا واقعا بين النسور فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل أتى أبد على لبد وقال النابغة الذبياني

أضحت قفارا وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وقال محمد بن اسحاق

عصت عاد رسولهم فأمسوا * عطاشا ما تبلهم السماء

وقال مرثد بن سعيد حين سمع قول الراكب الذي أخبر بهلاك عاد شعرا

وسير وفدهم شهرا ليسقوا * فأردفهم مع العطش العماء
بكفرهم بربهم جهارا * على آثار عادهم العفاء
ألا نزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء

من الخير الأمين أن اتبعوه * وما تغنى النصيحة والشقاء
فنفسي وبنتاي وأم ولدي * لنفس نبينا هود فداء
أتانا والقلوب معميات * على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له صمود * يقابله صدى والهباء
فأبصره الذين له أنابوا * وأدرك من يكذبه الشقاء
وانى سوف ألحق آل هود * واخوته اذا جن السماء

ثم انه لحق بهود ومن آمن معه وبقى هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسين سنة وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة سمعت عليا رضى الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء ذا اراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين انك لتنعته لى نعت رجل قد رآه قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام أخبرنا أبو عمرو وأحمد بن أبي العراقي أنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام أنا المفضل بن يحيى الجندي أنا يونس بن محمد أنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن ساقط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة وفي رواية أخرى كان النبي من الانبياء اذا أهلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتي مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا * (مجلس في قصة صالح عليه السلام) * قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا وهو ثمود بن عاد بن أرم بن سام بن نوح وهو أخو أخديش وأراد ههنا القبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكر محمد بن اسحاق والسدي والكلبي ووهب وغيره من أهل الكتب دخل كلام بعضهم في بعض أن عادا لما أهلكهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يبني المسكن من المدر فينهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا في سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا في الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن أسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم

مطلب في ذكر قصة صالح

فدعاهم الى الله تعالى حتى شمط ولم يتبعه الا قليل مستضعفون فلما الح عليهم
صالح بالدعاء والتبليغ واكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يريهم آية تكون
مصداقا لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أى آية تريدون
قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم فى يوم معلوم
فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا
أوثانهم وسألوا أن لا يستجاب لصالح فى شئ مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو
ابن جواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج لنا من هذه الحجرة يعنى الصخرة
المنفردة عن الجبال فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترعة جوفا وبراعشرا
والمخترعة ما شاكل البخت والابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فاخذ
عليهم صالح الميثاق أنه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام
صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت
الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها
الا الله تعالى عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به جندع بن عمرو
ورهطا من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويتابعوه فنهاهم ذوات
ابن عمرو بن وليد بن الحباب صاحب أوثانهم ورباب بن معمر وكانا من أشراف
ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فأراد أن يسلم فنهاه
أولئك الرهط فاطاعهم فقال رجل من ثمود شعرا

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبى دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهم أن يجيب ولو أجابا
لاصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذوابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت
الناقة ومعها سقبها ترعى فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء
غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها فى بئر بأرض الحجر يقال لها بئر الناقة فيرتفع الماء
اليها فما ترفع رأسها الا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها ثم ترفع
رأسها فتفشج حتى تنفج فيحلبون ما شاؤا من لبن فيشربون ويدخرون ويملؤن
أوانيهم كلها من اللبن ثم تصدر من غير الفج الذى وردت منه لا تقدر تصدر
من حيث ترد لضيق الموضع قال أبو موسى الاشعرى أتيت أرض ثمود
فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان من الغد من يومهم شربوا
من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ما شاؤا فقد ركفايتهم فى يوم

الناقة وكانوا من ذلك فى سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر ظهر
الوادى فتهرب منها أغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادى فى حره
وحدته فكانت المواشى تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء تشتو الناقة فى
بطن الوادى فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادى فى البرد والحدة فأضر ذلك
بمواشيهم للبلاء والاختبار وكانت مراتعها الحباب وحسمى كل ذلك ترعى مع
وادى الحجر فكبر ذلك عليهم حتى حملوا على عقر الناقة فاحتالوا فى عقرها وكانت امرأة
من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى أم غنم وهى من بنى عبيد بن المهل
وكانت امرأة ذاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من
البقر والغنم والابل وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن مهر وكانت
غنية جميلة ذات مواش كثيرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا يحتالان
فى عقر الناقة مع كفرهما بصالح لما أضرت بمواشيهم وكانت صدوق عند ابن خال لها
يقال له قنتم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فأسلم وحسن اسلامه وكانت
صدوق قد فوضت اليه مالها فأنفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح حتى رق المال
فاطلعت صدوق على ذلك من اسلامه فعاتبته على ذلك فأظهر لها دينه ودعاها
الى الله تعالى فأبت عليه وسبقت له ثم أخذت أولادها وخبأتهم فى بنى عبيد بطنها
الذى هى منهم فقال لها قنتم ردى على أولادى فلما الح عليها قالوا نافرك الى بنى
ضبعان بن عبيد فقال لا بل الى بنى مرداس بن عبيد لانهم كانوا مسلمين فقالت
لا أنافرك الا لمن دعوتك اليه فلما تحاكموا قال لها بنو مرداس والله لتعطينه
ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق وعنيزة
احتالتا فى عقر الناقة للشقاء الذى كتب عليهم فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال
له الحباب فأمرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فأبى عليها
ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر
الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا واكثرهم مالا وأحسنهم كمالا فأجابها الى ذلك
ودعت عنيزة قدار بن سالف من أهل قدح واسم أمه قديرة وكان رجلا أشقر
أزرق ويزعمون أنه كان لزنية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه
قد ولد على فراشه فقالت له يا قدار أعطيك من بناتى أيما شئت على أن تعقر الناقة
وكان قدار عزيزا فى قومه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انبعث أشقاها
رجل عزيز فى قومه مثل أبى زمعة قالوا فانطلق قدار ومصدع فاستغاثوا
بمن استغاثوا من ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى
وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون فلقيهم هذيان
ابن مبلع خال قدار وكان عزيزا من أهل الحجر ودعر بن غنم بن داعرة أخى مصدع

وخمسة

وخمسة لم تذكر أسماؤهم فاجتمعوا على عقر الناقة قال السدى وغيره أوحى
الله الى صالح أن قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك
فقال لهم انه سيولد فى شهركم هذا غلام و يكون هلاككم على يديه فقالوا لاجرم
لا يولد لنا ولد فى هذا الشهر الا قتلناه فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر تسعة بنون
فذبحوا أولادهم وولد للعاشر ابن فأبى أن يذبح ابنه وكان بكره لم يولد له قبل
ذلك شئ وكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة
ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا
فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه
وأهله قالوا نخرج فنرى الناس انا قد خرجنا لسفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا
كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فنقتله ثم نرجع الى الغار فنكون فيه
ثم ننصرف بعد ذلك الى رحالنا فنقول ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون
فيصدقوننا و يظنون أنا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام الليل معهم
فى القرية وكان يأوى الى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه فى الليل فاذا أصبح
أتاهم و وعظهم وذكرهم فاذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار
وأضمروا أنهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار
فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الى الغار فاذاهم رضخ فرجعوا
يصيحون فى القرية يا عباد الله ما قنع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم
فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة وقال ابن اسحاق انما تقاسم التسعة
على تبييت صالح بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم العذاب وذلك أن التسعة
الذين عقروا الناقة قالوا تعالوا نقتل صالحا فان كان صادقا كنا قد عجلنا
قتله وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فدمغتهم
الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم
مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم وهموا به فقام عشيرته
دونه وأخذوا السلاح وقالوا والله لا تقتلونه أبدا وقد وعدكم بأن العذاب
نازل بكم فى ثلاث فان كان صادقا فلا تزيدون ربكم عليكم الا غضبا وان كان
كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه ليلتهم تلك وقال السدى
وغيره لما ولد ابن العاشر يعنى قدار كان يشب فى الجمعة شباب غيره فى الشهر
و ينشو فى الشهر نشوء غيره فى السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب
فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء
قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع باللبن لو كنا نأخذ هذا الماء
الذى تشربه الناقة فنسقيه أنعامنا وحرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر

هل لكم فى ان لكم فالوانعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة أن امرأة كان يقال لها ملكا وكانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة له حسدته فقالت لامرأة أخرى يقال لها قطان وكانت معشوقة لقدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمور فقالت لهما ملكا ان أتيا كما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لأجل صالح وناقته فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها أطعناكما فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نكون من وراء عقرها قال ابن اسحاق وغيره فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار فى أصل شجرة على طريقها وكمن مصدع فى أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم وعبيرة ثم أمرت ابنتها وكانت من أحسن النساء خلقا وجمالا فاسفرت لقدار ثم أمرته وحرضته على عقر الناقة فشد عليها بالسيف وضربها فكشف عرقوبها فرغت رغاة واحدة وتحدر سقبها حتى أتى جبلا منيعا يقال له صورى ويقال له فاره ثم انه طعنها فى لبتها فنحرها وخرج أهل البلد يتقاسموا لحمها وطبخوه فلما رأى سقبها انطوى وروى ذلك مسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حديث شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة ثم أتى صالح فقيل له أدرك الناقة فقد عقرت فأقبل اليهم فخرجوا يتلقونه يعتذرون اليه ويقولون يا نبى الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح هل تقدروا تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فرأوه على الجبل فذهبوا اليه ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول فى السماء حتى ما تناله الطير وجاء صالح فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغى ثلاثا فانفرجت له الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة أجل يوم فتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب وذلك وعد غير مكذوب وقال محمد بن اسحاق اتبع السقى أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع وأخوه ذوات فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجليه ثم ألقوا لحمه مع لحم أمه فقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الأيام فيوم الأحد الاول والاثنين أهون والثلاثا دثار والاربعا جبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شيار وفيها يقول شاعرهم

أأمل أن أعيش وان يومى * بأول أو بأهون أو دثار

اذ المردى جبار فان أفته * فمونس او عروبة او شيار

قال وقد كانوا عقروا الناقة يوم الاربعا فقال لهم صالح حين سالوه متى وقت العذاب قال انكم تصبحون غداة مونس وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة وجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار وجوهكم مسودة ثم ياتيكم العذاب يوم الاول فايقنوا بالعذاب وأيقنوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج هاربا منهم الى حيل بطن من ثمود يقال لهم بنوا غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى اباهدب فكلمه فى ذلك وكان مشركا فغيبه عنده فعمدوا ثمود الى اصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هزم يا نبى الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم فقال نعم فدلهم عليه مبدع فاتوا أباهدب فكلموه فى ذلك قال نعم عندى وما لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه فشغلهم عنه ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا فى اليوم الثانى اذا وجوههم محمرة كأنها خضبت بالدماء فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل فلما أصبحوا فى اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانها طليت بالقار فصاحوا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم وخرج معه من أسلم حتى أتوا الى رملة فلسطين فنزلوا بها فلما اصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر واكفانهم الانطاع ثم ألقوا انفسهم بالارض وجعلوا يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من أين ياتيهم العذاب فلما اشتد الضحى يوم الاحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال الله تعالى فاخذتهم الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ولم ينج منهم الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سلق وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله لها رجليها بعد ما عاينت العذاب اجمع فخرجت كاسرع شئ روى حتى اتت قزح وهو وادى القرا اخذ ما بين الحجاز والشام فاخبرتهم بما عاينته من العذاب وما اصاب ثمود فاستقت من الماء فلما شربت ماتت

وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبى صلى الله عليه وسلم بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احدكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما اصابهم ثم قال اما بعد فلا تسألوا ربكم الايات هؤلاء قوم صالح سألوا

رسولهم الاية فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا
الفج فتشرب ماءهم يوم وردها واراهم صلى الله عليه وسلم مرتقى الفصيل
حين ارتقى فى المغارة فعتوا عن امر ربهم فعقروه فاهلك الله تعالى من تحت اديم
السماء منهم فى مشارق الارض ومغاربها الا رجل واحد يقال له ابو رغال
وهو ابن ثقيف وكان فى حرم الله تعالى فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج
من الحرم اصابه مثل ما اصاب قومه ودفن ومعه غصن من ذهب فاراهم عليه
السلام قبر ابى رغال فنزل القوم وابتدروا باسيافهم وحثوا عنه التراب
واستخرجوا ذلك الغصن الذهب فتقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم به
واسرع السير حتى جاوزوا الوادى * قال اهل العلم توفى صالح عليه السلام
بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل بعد ما اهلك الله قومه
من الشام الى مكة فكان يعبد الله بها حتى مات وكان قد اقام فى قومه عشرين سنة
عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على أتدرى
من اشقى الاولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح قال اتدرى
من أشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك يا على * (مجلس فى قصة
ابراهيم صلى الله عليه وسلم) * وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ مطلب فى قصة ابراهيم
ابن ارغوا بن فالغ بن غابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشد بن سام بن نوح
عليه السلام وكان اسم ابى ابراهيم الذى سماه به ابوه تارخ فلما صار مع النمرود
قيما على خدمة الهته سماه آزر قال مجاهد ان آزر ليس باسم ابيه وانما هو اسم
صنم وقال ابن اسحاق انه لقب له عيب وهو بمعنى معوج وقيل هو بالنبطية
الشيخ الهرم وولد لناخور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرين سنة وهذا المجلس
يشتمل على ابواب الباب الاول فى مولد ابراهيم عليه السلام اختلف العلماء فى مولد ابراهيم عليه السلام
وفى الموضع الذى ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من ارض
الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من ارض السواد بناحية يقال لها
كوثى وقال بعضهم بالوركا من ناحية الرى فى حدود دكشكر ثم نقله ابوه الى
الموضع الذى كان به النمرود بن كنعان من ناحية كوثى وقال بعضهم كان مولده
بحران ولكن اباه نقله الى ارض بابل وقال عامة السلف من اهل العلم ولد
ابراهيم فى زمن النمرود بن كنعان وكان بين الطوفان وبين مولد ابراهيم
الف ومايتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة الاف
سنة وثلثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة والنمرود الذى ولد فى ملكه
ابراهيم هو النمرود بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن سام بن نوح عليه
السلام وفى الحديث ملك الله الارض اربعة مؤمنين وكافرين فاما المؤمنان

فسليمان

فسليمان وذو القرنين وأما الكافران فالنمرود وبخت نصر وكان النمرود
اول من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الارض ودعا الناس الى عبادته وكان
له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى هذه السنة فى بلدك غلام يغير دين
اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك
فى كتب الانبياء قال السدى رأى النمرود فى منامه كان كوكبا طلع فذهب
بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة
والكهنة والمنجمين والقافة والحازة وهم الذين يخطون فى الارض فسألهم
عن ذلك فقالوا هو مولود يولد فى ناحيتك فى هذه السنة يكون هلاكك
وهلاك أهل بيتك على يديه قال فامر النمرود بذبح كل غلام يولد فى تلك السنة
بتلك الناحية وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رقيبا أمينا
فاذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها اذا امن المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل
عنها فرجع آزر ابو ابراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها
فى طهرها فعلقت بابراهيم قال محمد بن اسحاق بعث النمرود الى كل امرأة
حبلى معقرب به فحبسها عنده الا أم ابراهيم عليه السلام فانه لم يعلم بحملها وذلك
انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحمل ولم يبن فى بطنها اثره وقال
السدى خرج النمرود بالرجال الى العسكر ونحاهم عن النساء خوفا من ذلك
المولود ان يكون فمكث ما شاء الله كذلك ثم عرضت له حاجة الى المدينة فلم يأمن
عليها احدا من قومه الا آزر فدعاه فقال له ان لى عندك حاجة احب ان أوصيك
بقضائها ولا ابعثك الا لثقتى بك واقسمت عليك ان لا تدنو من اهلك ولا تواقعها
فقال له انى اشح على دينى من ذلك فاوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة فقضى
حاجته ثم قال لو دخلت على اهلى فنظرت اليهم فدخل بيته فلما نظر الى أم ابراهيم
لم يملك نفسه حتى وقع عليها فحملت بابراهيم قال ابن عباس لما حملت بابراهيم
عليه السلام أمه قال الكهان للنمرود ان الغلام الذى اخبرناك به قد حملت به أمه
الليلة فامر النمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة ام ابراهيم وأخذها الطلق
خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته فى نهر يابس
ثم لفته فى خرقة ووضعته فى مكان ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها قد ولدت
وان المولود فى موضع كذا وكذا فانطلق ابوه الى ذلك المكان فوجده فحفر له
سربا عند النهر وواراه فيه وسد على بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه
تختلف اليه فترضعه قال السدى لما عظم بطن ام ابراهيم خشى آزر أن
تذبح هى وما فى بطنها فانطلق بها الى ارض بين البصرة والكوفة يقال لها وركا
فانزلها هنالك فى سرب من الارض وجعل عندها ما يصلح لها وجعل يتعاهدها

ويكتم من اصحابه فولدت ابراهيم في ذلك السرب وشب وكان وهو ابن سنة
كانه ابن ثلاث سنين وكان من الشباب بحالة أسقطت عنه طمع الذباحين
ثم ذكر آزر لاصحابه ان له ابنا كبيرا فقالوا له انطلق بنا اليه لننظره فانطلق بهم
اليه وقال ابن اسحاق لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة
ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة لتبصر ما فعل فتجده يمص ابهامه
وقال ابو روق كانت ام ابراهيم كلما دخلت عليه وجدته يمص ابهامه فقالت
ذات يوم لانظر الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن
اصبع عسلا ومن اصبع خمرا ومن اصبع سمنا قال ابن اسحاق كان آزر قد
سأل ام ابراهيم عن حملها ما فعل قالت ولدت غلاما ومات فصدقها وسكت
عنها وكان اليوم على ابراهيم كالشهر والشهر كسنة فلم يمكث ابراهيم في المغارة
الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى ابيه آزر فاخبره انه ابنه واخبرته ام ابراهيم
انه ابنه واخبرته بما كانت صنعته من شانه فسر بذلك وفرح فرحا شديدا *

مطلب في خروج ابراهيم من السرب

(الباب الثاني في خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الى قومه
ومحاجته اياهم في الدين والقائهم اياه في النار وما يتعلق بذلك * قال اهل
العلم بسير الماضين لما شب ابراهيم الخليل أتته أمه وهو في السرب فقال لامه
من ربي قالت أنا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب أبي قالت النمرود قال فمن
رب النمرود قالت اسكت فسكت ثم انها رجعت الى زوجها فقالت له أرأيت
الغلام الذي كنا نتحدث أنه يغير دين اهل الارض هو ابنك ثم انها اخبرته بما
قال لها فأتاه أبوه آزر فقال ابراهيم يا أبتاه من ربي قال أمك قال فمن ربها
قال أنا قال فمن ربك قال النمرود قال فمن رب النمرود قال فلطمه لطمة وقال
له اسكت فذلك قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين
ثم انه قال لابويه أخرجاني فاخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس
فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والبقر والغنم تروح فسأل ابراهيم أبوه
ما هذه فقال ابل وخيل وبقر وغنم فقال لهذه بد من أن يكون لها رب خالق
ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض فقال ان الذي خلقني ورزقني
وأطعمني وسقاني لربي مالي اله غيره ثم نظر الى السماء واذا المشتري قد طلع
ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر فقال
هذا ربي فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي الى
الى قوله حنيفا مسلما وما أنا من المشركين قالوا وكان آزر يصنع الاصنام
فلما ضم ابراهيم اليه جعل يصنع الاصنام ويعطيها الى ابراهيم ليبيعها فذهب
بها ابراهيم وجعل ينادي من يشتري من يضره ولا ينفعه فكان لا يشتريها أحد

فاذا

فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فيضرب رؤسها ويقول لها اشربي اشربي
كثرت استهزاءمنه بقومه وبماهم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشى عيبه
اياها واستهزاؤه بها فى قومه وأهل قريته فحاجه قومه فى دينه فقال لهم
اتحاجونى فى الله وقد هدان الايات الى قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها
ابراهيم على قومه حتى خصمهم وغلبهم بالحجة نرفع درجات من نشاء بالعلم
ثم ان ابراهيم دعا أباه آزر الى دينه فقال يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغنى عنك شيأ الى آخر الايات فأبى أبوه الاجابة الى ما دعاه اليه ثم ان
ابراهيم عليه السلام جاهد قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال
أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين
فقالوا له فمن تعبد أنت يا ابراهيم قال رب العالمين فقالوا أتعنى النمرود
قال لا الذى خلقنى فهو يهدين الى آخر القصة ففشى ذلك فى الناس حتى بلغ
النمرود الجبار فدعاه فقال له يا ابراهيم أرأيت الهك الذى تعبده وتدعو
الى عبادته تذكر من عظمته وقدرته ما تعظمه بها على غيره ما هو قال ابراهيم
ربى الذى يحيى ويميت قال النمرود أنا أحيى وأميت فقال له ابراهيم كيف
تحيى وتميت قال آخذ الرجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فاقتل أحدهما
فأكون قد أمته وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك
فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت عند ذلك النمرود
ولم يرد عليه جوابا وألزمه الحجة فذلك قوله تعالى فبهت الذى كفر ثم
ان ابراهيم أراد أن يرى قومه ضعف الاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله
وعجزها الزاما للحجة واثباتا لها عليهم فجعل ينتهز لذلك فرصة ويحتال
فيه الى أن حضرهم عيد لهم قال السدى وكان لهم فى كل سنة عيد
يخرجون اليه ويجتمعون فيه وكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام
فيسجدون لها ثم يعودوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم
له يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا لاعجبك ديننا فخرج ابراهيم معهم
فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى فنظروا الى
رجليه وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس وتالله
لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعوها منه قال مجاهد
وقتادة انما قال ابراهيم هذا فى سر من قومه لم يسمع ذلك الا رجل من قومه
وهو الذى أفشاه عليه ثم رجع ابراهيم من الطريق الى بيت الآلهة فاذا هى
فى بهو عظيم يستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه أصغر منه وجنبها الى
جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما

وضعوه بين أيدى الالهة وقالوا لا ناكل منه الى حين رجوعنا فاذا رجعنا
وقد باركت الالهة فى طعامنا اكلنا منه فلما نظر ابراهيم الى ما بين أيديهم
من الطعام قال لهم من طريق الاستهزا الا تاكلون فلما لم يجيبوا قال لهم
ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فجعل يكسرهم بفاس معه فى يده
حتى اذا لم يبق الا الصنم الاكبر علق الفاس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله تعالى
فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم
الى بيت الهتهم ورأوها على تلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن
الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم أى يعيبهم وهو الذى صنع
بآلهتنا هذا فبلغ ذلك النمرود واشراف قومه قالوا فأتوا به على أعين الناس
لعلهم يشهدون انه الذى فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله قتادة
والسدى وقال الضحاك لعلهم يشهدون ما نصنع به وما نعاقبه به فلما
أحضروه قالوا أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم ان كانوا ينطقون غضب حين رآكم تعبدون معه هذه الاصنام
الصغار وهو اكبر منهم فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبى
صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات كلها فى الله قوله انى
سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى اعترض سارة هى اختى
قال فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
هذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه الهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها
فذلك قول ابراهيم فاسالوهم فقال قومه ما نرى الا كما قال انكم انتم الظالمون
بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير فنكسوا رؤسهم متحيرين منكسرين
وعلموا انها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما
اتجهت الحجة لابراهيم قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ
ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله فلما ألزمهم الحجة وعجزوا عن
الجواب قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قال عبد الله بن عمر
ان الذى أشار عليهم بتحريق ابراهيم رجل من الاكراد يقال له شعيب الجبار
واسمه هيزر فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قالوا فلما
اجتمع النمرود وقومه على تحريق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوه له كالحضيرة
قالوا فذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ثم انهم جمعوا له
صلاب الحطب من أصناف الخشب حتى ان المرأة كانت تمرض فتقول لئن
عافانى الله لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تحب أن
تدركه ان أصابته لتحتطبن حطبا للنار التى يحرق بها ابراهيم احتسابا فى دينها

قال ابن اسحاق كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذ أكثر الحطب وجمعوا ما أرادوا منه أشعلوا النار فى كل ناحية من الحطب فاشتعل حتى ان كان الطائر يطير فى الهوى فيمر بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم فرفعوه الى رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا المنجنيق باشارة ابليس حيث لم يتمكنوا من القائه فى النار من شدة الحر فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض والجبال ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة فقالوا يا ربنا ابراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره يحرق بالنار فأذن لنا فى نصرته فقال لهم الله ان استغاث بكم فانصروه فقد أذنت لكم فى ذلك وان لم يدع غيرى فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما ارادوا القاءه فى النار أتاه ملك المياه فقال له ان اردت أخمدت النار فان خزائن الامطار والمياه بيدى وأتاه خازن الريح فقال له ان شئت طيرت النار فقال لهم ابراهيم لا حاجة لى اليكم ثم ان ابراهيم رفع رأسه الى السماء وقال أنت الواحد فى السماء وأنا الواحد فى الارض ما فى الارض أحد يعبدك غيرى وروى عن أبى كعب عن أرقم بن ابراهيم قال حين ألقوه فى النار لا اله الا انت سبحانك رب العالمين ولك الحمد لا شريك لك ولك الملك لا شريك لك قالوا ثم رموا به فى المنجنيق الى النار من موضع مانع شامخ فاستقبله جبريل عليه السلام فقال جبريل ألك حاجة قال أما اليك فلا قال له جبريل فسل ربك فقال له ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى حسبى الله ونعم الوكيل وفى الخبر ان ابراهيم عليه السلام انما نجى بقوله حسبى الله ونعم الوكيل فقال الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال السدى كان جبريل هو الذى ناداها باذن الله تعالى قال على بن ابى طالب وابن عباس لو لم يتبع بردها سلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يبق فى الارض يومئذ نار الا وطفيت كل منها ظنت أنها المعنية قال كعب الاحبار وقتادة والزهرى ما انتفع أحد من أهل الارض يومئذ بنار ولا أحرقت النار يومئذ شيأ الا وثاق ابراهيم ولم يبق يومئذ دابة الا وأطفأت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال السدى فأخذت الملائكة بضبعى ابراهيم عليه السلام فأقعدوه على الارض فاذا بعين ماء وورد أحمر ونرجس أصفر قالوا فاقام ابراهيم فى ذلك الموضع سبعة ايام قال المنهال ابن عمرو قال ابراهيم الخليل ما كنت اياما قط أنعم منى عيشا من الايام التى كنت فيها قال ابن اسحاق وغيره بعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم يؤنسه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير

الجنة وقال له يا ابراهيم ان الله يقول لك أما علمت أن النار لا تضر أحبابي
وألبسه القميص ثم ان النمرود أشرف عليه من أعلى صرح له عال فنظر الى ابراهيم
وما كان يشك الا أنه قد هلك فرآه جالسا في روضة ورأى الملك قاعدا الى
جانبه وحواليه نار تشتعل فيما جعلوه من الحطب فناداه النمرود يا ابراهيم
كبير الهك الذي بلغت قدرته الى أن حال بينك وبين النار وصرف ضررها
عنك فهل تستطيع ان تخرج منها قال نعم ثم قال له فهل تخشى ان اقمت فيها
ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام وخرج اليه فقال له يا ابراهيم
ما هذا الرجل الذي رأيت في جنبك بمثل صورتك قاعدا قال ذلك ملك الظل
أرسله الى ربي ليؤنسني فقال النمرود اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من
قدرته يا ابراهيم فيما صنع لك حين أبيت الى عبادته وتوحيده اني اريد ان اذبح
له أربعة الاف بقرة فقال له ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك
هذا حتى تفارقه الى ديني فقال يا ابراهيم اني لا استطيع ترك ملكي ولكن
سوف أذبحها له ثم ان النمرود ذبح الاربعة الاف بقرة ثم كف عن ابراهيم
عليه السلام ومنعه الله تعالى منه قال أبو هريرة ان احسن شئ قاله
ابراهيم لما رفع عنه الضيق وهو في النار يرشح جبينه فقال عند ذلك نعم
الرب ربك يا ابراهيم قال شعيب الجبائي القي ابراهيم في النار وهو ابن ستة
عشر سنة وذبح اسحاق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة وهي ابنة
تسعين وكان مذبحه من بيت ايليا على ميلين ولما علمت سارة باسحاق بطنت
يومين وماتت في اليوم الثالث قال ابن اسحاق استجاب لابراهيم رجال
من قومه حين رأوا ما صنع الله به حين جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف
من النمرود وملائه فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ
أخ ابراهيم عليه السلام وكان لهما أخ ثالث يقال له ناخور وهاران ابو لوط
وناخور ابو تنويل وتنويل ابو ابان ورقيا بنت تنويل امرأة اسحاق بن ابراهيم
أم يعقوب وليا وراحيل امرأتا يعقوب وهما ابنتا لابان وآمنت به أيضا سارة
وهي أيضا سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وقال السدي كانت سارة
بنت ملك حران فلقيها ابراهيم وكانت قد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها
ابراهيم على أن لا يغيرها قال ابن اسحاق خرج ابراهيم من كوثى من أرض العراق
مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط وسارة كما قال تعالى فآمن له لوط وقال اني
مهاجر الى ربي فلم يزل حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم انه خرج
منها حتى قدم مصر ثم خرج منها الى الشام فنزل البسع من ارض فلسطين
وهي برية الشام ونزل لوط المؤتفكة وهي من البسع على مسيرة يوم وليلة

فبعثه

مطلب جميع الماء العذب من تحت الصخرة

فبعثه الله نبيا فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام وبركتها ان منها بعث اكثر الانبياء وهي الارض المقدسة وأرض المحشر والنشور وبها ينزل عيسى بن مريم وبها يهلك المسيخ الدجال بباب لد وهي أرض حسنة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب بها الفقير والغني قال ابي بن كعب وما من ماء عذب الا ينبع من تحت اصل الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض جميعها (الباب الثالث في ذكر مولد اسماعيل واسحاق ونزول اسماعيل مكة هو وأمه وقصة مريم) قال اهل العلم بسير الماضين لما نجى الله خليله ابراهيم من نار النمرود الجبار وآمن به من آمن اجتمع ابراهيم ومتابعوه وفارقوا قومهم وأظهروا العداوة والبرآءة منهم فقالوا انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا أيها العابدون لغير الله حتى تؤمنوا بالله وحده فخرج ابراهيم مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط وتزوج ابراهيم ابنة عمه سارة وخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل بحران فمكث فيها ماشاء الله أن يمكث ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وكانت لا تعصي ابراهيم في شئ وبذلك اكرمها الله تعالى قال فاتى الجبار رجل وقال له ان هاهنا رجل معه امرأة من أحسن النساء ووصف له حسنها وجمالها فارسل الجبار الى ابراهيم فجاءه فحياه وقال له ماهذه المرأة منك فقال هي اختي وخاف أن قال هي امرأتي ان يقتله فقال له أرينها وارسلها الى حتى انظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة وقال لها ان هذا الجبار سالني عنك فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني عنده فانك اختي في كتاب الله وانه ليس في هذه الارض مسلم غيري وغيرك ثم ان سارة ذهبت الى الجبار وقام ابراهيم يصلي فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها يتناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما رأى ذلك فرعون مصر أعظم أمرها وقال لها سلي الهك ان يطلق عني فوالله لا أوذينك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فيما يقول فاطلق له يده فاطلق الله له يده وفي بعض الاخبار المسندة انه فعل ذلك ثلاث مرات كل مرة يتعمد تناولها فتيبس يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فاقبلت سارة الى ابراهيم فلما أحس بها انفتل من صلاته وقال مهيم أي ما الخبر قالت كفى الله كيد الفاجر وشره وأخدمني هاجر قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة رضي الله عنه يحدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتلك امكم يابني ماء السماء وفي بعض الاخبار ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت رجوعها اليه كرامة لها وتطييبا للقلب

ابراهيم قالوا وكانت هاجر جارية بهية فوهبتها سارة لابراهيم وقالت
له انى أراها جارية وضيئة فخذها فلعل الله ان يرزقك منها ولدا وليا وكانت
سارة قد منعت من الولد حتى يئست فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسماعيل
عليهما السلام وروى ابن اسحاق عن عبد الله بن عبيد الله بن كعب بن مالك
الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا
باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحاق فتذاكرت فسألت الزهرى
ما الرحم التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر أم اسماعيل
منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى ارض الشام وهابه ذلك الملك الذى كان
بها واشفق من شره فنزل البسع من ارض فلسطين واحتفر بها ماء وبنى بها
مسجدا فكان ماء تلك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه تردها فاقام ابراهيم بالبسع
مدة ثم ان اهلها أذوه ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض
فلسطين بين الرملة وايليا ببلد يقال لها قط فلما خرج من بين اظهرهم نضب
ماء تلك البئر وذهب فندم أهل البسع جميعا على ما صنعوه وقالوا اخرجنا من
بين أظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا ابراهيم حتى ادركوه فسألوه أن يرجع اليهم
فقال ما أنا براجع الى بلد اخرجت منها قالوا فان الماء الذى كنت تشرب منه ونشرب
معك قد نضب وذهب فاعطاهم سبعة اعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم
فانكم اذا اوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان ثم اشربوا
منها ولا يقربنها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على البئر ظهر الماء
فكانوا يشربون منها وهى على تلك الحال حتى أتت امرأة طامث فاغترفت منها
فنكص ماؤها الذى هو عليه اليوم واقام ابراهيم عليه السلام ببلدته وكان
يضيف من يأتيه وقد اوسع الله عليه وبسط له فى الرزق والمال والخدم فلما
أراد الله هلاك قوم لوط بعث الله رسله يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم
وأمرهم أن يبدوا بابراهيم عليه السلام فيبشرونه باسحاق ومن وراء اسحاق
يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى
شق عليه ذلك وكان لا ياكل الا مع الضيف ما امكنه فلما رآهم على صور الرجال
سر بهم ورأى ضيوفا لم ير مثلهم حسنا وجمالا فقال لاصحابه لا يخدم من هؤلاء
القوم الا أنا فخرج الى غنمه فجاء بعجل سمين حنيذ وهو المشوى بالحجارة فقربه
اليهم فامسكوا ايديهم عنه فقال لهم الا تاكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه
نكرهم وأوجس منهم خيفة حين لم ياكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم انا لا
ناكل الطعام الا بثمن فقال ان لهذا ثمنا فقالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على
اوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام فقالوا لحق لهذا

ان يتخذه ربه خليلا ثم قالوا له لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته
سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما اخبروه بما ارسلوا به وبشروه
باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء في العلة
الجالبة لضحكها فقال السدى انما ضحكت سارة حين لم ياكلوا من طعامهم
وقالت يا عجبا لاضيافنا هؤلاء نحن نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا ياكلون
طعامنا وقال قتادة ضحكت سارة من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم
وقال مقاتل والكلبى ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو بين خدمه وحشمه
وماله وقال ابن عباس ضحكت تعجبا أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها
وكانت هى ابنة تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة وقال السدى
قالت سارة لجبريل لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فاخذ بيده عودا
يابسا فلواه بين يديه فاهتز اخضرارا فقال ابراهيم هو اذا لله ذبيح وقال
مجاهد وعكرمة ضحكت اى حاضت فى الوقت تقول العرب ضحكت الارنب
أى حاضت وقال السدى ويسار وغيرهما من أصحاب الاخبار فحملت سارة باسحاق
وقد كانت هاجر حملت باسماعيل فولدتا معا وشب الغلامان فبينما هما
يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم سابق بينهما فسبق اسماعيل اسحاق
فأخذه ابراهيم واجلسه فى حجره واجلس اسحاق الى جانبه وسارة تنظر اليه
فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته فى حجرك وعمدت الى ابنى
فأجلسته الى جنبك وقد جعلت ان لا تغيرنى ولا تسوئنى وأخذها ما ياخذ
النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن منها بضعة ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها
عقلها فبقيت من ذلك متحيرة فقال لها ابراهيم اخفضيها واثقبى اذنها
ففعلت ذلك فصارت سنة فى النساء ثم ان اسماعيل واسحاق اقتتلا ذات يوم
كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لها لا تساكنينى فى بلد
واحد وأمرت ابراهيم أن يعزلها عنها فاوحى الله الى ابراهيم أن يأتى بهاجر
وابنها الى مكة فذهب بها حتى قدم مكة وهى اذ ذاك عضاة وسلم وسمر وبجوانبها
خارج من مكة ناس يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء
فقال ابراهيم لجبريل عليه السلام اهاهنا أمرت ان أضعهما قال نعم قال
فعمد بهما الى موضع الحجر فأنزلهما فيه وأمر ابراهيم هاجر أم اسماعيل أن
تتخذ عريشا ثم قال ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك
المحرم الآية ثم انه انصرف فقالت له هاجر الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها
شيأ فقالت له الله أمرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا وكان مع هاجر
شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبى فنظرت الى الجبال فصعدت

الى الصفا لقربها اليها وتسمعت لعل تسمع صوتا او ترى شخصا أو ترى
شبه فلم تسمع شيا ولم ترا أحدا ثم انها سمعت اصوات السباع فذهبت نحو
اسماعيل واقبلت اليه بسرعة ثم انها سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما
تريد السعى كالانسان المجهود ثم انها صعدت المروة فسمعت صوتا فقالت
كالانسان الذى يكذب سمعه صه فخشعت وجعلت تدعوا سمع ايل تعنى الله
تعالى فقالت قد اسمعتنى صوتك فاغثنى فقد هلكت وهلك من معى فجاءها
جبريل عدا فقال لها من انت قالت سرية ابراهيم تركنى وابنى هاهنا قال الى من
وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال وكلكما الى كاف ثم جابهما وقد نفذ
طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما الى موضع زمزم فاحتفرته فصارت عينا
فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل فلما نبع الماء اخذت هاجر شنة لها
وجعلت تستقى فقال جبريل عليه السلام لها انها رواء وجعلت أمة ابراهيم
تجعلها حسيا قال النبى صلى الله عليه وسلم لولا انها كانت زمزم عينا معينا
فقال لها جبريل لا تخافى الظماء على اهل هذه البلدة فانها عين تشرب ضيفان
ثم قال لها الا ان أبا هذا الغلام سيجئ فليبن لله بيتا هذا موضعه قالوا ومرت
رفقة من جرهم يريدون الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير
لحائم على ماء فاشرفوا فاذا هو الماء فقالوا لهاجر ان شئت كنا معك وآنسناك
والماء ماؤك فاذنت لهم فنزلوا معها فهم أول سكان مكة فلذلك كانت
العرب تقول فى تلبيتها اللهم ان جرهما عبادك الناس طرف وهم ببلادك
وهم قديما عمروا بلادك وكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج
اسماعيل امرأة من جرهم وأخذ من نسائهم فيعرف بهم فهو واولاده العرب
المتعربة ثم ان ابراهيم عليه السلام استاذن سارة فى أن يزور هاجر أم اسماعيل
وابنها فاذنت له واشرطت عليه ان لا ينزل فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت
هاجر ويقال انه قدمها راكبا للبراق فلما قربها ذهب الى بيت اسماعيل فقال
لامرأته اين صاحبك فقالت ليس هو هنا انه ذهب يتصيد وكان اسماعيل يخرج
من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولعا بالصيد مخصوصا بالقنص والفروسية
والرمى والصراع فقال لها ابراهيم هل عندك ضيافة هل اجد عندك طعاما أو
شرابا قالت ليس عندى شئ وما عندى احد فقال لها اذا جاء زوجك فاقريه
منى السلام وقولى له غير عتبة بابك ثم ذهب ابراهيم عليه السلام وجاء بعده
اسماعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت جاءنى شيخ من صفته
كذا وكذا كالمستحقرة بشانه فقال لها ما قال لك قالت قال لى اقرى زوجك
السلام وقولى له غير عتبة بابك فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم

ماشاء الله ان يلبث ثم استأذن سارة في زيارة اسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى نزل على باب اسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجئ الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله فقال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللحم واللبن فدعا لهما فلوجاءت بخبز أو شعير أو تمر لكانت مكة اكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى أغسل لك رأسك وشعثك فلم ينزل مخافة للمقام فوضعته على شقه الايمن ووضعت قدمه عليه فبقى اثر قدمه فيه فلما غسلت شق رأسه الايمن حولت المقام الى شق رأسه الايسر فغسلت شق رأسه الأيسر فلما فرغت قال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ كبير أحسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لى كذا وقلت له كذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابى ابراهيم عليه السلام قال أنس بن مالك رأيت فى المقام اثر اصابع ابراهيم وعقبه واخمص قدميه غير انه أذهبه مسح الناس بايديهم قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه أشهد ثلاث مرات انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا انه طمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب

مطلب فى قصة بئر زمزم

(القول فى قصة بئر زمزم) عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينما أنا نائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال لى احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب عنى ولم يجبنى فلما كان فى الليلة الثانية جاءنى فقال لى احفر برة فقلت وما برة فذهب عنى ولم يجبنى فلما كان فى الليلة الثالثة قال لى احفر قصة قلت وما قصة فذهب عنى فلما كان من الليل أتيت مضجعى فنمت قال فجاءنى فقال لى احفر زمزم قلت وما زمزم وكانت قد درست وغار ماؤها لما مضى اسماعيل فقال له بئر تسقى الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما بين له قام وأتى على موضعها فعرف انه قد صدق فغدا بمعول ومعه الحارث بن عبد المطلب ليس له ولد غيره فلما علموا به قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها من آثار اسماعيل أبينا وان لنا فيها حظ فاشركنا فيها فقال لست بفاعل ان هذا اشئ خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فانا غير تاركى حظنا منها قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيل قال نعم وكانت من اشراف القبائل فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف وركب من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معه هو

واصحابه من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من كان معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انا بمفاوز وانا نخشى على انفسنا مثل ما اصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لاصحابه ماترون فقالوا له ان رأينا تبع لرأيك فمرنا بما شئت فقال انى ارى أن يحفر كل أحد منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات منا دون صاحبه دفنه فى حفرته قال فاحتفروا وجلسوا ينتظرون الموت فقال عبد المطلب هل اذا جلسنا منتظرين الموت فنضرب يمينا وشمالا ونبتغى لانفسنا ماء فعسى الله أن يرزقنا ماء فارتحل هو ومن معه وقريش ينظرون اليهم وماهم فاعلون فتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت عين ماء من تحت اخفافها فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشربت اصحابه حتى رووا وملاؤا أسقيتهم ثم ان قريشا قالوا يا عبد المطلب ان الله قد فضلك علينا والله لانخاصمك فى زمزم ابدا ان الذى سقاك الماء فى هذه الفلاة هو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجع معه قومه حتى وصلوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم وقبل لما جن الليل رأى عبد المطلب فى منامه قائلا يقول له

يا ايها المذبح احفر زمزم * فانك ان حفرتها لم تندم
وهى ميراث من ابيك الاعظم * وتسقى الحجيج حافلا لم يقسم

فلما سمع عبد المطلب هذا قال واى موضع زمزم فقيل له عند قرية حيث ينقر الغراب الاسحم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة التى كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول ليحفر حيث أمر فقامت قريش اليه وقالوا والله لانتركك أن تحفر أوثاننا ومنحرنا عندها وكانت قريش انما حسدوه على ذلك لانهم اخبروا أن جرهم لما سكنت مكة أودعت فى زمزم أموالا وأسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لانهم اخبروا ان الله باعث فى هذه القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر عبد المطلب بذلك نازعوه فى ذلك ثم قال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر عند ذلك فعرفوا انه لم يخطئ فتمادى حتى بلغ الى تمثالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنهما جرهم ثم وجد فيها سيوفا وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذه شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه فقالوا له كيف نصنع قال نجعل للكعبة قدحين ولكم قدحين ولى قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلاشئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين اسودين

لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم انهم اعطوا القداح للذى يضرب
بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين
للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب وتخلف قدحا
قريش قال فعلق عبد المطلب الاسياف والادراع بباب الكعبة وضرب فى الباب
الغزالين من ذهب فكان اول ذهب حليت به الكعبة وكانت الرياسة والتقدمة
لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفر زمزم وخرج منها الماء ازداد بذلك فى قريش
عظمة وجاها ومنزلة وعافت الحجيج المياه التى كانت بمكة ونواحيها واقبلوا على
زمزم لعذوبة مائها ولكونها من أثر اسماعيل وافتخرت بذلك بنو عبد مناف
على قريش وعلى سائر العرب (الباب الرابع فى قصة بناء الكعبة وبدو امرها
الى يومنا هذا) اخبرنا ابو عمرو احمد بن احمد العفوالى انا ابو الحسن المغيرة بن
عمرو بن الوليد العدنى بمكة انا ابو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم انا عبد
الله بن ابى غسان اليمانى انا ابو همام أنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم
ياقوتة من يواقيت الجنة وكان له بابان من زمرد أخضر باب شرقى وباب غربى
وفيه قناديل من الجنة والبيت المعمور الذى فى السماء يدخله كل يوم سبعون الف
ملك ثم لا يعودون الى يوم القيامة حذاء الكعبة الحرام فان الله تعالى أهبط
آدم الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة أرعدته وأنزل عليه الحجر الاسود
وهو يتلألأ كانه لؤلؤة بيضاء فاخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله
من بنى آدم ميثاقهم فجعله فى الحجر ثم أنزل على آدم العصى ثم قال يا آدم تخط
فخطا فاذا هو بارض الهند فمكث هناك ما شاء الله ان يمكث ثم استوحش الى
البيت وقيل له حج يا آدم فجعل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك
مفازة حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفى عام قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر فكان اذا طاف آدم بالبيت قال هذه الكلمات وكان
آدم يطوف بالبيت سبع اسابيع بالليل وبالنهار خمسة أسابيع فقال آدم يارب
اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتى فاوحى الله اليه ان يعمر بيتى من ذريتك
رجل اسمه ابراهيم اتخذته خليلا لا قضى على يديه عمارته وانيط له سقايته
واوريه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فاذا فرغ من شانه
نادى يا أيها الناس ان الله تعالى بنا بيتا فحجوه فاسمع الله ما بين الخافقين فاقبل
من يحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك اللهم لبيك وقال صلى الله
عليه وسلم ان آدم سأل ربه فقال يارب اسالك من مات فى هذا البيت من ذريتى

مطلب فى قصة بناء الكعبة

لا يشرك بك شيأ بعثته آمنا يوم القيامة فقال يا آدم من مات في الحرم لا يشرك
بي شيأ بعثته آمنا يوم القيامة وروت الرواة باسانيد مختلفة أن آدم
لما أهبط الى الارض كانت رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء
ودعاءهم وتسبيحهم ويانس اليهم فهابته الملائكة واشتكت نفسه الى الله تعالى
فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد ما كان يسمع من أصوات
الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكى ذلك الى الله تعالى فانزل الله تعالى له
ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم انى أهبطت
بيتا يطاف به كما يطاف حول العرش ويصلى عنده كما يصلى عند عرشى فتوجه
آدم الى مكة ورأى البيت وطاف به وروى ابو صالح عن ابن عباس قال
أوحى الله الى آدم ان لى حرما بحيال عرشى فانطلق فابن لى بيتا فيه ثم حف به
كما رأيت ملائكتى يحفون بعرشى فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم
فى طاعتى قال آدم يارب كيف لى بذلك لا أقوى عليه ولست اهتدى اليه فقيض
الله له ملكا فانطلق معه نحو مكة فكان آدم اذا مر بروضة ومكان يعجبه قال
للملك انزل بنا هاهنا فيقول الملك مكانك حتى قدم مكة وكان كلما نزل بمكان
عمره عمرانا وكل مكان تعداه مفاوز وقفارا وبنا البيت فلما فرغ من بنائه خرج
به الملك الى عرفات فأراه المناسك التى يفعلها الناس اليوم كلها ثم قدم به الى
مكة فطاف البيت أسبوعا ثم رجع الى أرض الهند قال ابو يحيى بايع القت
قال لى مجاهد لقد حدثنى عبد الله بن عباس أن آدم نزل بالهند ولقد حج منها أربعين
حجة على رجليه فقال له يا ابا الحجاج الا كان يركب قال فأى شئ كان يحمله فوالله ان
لخطوته مسيرة ثلاثة أيام قال وهب بن منبه لما أهبط آدم الى الارض فرأى
سعتها ولم ير فيها غيره فقال يارب أما لارضك هذه عمار يسبح بحمدك ويقدس
لك غيرى فقال تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدى وسأجعل من تلك
البيوت بيتا أخصه بكرامتى وأوثره باسمى وانطقه بعظمتى وعليه وضعت
جلالى ثم انا مع ذلك اجعل ذلك البيت بحرمتى حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله
ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه لحرمتى استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله
فقد خفر ذمتى وأباح حرمتى اجعله أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا
وهدى للعالمين يأتونه شعثا وغبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون
بالتلبية رجيجا ويضجون بالبكاء ضجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره
لا يريد غيره فقد وفد الى وزارنى وضافنى وحق على الكريم يكرم وفده
وأضيافه وان يسعف فلان بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره الامم والقرون
والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهذا كان بدو أمر الكعبة

ثم

ثم كانت على ذلك الى ايام الطوفان فلما كان ايام الطوفان رفعه الله الى السماء الرابعة وبعث جبريل فخباء الحجر الاسود في جبل ابى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام وان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسماعيل واسحاق عليهم السلام ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر ولم يدر ابراهيم فى أى موضع فسأل الله تعالى أن يبين له ذلك واختلف العلماء فى كيفية ذلك البنيان فقال قوم بعث الله تعالى اليه السكينة لتدله على موضع البيت كما حدثت به اسماء بنت خالد بن حرب عن خالد عن عروة ان رجلا قام الى على بن ابى طالب فقال الا تخبرنى عن البيت أهو اول بيت وضع للناس فى الارض فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بنى ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم أن ابن لى بيتا فى الارض فضاق ابراهيم بذلك ذرعا فانزل الله تعالى السكينة وهي ريح خجوج ولها رأسان تشبه الحية فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهيا الى مكة فتطوقت على موضع البيت كتطوق الجحفة وامر ابراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة فبنى ذلك وقال آخرون أرسل الله تعالى غمامة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الى ان قدم مكة فوقفت على موضع البيت ونودى يا ابراهيم ابن على ظلها لا تزيد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذى خرج من الشام مع ابراهيم لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيأ قالوا فجعل ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عليه السلام عبرانيا واسماعيل عربيا فالهمهما الله تعالى أحدهما لسان صاحبه فكان ابراهيم يقول هب لى كينا يعنى هات حجرا فيقول له اسماعيل هاك فخذ فبنا الكعبة من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان وجودى وبنيت قواعده من حرى قال فبقى حجر فذهب اسماعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر فى مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر فقال أتانى به من لم يكلنى اليك ثم قال ابراهيم لاسماعيل ايتنى بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علما للناس فناداه أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فهاك فخذها فأخرج ابراهيم الحجر الاسود من جبل أبى قبيس وركبه فى موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت وأتماه دعوا ربهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم الى قوله تعالى التواب الرحيم فأجاب الله دعوتهما وأرسل اليهما جبريل ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة ثم باتا بها حتى أصبح فصلى بهما صلاة الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام

بهما هناك حتى زالت الشمس فجمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموقف الذى يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشا الاخرة ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة ثم وقف بهما على قزح حتى اذا أسفر الصبح أفاض بهما الى منى فأراهما كيف رمى الجمار ثم أمرهما بالذبح وأراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فأوحى الله الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج فقال يا رب وما عسى أن يبلغ صوتى فقال عليك الاذان وعلى البلاغ فعلا على ثبير ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنا بيتا فحجوه وأجيبوا داعى الله فاسمع ما بين السماء والارض وما بين الابحر ومن فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه من آمن ممن سمع فى علم الله تعالى أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك لبيك اللهم لبيك وقال عبد الله ابن الزبير لعبيد بن عمير استقبل ابراهيم اليمن فدعا الى الحج فاجيب لبيك لبيك ثم استقبل المشرق فاجيب لبيك لبيك ثم الى الشام فاجيب لبيك لبيك وذلك قوله تعالى وأذن فى الناس بالحج الاية فلم يزل البيت على ما بناه ابراهيم الى سنة خمس وثلاثين سنة من مولد نبينا صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين وهدمت قريش الكعبة ثم بنتها وكان السبب فى ذلك على ما ذكر ابن اسحاق وغيره من أهل الاخبار أن الكعبة كانت رضمة فوق الارض فأرادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطى نجارا فهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونها فبينما هى ذات يوم تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع اذ بعث الله اليها طائرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش انا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا من عمارة بيته وان عندنا عامل رفيق وخشب وقد كفانا الله الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمسة عشر سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عمير بن عايذ بن عمرو بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة انا أبدأكم فى هدمها فأتى بالمعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص به الناس تلك الليلة وقالوا

ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيأ ورددناها كما كانت وان لم يصبه شئ فقد رضي الله ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم الناس معه حتى انتهى الى حجارة خضر كأنها أسنمة الابل قد دخل بعضها في بعض فأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرين ليقلع منها احدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة باسرها فعلموا انهم قد انتهوا الى الاساس فقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تخرج على حدها ثم انهم بنوا فلما بلغ البنيان الى موضع الركن اجتمعوا فيه فكل قبيلة أرادت ان تضعه في موضعه دون القبيلة الاخرى فتحاوروا وتحالفوا وتواعدوا فقربت بنوا عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنوا عدى بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا ألعقة الدم بذلك فاقاموا أربع ليال اوخمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة أن ابا امية بن المغيرة كان حينئذ أسن قريش كلها فقال لهم يا معشر قريش اجعلوا فيما بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان اول من دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم فاخبروه الخبر فقال هلموا الىّ ثوبا فاتى به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال ليأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوا جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا وكانت الكعبة كذلك على ما بنتها قريش الى سنة أربع وستين سنة من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكونى عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمناجيق واخذوا يرتجزون ويقولون

حطارة مثل الفنيق المزبد * نرمى بها اعواد هذا المسجد

وكان ابن الزبير يقول انا العائذ بهذا البيت وقال آخر

كيف ترى صنع أم فروة * تأخذهم بين الصفا والمروة

وأم فروة المنجنيق فمال حيطان الكعبة مما رميت به من حجارة المناجيق وانها مع ذلك احترقت وكان السبب فيه انهم كانوا يوقدون النار حولها فاقبلت شرارة هبت بها الريح فاحرقت باب الكعبة واحترق خشبها وقال الواقدى حدثني عبد الله بن زيد حدثني عروة بن اذينة قال قدمت مكة مع امى يوم احترقت الكعبة فدخلت عليها النار ورأيت الركن قد اسود وانصدع منه امكنة فقلت ما اصاب الكعبة فاشاروا الى رجل من اصحاب الزبير وقالوا احترقت بسبب هذا اخذ قبسا في رفع رأس له فطارت الريح به فضرب به أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الاسود وقال بعضهم كان السبب

في ذلك ان امرأة كانت تبخر الكعبة فطارت شرارة من النار فاحرقت البيت وكان أول ما تكلم به الناس في النار يومئذ فقال قوم هذا من قدر الله وقال قوم ليس هذا من قدر الله فالوافهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس ويصلون الى موضعها وجعل الركن الاسود في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما يوجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة في خزانة البيت ثم أعاد بناه وقال ان أمي اسماء بنت ابي بكر حدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على اساس ابراهيم عليه السلام فازيد في الكعبة من الحجر فان قريشا اعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت ثم اجعل لها بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير أمر فحفروا فوجدوا قلاعا على أساسها كامثال الابل فحركوا منها صخرة عظيمة فبرق منها برقة نار فقال ابن الزبير أقروها على أساسها فبناها وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير الى سنة أربع وسبعين حين قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير وولي الحجاج الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي بناه ابن الزبير بأمر عبد الملك ابن مروان وأعادها الى بنائها الاول بمشهد مشايخ من قريش فهي اليوم على ما بناها الحجاج الا ما كان من قلع القرمطي صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام أمره بالحجيج بمكة فذهب معه من اسر من الحجاج الى البحرين ثم اخذ منه ورد الى موضعه وذلك على يدي شيخنا ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى المزكي النيسابوري

(الباب الخامس في ذكر امر الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده عليهما السلام) قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى الاية واختلف السلف من علماء المسلمين في الذي أمر ابراهيم بذبحه من بنيه بعد اجماع اهل الكتاب على أنه كان اسحاق وقال قوم هو اسحاق وذهب اليه قوم من الصحابة عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب ومن التابعين من اتبعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير والقاسم بن ابي مرة والعمر بن أبي مرة ومسروق وعبد الرحمن بن ابي سابط وابو الهذيل والزهري والسدي روى شعبة عن ابي اسحاق عن ابي الاحوص قال فتخر رجل عند عبد الله بن مسعود فقال أنا فلان بن فلان بن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وروى سفيان عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن ابيه قال موسى عليه السلام يارب يقولون يا اله ابراهيم واسحاق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بي شيء

مطلب في ذكر امر ابراهيم بذبح ولده

قط الا اختارنى عليه وان اسحاق جادلى بالذبح فهو بغير ذلك أجود وان يعقوب
كلما زدته بلاء زادنى حسن ظن وروى حمزة الزيات عن ابن اسحاق عن أبى ميسرة
قال قال يوسف عليه السلام لملك مصر ترغب ان تأكل معى وأنا والله يوسف بن
يعقوب بنى الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وقال آخرون هو اسماعيل
والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وابو الطفيل وعمرو بن عبيد وسعيد بن
المسيب والشعبى ويوسف بن مهران وكان الشعبى يقول رأيت قرنى الكبش
منوطين بالكعبة وروى عامر بن واثلة عن الحسن البصرى بان لا نشك
فى أن الذى امر بذبحه من ابنى ابراهيم هو اسماعيل وهى رواية عطاء بن ابى رباح
عن عبد الله بن عباس قال المفدى اسماعيل وزعمت اليهود أنه اسحاق وكذبت
اليهود وروى ابن اسحاق عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول ان الذى أمر الله
ابراهيم بذبحه من ابنيه هو اسماعيل قال وانا نجد فى كتاب الله تعالى فى قصة الخبر
عن ابراهيم وما أمر به من ذبح ابراهيم ابنه اسماعيل وقرأ قوله تعالى حين فرغ
من قصة المذبوح من بنى ابراهيم وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين وقال
وبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب يقول يا بن ويا بن بن فلم يكن يأمر
بذبح اسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعده وما الذى امر بذبحه الا اسماعيل
قال محمد بن كعب القرظى ذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت
معه بالشام فقال عمر ان هذا الشئ ما كنت أنظر فيه وانى لاراه كما قلت ثم انه أرسل
الى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء
اليهود فسأله عن ذلك وأنا عنده فقال له ابراهيم أى ابنى ابراهيم الذى كان أمر
بذبحه فقال اسماعيل ثم قال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود تعلم ذلك ولكنهم
يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذى كان أمر الله بذبحه لما فيه
من الفضل الذى ذكر انه كان منه بصبره على ما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون
انه اسحاق لان اسحاق ابوهم وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا القولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يعزه أبو عبد الله الى غيره فأما
الرواة التى روت عنه ان الذبيح اسحاق فاخبرنى الحسين بن محمد عن العباس بن
عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أراد ابراهيم يذبحه
اسحاق وعنه انه قال الذى فداه الله بذبح عظيم اسحاق واخبرنا ابو عبد الله أنا
احمد بن جعفر بن حمدان أنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أنا موسى بن اسماعيل
أنا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحاق بعدى فيقول
يا رب صدقت نبيك وجدت بنفسى للذبح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيأ

قال فيقول الله وعزتي لا ادخل النار من لا يشرك بي شيأ واخبرنا ابو طاهر
محمد بن الفضل بن محمد بن اسحاق المزني قرأة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة
أنا جدي ابوبكر بن محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الائمة أنا علي بن حجر أنا عمر بن
حفص عن أبان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرني
بين أن يغفر لنصف أمتي او أن لختبي شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت أن
يكون ذلك أعم لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتعجلت منها دعوتي
وذلك أن الله تعالى لما فرج عن اسحاق كرب الذبح قيل له يا اسحاق سل تعطه
قال أما والذي نفسي بيده لا تعجلها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات
لا يشرك بك شيأ فاغفر له وادخله الجنة وأما الرواية التي رويت عنه
صلى الله عليه وسلم أن الذبيح اسماعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابي باسناده
عن الصباحي قال كنا عند معاوية بن ابي سفيان فذكروا أي الذبيح اسماعيل او اسحاق
فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل
فقال يا رسول الله عد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل له يا أمير المؤمنين ومن الذبيحين فقال ان عبد
المطلب لما حفر زمزم نذر لربه ان سهل الله عليه امرها ليذبحن احد ولده
قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل
ففداه بمائة من الابل والثاني اسماعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القران
ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على انه اسحاق فهو ان الله
تعالى اخبر عن ابراهيم عليه السلام فارق قومه مهاجرا الى الشام مع سارة
ولوط وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين أنه دعا فقال رب هب لي من الصالحين
يعني ولدا صالحا وذلك قبل ان تعرف هاجر وقبل ان تصير له ام اسماعيل
ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا
ابراهيم ان يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القران
انه بشر بولد ذكر الا باسحاق واما الدليل على انه اسماعيل فما ذكرناه من
حديث القرنان وقد صح الخبران قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة الى أن
احترق البيت فاحترق القرنان في ايام ابن الزبير والحجاج وهذا أدل دليل
على أن الذبيح اسماعيل واما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم بابنه
عليهما السلام قال السدي باسناده لما فارق ابراهيم قومه مهاجرا الى الشام
هاربا بدينه كما قال تعالى اني ذاهب الى ربي سيهدين دعا الله ان يهب له ابنا
صالحا من سارة فقال رب هب لي من الصالحين فلما نزل به اضيافه من الملائكة
المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام فقال ابراهيم لما بشر به هو اذا لله ذبيح

فلما

فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له اوف بنذرك الذى نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب فى امر الله تعالى خليله بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحاق انطلق نتقرب قربانا الى الله تعالى واخذ سكينا وحبلا ثم انطلق حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بُنى انى ارى فى المنام انى اذبحك رايت لفظه مستقبل ومعناه الماضى فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحاق كان ابراهيم اذا زار هاجر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام الى مكة ويرجع من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسماعيل معه السعى واخذ بنفسه ورجاه لما كان يامل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أُرى فى المنام أن اذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلى ابراهيم بابنه فى شعب ثبير اخبره بما أمر به وقال يا بُنىّ انى أرى فى المنام انى اذبحك الاية قالوا فقال له ابنه الذى أراد أن يذبحه يا أبت اشدد رباطى حتى لا اضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمى فينقص اجرى وتراه امى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع بمر السكين على حلقى ليكون أهون للموت فان الموت شديد فاذا أتيت امى فاقرئها منى السلام فان رأيت أن ترد قميصى على امى فافعل فانه أسلى لها عنى فقال له ابراهيم نعم العون يا بنى أنت على ما امر الله به ففعل ابراهيم ما امره به ابنه ثم انه اقبل عليه يقبّله وقد ربطه وهو يبكى والابن يبكى حتى استنقعت الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يحك ولم تعمل السكين شيأ قال السدى ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا ابت كبنى لوجهى على جبنى فانك ان نظرت الى وجهى رحمتنى وأدركتك رأفة تحول بينك وبين أمر الله تعالى فى ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما أسلما وتلّه للجبين ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الاية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعد وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قد رعى فيها اربعين خريفا وروى عنه أيضا ان الكبش الذى فدى به عن ابن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذى قربه هابيل بن آدم فقبل منه فارسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذى نفس ابن عباس بيده لقد كان اول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة قد وحش يعنى يبس

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن ابيه انه كان يقول ما فدى اسماعيل الا بكبش من الاروى اهبط عليه بثبير وهو رواية ابى صالح عن ابن عباس قال كان وعلا وروى ابو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحاق عن رجال قالوا لما رأى ابراهيم فى المنام انه يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن افتن عند هذا آل ابراهيم والا لم افتن احدا منهم ابدا فمثل له الشيطان رجلا فاتى ام الغلام فقال لها أتدرين اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به منى وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم ان الله امره بذلك فقالت له ان كان امره بذلك فقد احسن فى امتثال طاعة ربه وفى استسلامه لامر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتى ادرك الابن وهو يمشى على اثر أبيه فقال له يا غلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال والله ما يريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم ان الله امره بذلك قال له فليفعل ما أمره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع من الغلام اقبل على ابراهيم فقال له أين تريد ايها الشيخ قال اريد هذا الشعب لحاجة لى فقال والله انى لارى الشيطان قد جاءك فى منامك يأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم فقال له اليك عنى يا ملعون فوالله لامضين امر ربى فرجع ابليس لعنه الله بغيظه لم يصب من ابراهيم وابنه شيأ مما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتاييده وروى الطفيل عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال امية ابن الصلت فى ذلك حيث يقول

ولابراهيم الوفى احتسابا * وحامل الاجدال
بكره لم يكن ليصبر عنه * لو رآه فى معشر اقيال
أبنى انى نذرتك لله شحيطا * فاصطبر بذلك حالى
واشدد الصفد لا احيد عن السكين * حيد الاسير ذى الاغلال
مدية تخالك فى اللحم هذا * ما جبينه كالهلال
بينما يخلع السراويل عنه * فكه ربه بكبش جلال
فخذه اذا وارسل ابنك * ان الذى فعلتما غير قال
ربما تكره النفوس من الامر * وله فرجة كحل العقال

مطلب في هلاك النمرود ابن كنعان

(الباب السادس في هلاك النمرود بن كنعان وما أحل الله تعالى به من نقمته)

وقصة الصرح قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون روت الرواة بأسانيد مختلفة أن اول جبار في الارض النمرود بن كنعان وكان الناس يخرجون اليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمرود اذا مر به الناس قال لهم من ربكم قالوا أنت حتى مر به ابراهيم قال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر الآية فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى أهله فمر بكثيب أعفر فقال لآخذن من هذا فآتي به أهلي فتطيب به قلوبهم حين أن أدخل عليهم فأخذ ابراهيم منه فاتى به أهله فوضعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو بأجود دقيق رأته فأخذته وصنعت منه طعاما فلما أفاق قدمته اليه وكان عهد أهله وليس عندهم طعام فقال لهم من أين هذا فقالوا من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمرود الجبار لما حاجه ابراهيم قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهي حتى أعلم من في السماء فبنى صرحا عظيما عاليا ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم قال ابن عباس ووهب كان الطول للصرح في السماء خمسة الاف ذراع قال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى أربعة افرخ من النسور فعلفها اللحم والخبز وربّاها حتى شبت واستفحلت ثم قعد في تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من اعلاه وبابا من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل النسور وعلق اللحم على عصى فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطرن وصعدن طمعا في اللحم حتى أبعدن في الهوى فقال النمرود لغلامه افتح الباب الاعلى وانظر في السماء هل قربنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر فاذا السما على هيئتها ثم فتح الباب الاسفل ونظر فاذا الارض كاللجة والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت بينهما وبين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الأسفل فاذا الارض سودا مظلمة ونودي أيها الطاغي الباغي أين تريد قال عكرمة فامر عند ذلك غلامه فرمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بالدم فقال كفيت شغل اله السماء واختلفوا في ذلك من اى شئ تلطخ فقال عكرمة من سمكة في بحر معلق بين السماء والارض قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم أصاب السهم

طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم امر النمرود غلامه ان يصوب العصا وينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال التابوت والنسور ففزعت وظنت انه امر حدث في السماء وان الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قرأ علي وعمر وابن مسعود اي جزاء مكرهم لتذل منه يا لذال ثم ان الله تعالى ارسل ريحا على صرح النمرود فالقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقي وانقلبت بيوتهم واخذت النمرود رعدة وتبلبلت السن الناس حين سقط صرح النمرود من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان الله تعالى بعث الى النمرود ملكا ان آمن حتى اتركك على ملكك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فابى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة ايام فجمع النمرود جموعه وجنوده فامر الله تعالى الملك ان يفتح باب البق فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمرود وقومه فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمرود كما هو لم يصبه شئ من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث اربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق فارحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا اربعمائة سنة فعذبه الله اربعمائة سنة كمية ملكه ثم ان البعوضة اكلت دماغه فاهلكه الله تعالى وخذله (الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة ازواج ابراهيم وولده) قال الله تعالى أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته الاية قال اهل العلم باخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من ارض كنعان في حبرون في مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قطورا ابنة يقطر فولدت له ستة نفر نفسار وزيران ومديان وسيق وشوخ ومدين وتزوج ايضا بامرأة اخرى من العرب اسمها حجور بنت اهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وشمرخ واهيم ولوطان ونافش فكان جميع بني ابراهيم مع اسحاق واسماعيل ثلاثة عشر وكان اسماعيل بكره واكبر اولاده فانزل اسماعيل بارض الحجاز واسحاق بارض الشام وفرق سائر ولده في البلاد فقالوا لابراهيم يا ابانا انزلت اسحاق واسماعيل بقربك وامرتنا ان ننزل بارض الغربة والوحشة قال بذلك امرت ثم علمهم اسما من اسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون (الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم

مطلب في ذكر وفاة سارة وهاجر

مطلب في ذكر وفاة ابراهيم

عليه

عليه السلام قال اهل التاريخ والسير لما اراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام ارسل اليه ملك الموت فى صورة شيخ هرم قال السدى باسناده كان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذ هو بشيخ كبير يمشى فى الجادة فبعث اليه بحمار فركبه فلما أتاه قدم اليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فيه فيدخلها عينه مرة واذنه مرة ثم اذا ادخلها فى فيه وحصلت فى جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذى يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله مابالك ياشيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم انت قال ابن مائتى سنة فى حد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بينى وبينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك اللهم اقبضنى قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتى سنة وقيل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة فى حيرون (الباب التاسع فى ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام) هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان روى فى الحديث انه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم يا سيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو ابو الضيفان كان لا يتغذى ولا يتعشى الا مع ضيف وربما مشى ميلين او اكثر حتى يجد ضيفا وضيافته قائمة الى يوم القيامة وهى الشجرة المباركة قال الله تعالى توقد من شجرة مباركة الاية صح انه دعا الله تعالى ان يجعل النبوة فى نسله فاستجاب له وجعل النبوة فى شعبى اسماعيل واسحاق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على ثمانية الاف نبى من بنى اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق فى الاخرين فليس من نبى يهوى السنة والخلق كلهم بتصديقه وتفضيله وتبجيله كل امة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لى لسان صدق فى الاخرين وهو المبتلى بانواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وقال وابراهيم الذى وفى اتم ما امر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى اخر الايات معنى الامة انه كان معلما للخير وقد اجمع فيه من خلال الخير وانواع الفضل ما يجمع فى أمة كما قال الشاعر

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

وهو الذى اوتى رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين جعل له لسان الحجة فى التوحيد فدعا الخلق الى الحق بلسان الحجة من صغره الى كبره وقال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الاية واول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وبراه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص

مطلب فى ذكر خصائص ابراهيم

مطلب من هو رحيم

فقال تعالى ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية وهو اول من اختتن قال
ابو منصور الحمسارى حدثنا ابو عباس المعقلى انا عبد الحكيم أنا ابن وهب أنا
يحيى بن نصر قال قرئ على ابن وهب اخبرك ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن
سعيد بن المسيب عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال اختتن ابراهيم عليه السلام
بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة واخبرنا
الحسين بن محمد بن فنجوية انا محمد بن مخلد بن جعفر أنا الحسن بن علوية انا اسماعيل
ابن عيسى انا اسحاق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم
أول من اضاف الضيف واول من ثرد الثريد واول من لبس النعلين وأول
من قسم الفيء واول من قاتل بالسيف واول من ختن نفسه فى موضع يقال له
قدوم والقدوم فى بعض الروايات هو الفاس وذلك أنه كان وقع بينه
وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم
أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لاهل الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم
يعنى بالفاس وهو اول من اتخذ السراويل اخبرنا الحسن الدينورى أنا احمد
ابن شداد بن عمر بن احمد القطان أنا محمد بن اسماعيل بن حسان انا وكيع انا جرير
ابن حازم عن فاضل مولى ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام
يا ابراهيم انك اكرم اهل الارض على فاذا سجدت فلا ترى الارض عورتك
فاتخذ سراويلا وهو اول من شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يارب ماهذا قال
الوقار فقال يارب زدنى وقارا وهو اول من اقام المناسك وذلك بدعوته
حيث قال وأرنا مناسكنا فاستجيب له وهو اول من ضحى وهو الذى بوأ الله
له مكان البيت فاراه الله ذلك بعد دروسه حتى بناه قال الله تعالى واذ بوأنا
لابراهيم مكان البيت وهو اول من القى فى النار فى الله فجعلت النار عليه بردا
وسلاما وهو اول نبى احيى الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب ارنى كيف تحيى
الموتى الاية وهو الذى كان اذا سافر وتمنى سارة واشتاق اليها رفع الله له
الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذى يكسى حلة بيضاء يوم القيامة
ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبى عليه السلام تحشر الانبياء يوم
القيامة حفاة عراة غرلا بهما واول من يكسى ابراهيم خليل الرحمن قال النبى
عليه السلام هو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو اول من
قص شاربه وهو اول من قلم اظفاره واول من استحد واول من نتف الابط
واول من استاك واول من فرق شعره واول من تمضمض واستنشق
واول من استنجى بالماء واول من هاجر لله قال الله تعالى فآمن له لوط وقال
انى مهاجر الى ربى وجعل مقامه قبلة للناس واماما فقال تعالى قد كانت لكم

اسوة

اسوة حسنة فى ابراهيم وامر محمد اخير انبيائه وامته خير الامم باتباع ملته قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال تعالى بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما ومنيبا واواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم اواه منيب والحليم المرشيد السيد الذى يملك نفسه عند الغضب والاواه الذى يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ستة واربعون خصلة من خصائصه التى اكرمه الله بها ويروى ان الله اوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا وروى ابو ادريس الخولانى عن ابى ذر الغفارى قال قلت يا رسول الله كم كتابا انزل الله تعالى قال مائة صحيفة واربعة كتب انزل الله تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى اخنوخ ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك المبتلى المسلط المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا اردها ولو كانت من كافر وكان فيها امثال على العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله ان يكون له اربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فى خلق الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم واخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام فى المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاده ومرمة لمعاشه ولذة فى غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محذور يغنيه *

مطلب فى ذكر بعض اخبار اسماعيل واسحاق

(مجلس فى ذكر بعض اخبار اسماعيل واسحاق ابنى ابراهيم عليهم السلام وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسماعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسماعيل وبلغ النكاح تزوج من جرهم فكان من امرها ما قدمنا ذكره ثم طلقها بامر ابيه ابراهيم ثم تزوج امرأة اخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى وهى التى قال لها ابراهيم اذا قدم اسماعيل زوجك من مكة فقولى له قد رضيت لك عتبة بابك فولدت السيدة لاسماعيل اثنى عشر رجلا ثابتا وقذار واذبيل ومنشى ومسمع ودما وماس وازر وبطور ونيش وطميا وقيدما ومن ثابت وقيدار ابنى اسماعيل نشر الله تعالى العرب ثم نباه الله تعالى اسماعيل فبعثه الى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسماعيل الوفاة أوصى الى اخيه اسحاق ان يزوج ابنته من عيصا بن اسحاق وانه عاش مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن فى الحجر عند قبر أمه هاجر وروى عمر بن عبد العزيز انه قال شكى اسماعيل الى ربه

تعالى حرمكة فاوحى الله تعالى اليه انى فاتح لك بابا من الجنة يجرى عليك
روحها الى يوم القيامة وفى ذلك المكان دفن * واما حديث اسحاق عليه
السلام فانه نكح رفقا بنت تنويل فولدت له عيصا ويعقوب بعدما مضى له
من عمره ستون سنة ولها قصة عجيبة على ما ذكره السدى قال حملت رفقا فى
بطن واحد بغلامين فلما ارادت ان تضع اقتتل الغلامان فى بطنها فاراد يعقوب
أن يخرج قبل عيصا فقال عيصا والله لئن خرجت قبلى لاعترض فى بطن أمى
واقتلها فتاخر يعقوب وتقدم عيصا قبله وسمى عيصا لانه خرج قبل يعقوب
وسمى يعقوب لانه خرج يعقب عيصا وكان يعقوب اكبرهما فى البطن ولكن
عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان صار عيصا احبهما الى ابيه ويعقوب الى
امه وكان عيصا صاحب صيد فلما كبر اسحاق وعمى قال لعيصا يابنى اطعمنى لحم صيد
واقرب منى ادعو لك بدعاء دعا به أبى وكان عيصا رجلا اشعر ويعقوب رجلا
اجرد فخرج عيصا يطلب الصيد فسمعت امه الكلام فقالت ليعقوب يابنى اذهب
الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها والبس جلدها ثم قدمها الى ابيك وقل له انا ابنك
عيصا ففعل ذلك واتى الى ابيه وقال يا ابتاه كل فقال من انت قال انا عيصا
فمسه وقال المس مس عيصا والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك
عيصا فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فاكل منه ثم قال له ادن منى فدنى منه
فدعا له ان يجعل فى ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيصا
بعده فقال يا أبت قد جئت بالصيد الذى اردته فقال يا بنى قد سبقك اخوك
يعقوب فغضب عيصا وقال والله لاقتلنه فقال يا بنى قد بقيت لك دعوة
فهلم أدعو لك بها فتقدم اليه فقال يارب تكون ذريته عدد التراب ولا يملكهم
أحد غيرهم ثم ان ام يعقوب قالت ليعقوب الحق باخوالك فكن عندهم خشيت
عليه ان يقتله عيصا فانطلق يعقوب الى اخواله وكان يسير فى الليل ويكمن
فى النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو اول من سرى بالليل فاتى يعقوب الى
خاله وكان اسحاق امره ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وامره ان ينكح امرأة من
بنات خاله لبان بن باهر وان يعقوب لما مكث عند خاله خطب ابنته راحيل
وكان له ابنتان ليا وهى الكبرى وراحيل وهى الصغرى فقال له هل من مال فازوجك
عليه فقال لا لكن اخدمك اجيرا حتى تستوفى صداق ابنتك فقال له ان صداقها
ان تخدمنى سبع حجج فقال يعقوب تزوجنى راحيل لانها اصغر ولاجلها أخدمك
فقال له خاله ذلك بينى وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه
دفع له ابنته الكبرى ليا وادخلها عليه ليلا فلما اصبح وجد غير ما شرط فجاء يعقوب
وهو فى نادمن قومه فقال له غررتنى وخدعتنى واستحللت عملى سبع سنين ودلست

على

على غير امرأتى فقال له خاله يا ابن اختى اردت ان لا يدخل على فى ذلك العار والبسه
وانا خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم
فاخدمنى سبع سنين اخرى حتى ازوجك الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون
بين الاختين الى أن بعث موسى وانزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين
اخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا اربعة اسباط روبيل وكان اكبرهم
ويهودا وشمعون ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية
شداد وانما سمى بنيامين لان امه راحيل ماتت فى نفاسها ويامين بالعربية المتكل
وكان لبان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب امتين يقال لاحدهما زلفة
وللاخرى بلهه فوطئ الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة اسباط
فولدت زلفه ليعقوب دان ونفتال وريالون وولدت له بلهه جاد ويشحر
وابشر فكان بنى يعقوب اثنى عشر رجلا اثنان من راحيل واربعة من ليا وثلاثة
من زلفه وثلاثة من بلهه وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسموا بذلك
لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط فى كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة
الاغصان والاسباط من بنى اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب
ثم ان يعقوب فارق خاله لبان وانصرف بولده وامرأتيه وجاريتيه المذكورات
الى منزل ابيه من فلسطين على تخوف شديد من اخيه عيصا فلم ير منه الا خيرا فانزل
اخاه عيصا وتالفه وتلطفه حتى ترك له البلاد وتنقل فى الشام وصار الى السواحل
ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده قال ابن اسحاق
تزوج عيصا بن اسحاق بنت عمه نسمة بنت اسماعيل بن ابراهيم فولدت له الروم
من عيصا فكل بنى الاصفر من ولده وكان عيصا فيما يذكر يسمى آدم لادمة فى
امته ولذلك سمى ولده بنى الاصفر قال وعاش اسحاق بعد ما ولد له عيصا
ويعقوب مائة سنة وتوفى وله مائة وستون سنة ودفنه ابناه عند قبر أبيه
ابراهيم عليهم السلام فى مزرعة حبرون * (مجلس فى قصة لوط عليه السلام) *

مطلب قصة لوط

وهو لوط بن هاران بن تارخ بن اخى ابراهيم عليه السلام وانما سمى لوطا لان
حبه لاط بقلب ابراهيم عليه السلام اى تعلق به ولصق ومنه حديث ابى بكر
رضى الله عنه حين ذكر عمر اللهم عقرا والوالد لوط اى الصق بالقلب وكان
ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من امر لوط فيما يذكر اهل العلم باخبار الانبياء
وذكر وهب فى المبتدى له انه شخص من ارض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعا
له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعه سارة بنت ناخور وشخص معه تارخ ابو
ابراهيم مخالفا لابراهيم فى دينه ومقيما على كفره الى ان وصلوا الى حران وتمكثوا
بها فمات تارخ وهو آزر أبو ابراهيم بحران على كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة

الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونا من فراعنتها يقال له سنان بن
علوان بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح فرجعوا عودا الى ارض
الشام فنزل ابراهيم فلسطين وأنزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى ارض
سدوم وما يليها وكانوا اهل كفر بالله وركوب فواحش كما اخبر الله عنهم بقوله
تعالى ائنكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال
شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يُرى
ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل
وتاتون فى ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فيما ذكر اهل التاويل ان اتيانهم
الفاحشة مع من ورد الى بلدهم واما اتيانهم المنكر فى ناديهم قال المفسرون هو انهم
كانوا يجلسون فى مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم ويتضارطون فى
مجالسهم وينكح بعضهم بعضا فى الطريق وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال
فى مجالسهم على الطريق وروى ابو صالح عن ام هانى قالت سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون
من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذى كانوا ياتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك
ويدعوهم الى عبادة الله تعالى ويتوعدهم على اصرارهم على ما هم عليه ويامرهم
بالتوبة منه ويخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم
وعظه الا تماديا وعتوا واستعجالا لعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون
له ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سال لوط ربه ان ينصره عليهم
فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فاجاب الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل
واسرافيل لاهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا مشاة
فى صورة رجال مرد حسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام وقد مضت القصة
فلما فرغوا من ذلك واخبروا ابراهيم ان الله بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم
ابراهيم وحاججهم فى ذلك كما قال الله تعالى ولما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته
البشرى يجادلنا فى قوم لوط وكان جداله على ما ذكر ابن عباس وغيره انهم لما
قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لهم ابراهيم اتهلكون قرية فيها
اربعمائة مؤمن قالوا لا قال افتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال
افتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال افتهلكون قرية فيها مائة مؤمن
قالوا لا قال افتهلكون قرية فيها اربعون مؤمنا قالوا لا قال افتهلكون قرية
فيها اربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم اربعة عشر بامراة لوط
فسكت عنهم واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن عباس قال قال
الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال

قوم

قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا قالها اشفاقا منه عليه فقالت له الرسل نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته قال قتادة فى هذه الاية لا يرى المؤمن
الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا اليها لقوا لوطا
فى ارض له يعمل فيها قال قتادة رواية عن حذيفة ان الله تعالى قال للملائكة
لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فأتوه فقالوا انا متضيفوك
الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال او ما بلغكم امر هذه القرية
قالوا وما أمرها قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض وما اعلم على وجه الارض
اناسا أخبث منهم قال ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط انه سيحتاج
الى المدافعة عن اضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت
رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب اى شديد
قال السدى باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط
فأتوها نصف النهار فلما بلغوا اسدوم لقوا ابنت لوط تستسقى الماء لاهلها
وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى عيثا فقالوا لها يا جارية هل من منزل
قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى اتيكم فزعت عليهم من قومها ثم اتت اباها
فقالت يا ابتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رايت وجوه قوم قط احسن منهم
لئلا تاخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه ان يضيف رجالا وقالوا
له خل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى اولم ننهك عن العالمين فجاء بهم
لوط الى منزله ما يعلم بهم احد الا اهل بيت لوط فخرجت امرأته فاخبرت قومها
وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسنا قط قال ابو حمزة الثمالى
بلغنا ان العلم الذى كان بين امرأة لوط وقومها اذا اتتهم الضيفان يقول
رسولها هيئوا الناملحا تدعوهم بذلك الى الفاحشة باضياف لوط فبلغنا ان الله
تعالى مسخها ملحا قالوا فلما اخبرت امرأة لوط قومها باضياف زوجها جاءه قومه
يهرعون اليه اى يسرعون ويهرولون فلما اتوه قال لهم لوط يا قوم اتقوا الله
ولا تخزونى فى ضيفى اليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتى هن اطهر
لكم قالوا اولم ننهك عن العالمين ان تضيف الرجال قال تعالى لقد علمت
ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرض عليهم
قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قالوا فما بعث الله نبيا بعده الا
فى شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه
الاية رحم الله اخى لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد قال ابن عباس واغلق
لوط بابه وقومه والملائكة معه فى الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء
الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رات الملائكة ما لقى لوط من الكرب

والنصب والتعب بسببهم قالوا له يا لوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير مردود وانا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر باهلك بقطع من الليل ثم قالوا له افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فاذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين ورأسه حبك حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فذلك قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم الاية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون النجا النجا ان فى بيت لوط اسحر قوم فى الارض ثم قالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كن كما كنت حتى نصبح يتوعدونه فلما علم لوط ان اضيافه رسل ربه وانهم ارسلوا بهلاك قومه فقال لهم اهلكوهم الساعة فقال له جبريل ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب ثم امره ان يسرى باهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم احد الا امرأته فلما كان السحر خرج لوط واهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر فلما اصبحوا ادخل جبريل جناحه تحت ارضهم فاقتلع قريات قوم لوط الاربع وكان فى كل قرية مائة الف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى سمع اهل سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم كفى بها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها ثم اتبع شاردهم ومسافريهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود الاية اخبرنا الحسين بن محمد بن فنجوية انا مخلد بن جعفر الباقرى انا الحسين ابن علوية انا اسماعيل بن عيسى انا اسحاق بن بشر اخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاسمع العواصف والعواصف من الرعد فاخشى انها الحجارة التى اعدت لقوم لوط او من يفعل بفعلهم واخبرنا ابوبكر بن محمد ابن احمد بن عقيل القطان انا ابو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور انا ابو حاتم الرازى انا ابو اليمان الحكم بن نافع الحمصى عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان الى ان اتى شعيب قاضى حمص وكان رجلا عالما فسأله كم عقوبة اللوطى قال ان يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه قالوا وكان الرجل

منهم يتحدث فى قريته التى يكون فيها فيأتيه الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين اى الباقين فى العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما اصابهم الاية اخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين انا موسى بن محمد بن على انا الحسين بن علوية انا اسماعيل بن عيسى قال انا المسيب قال سمعت ابا روق يقول الا امراته كانت من الغابرين اى خلفت فمسخت حجرا وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا وداد وما وصبوائيم فاما سدوم فهى القرية العظمى وكان فى هذه القرية اربعة الاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت المؤتفكات اى المنقلبات واما القرية الخامسة فانها تسمى صعفروز خرجت من العذاب لان اهلها آمنوا بلوط وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله سماك باسماء ففسرها لى قال وصفك فى قوله تعالى ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين فاخبرنى عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحى فى الهوى حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا اصواتهم واصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فاخبرنى عن قوله تعالى مطاع ثم امين قال ان رضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران متى قلت لهما او كلفتهما فتح ابواب الجنان او النيران فتحاها قال فاخبرنى عن قوله أمين قال ان الله انزل من السماء مائة وأربعة كتب على انبيائه لم يأمن عليها غيرى اخبرنا عبد الله بن الحسين ابن محمد الثقفى انا ابو عثمان بن احمد بن سمعان البزاز انا عبد الله بن قحطبة انا ياسر بن توبة انا محمد بن رموز انا ابو بكر بن عياش قال سالت ابا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى اعدل من ذلك استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء اخبرنا ابن فنجوية انا مخلد بن جعفر انا الحسين بن علوية انا اسماعيل بن عيسى انا اسحاق بن بشر حدثنى مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا ابا الحجاج هل بقى من قوم لوط احد قال لا الا رجل بقى اربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه فى الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل فى حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم اربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج اصابه الحجر خارج الحرم فقتله عن ابى سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط انما كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الاربعين فاهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليعمنكم العقوبة جميعا * (مجلس فى قصة يوسف عليه السلام) * قال الله تعالى نحن

مطلب فى قصة يوسف

نقص عليك احسن القصص الاية قال سعيد بن ابى وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا قال فانزل الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها الاية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران الاية فدلهم الله تعالى فى هذه الاية على احسن القصص واختلف العلماء فى سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام احسن القصص فقال بعض اهل المعانى معنى الاية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو اهون عليه قال الشاعر

ان الذى سمك السماء بنا لنا * بيتا دعائمه اعز واطول

اراد عزيزة طويلة واجراه الباقون على الظاهر وقال هو احسن القصص ثم اختلفوا فى وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسى فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة فانها حسن حسن ما فيها فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص يعنى ان قصص القران احسن مما فى التوراة وقيل سمى الله هذه القصة احسن القصص لانها ليست قصة فى القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب وقيل سماها احسن القصص لحسن محاورة يوسف لاخوته وصبره على اذاهم واعضائه عند التقائهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه فى العفو عنهم حيث قال لا تثريب عليكم اليوم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها ايضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت احسن القصص لما فيها من المعانى الجزيلة والفوائد الجليلة التى تصلح للدين والدنيا وتجمع خيرى الدنيا والعقبى قال اهل الاشارة سماها الله احسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب (الباب الاول فى ذكر اسمه ونسبه) هو يوسف الصديق بن يعقوب الصفى ابن اسحاق الذبيح بن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباؤه كراما عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم بن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلوات الله عليهم واختلفوا فى معنى اسم يوسف فقال اكثر الفقهاء هو اسم عربى سمعت الاستاذ ابا القاسم

لعله مما

مطلب فى ذكر اسم يوسف ونسبه

مطلب في صفة يوسف

الحبيبي يقول سمعت ابا الحسن الاقطع وكان حكيما فسئل عن يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فيه فلذلك سمي يوسف (الباب الثاني في صفة يوسف عليه السلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته قال الله تعالى فلما رأينه اكبرنه الاية اخبرنا ابو عبد الله الثقفي انا عمر بن احمد بن عثمان انا محمد بن محمد بن سليمان انا محمد بن حميد الرازي انا سلمة ابن الفضيل عن محمد بن اسحاق عن روح بن القاسم قال حدثني عمارة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي الى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله قال كالقمر ليلة البدر واخبرني الحسن بن محمد أنا احمد بن جعفر ابن حمدان انا حامد بن سعدان أنا ابي أنا يعقوب انا الوليد بن مسلم عن ثابت عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطي وامه شطر الحسن وعن ابي اسحاق بن عبد الله بن ابي فروة قال كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى تلألأ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران وقال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فاراه الانبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار مؤتزرا بحلة الشوق مرتديا برداء الكرامة متقمصا بقميص البها وفي يده قضيب الملك وعن يمينه سبعين ألف ملك وعن يساره سبعين الف ملك ومن خلفه امم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيث ما زال وتحول معه حيث ما حال فلما رآه آدم قال الهي من هذا الكريم الذي ابحت له بحبوحة الكرامة ورفعته الدرجة العالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدم انحله قال آدم قد انحلته ثلثي حسن ذريتي ثم ان آدم ضم يوسف الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا بني لا تاسف فانت يوسف فاول من سماه يوسف آدم وقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم يوم خلقه بيده وصوره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية وقد كان الله اعطى آدم الحسن والجمال والبها يوم خلقه فلما عصى الله نزع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذي كان انتزعه منه وذلك ان الله تعالى احب ان يري العباد انه قادر على ما يشاء فاعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه احدا من الناس ثم اعطاه العلم بتأويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذي يرى في المنام أنه سيكون كذا وكذا من قبل ان يكون ذلك الامر علمه الله ذلك كما علم الاسماء كلها لآدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف أبيض اللون

جميل الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلقة غليظ الساقين والعضدين
والساعدين خميص البطن اقنى الانف صغير السرة وكان بخده الايمن خال اسود
وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضا كانها القمر ليلة
البدر وكانت اهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا ابتسم رايت النور من
ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنى آدم ولا
احد على وصف يوسف وقال انه ورث الحسن من جده اسحاق بن ابراهيم وكان
احسن الناس واسحاق هو الضاحك بالعبرانية وهو ورث الحسن من امه سارة
فان الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها صفاهن واعطى
يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة ما لم يعطه احد من العالمين
وانه كان ليأكل البقول والفواكه فترى حين يزدردها فى حلقه وفى صدره حتى
تصير الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها حواء وقال وهب الحسن
عشرة اجزا ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس عن عبد الله بن مسعود
عن النبى عليه السلام قال هبط على جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى
يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت وجهك من نور عرشى
وقيل لبعض الحكماء ايوسف احسن ام محمد فقال كان يوسف من احسن الناس
ومحمد احسن الناس يدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال نظرت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر ليلة البدر فهو احسن
فى عينى من القمر * القول فى القصة قال اهل العلم بقصص الانبياء والاخبار
الماضين كان ابتداء امر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدو محبة يعقوب له
وايثاره على سائر ولده ان الله تعالى انبت ليعقوب شجرة فى صحن داره فكان
كلما ولد له ولد اخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام
وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن
ودفعه الى ولده فولد له عشرة بنين فاعطاه الله من تلك الشجرة عشرة قضبان
فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيأ فلما كبر وشب قال لابيه
يا نبى الله انه ليس احد من اخوتى الا وله غصن الا انا فادع الله تعالى ان يخصنى
بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم انى اسئلك ان تهب
ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخوته فهبط جبريل ومعه قضيب
من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه
ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذ ذاك صبى كأن
قضيبه غرس فى الارض فعلق وتدلت اغصانه واثمر من كل ثمر ثم اتى باغصان
اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر واذا بغصن يوسف اقهرها

واصغرها فلم يزل يتعالى فى السماء ويطول حتى طال على اغصان اخوته ثم هبت
الريح فاقتلعت اغصان اخوته من اصولها والقتها فى البحر وثبت غصن يوسف
فى الارض قائما فانتبه فزعا مرعوبا فقال له ابوه ما الذى دهاك فقص عليه رؤياه
فبلغ اخوته فقالوا يا ابن راحيل لقد رايت عجبا يوشك ان تدعى انك مولانا
ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسدوه بعض الحسد قال وهب رأى
يوسف هذه الرؤيا يعنى الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه راى وهو ابن اثنى
عشر سنة الرؤيا التى قصها الله علينا فى كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه
يا ابت انى رأيت احد عشر كوكبا الاية وكان ينوّمه الى جانبه فبينما يوسف نائما
عند ابيه ليلة من الليالى اذ رأى الرؤيا التى ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز وكانت
ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره وقبل
بين عينيه وقال يا حبيب ابيه ما الذى اصابك فقال يا ابت رأيت رؤيا افزعتنى
فقال يا بنى خير رايت ما الذى رايت قال يوسف رايت كان ابواب السماء فتحت
وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم واشرقت الجبال و زخرت البحار وعلت
امواجها وسبحت الحيتان بانواع اللغات ورايت كانى البست رداء اشرقت
الارض من حسنه ونوره ورايت كان مفاتيح خزائن الارض القيت بين يدى
فبينما انا كذلك اذ رايت احد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر
فخرت والى ساجدين فقال يعقوب يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الاية
ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث الاية
قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمى ما قال يوسف
ولا تخبرى اولادى بذلك فقالت نعم فلما اقبل اولاد يعقوب من مراعيهم اخبرتهم
بالرؤيا التى امرها يعقوب بكتمها فانتفخت اوداجهم واقشعرت جلودهم على يوسف
وقالوا ما عنى بالشمس غير ابينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ثم قالوا ان
ابن راحيل يريد ان يتملك علينا فيقول انا سيدكم وانتم عبيدى فحسدوه عند
ذلك فلذلك قيل فى الحكمة لا تامنن قاريا على صحيفة ولا شابا على امرأة ولا امرأة
على سر وروى الحكم بن ظهير عن اسماعيل السدى عن عبد الرحمن عن جابر
ابن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له نستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له ما اسماؤها فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشئ حتى نزل جبريل عليه السلام فاخبره
باسمائها فارسل الى اليهودى ودعاه وقال له ان اخبرتك باسمائها اتسلم قال نعم
فقال له جريان والطارق والذيال وذو الكنفات وذو الفرع ووثاب وعمودان
وقابس والمصبح والفليق رآها يوسف فى افق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه

على ابيه قال ارى شبه فشيا جمعه الله لك فقال اليهودي هذا والله اسما وها
ويقال كان بين رؤيا يوسف فى العضن ورؤياه فى الكواكب سبع سنين فلما
كان من امر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص ابيه يعقوب اياه
بالمحبة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على ان تامروا بينهم على ان يفرقوا
بينه وبين ابيه بضرب من الاحتيال ويهلكوه قالوا فيما بينهم ما اخبر الله عنهم فى
قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال
مبين اى خطاء بين فى ايثاره يوسف واخاه علينا اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا
يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين اى تائبين فاستعدوا للتوبة
قبل وقوع الذنب قال قائل منهم وهو يهوذا وكان افضلهم واعقلهم لا تقتلوا
يوسف فان القتل عظيم والقوه فى غيابة الجب وهى البئر المطوية يلتقطه بعض
السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسن ايحسد المؤمن فقال له ما انساك بنى
يعقوب ولهذا قيل الاب جلاب والاخ سلاب فعند ذلك اجمعوا رأيهم ان يدخلوا
على يعقوب ويكلموه فى ارسال يوسف معهم الى البرية فقال لهم روبيل وهو اكبر
ولد يعقوب ان اباكم لا يامنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا الى يوسف حتى نلعب
بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق الى ذلك فاقبلوا على يوسف وهو
قاعد يسبح فجعلوا يتلاعبون ويتضاحكون بين يديه فلما راى يوسف اشتاق الى
اللعب معهم فاقبل عليهم وقال يا اخوتاه اهكذا تلعبون فى مراعيكم فقالوا نعم
يا يوسف انك لو رأيتنا ونحن نلعب فى مراعينا لتمنيت ان تكون معنا فشوقوه الى
ذلك حتى كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه انطلقوا الى ابى واسئلوه
ان يرسلنى معكم فاقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون
هكذا اذا ارادوا ان يسئلوه حاجة فلما رآهم بين يديه وقوفا صفوفا قال لهم
ما حاجتكم قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون نحوطه ونحفظه
حتى نرده اليك ارسله معنا غدا نرتع ونلعب فى الصحرا وانا له لحافظون فقال
لهم يعقوب انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون
لا تشعرون بذلك قال ابن عباس انما قال ذلك يعقوب لانه رأى فى منامه
كان يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه واذا
ذئب منها يحمى عنه وكان الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها
الا بعد ثلاثة ايام فلما راى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف الذئب فلذلك
قال لهم واخاف ان ياكله الذئب اخبرنا الحسين بن محمد بن فنجوية انا عبد الله
ابن شيبة انا ابو نعيم عبد الرحمن بن قريش انا محمد بن عمرو بن الحكم الهروى
انا مالك بن سليمان القروى انا عبيد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتلقنوا الناس الكذب فان بني يعقوب لم يعلموا
ان الذئب يأكل الانسان حتى لقنهم أبوهم فلما لقنهم وقال اني لاخاف ان يأكله الذئب
قالوا لو اكله الذئب فقال بنوه لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي عشرة رجال انا اذا
لخاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبي الله كيف يأكله الذئب وفينا شمعون اذا غضب
لا يسكن غضبه حتى يصيح فاذا صاح لا يسمعه حامل الا وضعت ما في بطنها وفينا يهوذا
اذا غضب شق السبع نصفين فلما سمع يعقوب منهم ذلك اطمأن اليهم واقبل يوسف حتى
وقف بين يدي أبيه ثم قال له يا أبت ارسلني معهم قال أو تحب ذلك يا بني قال نعم
قال اذا كان غدا اذنت لك في ذلك فلما أصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته
واخذ قميصه وخرج ثم عمد يعقوب الى السلة التي حمل فيها ابراهيم زاد اسحاق فحمل
فيها زادا ليوسف وخرج ليشيعهم فقالوا يا نبي الله ارجع فقال يعقوب يا بني
اوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسف اسألكم بالله ان جاع اطعموه وان عطش فاسقوه
وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تخذلوه وكونوا متواصلين متراحمين قالوا نعم يا أبانا
كلنا لك ولد وهو اخونا كاحدنا بل له الفضل علينا بحبك اياه فقال نعم يا بني الله
خليفتي عليكم مع اني خائف أن أكون قد ضيعته ثم انه اقبل على يوسف فالتزمه وضمه
الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف راجعا
وروى السدي ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم واسحاق بن بشر بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس عن الحسن دخل
كلام بعضهم في بعض قالوا ارسل يعقوب يوسف مع اخوته فاخرجوه مظهرين له
الكرامة فلما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم
واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا يرى منهم رحيما واخذوا ما كان زوده يعقوب
واطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشا شديدا فقال لهم
اسقوني جرعة من ماء قبل ان تقتلوني فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة
ليوسف فلما رأى يوسف ان ليس احدا منهم يعطف عليه فجعل يصيح ويقول يا أبتاه
يا يعقوب لو تعلم ما تصنع بابنك بنو الآباء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن
خالة يوسف واحسنهم فيه رأيا أليس انكم قد اعطيتموني موثقا لا تقتلوه فعند ذلك
أجمعوا على القائه في الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا أن يجعلوه في غيابة
الجب فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الأردن بين مدين
ومصر وقيل بين طبرية والقدس على قارعة الطريق في واد من أوديتها على ثلاثة
فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشة مظلمة اسفلها واسع واعلاها ضيق
يهلك من طرح فيها وحشا من سعة اسفلها لا يمكنه الصعود وكان ماؤها مالحا وكان
الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما أرادوا ان يلقوه فيه فجعلوا

يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه الى عنقه و نزعوا قميصه فقال
يا اخوتاه ردوا علي قميصي استر به عورتي ويكون لي كفنا بعد مماتي واطلقوا عني
يدي اطرد بهما عني هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا
تلبسك وتونسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت
فيه فاخرج الله تعالى على وجه الماء صخرةململمة لينة ورفعها الى يوسف فوقف عليها
وجعل يوسف يبكي فنادوه فظن انها رحمة لحقتهم فاجابهم فهموا ان يرضخوه بالحجارة
فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال لقد اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه قالوا فلما القي
يوسف في الجب اضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث
الله تعالى اليه ملكا يحل عنه قيده وكان ابراهيم حين القي في النار جرد من ثيابه وقذف
في النار عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه وكان
ذلك عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحاق فلما مات ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف
جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين
وكان لا يفارقه فلما القي في الجب عريانا جاءه الملك وكان عليه التعويذ فاخرج القميص
وألبسه اياه وجعل يونسه النهار ويروى ان الملك اتاه بسفرجلة من الجنة فاطعمه
اياها فلما أمسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عني
استوحش فقال له الملك قل اذا هبت شيئا يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين
ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شئ من أمري
فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا فحفوا به وآنسوه في البئر
ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك
هاهنا في هذا الجب قال اخوتي لابي قال ولم قال حسدوني على منزلتي من ابي قال له
أتحب ان تخرج من هذا الجب قال نعم قال قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور
ويا حاضر كل ملاء ويا شاهد كل نجوى يا قريبا غير بعيد ويا مونس كل وحيد ويا غالبا
غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا حيا لا يموت ويا محيي الموتى لا اله الا انت سبحانك
أسالك يا من له الحمد يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام اسالك ان تصلي
على محمد وعلى آل محمد وان تجعل لي من امري ومن ضيقي فرجا ومخرجا وترزقني من حيث
احتسب ومن حيث لا احتسب فجعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد اخوته فرجا
وآتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب وأوحى الله اليه وهو في البئر لتنبئن اخوتك
بما عملوا وهم لا يعلمون انك يوسف فذلك قوله تعالى لتنبئنهم بامرهم هذا وهم
لا يشعرون وقال مجاهد خرج من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يتغير
وجمع الله بينهما وهو ابن اربعين سنة اخبرنا ابو عبد الله الدينوري أنا ابو العباس
احمد بن محمد بن يوسف المصري انا ابو جعفر محمد بن جرير الطبري أنا عمران القزاز

أنا عبد الوارث أنا يونس عن الحسن قال ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وستة وعشرين سنة * رجعنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما ألقي في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها واكلوا لحمها ثم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا اصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب انهم قد اصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال ما لكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي ننتضل وكذلك هو في قراءة عبد الله وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه ملطخ بدمه فذلك قوله تعالى وجاؤا اباهم عشاء يبكون وانما فعلوا ذلك ليكونوا في الظلمة أجرى على الاعتذار وترويج ما مكروا فقد قالوا لا تطلب الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من قبح فعلك فتتلجلج في الاعتذار فلا تقدر على اتمامه روى الشعبي قال جاءت امرأة الى شريح فجعلت تبكي فقال رجل الا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء اخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه انشد في معناه

اغرك من شيخ بكاء ومهلة * ام اللحية البيضاء للنتف مطلقه

فان بني يعقوب جاؤا اباهم * عشاء وهم يبكون زورا ومخرقه

قال فلما قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق اي ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب الاية الى قوله بدم كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة قرأت عائشة بدم كدب بدال غير معجمة اي دم طري فلما قالوا ذلك ليعقوب بكا بكاء شديدا وقال لهم اروني قميصه فاروه فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئب احلم من هذا اكل ابني ولم يشق له جيبا ولا خرق له شقا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكا بكاء شديدا ثم اخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه اخبرنا ابن فنجوية انا احمد بن ابراهيم ابن شاذان أنا عبيد الله بن ثابت أنا ابو سعيد الاشج أنا ابو اسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى ابيه فقالوا اكله الذئب فقال أبوه لئن اكله الذئب ليشقن قميصه وحين سعى نحو الباب فشقت قميصه من خلف فعرف الملك انه لو كان هو الذي راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقي على وجهه فارتد بصيرا قالوا فلما أصبح اخوة يوسف من الغد رجعوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب ابيكم البارحة

فان اردتم أن يصدفكم ويخرجكم من الملامة فمروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرق
بين أضلاعه ولحمه ونجئ به الى يعقوب فقال يهوذا يا اخوتاه أين العهد الذى بيني
وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لاخبرن يعقوب بما كان منكم اليه ثم لاكونن
لكم عدوا ما بقيت فتركوه ثم انهم رجعوا الى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم
صادقين ان الذئب اكله فاين الذئب ائتونى به فعمدوا الى حبالهم وعصيهم فاخذوها
ومضوا الى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه واوثقوه كتافا ثم حملوه الى يعقوب
واوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله فحلوه فقال له يعقوب أقبل فاقبل الذئب
يتخطى القوم حتى بقى بين يدى يعقوب منكسا رأسه فقال له يعقوب أيها الذئب
اكلت قرة عينى وحبيب قلبى وثمرة فؤادى لقد اورثتنى حزنا طويلا والما عظيما
قال فتكلم الذئب وقال لا وحق شيبتك يا نبى الله ما اكلت لك ولدا وان لحومكم
ودماءكم معشر الانبياء لمحرم علينا وانى لمظلوم مكذوب على وانى لذئب غريب من
بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك ارض كنعان قال جئت لاجل قرابة لى من
الذئاب ازورهم فعند ذلك قال يعقوب لاولاده بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر
جميل وهو الذى لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان على ما تصفون قال
ابن عباس انما كان سبب بلاء يعقوب انه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جار
له فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال فمكث يوسف فى الجب ثلاثة أيام
فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذى علمه جبريل عليه السلام فجاءت سيارة
أى رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فأخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا
قريبا من الجب قال وكان الجب فى قفر بعيد من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة
وكان ماؤه مالحا فعذب حين القى فيه يوسف فلما نزلت السيارة ارسلوا رجلا
من العرب من اهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى
وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فأدلى دلوه قالوا الوارد الذى يتقدم الرفقة
الى الماء فيهيئ الارشية والدلاء فوصل الوارد الى البئر فأدلى دلوه أى أرسلها
فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه دعر فرأى احسن ما يكون من
الغلمان فقال مالك يا بشراى هذا غلام يبشر اصحابه انه أصاب عبدا وأسروه
بضاعة قال المفسرون أسر مالك بن دعر واصحابه امر يوسف من التجار الذين
معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها من بعض الناس الى مصر خيفة أن
يطلبوا منهم فيه الشركة ان علموا حاله قال وكان يهوذا يأتى يوسف بالطعام كل يوم
سرا من اخوته فاتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده فى البئر فنظر فاذا هو بمالك
واصحابه نزولا ويوسف معهم فرجع يهوذا واخبر اخوته بذلك فأتوا الى مالك
وقالوا له هذا عبد لنا أبق منا وكتم يوسف حاله مخافة ان يقتلوه فقال مالك

انا اشتريه منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين أى باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لان ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وانما قال ذلك لانهم كانوا فى ذلك الزمان لا يزنون ما كان اقل وزنه من اربعين درهما واختلف العلماء فى عدد مبلغ الدراهم التى باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدى عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة اربعون درهما وانما باعوه بهذا القدر لانهم كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال ان السبب فى استرقاق يوسف وبيعهم اياه أن ابراهيم دخل مصر فى بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة الى اربع فراسخ تعظيما له وتجليلا ولم يترجل لهم ابراهيم فاوحى الله اليه انك لم تنزل لعبادى وهم يمشون معك حفاة لاعاقبنك بان يباع ولدا من أولادك فى هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو واصحابه بيوسف ومعهم اخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد برئنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقة له وساروا به الى مصر وكان طريقهم على قبر أمه فلما رأى قبر أمه لم يتمالك أن رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول يا امى يا راحيل حلى عنى عقدة الردى وارفعى رأسك من الثرى وانظرى الى ولدك يوسف وما لقى بعدك من البلا يا أماه لو رأيتى ضعفى وذلى لرحمتينى يا أماه لو رأيتينى وقد نزعوا قميصى وشدونى وفى الجب القونى وعلى حر وجهى لطمونى وبالحجارة رجمونى ولم يرحمونى وكما تباع العبيد باعونى وكما يحمل الاسير حملونى قال كعب الاحبار فسمع يوسف منادياً من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله قال فافتقده مالك من على الناقة التى كان عليها فلم يجده فصاح فى القافلة الا ان الغلام قد رجع الى اهله فجاء اصحابه اليه وأن القوم طلبوا يوسف فرأوه فاقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد خبرونا مواليك انك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر أمى فلم اتمالك أن رميت نفسى على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده ولطم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته ويروى انهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت منزلا ولا ارتحلت الا استبان لى بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت انظر الى غمامة بيضاء تظلله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر أمره مالك بن دعر أن يغتسل فاغتسل وألبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن فاران بن عمرو

ابن عملاق بن لاود بن سام بن نوح عليه السلام ويروى ان هذا الملك ما مات
حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف حى بعده ثم ملك قابوس بن مصعب
ابن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح
عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فابى ان يسلم قال ابن عباس
لما دخلوا مصر تلقى قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا
وزوج نعال وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة الى مصر
فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه وتزايدوا حتى
بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه
اتى به منزله وقال لامرأته اكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا واسمها
راعيل بنت رعابيل قاله اسحاق بن يسار واخبرنى ابن فنجويه أنا ابن شيبة
أنا ابو حامد المستملى أنا ابو هاشم الرفاعى اسمها بكا بنت فيوش قالوا فقال لها
اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا نتبناه وقال ابن اسحاق كان قطفير
لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل حسنا ناعمة فى ملك ودنيا اخبرنا ابو بكر
الجوزقى أنا ابو العباس الدعولى بسرخين أنا على بن الحسين الهلالى انا ابو نعيم
أنا زهير عن ابن اسحاق عن ابى عبيد عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس العزيز
حين تفرس فى يوسف قال لامرأته اكرمى مثواه والمرأة التى أتت موسى فقالت
يا أبت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف
فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث الاية قالوا فلما اتى العزيز بيوسف الى
منزله وقال لامرأته اكرمى مثواه فتأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله
وقع حبه فى قلبها وعشقته فراودته أى طلبت منه متابعتها على هواها وذلك
قوله تعالى وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت
لك أى هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربى أحسن مثواى
أى يعنى زوجك قطفير سيدى انه احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون يعنى ان
فعلت هذا فخنته فى اهله بعد ما اكرمنى وائتمننى فانا ظالم له قال الله تعالى ولقد
همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشئ ما حدث المرء به نفسه
ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

هممت ولم افعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم فى ذلك قال السدى
وابن اسحاق لما ارادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له
محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو اول
من ينتثر من جسدى قالت يا يوسف ما احسن عينيك قال هى أول ما تسيل فى الارض

قالت ما احسن وجهك قال التراب ياكله فلم تزل تامره مرة وتعظمه اخرى تدعوه
الى اللذة وهو شاب مستقبل ما يجده من شبق الرجال وهي حسناء جميلة حتى لان لها
لما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها وروى
اسحاق بن يسار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من
محاورتهما قال قالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو أول شئ يبلى اذا مت قالت
يا يوسف ما احسن وجهك قال ربي تعالى صورني في الرحم قالت يا يوسف قد أنحلت
جسمي بصورة وجهك قال الشيطان يعينك على ذلك قالت يا يوسف الجنينة قد
التهبت نارا قم فاطفها فقال ان أطفيتها فمنها احتراقي قالت يا يوسف الجنينة قد
عطشت قم فاسقها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق ان يسقيها مني قالت يا يوسف
بساط الحرير قد بسط لك قم فاقض حاجتي قال اذاً يذهب نصيبي من الجنة قالت
يا يوسف ادخل معي تحت الستر فاسترك به قال ليس شئ يسترني من ربي تعالى ان
عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدري تشفيني بذلك قال سيدي أحق بذلك
مني قالت اما سيدك فاسقه كاسا فيه زيبق الذهب فيتناثر لحمه ويتساقط عن عظمه
ثم العيه في الاستبرق فالعيه في القيطون يعني المخدع لا يعلم به احد من الناس وأولئك
ملكه وقليله وكثيره قال فاين الجزاء يوم الجزاء قالت يا يوسف اني كثيرة الدر والياقوت
والزمرد فأعطيك ذلك كله حتى تنفقه في مرضات سيدك الذي في السماء فأبى يوسف
قال ابن عباس فجرى الشيطان فيما بينهما فضرب باحدى يديه الى جيب يوسف
واليد الاخرى الى جيب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى
ان حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن وروى جابر عن الضحاك عن ابن
عباس همت بيوسف ان تفترسه وهم بها يعني تمناها ان تكون له زوجة واما
البرهان الذي رآه يوسف وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه قال فاختلفوا
فيه اخبرنا ابو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبراني أنا حسن بن عطية
عن اسرائيل بن ابي حصين عن ابي سعيد قال ابن عباس لولا أن رأى برهان ربه
قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن
ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على اصبعه
قال فكل بني يعقوب ولد له اثني عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا
من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيى منه وقال قتادة رأى
صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في
ديوان الانبياء وقال السدي نودي يا يوسف لا تواقعها انما مثلك ما لم
تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع
في الارض لا يقدر أن يدفع عن نفسه ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي

لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور الذى يموت فيدخل النمل فى اصل قرنيه
فلا يستطيع ان يدفع عن نفسه اخبرنا عبد بن حامد بن محمد الاصفهانى أنا احمد
ابن محمد بن يزيد السكونى أنا محمد بن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصرى ببغداد
أنا خالد بن يزيد البصرى انا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله
ولقد همت به وهم بها فقال حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فاذا
بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا وقاما فلما ذهب عنهما الروع والرعب
عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس
لها عضد ولا معصم مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية فقام هاربا
وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته
اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت
وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل
ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه او كفه وهو
يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله فى الانبياء قال الله تعالى
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين اخبرنا يعقوب بن
احمد بن السمرى الناوسرى أنا محمد بن عبد الله النعمانى أنا عبد الله بن احمد بن عامر
الطبرستانى حدثنى ابى قال حدثنى على بن موسى الرضى حدثنى ابى عن ابيه جعفر
ابن محمد الصادق حدثنى ابى عن أبيه عن على بن الحسين فى قوله تعالى لولا ان رأى
برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فاظلت دونه بثوب قال فقال لها
يوسف ما هذا قالت أستحى ان يرانا فقال يوسف أتستحين مما لا يسمع ولا يبصر
ولا أستحى أنا ممن خلق الاشياء كلها وعلمها قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا
الى باب البيت هاربا مما ارادته فاتبعته المراة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب
يعنى تبادر يوسف وراعيل الى الباب اما يوسف ففرارا من ركوبه الفاحشة
واما المراة فطلبا ليوسف ليقضى حاجتها التى راودته عنها فادركته فتعلقت
بقميصه من خلفه فجذبته اليها مانعة له من الخروج فقدت أى خرقت وشقت
قميصه من دبر أى من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا
الفيا سيدها لدى الباب أى وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم
لراعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد بأهلك
سوءا الا ان يسجن أو عذاب اليم يعنى الضرب بالسياط عن ابن عباس وهذا كالمثل
السائر خذ اللص قبل ان ياخذك فقال يوسف بل هى راودتنى عن نفسى فأبيت

وفررت

وفررت منها فادركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد
أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد باهلك سوء غضب وقال هي راودتني عن
نفسي وشهد شاهد من أهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو قال سعيد بن جبير
والضحاك كان صبيا في المهد أنطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة
ما كان صبيا ولكن كان رجلا حكيما وله رأي وكان من خاصة الملك وقال السدي
هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه ان كان
قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه
السلام فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم اقبل على يوسف فقال يا يوسف اعرض
عن هذا الحديث لا تذكره لاحد ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك انك كنت من
الخاطئين أي من المذنبين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم
كذبت عليه قالوا وفشا أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في
المدينة وهن امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن
وامرأة الحاجب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه أي عبدها الكنعاني قد شغفها
حبا أي دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا لنراها في ضلال مبين أي خطاء
بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن وحديثهن قال ابن اسحاق
يعني بكيدهن وذلك انما قلن ذلك مكرا بها لتريهن يوسف لما بلغهن من حسنه
وجماله فاتخذت راعيل مائدة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتي عيرنها
فذلك قوله تعالى أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ اعتدت وهيأت مجلسا
للطعام وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة
يعني هيأت طعاما وقرأ مجاهد متكا خفيفا غير مهموز وهو كل طعام يحز بالسكين
وقال وهب اعتدت لهن أترجا وبطيخا وموزا ورمانا وودا وآتت كل واحدة
منهن سكينا وقالت ليوسف اخرج عليهن وكانت قد أجلسته في مجلس غير المجلس الذي
هن فيه جلوس فخرج عليهن يوسف فلما رأينه اكبرنه وهالهن أمره وبهتن وقطعن
أيديهن بالسكاكين اللاتي معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج وغيره قال
قتادة أبن ايديهن حتى القينها فما أحسسن الا بالدم ولم يجدن من حر الايدي الألم
لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام وقال وهب بلغني أن سبعا من الاربعين
امرأة متن في ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أي معاذ الله ما هذا
بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت راعيل عند ذلك للنسوة فذلكن الذي لمتنني فيه

اى فى حبه وشغفى به ثم انها أبدت لهن الميل الذى عندها فقالت أنا راودته عن
نفسه فاستعصم اى امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت
راعيل ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف حين
توعدته المرأة فى المراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة فقال رب السجن احب الى
مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن أى أميل اليهن وأتابعهن
واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم
بدى لهم أى العزيز وأصحابه من بعد ما رأوا الايات الدالة على برآءة يوسف وهو
قد القميص من دبر وخمش الوجوه وقطع النسوة أيديهن ليسجننه حتى حين قال
السدى وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس
يعتذر اليهم ويخبرهم أنى راودته عن نفسه فحبسه بعد علمه ببرآءته دفعا للتهمة عن
امرأته وذلك ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه وتكفير الزلته
قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرنى عند
ربك فلبث فى السجن بضع سنين وحين قال لاخوته انكم لسارقون قالوا ان
يسرق فقد سرق أخ له من قبل ولما سجن يوسف أدخل معه السجن فتيان وهما
غلامان كانا للوليد بن الريان صاحب مصر الملك الاكبر أحدهما خبازه وصاحب
طعامه واسمه مجاب والاخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك
فحبسهما وذلك أنه بلغه عنهما ان خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك
وكان السبب فيه أن جماعة من مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فدسوا الى هذين
وضمنوا لهما مالا ليسما الطعام للملك والشراب فاجاباهما الى ذلك ثم ان الساقى
نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر
الطعام قال الساقى ايها الملك لا تاكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب
فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشرب فلم يضره فقال للخباز كل من
طعامك فأبى فجرب ذلك الطعام فى دابة من الدواب فاكلته فهلكت فأمر الملك
بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لأهله انى أعبر الاحلام
فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب علم هذا العبد العبرانى فنترايا له فسألاه من
غير أن يكونا رأيا شيأ قال عبد الله بن مسعود ما رأيا صاحبا يوسف شيأ انما كانا
تحالما ليجربا علمه وقال قوم بل كان رؤياهما على صحة وحقيقة فسألاعنها
وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد أحببناك حين رأيناك
فقال لهما يوسف انشدكما الله تعالى لا تحبانى فوالله ما أحبنى أحد قط الا دخل
على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل على من حبها بلاء ثم أحبنى أبى فدخل على من
حبه بلاء ثم أحبتنى زوجة صاحبى فدخل على من حبها بلاء فلا تحبانى بارك الله فيكما

قال

قال فأبيا الاحبه وألفاه حيث كان وجعل يعجبهما ما يريا من فهمه وعقله
وقد كانا رأيا حين دخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف فقال الساقى ايها العالم
انى رأيت كأنى فى بستان فاذا أنا باصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عنب
فجنيتها وكان كاس الملك بيدى فعصرتها وسقيت الملك فشربه فذلك قوله
تعالى قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا يعنى عنبا بلغة عمان يدل عليه قراة ابن
مسعود أعصر خمرا اى عنبا فقال الخباز انى رأيت كأن فوق رأسى خبزا تاكل
الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين اخبرنا ابو بكر محمد بن أحمد
ابن محمد بن احمد بن عقيل أنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قالويه أنا محمد
ابن يزيد السلمى انا ابو الربيع الزهرانى انا خلف بن خليفة انا سليم عن الضحاك
ابن مزاحم فى قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل
فى السجن قام عليه فاذا ضاق عليه وسع له وان احتاج جمع له وسأل له وقال
قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم ويجتهد لربه
وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد
بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان فى هذا لأجر
وثواب فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وأحسن خلقك وأحسن حديثك
لقد بورك لنا فى جوارك انا لا نحب أن نكون فى غير هذا المكان منذ رأيناك
لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والطهارة فى ذلك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف
ابن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال
له عامل السجن والله يا فتى لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك
وأحسن ايثارك وكن فى أى بيت شئت قالوا فكره يوسف أن يعبر لهما
ما سألاه لما علم فى ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض يوسف عن سؤالهما
وأخذ فى غيره قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما
فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما أنا بكاهن ولكن ذلكما مما علمنى
ربى ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله
وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب الى آخر
الآية فأراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام واقبل عليهما وعلى
أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما
للحجة يا صاحبى السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون
من دونه الآية ثم فسر رؤياهما لما الحا عليه فقال يا صاحبى السجن أما أحدكما
وهو الساقى فيسقى ربه خمرا يعنى الملك ويعود الى منزلته التى كان عليها وأما
العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة أيام يبقى فى السجن ثم يخرج وأما الاخر فيصلب والسلال

قوله والسلال الخ لم يتقدم لها ذكر فعن غرضنا ان الخباز تأمل اه مصحح

التي رآها في المنام ثلاثة ايام ويبقى في السجن ثم يخرج فيصلب فتأكل الطير من رأسه
قال ابن مسعود ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيئاً انما كنا
نلعب ونجرب علمك هذا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ
الامر الذي عنه تسألان أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد بن الوزان أنا محمد بن
عبد الله الصفار أنا أحمد بن مهران عن أبي رزين العقيلي قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت
وأن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لا تقصها الا
على ذي رأي وقال عليه السلام الرؤيا لأول معبر فقال يوسف عليه
السلام عند ذلك للذي علم أنه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك يعني الملك
وقل له في السجن غلام محبوس ظلما فأنساه الشيطان ذكر ربه الاية والبضع
ما بين الثلاث الى العشرة واكثر المفسرين على أن البضع في هذه الاية سبع سنين
وقال وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب بخت نصر
يحول في السباع سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وروى يونس
عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا
كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى وقال
الحسن نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس وقال مالك بن دينار لما قال
يوسف للساقي اذكرني عند ربك فقيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا
لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت
ما قلت فويل لاخوتي * ويحكى ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو
في السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال كلمة يا أخا المنذرين ما لي أراك بين
المخطئين فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام
رب العالمين ويقول لك ما استحييت مني ان استشفعت بالآدميين فوعزتي
لألبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك راض قال نعم قال
اذاً لا أبالي وقال كعب الاحبار قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول
لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى ابيك قال الله تعالى قال فمن
آنسك في البئر وألبسك وأنت عريانا قال الله تعالى قال فمن نجاك من
كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال
فكيف استعنت بآدمي مثلك قال فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه
السبع سوى الخمس التي كانت قبله وذلك أنه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع
الساقي وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع بالساقي وقال له
اذكرني عند ربك بقي في السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنى فرجه

وراحته

وراحته رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة فهالته وذلك انه رأى سبع بقرات
سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت
فى بطونهن فلم يرمنها شيأ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر
يابسات قد حصدت وفركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة
والكهنة والحازة والقافة وقصها عليهم وقال يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى
ان كنتم للرؤيا تعبرون أى تفسرون فقالوا أضغاث أحلام مختلطة مشتبهة
وأهاويل وأباطيل وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما
وادكر بعد أمة اى من الفتيين وهو الساقى وادكر بعد أمة اى أحلام وتذكر حاجة
يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أى بعد سنين أنا أنبئكم بتاويله
فأرسلون أى الى السجن قال ابن عباس رضى الله عنه لم يكن السجن فى المدينة
فبعثوه فأتى بيوسف فقال له ايها الصديق أفتنا يعنى فيما عبرت لنا من الرؤيا
والصديق هو كثير الصدق فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف الى قوله
لعلهم يعلمون فضلك وعلمك فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الى
قوله وفيه يعصرون فرجع الساقى الى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل
رؤياه كالنهار وعرف الملك أن الذى قال كائن فقال الملك ايتونى بالذى عبر
رؤياى هذه فلما جاء الرسول الى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره
وبرآءته ويعرف صحة أمره من قبل النسوة فقال للرسول ارجع الى ربك أى
سيدك الملك فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن
عليم قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك شانه ما زالت
فى نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذى راود امرأتى وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد عجبت من أخى يوسف وكرمه وصبره وتقطعه الى الله تعالى والله
تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما أخبرتهم
حتى اشترط أن يخرجونى ولو كنت مكانه فلبثت فى السجن ما لبث لأسرعت الاجابة
وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله انه كان لحليما أواها قال فرجع الرسول
الى عند الملك من عند يوسف برسالته فدعى الملك النسوة اللاتى قطعن
أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه
قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء فأقرت امرأة العزيز عند ذلك وقالت الآن
حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف
قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين فقال له جبرئل
ولا حين هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسى الاية
فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفايته وديانته وعلمه وعقله

فقال ايتونى به أستخلصه لنفسى فلما جاء الرسول الى يوسف قال له أجب الملك
الآن فخرج يوسف ودعا لأهل السجن بدعاء يعرف الى اليوم وذلك أنه قال
اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار
الى اليوم فى كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا قبر الاحياء
وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم انه اغتسل وتنظف
من درن السجن ولبث ثيابا جددا حسانا وقصد الى الملك قال وهب
فلما وقف بباب الملك قال حسبى ربى من دنياى حسبى ربى من خلقه عز جاره
وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسئلك بخيرك من خيره
وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له
الملك ماهذا اللسان قال لسان عمى اسماعيل ثم انه دعا له بالعبرانية ثانيا فقال له
الملك ماهذا اللسان قال لسان أبى يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين
لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فأعجب الملك مما رأى منه وكان
يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال لمن عنده
ان هذا علم تأويل رؤياى ولم تعلمه الكهنة والسحرة ثم انه أجلسه وقال له
انى أحب ان أسمع رؤياى منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت
سبع بقرات سمان شهب حسان غر كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك
من شاطئه تشخبن اخلافهن لبنا فبينما أنت كذلك تنظر اليهن ويعجبك
حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من خبائه ووحله سبع
بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف
ولهن أنياب وضروس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن
بالسمان وافترسنهن افتراس السباع واكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن
عظامهن وتمششن مخهن فبينما انت تنظر وتتعجب اذ سبع سنبلات خضر
وسبع أخر سود فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فبينما أنت تقول فى
نفسك ماهذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد
وأصولهن فى الماء اذ هبت ريح فذرت الاذقان من السود اليابسات على الخضر
المثمرات فأشعلت فيهن النار فأحرقتهن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر
ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك والله ماشان هذه
الرؤيا وان كانت عجبا بأعجب مما سمعته منك فما ترى فى رؤياى يا أيها الصديق
فقال يوسف الصديق انى أرى أيها الملك أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا
فى هذه السنين المخصبة وتبنى الاهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه
وسنبله ليكون أبقى له ويكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس

فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن
حولها ثم تأتيك الخلق من جميع النواحي فيمتارون منك بحكمك فيجتمع عندك
من الكنوز مالا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويتبعه
ويكفيني الشغل فيه فقال له يوسف اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم
أى كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بسني المجاعة وبلغة من يأتيني
فقال له الملك ومن أحق به منك ثم ولاه ذلك كله وقال له انك اليوم لدينا
مكين أمين أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى بن مخلد بن علوية
أنا اسماعيل بن جعفر الباقرى أنا الحسين بن علوية أنا اسماعيل بن عيسى
قال أنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله
من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه أخرعنه ذلك سنة فأقام عند الملك فى بيته
سنة وروى سفيان عن عبد الله بن أبى الهذيل قال قال الملك ليوسف
انى أرى ان تخالطني فى كل شئ غير أنى آنف أن تأكل معى فقال له يوسف انا أحق
أن آنف لانى أنا ابن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله
فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل
الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلده بالسيف وأمر له بسرير من الذهب
مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير
ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون نمرقة
ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى بياض وجهه
فى صفا لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض
اليه أمر مصر وعزل قطفير مما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم هلك قطفير
عن قريب فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها فقال لها
أليس هذا خيرا مما كنت تريدين منى فقالت له أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت
امرأة حسناء ناعمة كما رأيت فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت
كما جعلك الله فى صورتك وهيأتك وغلبتني نفسى فلما بنى بها يوسف وجدها
عذراء فأصابها فولدت له ابنين أفرائيم ومنشا ابنا يوسف عليه السلام واستوثق
ليوسف ملك مصر فأقام فيهم العدل فأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى
وكذلك نجزى المحسنين وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر
يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين وللبحترى
فى هذا المعنى أما فى رسول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

ورأُ مضيق الخوف متسع الأمن * واول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف في ملكه وخلت السنون المخصبة وجاءت المجدبة جاءت بهول لم تعهد الناس مثله فأصاب الناس الجوع فلما كان بدو القحط نام الملك فبينما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط والجوع فلما دخل اول سنة من سنين الجدب هلك فيها كل شئ أعدوه من السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في أول سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في أيدى الناس منها شئ وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا اخذ وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لاحد ملك وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم حتى ان الرجل كان يشترى بولده الحنطة أو الشعير من شدة السنة فلم يبق لأحد ولد ذكر ولا أنثى الا مماليك له وباعهم في السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكا أجل من هذا وأعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فيما ترى من هذا فقال له الملك الرأى رأيك وانما نحن لك تبع فقال يوسف فاني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت اهل مصر جميعا ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم وروى أن يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اني اخاف ان شبعت أن أنسى الجائع ويروى ان يوسف أمر طباخ الملك ان يجعلوا غذاؤه نصف النهار مرة واحدة في اليوم والليلة وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويحسن الى المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غذاهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن احدا منهم وان كان عظيما من أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه الى مصر يطلب الميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه فجاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة

وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشام وكانوا أهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وانكروه لما أراد الله تعالى أن يبلغ يوسف ما أراده قال ابن عباس وكان بين أن قذفوه في الجب وبين أن دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك انكروه وقيل انه كان متزيا بزي فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك انكروه قال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فاني انكرت شانكم فقالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق الله نبي من أنبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم أنتم قالوا نحن كنا اثني عشر فذهب منا أخ الى البرية فهلك فيها وكان أحب الى أبينا منا قال أنتم كم هاهنا قالوا عشرة قال فأين الآخر قالوا عند أبينا لانه أخ الذي هلك من أمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم أن الذي تقولون حق فقالوا أيها الملك انا ببلاد لا نعرف فيها فقال يوسف فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فاني أرضى بذلك قالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسنراود عنه قال فضعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أبرهم بيوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا لفاعلون فقال يوسف عند ذلك لفتيانه أي لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم قال ابن عباس كانت بضاعتهم النعال والادم وقال قتادة كانت ورقا في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله فقال الكلبي تخوف يوسف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به اليه مرة أخرى وقيل خشي أن يشق أخذ ذلك منهم بأبيه اذ كانت السنة سنة جدب وقيل رأى أخذه لؤما ثمن الطعام من أبيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل فعل ذلك لانه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون امساكها فيرجعون اليه لاجلها فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤه مني

قوله رأى أخذه لؤما الخ لعل الصواب أي أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته مع احتياجهم اليه لؤما فرده الخ اهـ مصححه

السلام وقولوا له ان أبانا يصلى عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم انه قال لهم
أين شمعون فقالوا ان الملك ارتهنه لنأتيه ببنيامين ثم اخبروه بالقصة
فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك فقالوا له انه آخذنا وقال انكم جواسيس حيث
كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل
معنا أخانا نكتل يعنى بنيامين وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم
عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية قال كعب لما قال يعقوب فالله خير
حفظا وهو أرحم الراحمين قال الله وعزتى وجلالى لأردن عليك كلاهما بعدما
توكلت على قالوا ولما فتحوا متاعهم الذى حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم أى
ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير
أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب
لن أرسله معكم حتى تؤتونى موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم أى تهلكوا
جميعا وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى لتأتننى به الا أن
يحاط بكم الى قوله حتى تؤتونى موثقا من الله ومن قبل يمينى حتى تحلفوا لى بحق محمد
خاتم النبيين وسيد المرسلين أن لا تغدروا بأخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم
قال يعقوب الله على ما نقول وكيل أى شاهد بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده
قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك أنه خاف
عليهم العين لأنهم كانوا ذوو جمال وهيئة وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا
أولاد رجل واحد فأمرهم أن يتفرقوا فى دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم
قال وما أغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل
المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من
أبوابها كلها ما كان يغنى عنهم من الله من شئ صدق الله يعقوب عليه السلام فيما
قال الى قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف فى الكرة
الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك
به قال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندى ثم انه أنزلهم وأكرمهم
وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين على مائدة وحده
وحيدا فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لأجلسنى معه فقال لهم يوسف
لقد بقى أخيكم هذا وحيدا فريدا ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله
فلما كان الليل أمرهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم لينم كل اثنين منكم على
مثال واحد فلما بقى بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معى على فراشى فبات معه
وجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى أصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل
هذا فلما أصبح قال لهم انى لارى هذا الرجل الذى جئتم به ليس له أخ يؤنسه

فان تشاؤا فأضمه الىّ ليكون منزله معى ثم ان يوسف أنزلهم منزلا وأجرى عليهم
الطعام والشراب وأنزل أخاه لامه معه فذلك قوله تعالى آوى اليه اخاه فلما
خلى به قال له ما اسمك قال بنيامين قال له وما بنيامين قال ابن المتكل وذلك
أنه ولد لما هلكت أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت لبان بن ناخور قال
فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد
اشتققت اسماءهم من اسم اخ لى من أمى هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطرك
الى ذلك حزن شديد فما اسماؤهم قال بالعا واخير واشكل ونعيا وخير ونعمان
وأرحب واروس وحيتم وميتم قال فما هذه الاسماء قال أما بالعا فانه أخى ابتلعته
الارض وأما أخير فانه كان بكر امى وأبى وأما أشكل فانه كان أخى لابى وامى
ومنى وأما خير فانه كان نخير احيث كان واما نعمان فانه كان ناعما بين أبويه وأما
أرحب فانه كان بمنزلة الورد فى الحسن وأما أروس فانه كان منى بمنزلة الرأس
من الجسد وأما حيتم فأعلمنى أبى انه حى وأما ميتم فلو رأيت غرته لقرت عينى
وتم سرورى فقال له يوسف اتحب أن اكون أخاك بدل أخيك ذلك الهالك
فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال انى أنا أخوك فلا تبتئس
بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشئ من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمله
لهم قال كعب لما قال له انى أنا أخوك قال بنيامين فانى لا أفارقك قال
يوسف انى قد علمت باغتمام الوالد فاذا حبستك ازداد غمه ولا يمكنى حبسك الا بعد
استشهارك بأمر فظيع فقال لا أبالى افعل ما تريد فقال يوسف انى أدس صاعى
هذا فى رحلك ثم انادى عليك بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك قال افعل
فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه وكانت مشربة
يشرب بها الملك وكانت كاسا من ذهب مكللا مرصعا بالجواهر جعلها يوسف
مكيالا لا يكال بها ثم انهم ارتحلوا فأمهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف أمر
بهم فأدركوهم وحبسوا عن المسير ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون
فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف
كيلكم وفعلنا لكم ما لم نفعل لغيركم قالوا بلى وما ذاك قال سقاية الملك فقدناها
ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين
وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد احدا بسوء واسئلوا عنا من مررنا به هل اضررنا
أحدا أو أفسدنا شيأ وانا قد رددنا الدراهم لما وجدناها فى رحالنا فلو كنا
سارقين ما رددناها وفى الحديث انهم لما دخلوا مصر اكمموا أفواه دوابهم لئلا
تتناول من حروث الناس شيأ فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذى يتكهن

فيه وانه ائتمنني عليه وان لم أجده تخوفت ان تسقط منزلتي عنده وأفتضح في مصر
فمن رده علي فله حمل بعير من طعام وأنا به زعيم أي كفيل قالوا معاذ الله أن نسرق
فقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أي جزاء من وجد في رحله ان كنتم كاذبين
قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فقال الرسول
عند ذلك لابد من تفتيش أمتعتكم ولستم ببارحين حتى أفتشها ثم انه انصرف
بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه لازالت
التهمة وكان يفتش امتعتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا أنه كان لا يفتح
متاعا ولا ينظر في وعاء احد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق الا
الغلام فقال ما أظن أن هذا الغلام اخذ شيأ فقالت اخوته والله ما نتركك حتى
تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك ولأنفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع
منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء ثم أقبلوا
على بنيامين فقالوا ايش الذي صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن
راحيل لا يزال لنا منكم بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو
راحيل الذين لا يزال بهم منكم بلاء ذهبتم باخي في البرية فاهلكتموه ان الذي
وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم انهم قالوا ان يوسف
ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو المثل السائر عذره شر من جرمه
واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقتادة
السرقة التي وصفوا بها يوسف انه سرق صنما لجده أبو أمه من ذهب فكسره
وألقاه في الطريق وقال ابن جريج أمرته أمه وكانت مسلمة ان يسرق صنما
لخاله من ذهب فأخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوما فسرق يوسف بيضة
من البيت وأعطاها السائل وقال ابن عيينة دجاجة فناولها السائل فعيروه
بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره
كان أول ما دخل على يوسف من البلاء أن عمته بنت اسحاق كانت اكبر ولد اسحاق
وكانت منطقة اسحاق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت راحيل أم
يوسف ماتت فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع
وبلغ سنوات وقع حبه في قلب يعقوب فأتاها وقال لها يا أختاه سلمي الى يوسف
فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ما أنا بتاركته فلما ألح عليها يعقوب
قالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فلما
خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحاق فحزمت يوسف بها تحت
ثيابه ثم انها قالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من أخذها فالتمست فلم
توجد فلما فتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت والله انه ليسلم لي

أصنع فيه ما شئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم فى السارق فأتاها يعقوب فأخبرته
بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك لا استطيع غير ذلك فأمسكته بعلة المنطقة
فما قدر عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذى قال اخوته ان يسرق فقد
سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله
أعلم بما تصفون قال الرواة لما دخلوا على يوسف واستخرجوا الصواع من
رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال ان صاعى هذا
ليخبرنى انكم كنتم اثنى عشر رجلا وانكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فلما سمع بنيامين
قام فسجد ليوسف وقال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أحى هو فنقره ثم
قال له حى وسوف تراه فقال بنيامين اصنع بى ما شئت فانه ان علم بى سوف
يستنقذنى قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضا فقال بنيامين أيها
الملك انى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذى سرقه فجعله
فى رحلى فنقره ثم انه قال ان صواعى غضبان وهو يقول كيف تسئلنى عن صاحبى
الذى سرقنى وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم
يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله لئن لم تتركنا وتترك أخانا
لأصيحن صيحة لا يبقى فى مصر امرأة حامل الا ألقت ما فى بطنها ثم قامت كل
شعرة فى جسد روبيل وخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا ومس
أحدهم الآخر ذهب غضبه وكان يوسف قد قال لابنه قم الى جنب روبيل ومسه
فمر الغلام الى جنبه فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان فى هذا البيت لشئ
من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكر
يعقوب فانه اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله قال يوسف
أنت اذا وان كنت صادقا صادق فلما أراد يوسف أن يحتبس أخاه عنده ويصير
بحكمه وانه اولى به منهم واحتبسه ورأوا أن لا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه
أن يخليه لهم ويعطونه واحدا منهم بدله قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا
كلفا بحبه فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ الله أن نأخذ
الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا من الكذب انا اذا لظالمون
أن نأخذ بريئا بسقيم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أى خلا بعضهم ببعض
متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعنى فى القوة وهو شمعون عن مجاهد وقال
قتادة والسدى كبيرهم فى العقل والسن وهو روبيل ألم تعلموا أن أباكم قد
أخذ عليكم موثقا من الله الى قوله عسى الله أن يأتينى بهم جميعا انه هو العليم الحكيم
وتولى عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف وذلك أنه لما بلغه خبر بنيامين
تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم وقال يا أسفا

على يوسف والأسف أشد الحزن وروى سعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم عند المصيبة انا لله
وانا اليه راجعون الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين أصابه
ما أصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا أسفا على يوسف وقال الحسن كان بين
خروج يوسف من عند أبيه الى يوم الالتقاء معه ثمانين سنة لم تجف عيناه وما
على وجه الارض اكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكى وبكى قال له ولده تالله
تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أى مريضا ذاهب العقل من الهم أو تكون من
الهالكين فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم انما أشكو بثى وحزنى الى الله
لا اليكم وفى الحديث ان يعقوب كبر وضعف حتى سقطت حاجباه على عينيه
وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من
السنين ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله
تعالى الى يعقوب أتشكونى الى خلقى فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى
قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله أخبرنى
الحسين بن فنجوية أنا أحمد بن الحسن بن حامد أنا الحسين بن أيوب أنا عبد الله
ابن ابى زياد أنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السمط قال سمعت أبى يقول بلغنا
أن رجلا قال ليعقوب ما الذى أذهب بصرك قال حزنى على يوسف قال فما
الذى قوس ظهرك قال حزنى على أخيه فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكونى
وعزتى وجلالى لا اكشف ما بك حتى تدعونى فقال عند ذلك انما أشكو بثى
وحزنى الى الله فاوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لو كانا ميتين لاخرجتهما
لك حتى تنظر اليهما وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين يستطعم
فلم تطعموه منها شيأ وأن الأحب الى من خلقى الاسخياء ثم المساكين فاصنع طعاما
وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل
يعقوب وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب اتدرى لم
عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهى قال لانك شويت
عناقا وقترت على جارك واكلت ولم تطعمه ويقال ان سبب ابتلاء يعقوب
بفقد يوسف أنه كان له بقرة ولدلها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور
فلم يرحمها يعقوب فآخذه الله بذلك فابتلاه بفقد أعز ولده اليه ثم ان يعقوب
قال لبنيه يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله
قال السدى لما أخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله أحست نفس يعقوب
وطمع وقال لعله يوسف وروى انه كان رأى ملك الموت فى المنام فسأله
هل قبضت روح يوسف فقال لا والله حى يرزق وروى انه رأى ملك الموت

وزاره فقال له السلام عليك أيها الكظيم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه
ورد عليه السلام ثم قال له من أنت وما أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على
نفسي بابها لئلا يدخل على أحد لأشكو بثي وحزني الى الله فقال له يا نبي الله أنا
الذي أويتم الاولاد وأرمل الازواج وأفرق بين الجماعات قال فأنت اذا ملك
الموت قال نعم فقال له يا ملك الموت أنشدك الله الا أخبرتني هل تقبض روح
من تأكله السباع قال نعم قال فأخبرني عن الارواح أتقبضها مجموعة أو متفرقة
قال لا أقبضها جميعا الا متفرقة روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف
في الارواح قال لا قال فجئتني زائرا أم داعيا فقال يا نبي الله ما جئتك الا مسلما
فان الله تعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان في الصخرة التي عليها
قرار الأرضين وما أذن الله لي في زيارتك الا حتى أبشرك وأجيبك عما تسئلني
عنه وان شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فأعلمني يا عزرائيل
فقال يا اسرائيل الله هل تذكر الجارية التي اشتريتها عام كذا في شهر كذا ثم فرقت
بينها وبين أبويها قال نعم يا ملك الموت كأنه كان بالامس فقال له ملك الموت
فلاجل ذلك ابتليت بفقد الولد وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال
أمرت يوما بذبح جذعة فذبحتها وشويتها في يوم كذا في شهر كذا فمر تميم العابد
العبد الصالح وهو صائم ما أفطر منذ اسبوع فاشتم قتار الشوى فلم تطعمه فعند
ذلك أعتق يعقوب من كان بحضرته من العبيد والاماء وأمر أن يذبح كل يوم من
أغنامه كبشان ويفرق لحمها على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك منه وشكره
عليه وأتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
وأخيه الى قوله تعالى الكافرون قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله يعقوب
عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى في طول بلائه ساعة قط من ليل أو نهار فعند
ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف
فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز أي الملك بلغة مصر مسنا وأهلنا الضر
وجئنا ببضاعة مزجاة أي قليلة رديئة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجوز من البائع
فيها واختلف المفسرون في هذه البضاعة ما هي فقال ابن عباس كانت دراهم
رديئة زيوفا لا تنفق الا بوضيعه ابن أبي مليكة رضي الله عنه قال كانت خلقة
الغرائر والحبال رثة المتاع عبد الله بن الحارث والحسن كانت أمتعة الاعراب
الصوف والسمن والأقط الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلي فأوف
لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله
يجزيك ان تصدقت لانهم لم يعلموا أنه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلاء سئل
سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الانبياء سوى نبينا محمد صلى الله

عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى أوف لنا الكيل وتصدق علينا
أراهم سفيان أن الصدقة لهم حلالا وانما حرمت على نبينا عليه الصلاة والسلام
فقال لهم يوسف مجيبًا لهم عند ذلك هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم
جاهلون واختلف العلماء في السبب الذى حمل يوسف على هذا القول الذى
كان بدو فرج يعقوب وراحته وآخر بلائه ومحنته قال محمد بن اسحاق ذكر لي
أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فأرفض دمعه باكيا ثم
باح لهم بالذى كان بكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبي انما قال
ذلك حين حكى لاخوته ان مالك بن دعر قال انى وجدت غلاما فى بئر من حاله
كيت وكيت فابتعته من قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعنا
هذا الغلام فغاظ يوسف من ذلك فأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى
يهوذا وهو يقول كان يعقوب يبكى ويحزن لفقد واحد منا حتى كف بصره
فكيف اذا أتاه خبر قتل بنيه كلهم ثم انهم قالوا له ان أنت فعلت بنا ذلك
فابعث بأمتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم وبكى
وقال لهم ذلك الوقت هذا القول وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ
كتاب ابيه اليه وذلك ان يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف
كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز
مصر المظهر العدل والموفى الكيل أما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء فاما
جدى فابتلى بالنمرود فشدت يداه ورجلاه وألقى فى النار فجعلها الله عليه بردا
وسلاما وأما أبى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه
الله بذبح عظيم وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته
الى البرية ثم اتوا بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى
ثم كان لى ابن وكان اخاه من امه وكنت أتسلى به فذهبوا به فرجعوا وقالوا
انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان لم ترده
الى والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب
فلم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال
ذلك حين سأل أخوه بنيامين هل لك ولد قال نعم ثلاثة بنين قال فما سميتهم
قال سميت الاكبر منهم يوسف قال ولم قال محبة لك لاذكرك به قال فما سميت
الثانى قال ذئبا قال ولم والذئب سبع عاقر قال لاذكرك به قال فما سميت الثالث
قال دما قال ولم قال لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة
ولم يتمالك نفسه فقال لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون
قالوا أئنك لأنت يوسف قال ابن اسحاق لما قال يوسف لاخوته هل علمتم

ما فعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا أئنك
لأنت يوسف وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف هل
علمتم ما فعلتم الاية ثم تبسم وكان اذا تبسم كأن ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا
ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له مستفهمين أئنك لأنت يوسف وروى عطاء
عن ابن عباس انه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له
في قرنه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحاق مثلها وكان لسارة مثلها شبه
الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه قالوا أئنك لأنت يوسف
فقال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا بأن جمعنا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق
ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم انهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجرمهم
اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما
كريما موفقا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال السدى
وغيره فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن ابيه فقال ما فعل أبي من بعدي
قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة
وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا صح وعوفي فاعطاهم يوسف
ذلك القميص وهو الذى كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا
بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وائتوني بأهلكم أجمعين فلما فصلت
العير من مصر متوجهين الى كنعان قال لهم يعقوب اني لأجد ريح يوسف لولا
أن تفندون أى تسفهون ويروى أن ريح الصبا استأذنت ربها في أن
تأتي يعقوب بريح يوسف قبل ان يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها
قال ابن عباس وجد يعقوب ريح يوسف من مسير ثماني ليال وقال مجاهد
وذلك أنه هبت ريح فصفقت القميص فاحتملت الريح ريح القميص الى يعقوب
فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك
القميص قال فمن ثم علم وقال اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون فقالت له
بنوه تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير وهو يهودا بن يعقوب
قال ابن مسعود جاءه البشير من بين يدى العير قال السدى قال يهودا ليوسف
أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فأخبرته ان يوسف اكله الذئب فأعطني
اليوم القميص لاخبره أنك حي فافرحه كما احزنته قال ابن عباس حمله يهودا
وخرج ماشيا حاسرا حافيا وجعل يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة
فلم يستوف اكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتى أباه بالقميص
ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد
الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن قال يحيى بن سليمان عمن ذكره

قال كان يعقوب أكرم أهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه
فى أن يأتى يعقوب فأذن له فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذى
خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك
الموت يا يعقوب الا أعلمك كلمات قال بلى قال قل يا ذا المعروف الذى لا ينقطع
أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب فى تلك الليلة فلم يطلع الفجر
حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم أقل لكم انى أعلم
من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر
لكم ربى قال أكثر المفسرين أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة
عاشوراء وذلك أن الدعاء فى الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى
الوعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم
اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما جنوا على أخيهم يوسف
فأوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة
جمعة فى نيف وعشرين سنة وقال طاوس أخره الى السحر من ليلة الجمعة
ووافق ليلة عاشوراء اخبرنا الحسين بن محمد بن فنجوية أنا عبد الله بن محمد
ابن شيبة انا احمد بن السفر بن ثوبان البصرى انا اسحاق بن زياد الارملى أنا
الفضل بن حميد البغدادى أنا اسحاق بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن أبى سلمة
عن عطاء الخراسانى قال طلب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ الا ترى
قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف أستغفر لكم
ربى ويروى أن يعقوب قال للبشير لما اخبره بحياة يوسف قال كيف يوسف
قال انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين
الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة وقال الثورى لما التقى يعقوب
ويوسف عليهما السلام عانق كل منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت
على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى يا بنى ولكن خشيت أن
تسلب دينك فيحال بينى وبينك قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا
ومائتى راحلة وسأله أن يأتيه بأهله وولده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج
الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذى فوقه فخرج
مع يوسف فى أربعة آلاف من الخيل وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب
وكان يعقوب يمشى متوكئا على يهودا فنظر يعقوب الى الخيل والناس فقال
يا يهودا هذا فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنى كل واحد من صاحبه
ذهب يوسف يبدأه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب افضل وأحق
بذلك منه فابتدأ يعقوب فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما دخلوا

على

على يوسف آوى اليه أبويه ورفعهما على العرش وأبويه يعقوب وخالته ليا فسمى
الخالة أماكما يسمى العم أباكما فى قوله تعالى نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسحاق
ويعقوب وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له
تحقيقا للرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له سجدا وكان تحية الناس يومئذ السجود
ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأى يوسف أبويه واخوته قد
خروا له ساجدين اقشعر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من
قبل قد جعلها ربى حقا الآية قال وهب دخل يعقوب وولده مصر وهم
اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم
ستمائة الف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والهرما والزمنا
وكانت الذرية الف الف سوى المقاتلة وقال الفضيل بن عياض بلغنا ان يعقوب
عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف ومملكته فكان يطوف يوما من الايام
فى خزائنه فرأى خزانة ليوسف مملوءة قراطيس بيض فقال له يا بنى لقد تغيرت
بعدى لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تكتب الى كتابا فقال يوسف
هذه القراطيس كلها لك كنت كلما زاد شوقى وكثر حنينى آخذ ورقة حتى اكتب
اليك يا أبت فيمنعنى جبريل أن اكتب اليك فاتركها فى هذه الخزانة حتى بلغ هذا
المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعنى ربى فسأل الله عن ذلك فأوحى
الله اليه لانك قلت اخاف ان يأكله الذئب فهلا خفتنى هذه العقوبة لأجل
تخوفك من غيرى وروى صالح المرى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك
قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله خلى ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس
قد علمتم ما فعلتم بالشيخ وبيوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم
بربكم فاستقام امرهم على ان يأتوا الشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى
جانب أبيه قاعد فقالوا يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم
ينزل بنا قط مثله فادركاه والانبياء ارحم البرية فقال ما لكم يا بنى فقالوا ألست
تعلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلستما قد عفوتما
عنا قالا بلى قالوا فان عفوكما لا يغنى عنا شيأ ان الله تعالى لم يعف عنا قال فما
تريدون يا بنى قالوا نريد أن تدعو الله لنا فاذا جاءك الوحى من عند الله سله هل
عفا الله عنا فان اجابك بانه قد عفا عنا وعما صنعنا قرت اعيننا واطمأنت قلوبنا والا فلا قرت لنا عين
فى الدنيا أبدا فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم
خلفه أذلة خاشعين فدعا وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا
من عشرين سنة قال صالح المرى يخيفهم ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب
فقال ان الله تعالى بعثنى اليك ابشرك بانه قد اجاب دعوتك فى ولدك بانه قد عفى

عنهم وعما صنعوا وانهم قد انعقدت مواثيقهم بعد لك على النبوة قالوا فأقام
يعقوب بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعة وعشرين سنة بأغبط حال
وأهنى عيش وأتم راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع
ولده وقال ماتعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسحاق
ثم قال يا بنيّ ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم انه اوصى
الى يوسف ان يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى تدفنه عند أبيه اسحاق وجده
ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس في تابوت من ساج وخرج معه
يوسف في عسكره واخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك اليوم وفاة عيصا
فدفنا في قبر واحد في يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة سنة وسبعا وأربعين
سنة لانهما ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد قال فلما جمع الله ليوسف
شمله وأقر له عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان وأهله موسعا عليهم في ملك
الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له ولا بد من فراقه فاراد نعيم الجنة
اذ هو أفضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن نبي
قبله ولا بعده الموت فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث
الاية ويروى ان يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بني اسرائيل
وهم ثمانون رجلا واعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به فقالوا
يا نبي الله نحب ان تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا من بعد خروجك من بين
اظهرنا والى ما يؤل اليه أمرنا وأمر ديننا وملتنا فقال ان أمركم يستقيم على
ما انتم عليه وتستقيمون على دينكم الى ان يبعث رجل جبار عات من القبط يدعي
الربوبية فيقهركم ويذبح ابناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمتد يده مدة فرعون من القبط
مديدة ثم يخرج من بني اسرائيل من ولد لاوي بن يعقوب رجل اسمه موسى
ابن عمران عليه السلام رجل طويل جعد الشعر ادم اللون فينجيكم الله من أيدي
القبط على يديه قال فجعل كل رجل من بني اسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي
عمران ابنه موسى قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم
يوسف انه يستقيم أمركم ما دام يصرخ فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار
فانه يسكن ولا يصرخ مدة ولايته حتى اذا انقضت مدة ولايته وأذن الله
تعالى بمولد هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك
علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبي الله في الارض فما زالوا يراعون الحال
الى أن سكن صراخ الديك فوجموا له واكتأبوا وأيقنوا بوهاء اركان دينهم
واظلال ما انذرهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا لذلك الديك الى أن
صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدقوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة

ثم

ثم مات يوسف عليه السلام وكان قد أوصى الى اخيه يهودا واستخلفه على بني
اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن في النيل في صندوق من رخام وذلك
انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن في محلتهم لما يرجون من بركته
فاجتمعوا على ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا أن يدفن في النيل حيث تتفرق
المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون فيه كلهم شركاء سواء
ففعلوا ذلك وكان قبره في النيل الى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج
من مصر ببني اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الحصن حيث
هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك منهم وروى
يونس بن عمر عن أبي موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابي
فاكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرمتنا فاحسنت سل حاجتك
فقال ناقة برحلها واعنز يحلبها أهلي فقال صلى الله عليه وسلم أعجز هذا أن يكون
مثل عجوز بني اسرائيل فقالوا يا رسول الله وما عجوز بني اسرائيل فقال ان بني بني
اسرائيل لما سار ببني اسرائيل أضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا
فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج
من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبني اسرائيل
فبعث اليها موسى فأتته فقال موسى دليني على قبر يوسف فقالت له تعطيني حكمي
قال وما حكمك قالت ان اكون معك في الجنة فكره أن يعطيها حكمها فاوحى الله
اليه أعطها حكمها ففعل ويروى من طريق آخر ان هذه العجوز كانت مقعدة
عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا أخبرك
حتى تعطيني اربع خصال تطلق ارجلي وتعيد الى بصري وشبابي وتجعلني
معك في الجنة قال فكبر ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه ان اعطها ما سألت
فانك انما تعطي على ففعل فانطلقت بهم الى موضع عين في مستنقع ماء فاستخرجوه
من شاطئ النيل في صندوق من مرمر فلما فكوا تابوته طلع القمر واضاء الطريق
مثل النهار فاهتدوا به وحملوه قال اهل التاريخ عاش يوسف بعد موت
يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة
صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين * مجلس في قصة موسى بن ميشا مطلب في قصة موسى ابن ميشا
ابن يوسف عليه السلام وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى أن يوسف
عليه السلام ولد له ابنان احدهما يقال له افرائيم والآخر ميشا وابنة يقال لها
رحمة هي امرأة النبي ايوب عليه السلام فولد لافرائيم نون وولد لنون يوشع
وهو فتى موسى بن عمران وخليفته على بني اسرائيل واما ميشا فولد له موسى
فنبأه الله تعالى فزعم اهل التوراة انه صاحب الخضر والعامة من العلماء على ان

صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط وكثروا ونموا وظهر فيهم ملوك فغيروا واسيرتهم وأفسدوا في الارض وفشى فيهم السحرة والكهان فبعث الله تعالى اليهم موسى ابن ميشا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره واقامة سننه وذلك قبل مولد موسى ابن عمران بمائتى سنة فأطاعه قوم منهم وعصاه آخرون وقال وهب وغيره ان مما اوحى الله اليه أن قل لقومك انى برئ ممن سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له او تطير او تطير له من آمن بى صادقا وتوكل على فانى كنت له كافيا ومبينا وكفيته هم دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بى ومن عدل عنى ووثق بغيرى فأنا أغنى الشركا عن الشرك اكله الى من وثق به دونى ومن وكلته الى غيرى فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عنى كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب منى كنت اليه أشد تقربا منه الى وقل لعبادى لا تغفلوا عن ذكرى وليكثروا ذكر الموت عند الشهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ماشاء الله تعالى أن يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين * مجلس فى ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الاية روى سفيان عن منصور عن ابى وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج فى طلب ابل له ضلت اى شردت فبينما هو فى صحارى عدن فى تلك الفلوات اذ وقع على مدينة فيها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال فلما دنى منها ظن أن فيها من يسأله عن ابله فلم يرفيها أحدا لا داخلا ولا خارجا فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم يرفى الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من يافوت أصفر وياقوت أحمر ضوءهما قد ملاء المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح احدى البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من ابواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحد اخذه الفزع ثم انه نظر الى الازقة فاذا فى كل زقاق منها اشجار قد أثمرت تحتها أنهار تجرى فيها فقال هذه الجنة التى وصفها الله لعباده فى الدنيا والحمد لله الذى

مطلب قصة ارم ذات العماد

أدخلني الجنة ثم انه حمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيئ ولا من يواقيتها لانها كانت مسبكة في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منثورا بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج ثم انه سار يقفوا أثر ناقته حتى رجع الى اليمن فأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير من طول الزمان الذي مر عليه ففشى خبره حتى بلغ معاوية بن أبي سفيان فأرسل رسولا الى صاحب صنعا وكتب اليه باشخاصه فشخص حتى قدم على معاوية فخلى به ثم سأله عما عاين فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وانكر ما حدثه به وقال له ما أظن ما تقوله حقا ثم ان الرجل قال له يا أمير المؤمنين ان معي من متاعها الذي هو مفروش في قصورها وغرفها وبيوتها فقال له ما هو قال اللؤلؤ وبنادق المسك فقال له أرني اياه فعرض عليه مما حمله من المدينة من اللؤلؤ والبنادق فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فأمر ببندقة منها فدقت فسطع ريحها مسكا وزعفرانا فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف أصنع حتى اسمع باسم هذه المدينة ولمن هي ومن بناها والله ما أعطي أحد مثل ما اعطي سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يجد خبر هذه المدينة الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين أن يبعث اليه ويأمر باشخاصه ويغيب عنه هذا الرجل في موضع بحيث لا يغيب عنه ليسمع كلامه منه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة فليفعل فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخلها لان مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا ان يكون سبق له بالكتاب دخولها فيعرف ذلك فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فأحضر فلما رآه معاوية قال له يا أبا اسحاق اني دعوتك لامر رجوت أن يكون علمه عندك فقال له يا أمير المؤمنين سلني عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا اسحاق هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في الأزقة تجري تحت الاشجار فقال كعب والذي نفس كعب بيده لقد ظننت أني سأتوسد يميني قبل أن يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هي ومن بناها اما تلك المدينة فهي حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصف له وأما الذي بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهي ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فقال له معاوية يا أبا اسحاق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب يا أمير

المؤمنين ان عادا كان له ابنان فسمى احدهما شديد والآخر شداد فهلك عاد وبقيا بعده فى زمانهما فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد وأخذاها عنوة وقسرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد من الناس الا دخل فى طاعتهما لا فى شرق الارض ولا فى غربها وأنهما لما صفى لهما ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد وبقى شداد بن عاد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه على أن يجعل تلك الصفة لنفسه فى الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك فى نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التى هى ارم ذات العماد ثم أمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى أطيب بقعة فى الارض وأوسعها واعملوا فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائسا فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الانهار حتى تكون تلك الانهار جارية فانى أرى فى الكتب صفة الجنة وانى أحب أن اتخذ مثلها فى الدنيا وأتعجل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت والذهب والفضة فنبنى بها كما وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون أن ملك الدنيا كلها بيدى قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأى بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجلا يخرج لكم ما فى كل معدن من تلك الارض ثم انظروا الى ما فى أيدى الناس من ذلك بجدوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وما فيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة قال فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك فى الدنيا كتابا يأمره أن يجمع لهم ما فى بلده من الجواهر وأن يحفر معادنها فانطلق تلك القهارمة واعطوا كل ملك من الملوك كتابا بأخذ ما يجده فى أيدى الناس فبقوا على تلك الحال عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجوا الى فعله من ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة ثم أخذوا الفعلة يطلبون موضعا كما أراد ووصفه لهم فلم يجدوا ذلك الا فى أرض أبين من بلاد عدن فقال معاوية يا أبا اسحاق كم عددا أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك الفعلة والقهارمة ليجدوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك حتى وقعوا على صحراء عظيمة نقية من التلال والجبال واذا هم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التى امرنا بها فأخذوا بقدر ما أمرهم من العرض والطول ثم جعلوا

لها

الماحدود امحددة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التي فيها الحدود فاجروا فيها القنوات
لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس فى صخور الجذع اليمانى وعجنوا ذلك الاساس من
دهن البان والمحلب فلما فرغوا مما وضعوا من الاساس واجروا القنوات ارسل الملك
اليهم الجواهر والذهب فمنهم من بعث بالعمد مفروغا منها ومنهم من بعث بالذهب
والفضة مصنوعة مفروغا منها فدفعوا كل ذلك الى اولئك القهارمة والوزراء
فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما يريد شداد فقال معاوية يا أبا اسحاق
انى لاحسبهم أقاموا فى بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا امير المؤمنين انى لاجد فى التوراة
انهم أقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان
عمره سبعمائة سنة فقال له معاوية لقد أخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال يا أمير
المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد للعمد التى
تحتها من الزبرجد والياقوت وليس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت
غيرها فلذلك قال لم يخلق مثلها فى البلاد قال كعب انهم لما اتوه واخبروه بفراغهم
منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كل
قصر ألف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائى ويكون كل علم
منها عليه ناظور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم أتوه
فاخبروه بالفراغ مما امرهم به قال فأمر ألف وزير من خاصته ان يهيئوا اسبابهم
ويعملوا على النقلة الى ارم ذات العماد وأمر رجالا ان يسكنوا تلك الاعلام وان
يقيموا فيها اليلهم ونهارهم وأمرهم بالعطاء والارزاق وأمر الملك لمن اراد من
نسائه وخدمه ان يتجهزوا الى ارم ذات العماد فاقاموا فى جهازهم عشرين سنة
ثم سار الملك بمن اراد وتخلف من قومه من أراد الى أرض أبين والذى تخلف
اكثر مما سار به فلما استقل وسار اليها ليسكنها وبلغ منها موضعا وبقى بينه
وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه
صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان
معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها الى الساعة فهذه صفة
ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك هذا ويرى ما فيها
فيحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يا ابا اسحاق هل تصفه لنا قال نعم
هو رجل احمر اشقر قصير على حاجبيه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له
فى تلك الصحارى فيقع فى ارم ذات العماد ويدخلها ويحمل مما فيها وكان الرجل
جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال هوذاك يا أمير المؤمنين
قد دخلها فاسأله عما حدثت به فقال معاوية يا ابا اسحاق ان هذا من خدمى ولم
يفارقنى قال قد دخلها والا سوف يدخلها وسيدخلها أهل هذا الدين فى آخر

الزمان فقال معاوية يا ابا اسحاق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد
أعطيت من علم الاولين والآخرين مالم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذي
نفس كعب بيده ماخلق الله في الارض شياء الاوقد فسره في التوراة لعبده موسى
عليه السلام تفسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا ووكيلا قال
الشعبي اخبرنا دغفل الشيباني عن رجل من أهل حضرموت يقال له بسطام
انه وقع على حفيرة شداد بن عاد في جبل من جبال حضرموت وان الناس تهيب
دخولها فلم أجفل مماكنت اسمع من ذلك فبينما انا في نادي قومي اذ انشدوا
حديث تلك المغارة واطنبوا في ذكرها ووصفوا موضعها فقلت لقومي اني غير
ميت حتى أدخلها فهل فيكم من يساعدني فقال فتى منهم حديث السن انا صاحبك
قلت يابن أخي أو تجسر على ذلك قال عندي ما لاعند رجل من شدة الجاش وقوة
القلب فهيأنا شمعة وحملنا معنا اداوة عظيمة مملوءة ماء وطعاما مقدار ماقوينا
على حمله ثم مضينا نحو المغارة وكانت مشرفة على البحر في المكان الذي يركب منه اهل
حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب المغارة حزمنا علينا ثيابنا واشعلنا الشمعة
ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الاداوة من الماء وذلك الطعام فاذا
مغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا وطولها علوا نحوا من خمسين ذراعا
فمشينا فيها هونا في طريق املس مستو ثم أفضينا الى درجة عالية عرض الدرجة
عشرون ذراعا في سمك عشرة اذرع فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرج فقلت
لصاحبي هلم الي يدك فكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام في الدرجة
تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلاي على منكبيه فلم نزل
كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فأفضينا
الى أرج عظيم محفور في الجبل في طول مائة ذراع وعرض أربعين ذراعا وسمكه
في السماء قدر مائة ذراع في صدره سرير من ذهب مفصص بصنوف الجواهر
وفوقه رجل عادي عظيم الجسد قد أخذ طول ذلك الارج وعرضه وهو مضطجع
على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك
الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الارج يضئ من ثقب عرضه ذراعان
وارتفاعه ثلاثة اذرع خارجا الى فضاء لم يدر ماهو واذا على رأس السرير لوح
من ذهب عظيم فيه كتابة بالمسند وهي كتابة كاتب عاد كتبه في زمانه محفور
ذلك الكتاب في اللوح حفرا فقلعناه ودنونا من ذلك الرجل فمسسنا تلك الحلل
فصارت رميما وبقيت قضبان الذهب قائمة فجمعناها فكانت مقدار مائة رطل
فجعلناها في أزرنا وأرديتنا وانا أردنا قلع شئ من تلك الجواهر المفصص بها
السرير فلم نقدر عليه لوثاقته فتركناها وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الارج

وطفئت الشمعة التى كانت معنا فلما اصبحنا قلت لصاحبي ماترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذا الدرج وانا لا نستطيع صعودها لاسيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا نلزم هذا الضوء الذى نراه فى هذا الثقب فانى أرجو أن يخرج بنا الى الفضا ان شاء الله تعالى فقلت لعمري ان هذا لهو الرأى فنهضنا بما معنا من تلك القضبان التى من الذهب وحملنا ها مع ذلك اللوح الذى كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشي فى طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف فى ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتموّن من الماء والطعام الذى كان معنا فلما كان اليوم الرابع نظرنا الى مركب قد أقبل فى البحر فلوحنا اليه فنظر الينا أهله فأرسلوا لنا القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الى بقسطي ثم ان أنفسنا دعتنا الى العود الى ذلك السرب مما يلي الثقب فركبنا قاربا وسرنا فى البحر نحو المكان الذى نزلنا منه فخفي علينا مكانه فعلمنا أنا لم نرزق منه الا ما أخذنا فرجعنا وان اللوح مكث عندي حولا لا أجد أحدا يقرؤه لى حتى أتانا رجل من أهل صنعاء حميري كان يحسن قراءة تلك الكتابة فأخرجت اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات

اعتبر بى ايها المغـ * ـرور بالعمر المديد
فأنا شدّاد بن عا * دٍ صاحب الحصن العميد
وأخو القوّة والبا * س والملك الحشيد
دان أهل الارض طرا * لى من خوف وعيد
وملكت الشرق والـ * ـغرب بسلطان شديد
وبفضل الملك والـ * ـعزة فيه والعديد
فأتانا هود وكنا * فى ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا * ه الى الامر الرشيد
فعصيناه وناديـ * ـنا ألا هل من محيد
فأتتنا صيحة تـ * ـهوى من الارض البعيد
فتوافينا كزرع * وسط بيداء حصيد

قال دغفل سألت علماء حمير عن شداد وقلت انه أصيب وقد كان دنى من ارم ذات العماد فكيف وجد فى تلك المغارة وهى بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة ملك من بعده سيره ابن شداد وكان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فأمر بحمل أبيه الى حضرموت فحمل مطليا

مطلب قصة اصحاب الرس

بالصبر والكافور ثم امر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير
الذى من الذهب *(مجلس فى ذكر قصة اصحاب الرس)* قال الله تعالى
وعادا وثمودا واصحاب الرس اختلف العلماء اهل التفسير واصحاب الاقاصيص
منهم فقال سعيد بن جبير والكلبى والخليل بن احمد دخل كلام بعضهم فى بعض
وكل أخبر بطائفة من حديث اصحاب الرس ان اصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح
وهم أصحاب البئر التى ذكرها الله تعالى فى كتابه فى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر
مشيد وكانوا ببلد اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر
فهى رس وكان لهم نبى يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له
فلح مصعدا فى السماء ميلا وكانت العنقا تبيت به وهى كأعظم ما يكون من الطير
وفيها من كل لون وسموها العنقا لطول عنقها وكانت فى ذلك الجبل تنقض
على الطير تاكلها فجاعت ذات يوم وأعوزها الطير فانقضت على صبى فذهبت
به فسميت به ثم ضمته الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا
ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها اية تذهب
بها فاصابتها صاعقة فاحترقت فلم يرلها اثر بعد ذلك فضربت بها العرب مثلا
فى أشعارها وحكمها وأمثالها ثم ان اصحاب الرس قتلوا نبيهم فاهلكهم الله
تعالى وقال بعض العلماء بلغنى انه كان رسان اما احدهما فكان أهله أهل
بدو وعمود واصحاب غنم ومواشى فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا
آخر وعضده بولى فقتلوا الرسول وجاهدهم الولى حتى أفحمهم وكانوا يقولون
الهنا فى البحر وكانوا على شفير البحر وكان يخرج من البحر شيطان فى كل شهر خرجة
فيذبحون عنده ويتخذونه عيدا فقال لهم الولى أرأيتم ان خرج الهكم الذى
تدعونه وتعبدونه الى وأطاعنى أتجيبوننى الى ما دعوتكم اليه قالوا بلى فأعطوه
على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا
أربعة أحوات وله عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له
سجدا فخرج الولى عليه وقال له ائتنى طوعا اوكرها بسم الله الكريم فنزل عند ذلك
من على أحواته فقال له ائتنى عليهم لئلا يكون القوم فى أمرهم على شك فاتى الحوت
وأتت به الحيتان حتى أفضوا به الى البرية يجرونه ويجرهم فلما رأوا ذلك سحروا
به وكذبوه ونقضوا العهود فبعث الله اليهم ريحا فألقتهم فى البحر هم ومواشيهم
جميعا وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآنية فأتى الولى الصالح الى البحر وأخذ
الذهب والفضة والاوانى فقسمها على أصحابه بالسوية على الصغير والكبير وانقطع
ذلك النسل وأما الاخر فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان
فيهم أنبياء كثيرة لايقوم فيهم نبى الا قتلوه وذلك النهر بمنقطع أذربيجان

بينها وبين أرمينية فاذا قطعته مدبرا دخلت فى حد أرمينية واذا قطعته مقبلا
دخلت فى حد اذربيجان وكان من حولهم من أهل أرمينية يعبدون الاوثان ومن
قدامهم من اهل أذربيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى العذارى
فاذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم
ثلاث فراسخ وكان يرتفع فى كل يوم وليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التى حوله وكان
لا ينصب فى بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع اليهم فبعث الله
تعالى اليهم ثلاثين نبيا فى شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا وأيده
بنصره وبعث معه وليا فجاهدهم فى الله حق جهاده ثم بعث اليه ميكائيل حين نابذوه
وكان فى أوان وقوع الحب فى الزرع وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونوا الى الماء
فنفجر نهرهم الى البحر وانصب ما فى أسفله وأتى الى عيونه من فوق فسدها وبعث
الله اليه خمسمائة ألف من الملائكة اعوانا له ففرغوا ما بقى فى وسط نهرهم ثم أمر الله
جبريل فنزل فلم يدع فى أرضهم عينا ولا نهرا الا أيبسه باذن الله تعالى وأمر ملك
الموت فانطلق الى المواشى فأماتها دفعة واحدة وأمر الارياح الاربع الجنوب
والشمال والدبور والصبا فضمت ما كان لهم من متاع وألقى الله تعالى عليهم
السبات ثم خفقت الرياح الاربع بذلك المتاع أجمع فرمته فى رؤس الجبال وبطون
الاودية فاما ما كان من حلى وتبر وآنية فان الله تعالى أمر الارض فابتلعته فاصبحوا
لا شاة ولا بقرة ولا مال يعودون اليه ولا ماء يشربون ولا طعاما يأكلون
فآمن بالله بعد ذلك قليل منهم وهداهم الله الى غار فى جبل له طريق من خلفه فنجوا
وكانوا احدى وعشرين رجلا وأربع نسوة وصبيين وكان عدة الباقى من
الرجال والنساء والذرارى ستمائة ألف ماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية
ثم عاد القوم الى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك
مخلصين أن يجيئهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلا لئلا يطغوا فأجابهم
الله تعالى الى ذلك لما علم من الصدق فيهم وتحقيقا من الاخلاص وقالوا انه لا يبعث
الله رسولا الى من يليهم ويقاربهم الا أغاثوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق
فاطلق لهم نهرهم وزادهم على ما سألوه فاقام اولئك القوم فى طاعة الله ظاهرا
وباطنا حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله فى
الظاهر ونافقوه فى الباطن وأمر الله عليهم قادر وكانت معاصيهم اكثر من
طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقهم وخالفهم فاسرع
فيهم القتل وبقيت شرذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق أحد وبقى نهرهم
ومنازلهم مائتى عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقرن بعد ذلك فنزلوها وكانوا
صالحين سنين ثم أحدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو بنته وأخته وزوجته

فيبيت معها جاره او أخاه اوصديقه يلتمس بذلك البر والصدقة والصلة ثم
ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنى الرجال
بالرجال فجاءت للنساء شيطانة فى صورة امرأة وهى الدلهاث بنت ابليس وهى
أخت الشيطان كانا فى بيضة واحدة فشهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن
كيف يصنعن فأصل ركوب النساء من الدلهاث فسلط الله تعالى على ذلك القرن
صاعقة فى أول ليلهم وخسفا فى آخر الليل وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية
وبادت مساكنهم ولا أحسب منازلهم اليوم مسكونة وروى على بن الحسين
ابن زين العابدين عن أبيه عن على بن ابى طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من
اشراف بنى تميم يقال له عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين اخبرنى عن اصحاب الرس
وفى أى عصر كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم
رسولا ام لا وبماذا اهلكوا فانى أجد فى كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم
فقال له امير المؤمنين لقد سألتنى عن حديث ما سألنى عنه احد غيرك ولا يحدثك
به احد بعدى وكان من قصتهم يا اخا تميم انهم كانوا يعبدون شجرة صنوبر
يقال لها شاه درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوشا
كانت انبعثت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وانما سموا اصحاب الرس لانهم
رسوا انبيهم فى الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليه السلام وكان لهم
اثنى عشر قرية على شاطئ البحر يقال لها الرس من بلاد المشرق وبهم سمى ذلك
النهر ولم يكن يومئذ فى الارض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى اكثر
سكانا وعمرانا منها وكان أعظم منازلهم اسفنديا وهى التى كانت ينزلها ملكهم
وكان يسمى مركوز بن عابور بن يلوش بن سارب بن النمرود بن كنعان نمرود
ابراهيم عليه السلام وفيها العين التى يسقون منها الصنوبرة التى كانوا يعبدونها
وقد غرسوا منها فى كل قرية حبة من طلع تلك الصنوبرة فتنبت تلك الحبة وتصير
شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منها لاهم ولا أنعامهم
ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هى حياة آلهتنا فلا ينبغى لاحد أن ينقص من
حياتها ويشربون هم وانعامهم من نهر الرس الذى عليه قراهم وقد جعلوا فى
كل شهر من السنة فى كل قرية عيد يجتمعون اليه اهلها ويضربون على تلك الشجرة
مظلة من الحرير فيها من اصناف الصور ثم يأتون بشياه فيذبحونها قربانا للشجرة
ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها
وبخارها فى الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجدا للشجرة يبكون
ويتضرعون اليها ان ترضى عليهم وكان الشيطان يجئ فيحرك أغصانها ويصيح
فى ساقها صياح الظبى عبادى قد رضيت عنكم فطيبوا انفسا وقروا عينا

فيرفعون عند ذلك رؤسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون
على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع
اليه صغيرهم وكبيرهم فضربوا عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ساج
عليه من أنواع الصور له اثنى عشر بابا كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون
للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليها الذبائح اضعاف ما قربوا للشجرات
التى كانت فى قراهم فيجئ ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم
من جوفها كلاما جهوريا يعدهم ويمنيهم باكثر مما وعدتهم الشياطين جميعها
فيرفعون رؤسهم من السجود ولهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون ولا يتكلمون
فيديمون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثنى عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم
فى السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعنادهم بعث الله اليهم نبيا
من بنى اسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى
الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة
ما هم فيه من الغى والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من الرشد والصلاح
حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك أبوا تصديقى ودعوتى اليهم
وما أرادوا الا تكذيبى والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأيبس
شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فهالهم
ذلك وخضعوا فصاروا فرقتين فرقة قالت سحر هذا الرجل الذى زعم أنه
رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم الى الهه وفرقة قالت بل
غضبت عليكم آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة
غيرها فحجبت حسنها وبهاءها وجمالها لكى تغضبوا لها فتنتصرون منه فاجمعوا
امرهم على قتله فاتخذوا أمثال بيت واتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة
الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرابخ ثم
حفروا فى قعرها بئرا ضيقة العين عميقة فأرسلوا فيها نبيهم وألقوا على فيها صخرة
عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجوا ان ترضى عنا آلهتنا
اذا رأت انا كنا قد قتلنا من يقع فيها ويصد عن عبادتها وأننا دفناه تحت
كبيرها يتشفى فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم
يسمعون أنين نبيهم وهو يقول سيدى ومولاى ترى ضيق مكانى وشدة كربى
فارحم ضعف ركنى وقلة حيلتى وعجل قبض روحى ولا تؤخر اجابة دعوتى حتى
مات عليه السلام فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام انظر عبادى هؤلاء
الذين غرهم حلمى وأمنوا مكرى وعبدوا غيرى وقتلوا رسولى وأنا المنتقم
ممن عصانى ولم يخش عذابى وانى حلفت بعزتى لاجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين

فبينما هم فى عيدهم اذ غشيهم ريح عاصف حمرا فتحيروا فيها ودعروا منها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم حجر كبريت تتوقد واظلتهم سحابة سودا فالقت عليهم جمرا كالقبة تلتهب فاذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص فى النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

مطلب فى ذكر قصة ايوب عليه السلام

* (مجلس فى ذكر قصة نبي الله ايوب عليه السلام) * قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقوله تعالى وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين قال وهب وكعب وغيرهم من اهل الكتب كان أيوب رجلا من الروم وكان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر وهو ايوب بن اموص بن تارخ بن روم بن عيصا بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكان له البثنية من ارض الشام كلها سهلها وجبلها وما كان فيها وكان له من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه فى العدة والكثرة وكان لديها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان اتان ولكل اتان ولد من الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله اعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء وكان امرأ تقيا رحيما بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لأنعم الله تعالى مؤديا لحقه قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما أصاب من أهل الغنا من الغرة والغفلة والتشاغل والسهو عن امر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من اهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولا قال وهب ان لجبريل عليه السلام بين يدى الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله فى القربة والفضيلة وان جبريل هو الذى يتلقى الكلام فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم تلقاه ميكائيل وحوله الملائكة المقربون والحافون من حول العرش فاذا شاع ذلك فى الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما اراد ومن هناك وصل الى آدم حين اخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن اربع وكان يقعد فى ثلاث فلما بعث الله

محمد اصلى الله عليه وسلم حجب من الثلاثة الباقية فهو وجنوده محجوبون عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين

قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادركه البغي والحسد وصعد سريعا حتى صعد في السماء موقفا كان يقفه فقال يا الهي نظرت في أمر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه لا بشدة ولا بلاء وانا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على مال ايوب وزوال المال هي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولت اعصارا من نار فاحرقت كل شئ آتي عليه فقال له ابليس فات الابل فاحرقها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت في مراعيها فما تشعر الناس حتى ثارت من تحت الارض اعصار من نار تنفخ فيها ارياح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها في صفة راعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي فقال يا أيوب قال لبيك فقال هل تدري ما الذى صنع ربك الذى اخترته وعبدته بابلك ورعاتها فقال أيوب انها ماله اعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء اخذها وقد تحققت وطيبت النفس اني ومالي للفناء والزوال فقال له ابليس فان ربك ارسل اليها نارا من السماء فاحرقت كلها وبقي الناس مبهوتين وقوفا عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان آله ايوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل فشمت به عدوه وفجع به صديقه فقال ايوب الحمد لله الذى اعطاني وحيث شاء نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا اعود الى القبر وعريانا أحشر الى عند ربي ليس ينبغي لك أن تفرح حين اعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لتقبل روحك مع الارواح وصيرك شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فاخرجك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع ابليس الى اصحابه خائبا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه فقال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما لو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه فقال له ابليس فات الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتا ماتت الغنم جميعا ومات

رعاتها ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم
يصلي فقال مثل قوله الاول ورد عليه ايوب مثل ما قال في النوبة الاولى ثم ان
ابليس رجع الى اصحابه فقال ما ذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب ايوب فقال
عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف
كل شيء تأتي عليه حتى لا يبقى منه شيء فقال له ابليس فات الفدادين والحرث
فانطلق يؤمهم وذلك حين قربوا الفدادين واستووا في الحرث واولادها
رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن
ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الحراث حتى جاء ايوب وهو قائم يصلي فقال
له مثل قوله الاول فاجابه أيوب بمثل جوابه الاول فجعل ابليس يصيب ماله
الاول فالاول حتى أتى على آخره وأيوب كلما انتهى اليه بهلاك مال من ماله حمد الله
وأحسن الثناء عليه ورضي بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقي له
مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيء ولا نجح في شيء من أفعاله
شق عليه ذلك وصعد سريعا ووقف الموقف الذي كان يقفه وقال الهي ان أيوب
يرى انك مهما متعته من نفسه وولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطي
على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى
عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله
حتى جاء بني نبي الله ايوب وهم في قصرهم فلم يزل بهم حتى تداعى القصر من
قواعده ثم جعل يناطح بجدره بعضها بعضا فرمتهم بالخشب والجندل حتى
مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ثم ان ابليس انطلق
الى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس
والوجه تسيل دمه من دماغه فاخبره بذلك وقال يا ايوب لو رايت بنيك
كيف عذبوا وكيف قلب بهم وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم
من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف سقطت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم
لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة
من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعا
بالذي كان من جزع ايوب مسرورا ثم لم يلبث ايوب ان ابصر فاستغفر
وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا ابليس
وسبقوه والله اعلم بما كان فوقف ابليس خازيا ذليلا فقال يا الهي انما هون
على ايوب خطر المال والولد ان يرى انك مهما متعته بنفسه فانت تعيد له
المال والولد فهل أنت مسلطي على نفسه وبدنه فاني لك زعيم لئن ابتليته
في جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق

فقد

فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على
عقله وكان الله اعلم به أنه لم يسلطه عليها الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة
للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء
الثواب فانقض عدو الله سريعا فوجد أيوب ساجدا من قبل ان يرفع رأسه
فأتاه من قبل الارض في موضع وجهه ونفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده
فذهل وخرج به من قرنه الى قدمه أثاليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة
لا يملكها ولا يتماسك عن حكها فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح
الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نغل
لحمه وتقطع وتغير وأنتن فاخرجته أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له
عريشا فرفضوه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن
يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه
الثلاثة ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء
انطلقوا اليه وهو في بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب
الذي عوقبت به قال وكان حضر معهم فتى حدث السن وكان قد آمن به
وصدقه فقال انكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم احق بالكلام لاسنانكم ولكنكم
قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم
ومن الامر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل
من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من
انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم ألم تعلموا ان ايوب نبي الله وحبيبه وخيرته
وصفوته من اهل الارض في يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا اطلعكم الله تعالى
على أنه سخط شيأ من أمره منذ أتاه ما أتاه الى يومكم هذا ولا علمتم انه نزع
منه شيأ من الكرامة التي اكرمه الله بها ولا ان أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه
الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم
فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة
لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة الا انكم آخيتموه على وجه
الصحبة لكن لا يجمل بالحليم ان يعدل عن أخيه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة
ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر الله
له ويحزن لحزنه ويدله على رشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا
فالله الله أيها الكهول فقد كان لكم في عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع
ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن لله عبادا اسكتتهم خشيته من غير عي

ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النبلاء البلغاء الالبا العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا
ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت
عقولهم اعظاما لله تعالى واعزازا واجلالا فاذا استقاموا استبقوا الى الله تعالى
بالاعمال الزاكية الصالحة يعدون انفسهم مع الخاطئين الظالمين وانهم برآء ويعدون
انفسهم مع المفرطين المقصرين وانهم لاكياس اقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير
ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال فهم مروعون مفزعون خاشعون
مستكينون فقال أيوب ان الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب المؤمن الكبير
والصغير فمتى نبتت فى القلب اظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة
من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد حكيما فى الصبى
لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة ثم ان أيوب
اقبل على الثلاثة وقال اتيتمونى غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل
أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عنى بأموالكم لعل الله يخلصنى وقربوا
عنى قربانا لعل الله يتقبله ويرضى عنى وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم انكم
قد عوفيتم باحسانكم فهنيأ لكم بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم
ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية التى البسكم اياها وقد كنت
فيما خلا والرجال توقرنى وأنا مسموع كلامى معروف حقى منتصف من خصمى
فاصبحت اليوم وليس لى رأى ولا كلام معكم فانتم اليوم أشد على من مصيبتى
ثم انه أعرض عنهم واقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه فقال رب لاى شئ
خلقتنى ليتنى اذ كرهتنى لم تخلقنى يا ليتنى كنت حيضة ألقتنى أمى أو ليتنى قد
عرفت الذنب الذى أذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى
لو كنت امتنى والحقتنى بابائى فالموت كان اجمل لى يا الهى الم اكن للغريب دارا
وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما يا الهى انا عبد ذليل ان أحسنت
فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء عرضا وللفتنة نصبا
لقد وقع على بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفى الهى
تقطعت أصابعى فانى لا ارفع الاكلة من الطعام الا بيدى جميعا فلم يبلغا
فمى الا على الجهد منى الهى تساقطت لهواتى ولحم رأسى فما بين اذنى من سداد بل
احدهما ترى من الاخرى وان دماغى ليسيل من فمى الهى تساقط شعر عينى
كانما احرق بالنار وجهى وحدقتاى متدليتان على خدى وورم لسانى حتى
ملاء فمى فما ادخل فيه طعاما الا غصنى وورمت شفتاى حتى غطت العليا
السفلى وتقطعت أمعائى فى بطنى وانى لادخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه
ولا ينفعنى ذهبت قوة رجلى فكأنهما قربتان لا أطيق حملهما ذهب المال فصرت

أسأل

اسأل بكفي ويطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني
هلك اولادي ولو بقي واحد منهم أعانني على بلائي ونفعني قد ملني أهلي وعقني
اولوا ارحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وجحدت
حقوقي ونسيت صنائعي أصرخ فلا يصرخونني واعتذر فلا يعذروني دعوت
غلامي فلم يجبني وتضرعت لامتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي أذلني ادناني
وأهانني وأقماني وان سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي نزع
الهيبة التي في صدري فاطلق لساني حتى اتكلم بملء فمي ولو كان ينبغي للعبد ان
يحاج عن نفسه لرجوت ان يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتخلى عني
فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه لا انظر اليه فيرحمني ولا ادناني فاتكلم
ببراءتي وأخاصم عن نفسي فلما قال ذلك أيوب واصحابه عنده أظلته
غمامة حتى ظنت اصحابه أنه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله تعالى يقول لك
ها أنا قد دنوت منك فلم أزل قريبا فقم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم
عن نفسك واشدد عليك ازرك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار
مثلي ولا ينبغي ان يخاصمني الا من يجعل الزمام في فم الاسد والسخال في فم العنقا
واللجام في فم التنين ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة
من الشمس ويرد أمس لقد منتك امرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت اذ منتك
نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت اي مرام رامت بك ام اردت ان تكاثرني
بضعفك ام أردت ان تخاصمني بغيك ام اردت ان تحاجني بخطائك أين أنت مني
يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل علمت بأي مقدار قدرتها ام كنت معي
ثم بأطرافها ام تعلم ما بعد زواياها ام على أي شئ وضعت اكنافها ابطاعتك
حمل الماء الارض ام بحكمتك كانت الارض على الماء غطاء اين كنت مني يوم رفعت
السماء سقفا في الهوى لا معاليق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من
حكمتك ان تجري وتسير نجومها اهل بامرك يختلف ليلها ونهارها أين انت
مني يوم سخرت البحار وأنبعت الانهار أقدرتك حبست امواج البحار على حدودها
أم قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين أنت يوم صببت الماء على التراب
ونصبت شوامخ الجبال هل لك ان تطيق حملها ام كنت تدري كم مثقال ما
فيها ام أين الماء الذي نزل من السماء هل تدري أم تلده او أب احكمتك احصيت
القطر وقسمت الارزاق أم قدرتك تثير السحاب وتغشيه هل تدري ما أصوات
الرعد أم من اي شئ لهب البرق وهل رايت عمق البحر أم هل تدري ما بعد الهوى
أم هل تدري أين خزانة النهار بالليل وأين طريق النور وبأي لغة تتكلم
الاشجار وأين خزانة الريح وأين جبال البرد ام هل تدري اين جعل العقول

في اجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه ومن قهر
الجبارين بجبروته وقسم ارزاق الدواب والعباد بحكمته من قسم للاسد أرزاقها
وعرف الطير معاشها وعطفها على افراخها من أهل الوحوش للخدمة وجعل
مساكنها البرية لا تأنس بالاصوات ولا تهاب السلاطين ابحكمتك عطفت
عليها أمهاتها حتى اخرجت لها طعاما من اجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها
أم بحكمتك يبصر العقاب الصيد البعيد واصبحا في اماكن الفلا أين انت يوم خلقت
البهموت مكانه في منقطع التراب واللوثيا يحملان الجبال والقرى والعمران
اذنهما كانهما الصنوبر الطوال ورؤسهما كانهما كؤم الجبال وعروق أفخاذهما
كأنهما عمد النحاس أأنت ملأت جلودهما لحما أم انت ملأت رؤسهما دماغا هل
لك في خلقهما من شرك ام لك القوة التي عليها يدان هل يبلغ من قوتك أن تضع
يديك على رؤسهما ام تقعد على طريق فتحبسهما أو تصدهما من قوتهما اين انت
يوم خلقت التنين ورزقه في البحر ومسكنه في السماء وعيناه يتوقدان نارا
ومنخراه يثوران دخانا اذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كانه اعصار
العجاج جوفه يحترق ونفسه يلتهب وزبده جمر كامثال الصخور وكان ضرب
اسنانه اصوات الصواعق وكان نظر عينيه لمع البرق تمر به الجيوش وهو متكى
لا يفزعه شئ ليس فيه مفصل الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط
لا يفزع من النشاب ولا يحس وقع الصخور على جسده يصير في الهوى كانه
عصفور فيهلك كل شئ يمر به هل انت اخذه باحبولتك وواضع اللجام في
شدقه هل تحصي عمره أم هل تعرف أجله ام هل تدري ماذا اخرب من الارض
وماذا يخرب فيما بقي من عمره ام تطيق غضبه حين يغضب ام تأمره فيطيعك
تبارك الله تعالى عز وجل فقال ايوب عليه السلام قصرت عن هذا الامر
الذي ورد على ليت الارض انشقت لي فذهبت ولم اتكلم بشئ يسخط ربي اجتمع
على البلا الهي قد جعلتني لك مثل وقد كنت تعرفني وتعرف نصحي وقد علمت كل
الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك واعظم من هذا لو شئت علمت لا يعجزك
شئ ولا يخفى عليك خافية ولا يغيب عنك غائبة من هذا الذي يظن ان يسر
عنك سر انت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم اكن
أعلم وخفت ان يكون أمرا اكثر مما كنت اخاف انما كنت اسمع بصوتك فاما
الآن فهو نظر العين انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت
لترحمني كلمة زلت عن لساني فلن اعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت
على لساني وألصقت في التراب خدي ودسست فيه وجهي لصغاري وسكت
حين اسكتتني خطيئتي فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشئ تكرهه مني فقال الله

تعالى

تعالى يا أيوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبي اذا اخطيئت فقد غفرت لك ما قلت ورحمتك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزا للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن صاحبيك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه خرج وجلس فاقبلت امرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت متلددة كالوالهة فمرت به فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان هاهنا فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيتيه فقالت نعم وكيف لا اعرفه فتبسم وقال ها انا هو فعرفته لما ضحك فاعتنقته قال ابن عباس والذي نفسي بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر الآية واختلف العلماء في وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذي قال لاجله مسني الضر حدثنا الامام ابو الحسين محمد بن علي بن سهل الماسرجسي املاء في شهر ربيع الاول سنة اربع وثمانين وثلثمائة انا ابو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر انا يحيى بن ايوب العلا أنا سعيد بن ابي مريم أنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبي الله ايوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه والله لقد اذنب ايوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ادراك قال منذ ثمانية عشرة سنة له في البلاء لم يرحمه الله ويكشف ما به فلما راحا الى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال ايوب ما أدري ما تقولان غير ان الله تعالى يعلم اني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهة ان يذكرا الله تعالى الا في حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته امسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم ابطأ عليها وذلك ان الله تعالى اوحى الى ايوب في مكانه ان اركض برجلك الآية فاستبطأته فذهبت لتنظر ما شانه فاقبل عليها وقد اذهب الله تعالى عنه ما اصابه من البلاء وهو احسن ما كان فلما رأته قالت له هل رأيت نبي الله المبتلى فقال اني أنا هو وكان له ابدران أبدر للقمح وابدر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على ابدر القمح افرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى في ابدر الشعير الورق حتى فاض ويروى ان الله تعالى أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثو منها في ثوبه فناداه يا أيوب الم اغنك عما ترى

قال بلى يا رب ولكن لا غنا لى عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشبع من
نعمتك قال الحسن كان ايوب عليه السلام مطروحا على كناسة فى مزبلة لبنى
اسرائيل سبع سنين واشهر تختلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بايوب
اكلة وانما كان يخرج منه مثل ثدى النساء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له
مال ولا ولد ولا صديق ولا احد يقربه غير رحمة امرأته صبرت معه تتصدق
وتأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمده ايوب وايوب على مابه لا يفتر عن ذكر
الله تعالى والثنا عليه والصبر على ما ابتلاه فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع
بها جنوده من أقطار الارض جزعا من صبر أيوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له
ما احزنك قال لهم أعيانى هذا العبد سالت ربى ان يسلطنى على ماله وولده فلم
أدع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الاصبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده
فتركته قرحة ملقى على كناسة لا تقربه الا امرأته وقد افتضحت من ربى فاستعنت
بكم لتعينونى عليه فقالوا له أين مكرك أين علمك الذى اهلكت به من مضى
قال بطل ذلك كله فى أيوب فاشيروا على قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم
حين اخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل امرأته قالوا فشانك بأيوب
من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس احد يقربه غيرها قال أصبتم
فانطلق حتى أتى امرأته وهى تتصدق فتمثل لها فى صورة رجل فقال أين بعلك
يا أمة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب فى جسده فلما سمع
منها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال
وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضر وأن ذلك لا ينقطع
عنه ابدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فاتاها بسخلة
وقال لها ليذبح أيوب هذه لى وسيبرا قال فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب
الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال اين الماشية اين الولد أين الصديق
اين ثوبك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن الذى قد
بلى يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها أيوب أتاك
عدو الله فنفخ فيك فأجبتيه ويلك أرايت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال
والولد والصحة من أنعم علينا قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة
قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلا قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ماعدلت
ولا أنصفت ربك الا صبرت فى هذا البلاء الذى ابتلانا فيه ربنا كما كنا فى الرخاء
والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة كما أمرتينى ان اذبح لغير الله تعالى طعامك
وشرابك الذى تأتينى به على حرام لا اذوق مما تاتينى به بعد اذ قلت هذا
فاغربى عنى لا أراك فطردها فذهبت فلما راى ايوب الى امرأته وقد طردها

وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال رب مسني الضر
ثم رد الامر الى ربه وسلم فقال وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد
استجيب لك اركض برجلك الاية فركض برجله فنبع عين ماء فاغتسل فلم يبق
من دائه شئ ظاهرا الاسقط اثره واذهب الله عنه كل الم وداء وكل سقم وعاد عليه
شبابه وجماله أحسن مما كان وافضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين
اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الاخرج فقام صحيحا وكسى حلة قال فجعل
يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شياء مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد اضعفه
الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت ارأيت ان كان قد
طردني الى من اكله ادعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتاكله السباع فوالله
لا رجعن اليه فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت تعرف واذا هي قد تغيرت
فجعلت تطوف حول هذه الكناسة وتبكي وذلك بعين ايوب قال وهابت
صاحب الحلة ان تأتيه تسأله فارسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله
فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على هذه الكناسة لا ادرى
أضاع ام ماذا فعل به فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلى
فهل رأيته فقال وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت وهل يخفى على احد رآه ثم انها
جعلت تنظر اليه وقالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فأنا ايوب
امرتيني ان اذبح لابليس فاني اطعت الله وعصيت الشيطان فرد على ما ترين وقال
كعب كان ايوب في بلائه سبع سنين قال وهب لبث في ذلك البلا ثلاث سنين
لم يزد يوما واحدا فلما غلب ايوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شئ اعترض
امرأته على هيئة ليس كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب
الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها انت صاحبة ايوب المبتلى قالت نعم قال فهل
تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وأنا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت
وذلك انه عبد اله السما وتركني واغضبني ولو سجد لى سجدة واحدة رددت
عليكما ما كان لكما من مال وولد فانه عبدى ثم انه اراها اياهم فيما يرى في بطن
الوادي الذى لقيها فيه قال وهب وقد سمعت انه قال لها لو ان صاحبك اكل
طعاما لم يسم عليه لعوفى مما هو فيه من البلاء والله اعلم وأراد عدو الله ان يأتيه
من قبلها ورأيت ان ابليس قال لرحمة وان شئت اسجدى لى سجدة واحدة
حتى أرد عليك الاولاد والمال واعافى زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما
قال لها وما اراد فقال لقد اراد عدو الله ان يفتنك عن دينك ثم ان ايوب اقسم
ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس
في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياى الى الكفر قالوا ثم ان الله تعالى رحم رحمة

امراة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها واراد ان يبر بيمين ايوب فامره
أن يأخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب خفا فالطا فا فيضرب بها ضربة واحدة
كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الاية وقد كانت امراة ايوب
تكسب له وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس
فلم يستعملها أحد التمست يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ فجزت
قرنا من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها أين قرنك فاخبرته فقال عند
ذلك مسني الضر وقيل انما قال ذلك حين واقعت الدودة قلبه ولسانه
فخشي أن يعيي عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك حين وقعت الدودة
من فخذه فاخذها وردها الى موضعها وقال لها كلي فقد جعلني الله طعامك *
فعضته عضة زاد ألمه على جميع ما قاسى من عض الديدان وقال عبد الله بن عمر
كان لأيوب اخوان فاتياه فقاما من بعيد لا يقدران على الدنو منه من نتن
ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في ايوب خيرا ما ابتلاه بما ترى
قال فما سمع أيوب شيأ كان اشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شئ أصابه
جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم
انى لم أبت ليلة شبعانا قط وانا اعلم بمكان جائع فصدقني فصدق وهما يسمعان
ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم اتخذ قميصا قط وأنا أعلم بمكان عريان فصدقني
فصدق وهما يسمعان فخر لله ساجدا وقيل معناه مسني الضر من شماتة الاعداء
يدل عليه ما روى انه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك فى بلائك فقال
شماتة الاعداء وانشد فى معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضي ايامها * وشماتة الاعداء بالمرصاد

وقال الجنيد في هذه الاية عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال وذلك
قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله الاية واختلف العلماء في
كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى الله أيوب في الدنيا مثل له أهله فاما الذين
هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وانما وعد الله ايوب ان يؤتيه اياهم
في الاخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل
ردهم الله تعالى اليه باعيانهم واعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن
مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا أحياهم الله تعالى وأتاه مثلهم
وهذا القول أشبه بظاهر الاية وذلك أن عمر ايوب كان ثلاثا وتسعون سنة
وانه أوصى عند موته الى ابنه حومل فان الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا
وسماه ذي الكفل وأمره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشام طول

مطلب في قصة ذي الكفل

عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام * (مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام) * هذا المجلس يأتي فيما بعد في آخر الكتاب بعد قصة اليسع وكتب هاهنا لما كان من زيادة في المجلس المذكور روى الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث ان نبيا من الانبياء قال من يكفل لي أن يقوم الليل ويصوم ولا يغضب فقام شاب فقال أنا قال له اجلس ثم انه اعاد مثل قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم أعاد قوله ثالثا فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان في صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد ان يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فارسل معه رجلا فرجع وقال لا أرضى بهذا الرجل فارسل معه آخر فقال لا ارضى بهذا فخرج اليه فاخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان في السوق خلاه وذهب فسمي ذا الكفل وقال بعضهم ذوالكفل بشر بن ايوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فامنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكعوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره ان نعصي الله تعالى ورسوله فلو سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد اعداءه فقال لهم بشر لقد سألتموني عظيما وكلفتموني شططا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهي امرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتني ان اجاهد اعداءك وانت تعلم اني لا أملك الا نفسي وان قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم به مني فلا تؤاخذني بجريرة غيري فانا أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فاوحى الله تعالى اليه يا بشر اني سمعت مقالة قومك واني قد أعطيتهم ما سألوني طولت اعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله واخبرهم بما اوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمي ذا الكفل ثم انهم توالدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتضيقت عليهم معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا يدع الله أن يردهم الى آجالهم فاوحى الله تعالى الى بشر اما علم قومك ان اختياري لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم ردهم الى اعمارهم فماتوا باجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا درهم خمسة اسداسها للروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيصا بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر ابن ايوب الذي يسمى ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وسبعين

مطلب في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام

سنة والله اعلم * (مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام) * قال الله تعالى
والى مدين اخاهم شعيبا الاية * اختلف العلماء في نسب شعيب فقال اهل التوراة
هو شعيب صيفون بن عنقابن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحاق
هو شعيب بن مكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يترون وامه
ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام اعمى فذلك قوله تعالى اخبارا عن قومه
انا لنراك فينا ضعيفا أي ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه
وان الله تعالى بعثه نبيا الى اهل مدين وهم اصحاب الايكة وهي الشجرة وقال قتادة
بعثه الله الى امتين اهل مدين واصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب اهل كفر
بالله وبخس للناس وتطفيف في المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم في
الرزق وبسطهم في العيش استدراجا منه لهم فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الاية ونظيرها في الاعراف
فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم الاية وذلك انهم كانوا يجلسون
في الطريق فيخبرون من قصد شعيبا ليؤمن به ويقولون ان شعيبا كذاب فلا
يفتنك عن دينك وكانوا يتواعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم قال السدي
وابو روق كانوا عشارين وقال عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق
وقال النبي صلى الله عليه وسلم رايت ليلة أسرى بي خشبة على الطريق لا يمر بها
ثوب احد الا شقته ولا شئ الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذا مثل
أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعون الطريق ثم تلى ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون الاية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ما ذكره
الله تعالى في سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعرا قال المفسرون
فمما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لأجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا
يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أي
السفيه الغاوي وهو على الضد كما يقال للحبشي ابو البيضا كقوله تعالى ذق
انك انت العزيز الكريم قال ابن عباس رضي الله عنه كان شعيبا كثير الصلاة فلما
كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وانت خير الفاتحين فاجاب الله تعالى دعاه فيهم فاهلكهم بالرجفة وهي الزلزلة
عن الكلبي ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة قال ابن عباس وغيره وهي أن الله
تعالى فتح عليهم بابا من ابواب جهنم فأرسل عليهم بردا وحرا شديدا دخل بانفاسهم
فدخلوا في اجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هربا
الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة
فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت

الارض

الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المقلى فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا فى دارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها وقال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم قال ابن عباس بلغنى أن رجلا من اهل مدين يقال له عمرو بن خلها لما رأى الظلة فيها العذاب فقال

يا قوم ان شعيبا مرسل قدروا * عنكم شميرا وعمران بن شداد

انى أرى عتيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على جانبه الواد

فانه لن يرى فيها ضحا أغد * الا الرقيم يمشى بين انجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال ابو عبد الله البجلى ابو جاد حطى وهوز وكلمن وسعفص وقرشت اسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى زمن شعيب كلمن فقالت اخت كلمن تبكيه حين هلك

كلمن هدّ ركنى * هلكه وسط المحله

سيد القوم اتاه الـ * ـحتف نارا وسط ظله

جعلت نار عليهم * دارهم كالمضمحله

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أى الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الاخرة * (مجلس فى ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام) * وهو يشتمل على ابواب الباب الاول فى ذكر نسب موسى عليه السلام قال الله تعالى واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال اهل العلم باخبار الاولين وسير الماضين ولد يعقوب لاوى وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح نابتة بنت ماوى ابن يشخب فولدت له غرسون ومرزى وفاهث بن لاوى وولد للاوى فاهث بعد أن مضى له من عمره ستة وأربعون سنة فنكح فاهث بن لاوى قاهى بنت مسيين بن تنويل بن الياس فولدت له يصهر بن فاهث فنكح يصهر بن فاهث سميت بنت يتادم بن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر يصهر مائة سبع واربعون سنة فنكح عمران بن يصهر نجيب بنت اشمويل بن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له هارون وموسى واختلف فى اسم امهما فقال ابن اسحاق نجيب وقيل ناجية وقيل يوخايبل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره سبعون سنة * الباب الثانى فى ذكر مولد موسى عليه السلام قال اهل التاريخ لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولى يوسف خزاين أرضه واسلم على يده فلما مات ملك

مطلب فى ذكر صفى الله ونجيه موسى عليه السلام

مطلب المشهور ان ام موسى يوخايبل وقيل نجيب

مطلب فى ذكر مولد موسى عليه السلام

بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثانى فدعاه يوسف الى الاسلام فابى
وكان جبارا وقبض الله يوسف فى ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده
اخوه ابو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشة بن ثروان بن عمرو
ابن فاران بن عملاق بن لاوى بن سام بن نوح عليه السلام وكان أعتى من قابوس
واكبر وافجر وامتدت ايام ملكه وأقام بنوا اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه
السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت أيدى العمالقة وهم على بقايا من دينهم
مما كان يوسف ويعقوب واسحاق وابراهيم شرعوا فيه من الاسلام متمسكين به
حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله اليه وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم
فرعون اعتى على الله ولا أعظم قولا ولا اقسى قلبا ولا أطول عمرا فى ملكه ولا اسوء
ملكا لبنى اسرائيل منه وكان يعذبهم ويستعبدهم فجعلهم خدما وخولا وصنفهم
فى أعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الاعمال القذرة ومن لم
يكن أهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وقد
استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنها من خيار النسا
المعدودات ويقال هى آسية بنت مزاحم بنت عبيد بن الريان بن الوليد فرعون
يوسف الاول فاسلمت على يد موسى قال بل لم يسلم من أهل مصر الا ثلاثة آسية
وحزقيل ومريم بنت تاموسى التى دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قالوا
فعمر فرعون فيهم وهم تحت يده عمرا طويلا يقال انه اربعمائة سنة يسومهم
سوء العذاب فلما أراد الله تعالى أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان
بدؤ ذلك على ما ذكره السدى عن رجاله ان فرعون رأى فى منامه كان نارا
قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط
وتركت بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسالهم
عن رؤياه فقالوا ابو لد فى بنى اسرائيل غلام يسلبك ملكك ويغلبك على
سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذى
يولد فيه فامر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل فجمع القوابل من النساء
من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على ايديكن غلام من بنى اسرائيل الا قتلتموه
ولا جارية الا تركتموها ووكل بهن وكلا فكن يفعلن ذلك قال مجاهد لقد
بلغنى انه كان يأمر بالقصب فتشق حتى تجعل امثال الشفار ثم يصف بعضه الى
بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيوقفهن عليه فتجرح اقدامهن حتى أن
المرأة منهن تضع ولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطاه وتتقى به حد القصب
عن رجليها كما بلغ من جهدها وكان يقتل الغلمان الذى فى وقته ويقتل من يولد
بعدهم ويعذب الحبالى حتى يضعن ما فى بطونهن واسرع الموت فى مشيخة بنى

اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع فى مشايخ
بنى اسرائيل وانت تذبح صغارهم وبموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر
فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولد هارون فى السنة التى لا يذبح فيها
أحد فترك وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها قال فولدت هارون امه
علانية آمنة فلما كان فى العام الذى أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت
وضعه حزنت من شانه واشتد غمها فاوحى الله تعالى اليها أن ارضعيه فاذا خفت
عليه فالقيه فى اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته فى خفية أرضعته ثم انها
اتخذت له تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل
وكان الذى صنع التابوت خرقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردى
فاتخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى
وقرنت رأسه ثم ألقته فى النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها أتاها الشيطان
فوسوس اليها فقالت فى نفسها ماذا صنعت بابنى لو ذبح عندى لواريته وكفنته
كان احب الى من ان القيه بيدى فى البحر وادخله الى دواب البحر ثم عصمها الله
تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه اخرى حتى أدخله بين
الاشجار عند دار فرعون الى عرصة هى مستقى جوارى فرعون وكان بالقرب منها
نهر كبير فى دار فرعون داخل فى بستانه فخرجت جوارى فرعون يغتسلن
ويستقين فوجدن التابوت فأخذنه وظنن أن فيه مالا فحملنه على حالته حتى
أدخلنه الى آسية فلما فتحته رأت الغلام فالقى الله عليها محبة منه فرحمته آسية
وأحبته حبا شديدا فلما سمع الذباحون بامره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا
الصبى فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا لا يزيد فى بنى اسرائيل
فأتا آتى فرعون واستوهبه اياه فان وهبه لى كنتم قد أحسنتم وان أمركم بذبحه
لم ألمكم ثم انها أتت به فرعون وقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن
ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك اما أنا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين
كما اقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك
فاراد أن يذبحه وقال انى اخاف ان يكون هذا من بنى اسرائيل وان يكون
هذا الذى هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها
فلما أمنت آسية ارادت أن تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موسى لانه وجد
بين الماء والشجر وهو بلغة القبط مو الماء وسى الشجر فعرب فقيل موسى
اخبرنا ابن فنجوية انا مخلد بن جعفر انا الحسن بن علوية انا اسماعيل بن
عيسى أنا ابن بشير اخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان

بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم
اشرارهم ولم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط ه
فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا ابناءهم قال وقال ابو الياس
قال وهب بلغني انه ذبح في طلب موسى سبعين الف ولد قال اسحاق عن ابن
عباس ان ام موسى لما قارب ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن
فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت
اليها ام موسى فقالت قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياى فقالت لها نعم
فعالجت قبالها فلما وقع موسى في الارض اضاء لها نور بين عيني موسى فارتعش
كل مفصل منها ودخل حب موسى في قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين
دعوتيني الا في رأي قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك
هذا حبا ما وجدت حب شئ مثله فاحتفظي بابنك فاني أراه هو عدونا فلما
خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على موسى
فقالت أخته يا اماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع به
خوفا على موسى فلفت موسى في خرقة وألقته في التنور وهو مسجور وكان
ذلك الهاما من الله تعالى لها لما اراد الله بعبده موسى فدخلوا فاذا التنور مسجور
وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ما أدخل عليك هذه
القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها ورجع
اليها عقلها فقالت أمه لاخت موسى أين الصبي قالت لا أدري سمعت بكاء
الصبي في التنور فانطلقت اليه فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما
فاحتملته قال ابن اسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن
عباس قال ثم ان ام موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولد أن خافت على
ولدها فقذف الله في نفسها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذفه في اليم وهو النيل
فانطلقت الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا
صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت اخبأ فيه ابنا لي
وكرهت أن تكذب قال ولم قالت اخشى كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت
وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامرها فلما هم بالكلام
أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يشير بيده فلم تدر الامناء ما يقول فلما أعياهم
أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه
رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الأمناء فاتاهم ليخبرهم فاخذ الله
تعالى بلسانه وببصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه واخرجوه
فوقع في واد يهوى فيه حيران فأشهد الله تعالى عليه ان رد له لسانه وبصره

ان لا

ان لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيث ما كان فعلم الله منه الصدق فرد له لسانه وبصره فخر لله ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فآمن به وصدقه فانطلقت ام موسى به وألقته في البحر وذلك بعد ما أرضعته ثلاثة أشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطبا من مصر والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا له أيها الملك انا لا نرى برءها الا من قبل البحر شئ يؤخذ منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون وجواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها يتلاعبن وينضحن الماء على وجوههن فبينما هم على ذلك اذ اقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا لشئ في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدروه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا فدنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها للامر الذي أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فعالجته ففتحت التابوت فاذا هي بصبي صغير في مهده واذا النور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منها لبنا فألقى الله تعالى محبة موسى في قلبها وأحبه فرعون وعطف عليه واقبلت بنت فرعون عليه فلما اخرجوه من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان ذلك المولود هو الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رُمي به في البحر فزعا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم انه قال لها سميه فقالت قد سميته موسى لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم ان ام موسى قالت لاخته وكانت تسمى مريم قصيه أي ابتغي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحي هو أم قد أهلكته دواب البحر ونسيت وعد الله فبصرت به عن جنب اي عن بعد وهم لا يشعرون انها اخته وكانت آسية قد ارسلت الى من حولها من كل انثى بها لبن لتختار له ظئرا تربي موسى فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية ان يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فامرت به فاخرج الى السوق مجمع الناس ترجوا أن تصيب له ظئرا يقبلها ويأخذ ثديها ويرضع فلم يقبل ثدي امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت اخت موسى حين أعياهم أمره وأعيى الظؤورة هل

أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فاخذوها وقالوا لها وما يدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على اهله فقالت ما اعرفهم وانما نصحهم له وشفقتهم عليه من اجل رغبتهم في ظؤورة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى امها فاخبرتها بالخبر فاتت فلما وضعته على ثديها في حجرها نزل اللبن الى ثديها حتى امتلاء حليبا فانطلق البشير الى آسية يبشرونها ان قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فاتي بها فلما أن رات ما يصنع بها قالت لها امكثي عندي ترضعي ابني هذا فاني لم أحب شيأ مثل حبه قط فقالت لا أستطيع ان ادع بيتي وولدي فيضيع فان طابت نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتي وولدي فيكون معي ولا اولي له الاخير افعلت والا فاني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت ام موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امراة فرعون وأيقنت ان الله سبحانه وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز وجل فرددناه الى أمه كي تقر عينها فلما جاءت امه به الى بيتها كادت تقول هو ابني فعصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لام موسى احب ان تريني ابني فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت آسية لخواصها وقهارمتها لايبقى منكن احد الا استقبل ابني بهدية وكرامة فاني باعثة بامينة تحصي ما تصنع كل قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت ان خرج من بيت امه الى ان أدخل على امراة فرعون فلما ان دخل عليها اكرمته وفرحت به واعجبها ما رأت من حسن اثرها عليه ثم قالت لها انطلقي به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون اخذه ووضعه في حجره فتناول موسى لحيته فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعيرات وكان فرعون طويل اللحية ويقال انه لطم وجهه وفي بعض الروايات انه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به على رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوي المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امراة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي وهبته لي فاخبرها بما فعل موسى فقالت له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وانا اجعل فيه بيني وبينك امرا تعرف به الحق واضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان اخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجمر علمت انه صبي ثم انها وضعت له طشتا فيه الذهب والياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على انه ياخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر

فقبض على جمرة ووضعها فى فيه فجاءت على لسانه فاحرقته وذلك الذى يقول فى قوله تعالى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فقالت له آسية الا ترى الى فعله وانه صبى لايعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السؤ فلم يزل عزيزا مكرما فى بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه ويروى انه سئل ابليس هل أحببت احدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك فقال لان الله تعالى قال وألقيت عليك محبة منى فلم اتمالك ان احببته * الباب الثالث فى ذكر حلية موسى بن عمران وهارون عليهما السلام قال كعب الاحبار كان هارون نبى الله رجل فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تكلم بتؤدة وعلم وكان اطول من موسى وكان على راسه شامة وعلى طرف لسانه ايضا شامة وكان موسى بن عمران رجلا أدم اللون جعدا طويلا كانه من رجال أزدشنوءة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان ايضا على طرف لسانه شامة سودا * الباب الرابع فى صفة قتله القبطى وخروجه من مصر وروده مدين قال اهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران اشده كان يركب مراكب فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به بنوا اسرائيل عن كثير من الظلم والسخر التى كانت فيهم ولايعلم الناس ان ذلك الا من قبل الرضاعة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى اثره وأدركه المقيل بارض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد اغلقت اسواقها وليس فى طرقها احد وهى التى قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشى فى ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه والذى من شيعته يقال له السامرى والذى من عدوه رجل من القبط كان خبازا لفرعون واسمه فاتون وكان اشترى حطبا للمطبخ فسخر السامرى ليحمله فامتنع السامرى فلما مر به موسى استغاثه السامرى على القبطى فقال موسى للقبطى دعه فقال الخباز لموسى انما آخذه فى عمل ابيك وابى ان يخلى سبيله فغضب موسى فبطش به وخلص السامرى من يده فنازعه القبطى فوكزه موسى فقضى عليه قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسى بقتل القبطى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال وهب أوحى الله الى موسى بن عمران وعزتى وجلالى لو كانت النفس التى قتلت اقرت لى طرفة عين انى أنا الله خالق رازق لاذقتك طعم العذاب وانما عفوت عنك لانها لم تقر لى

مطلب فى ذكر حلية موسى وهارون عليهما السلام

مطلب القبطى الذى قتله موسى عليه السلام

ساعة واحدة انى اله خالق رازق قالوا ولما قتل موسى القبطى لم يرهما الا الله تعالى والاسرائيلى فلما قتله أصبح فى المدينة خائفا يترقب الاخبار فاتوا فرعون وقالوا له ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذلنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال فرعون ائتونى بقاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم ان يقضى بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى على قتال الفرعونى فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه بالامس واكرهه الذى رآه فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونى وقال للاسرائيلى انك لغوى مبين ففر الاسرائيلى من موسى وظن انه يبطش به من اجل أنه اغلظ عليه فى الكلام وكان غضبانا فلما اقبل ليضربه اى يقتله ومد يده ظن انه يريد قتله فقال له يا موسى اتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس وانما قال ذلك مخافة من موسى وظن ان يكون موسى أراده ولم يكن أراده وانما أراد الفرعونى فتنازعا فذهب الفرعونى فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلى وذكر أن موسى هو الذى قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل احرى عليك من الصديق الاحمق وانشاء فى معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه * أحرى عليك من الصديق الاحمق

فارسل فرعون لذلك الى الذباحين وأمرهم بقتل موسى فى ثنيات الطريق فان موسى غلام لا يهتدى الى الطريق فطلب موسى فى ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الاعظم فجاءه رجل من شيعته من اقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان اول من صدق بموسى وآمن به ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو افضلهم قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فاخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقا قريبا حتى سبق الذباحين اليه فاخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى فتحير موسى ولم يدر أين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعنى فاتبعه فهداه الطريق الى مدين عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمانى ليال ويقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعاما الا ورق الشجر فما وصل اليها الا وقد وقع خف قدمه وان خضرة البقل لترى من بطنه * الباب الخامس فى دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه قالت العلماء لما انتهى موسى الى ارض مدين فى ثمانى ليال نزل فى أصل شجرة

مطلب فى دخول موسى مدين

واذا تحتها بئر وهى التى قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من
الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان اى يحبسان اغنامهما فقال
لهما ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير يعنيان شعيبا
روى حماد بن سلمة عن ابن عباس قال اسم ابى امرأة موسى الذى استأجره
مثرون صاحب مدين اخو شعيب النبى عليه السلام واسم احد الجاريتين ليا
ويقال جنونا والاخرى صفورا وهى امرأة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك
لموسى رحمهما وكان هناك بئر على رأسه صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال
يجتمعون اليها حتى يرفعوها عن رأسها وحكى الاستاذ ابو سعيد عبد الملك بن
ابى عثمان الواعظ ان تلك البئر غير البئر التى تسقى منها الرعاة فقال قد حضرتها
ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها وأخذ دلوا لهما وقال لهما قد ماغنمكما
فسقى لهما أغنامهما حتى ارواهما فرجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وتولى
موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب انى لما انزلت الىّ من خير فقير قال ابن
عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء الله تعالى ان ينظر الى خضرة امعائه من شدة
الجوع لنظرها ما ساله الا اكلة وقال أبو جعفر الباقر لقد قالها وانه لمحتاج
الى شق تمرة قالوا فلما رجعتا الى ابيهما قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا
صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحدهما اذهبى فادعيه الى فجاءته احداهما وهى
التى تزوجها موسى وهى تمشى على استحياء فقالت له ان أبى يدعوك ليجزيك أجر
ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أى يتبعها فهبت الريح فألصقت
ثوب المرأة بردفها فكره موسى ان يرى ذلك منها فقال لها موسى امشى خلفى
ودلينى على الطريق فاذا اخطأت فارمى قدامى بحصاة حتى انهج نهجها فانا بنى
ايوب لا انظر الى أعجاز النساء فنعتت له الطريق الى منزل ابيها ومشت خلفه
حتى دخلا على شعيب فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فاخبره الخبر فقال
له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهى التى كانت الرسول الى
موسى يا أبت استأجره ان خير من استاجرت القوى الامين ق‍ ـ‍ال النبى صلى
الله عليه وسلم أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا فى موسى فاصابتا
احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب
حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين لانه ازال الحجر
العظيم الذى لا يرفعه الا اربعون رجلا فقال لها أبوها هبك انك عرفت قوته فما
علمك بأمانته فأخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه فى الطريق فازداد
شعيب فيه رغبة ثم قال له انى اريد أن انكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى
ثمانى حجج الاية الى قوله من الصالحين أى فى حسن الصحبة معك والوفا بشرطك

فقال موسى ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت الاية وروى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سئل أيما الاجلين قضى موسى قال اكملهما وأفضلهما وروى
انه قال قضى اوفاهما وتزوج بصغراهما * الباب السادس فى ذكر نعت عصى
موسى وبدو أمرها اختلف العلماء فى اسمها والمنافع التى كانت فيها وما ظهر من
دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم ان شعيبا أمر ابنته ان تاتيه بعصى ليعطيها لموسى
فيستعين بها فى رعايته فجاءته بعصى موسى وكانت تلك العصى وديعة عنده
دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وأمرها أن تاتيه بعصى أخرى
فما زالت ترجع وتأتيه بها بعينها لانها كانت كلما ردها الى مكانها وأرادت أن
تأخذ غيرها سقطت هى فى يدها فما زالت كذلك حتى اخذها شعيب وأعطاها
لموسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب
رد على العصى فأبى ان يردها عليه فتنازعا الى أن اشرطا على أنفسهما أن يرتضيا
حكم اول رجل يدخل عليهما فأتاهما ملك يمشى فتحاكما اليه فقال ضعوها على
الارض فمن حملها فهى له فوضعها موسى فى الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها
وأن موسى أخذها بيده فرفعها فلما رأى شعيب ذلك تركها له وفى رواية أخرى
أن موسى لبث عند شعيب ما شاء الله ثم استأذنه فى الانصراف فأذن له وقال له
ادخل هذا البيت وخذ عصى من العصى تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن
غنمك وكانت عصى الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه
العصى فصارت فى يده فخرج بها فقال له شعيب ردها وخذ غيرها وذلك أن
شعيبا كان قد أخبر بأمر العصى ولم يدر شعيب ان صاحبها هو موسى فردها موسى
الى البيت فألقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت فى يده ففعل ذلك
مرارا فقال له شعيب الم اقل لك خذ غيرها فقال له موسى قد رددتها مرات
فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير فى يدى فعلم شعيب ان ذلك أمر يريده الله
تعالى فقال له خذها قالوا وزوجه ابنته ورعى له موسى عشر سنين وولد لموسى
أولاد من ابنة شعيب قالوا لما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شعيب
يزوره فى كل سنة فاذا اكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين
يديه ويقول له كل والله ما يعرف عدوه قال فبقيت العصى فى يد موسى وقال
مقاتل بل كان جبريل هو الذى دفع العصى الى موسى وهو متوجه الى مدين
بالليل قال كعب لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قال سلوه عن
ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شئ من الجنة وضعه الله للناس وعن
أول ما وضع فى الارض وعن اول شجرة غرست فى الارض فسئل عنها فقال عبد الله
أما الشئ الذى وضعه الله للناس فى الارض من الجنة فهو هذا الركن الأسود

مطلب فى ذكر نعت عصى موسى

واما اول ما وضع للناس فى الارض فبئر برهوت فى اليمن يرده هام الكفر واما
أول شجرة وضعها الله تعالى فى الارض فالعوسجة التى اقتطع منها موسى عصاه
فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول انما اقتطع موسى عصا
من تلك الشجرة فأظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس

مطلب
اربعة اشياء لم يركضوا فى رحم وانا وجدت لها خامسا وهى ناقة صالح اهـ عارف

كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا فى رحم فلما قرأ
معاوية الكتاب قال اخزاه الله وما علمى بها ههنا فقيل له اكتب الى ابن عباس
فاسئله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس فى الجواب أما
الاربعة التى لم يركضوا فى رحم فآدم وحوا والكبش الذى فدى به اسماعيل وعصى
موسى حيث القاها فصارت ثعبانا وقال اكثر العلماء كانت عصى موسى من آس
الجنة وكان طولها عشرة اذرع على طول موسى حملها ادم من الجنة الى الارض فتوارثها
الانبياء صاغرا عن كابر الى ان وصلت الى شعيب فأعطاها الى موسى واختلف العلما
فى اسمها فقال سعيد بن حبيب اسمها ماشا وقال مقاتل بن سليمان اسمها نفعة

مطلب
فى صفة المآرب التى كانت فى عصى موسى

وقال ابن حبان اسمها غياث وقال الآخر اسمها عليق * الباب السابع فى صفة
المآرب التى كانت فيها لموسى قال اهل العلم باخبار الماضين كان لعصى موسى شعبتان
ومحجن فى أسفل الشعبتين وسنان حديد فى أسفلها وكان موسى اذا دخل مغارة
ليلا ولم يكن قمر تضئ شعبتاها كالشعلتين من نار يضيئان له مد البصر وكان
اذا أعوزه الماء دلاها فى البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير فى رأسها شبه الدلو
فيستقى بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الأرض بالعصا فتخرج ما ياكل يومه
وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها فى الارض فتخرج اغصان تلك الشجرة
التى اشتهى موسى فاكهتها واثمرت له من ساعتها ويقال كانت عصى موسى من اللوز
وكان اذا جاع ركزها فى الارض فأورقت وأثمرت وأطعمت وكان ياكل منها اللوز وكان
اذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تنينان يتناضلان وكان يضرب بها على الجبل
الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتنفرج له وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار
بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق منفرج فيها وكان يشرب من
احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا فى طريقه ركبها فتحمله الى
أى موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقابل
اعداءه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب ويطيب ثوبه
واذا كان فى طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ
جانب كذا وكذا ولا تاخذ حيث كذا وكذا وكان يهش بها على غنمه ويدفع بها السباع
عنهم والحشرات والحيات واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه
ومخلاته ومقلاعه وكساه وطعامه وشرابه قال ابن حبان قال شعيب لموسى

حين زوجه ابنته وسلم اليه اغنامه يرعاها اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت
مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تاخذ على يمينك وان كان الكلا بها اكثر فان
هناك تنينا عظيما أخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالأغنام حتى اذا
بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى ان يصرفها ذات
الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريده ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا التنين
قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلته وأتت فاستلقت الى جانب موسى وهى
دامية فلما استيقظ موسى رأى العصى دامية والتنين مقتول فعلم موسى أن
فى تلك العصى قدرة وعرف ان لها شانا فهذه مآرب موسى التى كانت فى عصاه
واما اذا ألقاها فترى كأنها تنقلب حية كاعظم ما يكون من الثعابين سودا
مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتاها فما وفيه اثنى عشر نابا وضرسا
لها صريف وصرير يخرج منها لهب النار ويصير محجنها عرفا لها كامثال النار
تلتهب وعيناها يلمعان كما يلمع البرق تهب فيها رياح السموم فلا تصيب شيأ
الا احرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكوما فتبلعها حتى أن الصخور فى جوفها
لتقعقع وتمر بالشجر فتقصمها بأنيابها وتحطمها وتبلعها وجعلت تتلمظ
وتتمرط وتترمرم كأنها تطلب شيأ تاكله وكانت تكون فى عظم الثعبان
وفى خفة الجان ولين الحية وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى
فى موضع فاذا هى ثعبان مبين وفى موضع آخر كأنها جان وفى موضع آخر فاذا هى
حية تسعى * الباب الثامن فى ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين
وتكليم الله اياه فى الطريق وارساله الى فرعون واستعانته باخيه هارون وكيفية
ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل
الآية قالت العلماء بسير الانبياء لما ورد موسى ارض مدين وأتى عليه من يوم
وروده تسع سنين قال له شعيب انى وهبت لك من أغنامى كل بلقى وأبلق
اى من نتاج اغنامى التى تضعها فى هذه السنة يعنى السنة العاشرة اراد
بذلك مبرة موسى وصلة ابنته صفورا امرأة موسى قال فاوحى الله الى موسى
أن اضرب بعصاك الماء الذى فى مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام
فما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقى فعلم
شعيب أن ذلك رزقا ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه
وتسلم موسى الاغنام على ما وهبه منه وقضى موسى ايم الاجلين واوفاهما فلما
قضى موسى الاجل وسار بأهله منفصلا من أرض مدين وكان فى أيام الشتاء ومعه امرأته
وأغنامه وهى فى شهرها لا تدرى اتضع ليلا أو نهارا فانطلق فى برية الشام عادلا
عن المداين والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان اكثر همته يومئذ

مطلب فى ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين

طلبته

طلبته اخيه هارون واخراجه من مصر ان استطاع اليه سبيلا فصار موسى في البرية غير عارف بطرقها فالجاءه المسير الى جانب الطور الايمن الغربي في عشية شاتية شديدة البرد واظلم عليه الليل واخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر فاخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زنده فقدحه فلم ينور فتحير وقام وقعد اذ لم يكن له عهد بمثل ذلك في الزند واخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيرا وضجرا ثم اخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا أو حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نورا يحسبه نارا فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى يعني من يدلني على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هناك واختلفوا في تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهي تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضرا لا تزداد النار الاعظما ولا تزداد الشجرة الاخضرة فلما دنى موسى استأخرت منه فلما استأخرت منه رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى فنظر فلم ير احدا فنودي اني أنا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم أنه ربه تعالى فناداه ربه ان ادن واقرب فلما قرب به وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كميت الا ان روح الحياة تتردد فيه من غير حراك وأرسل الله اليه ملكا يشد ظهره ويقوي قلبه فلما ناب اليه عقله نودي فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وكان السبب بامره في خلع نعله ما روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانتا من جلد حمار ميت وفي بعض الأخبار غير مدبوغة وقال مجاهد وعكرمة انما قال فاخلع نعليك كي تمس راحة قدميه الارض الطيبة فينا له بركتها لانها قدست مرتين قال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفوة من أمارات التواضع والاحترام فقيل له طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة من بركة الوادي وقال أهل الاشارة النعل عبارة عن المرأة وكذلك تاويله في المنام فقيل له فرغ قلبك من شغل أهلك ثم قال له تعالى تسكينا لقلبه واذهابا لدهشته وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي قال الله تعالى ألقها يا موسى الاية فالقاها فاذا هي حية تسعى قد صارت شعبتاها فمها ومحجنها عرفا لها في ظهرها وهي تهتز لها أنياب وهي كما شاء الله ان تكون فرأى موسى امرا فظيعا فولى موسى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى أي نردها عصى كما كانت ويقال ان الحكمة في أمر الله تعالى اياه بالقاء العصى قبل أن تصل الى فرعون لكي لا يفزع

منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما اقبل موسى قال له خذها ان
كانت عصاك ولا تخف لانه كان ادعى الملك فقال هي عصاي فنبه على ذلك وكان
على موسى جبة صوف فلف كمه على يده تحت لحيتها فلما أدخل يده قبض فاذا هي
عصاة في يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له ادخل يدك في جيبك
تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى وانما قال في جيبك لانه لم يكن لملبوسه كم واسع
فضاقت عليه فادخل يده في جيبه ثم اخرجها فاذا هي نور تلتهب يكل عنه البصر
ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان من ربك
الى فرعون وملائه الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى فقال موسى رب انى
قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لسانا الى قوله
تعالى الغالبون فقال له يا موسى انى أوقفك موقفا لا اجعل بعده لاحد عليك
سلطانا دوني ولا ينبغي لمن بعدك ان يسمع كلامي وانت في أقرب الاماكن مني
وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خللها بخلال وجبة من صوف وثياب
من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويعهد اليه ويقول له يا موسى
انطلق برسالتي وانت بعيني وسمعي ومعك قوتي وبصري بعثتك الى خلق
ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وعبد دوني وغرته الدنيا حتى جحد حقي
وانكر ربوبيتي وزعم انه لا يعرفني وانى احلف بعزتي وجلالي لولا الحجة والعذر
اللذان جعلتهما بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات
والارض والبحار والجبال والشجر والدواب فلو أذنت للسماء لحصبته وللارض
لابتلعته أو للجبال لدكدكته او البحار لغرقته ولكن سقط عن عيني وهان علي وصغر
عندي ووسعه حلمي وانا الغني عنه وعن جميع خلقي وحق ذلك لي وانا خالق الغنى
والفقير لا غني الا من أغنيته ولا فقير الا من افقرته فابلغه رسالتي وادعه الى
عبادتي وتوحيدي والاخلاص لي وحذره نقمتي وبأسي وذكره آياتي واعلمه
انه لا يقوم لغضبي شئ وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى
وبجله في خطابك اياه ولا يروعك ما ألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدي
ولا يطرف ولا ينطلق ولا يتنفس عن شئ الا بعلمي واخبره باني من العفو والمغفرة
اسرع مني الى الغضب والعقوبة وقل له أجب ربك فانه واسع المغفرة وقد
امهلك في طول هذه المدة وفي كلها تدعي الربوبية دونه وتصد عن عبادته
وفي كل ذلك أمطر عليك السماء وأنبت لك الارض وألبسك العافية حتى لم
تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة وسلبك ما اعطاك
ولكنه ذو حلم عظيم ثم أمسك الكلام عن موسى سبعة ايام بلياليها ثم قيل له بعد
سبع ليال اجب ربك يا موسى فيما كلمك فقال رب اشرح لي صدري الى قوله

تعالى

تعالى بصيرا فقال الله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى فجاهد بنفسك ولخيك
وكان قد خطر فى قلب موسى ان فرعون فى جند عظيم وانا واخى وحيد ان
فريدان فقال الله تعالى له انكما جندان عظيمان من جندى وانا معكما أسمع
وأرى وابصركما واكون معكما فلا تستضعفان وتستقلان ولو شئت أن
آتيه بجنود لا قبل له بها فعلت ولكن ليعلم ذلك الشقى الضعيف الذى قد أعجبته
نفسه وجنوده ان الفئة القليلة ولا قليل معى تغلب الفئة الكثيرة باذنى
ولا يعجبنكما زينته ولا يهولنكما عدته فلو شئت ان ازينكما بزينة الدنيا وبهجتها
ما يبهت فرعون وملائه وملكه اذا نظروا اليها ويعلم ان مقدرته تعجز عما
آتيكما فعلت فلا تاسفا عما أزويه عنكما من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأبى
فى أوليائى وأصفيائى اذودهم عن نعيم الدنيا ولذاتها كما يذود الراعى الشفيق
غنمه عن المراتع الرديئة لكى تستكملوا نصيبكم من كرامتى فى الآجل واعلم انه
لا يتزين احد من عبادى بزينة هى ابلغ من الزهد فى الدنيا وهى زينة الابرار
ويقال ان الله تعالى كلمه فى تلك المدة مائة الف كلمة واربعة عشر الف كلمة
يقول له مع كل كلمة قتلت نفسا بغير حق وقيل لموسى عليه السلام بم عرفت
أن الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام المخلوق انما يسمع من جهة واحدة
بحاسة واحدة وهى السمع وانى كنت اسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحى
كلها فعرفت انه كلام الله تعالى قالوا ولما صعد موسى الى الجبل لمناجات الله
تعالى صار الجبل عقيقا فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى
شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده وأراد أن يختنه فامر الله تعالى
ملكا فمد يده فلم تزل قدمه عن موضعها حتى جاء به الملك ملفوفا فى خرقة وناوله
الى موسى فأخذ حجرين فحك احدهما بالاخرى حتى حددهما كالسكين من الحديد
فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من المختون فتفل فيه فبرئ من ساعته
باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم تزل اهل موسى
مقيمين فى ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين
فعرفهم فاحتملهم وردهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى
بعد ما فلق البحر وجاوزه ببنى اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب
الى مصر الى موسى قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما بعثه الله الى مصر لا علم له
بالطريق وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا
صاحب له ولا شئ من الاشياء غير عصى ومدرعة صوف وقلنسوة صوف ونعلين
وكان يظل صائما ويبيت قائما ويستعين بالصيد وبقول الأرض حتى ورد مصر
فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى الى أخيه هارون يبشره بقدوم موسى ويخبره

انه جعله لموسى وزيرا ورسولا معه الى فرعون وامره ان يمر يوم السبت عاشر
ذى القعدة متنكرا الى شاطئ النيل ليلتقى بموسى تلك الساعة قال فخرج هارون
وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس واتفق انه كان يوم ورود
الاسد الماء وكان لفرعون أسد تحرسه فى غيطة محيطة بالمدينة من حواليها
وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون اذ ذاك فى مدينة حصينة عليها سبعون سورا
وكان بين كل سورين بساتين وأنهار ذلت مزارع وارض واسعة فى ربض كل
سور سبعون الف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيطة تولى فرعون غرسها
بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل واسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت
ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيطة طرقا تفضى بمن سلكها
الى باب المدينة معلومة ليس لتلك الابواب طرقا غيرها فمن اخطأها وقع فى الغيطة
فاكلته الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كله ثم تصعد مع
الليل قال فلما التقى موسى بهارون كان يوم ورودهم فلما رأتهم الاسد مدت
اعناقها ورؤسها اليهما وشخصت بابصارها نحوهما فقذف الله فى قلوبها الرعب
فانطلقت نحو الغيطة مسرعة هاربة على وجوهها تطأ بعضها بعضا حتى اندست
فى الغيطة وكان لها ساسة يسوسونها ووادة يدودونها ويشلونها على الناس
فلما اصابها ما أصاب خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من اين أوتوا ثم ان
موسى وهارون انطلقا فى تلك المسبعة حتى وصلا الى باب المدينة الذى هو
اقرب أبوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك يوم الاثنين
بعد هلال ذى الحجة بيوم فاقاما عليه سبعة ايام فكلمهما واحد من الحرس وقال
لهما هل تدريان لمن هو هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها
وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيد فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط
ولم يظن أن احدا من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع اسرع الى كبرائه
الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندى
اعظم واشنع وافظع مما اصابنا من الاسد وما كانا يقدرا ليقدما على ما قدما
عليه الا بسحر عظيم واخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى
الى فرعون قال السدى باسناده سار موسى باهله نحو مصر حتى أتاها
ليلا فتضيف أمه وهى لا تعرفه فاتاها فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطفشيل فنزل
فى جانب الدار فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه امه فاخبرته انه ضيف
فدعاه فاكل معه فلما قعدا وتحدثا سأله هارون من أنت فقال انا موسى فقام
كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسى يا هارون انطلق
معى الى فرعون فان الله تعالى قد ارسلنا اليه فقال له هرون سمعا وطاعة

فقامت امهما فصاحت وضجت وقالت انشدكما الله ان لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فأبيا عليها ومضيا لأمر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فاتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البواب وقال فرعون من هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة فأشرف عليهما البواب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين ففزع البواب واتى فرعون وأخبره بما سمع وقال له ان ههنا انسانا مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحاق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هارون يلتمسان الاءذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فأذنوا لنا بهذا الرجل فمكثا فيما بلغنا سنتين يغدوان الى بابه (اى فرعون) ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترى أحد عليهما ولا يخبره بشأنهما حتى دخل بطال له يلعب معه ويضحكه فقال له ايها الملك ان على بابك رجلا يقول قولا عجيبا يزعم ان له الها غيرك فقال لهم فرعون ادخلوه فأدخل موسى ومعه هارون عليهما السلام * الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهارون على فرعون قال الله تعالى فأتيا فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى روى عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى فى هذه الآية قال قال لهما اعذرا اليه لعله يتذكر أو يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى عندكما وهو عندى لا يتذكر ولا يخشى قال لكيلا يقول أهلكه قبل أن اعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسى وهارون دخلا عليه فلما وقفا عنده فدعا موسى بدعاء وهو لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع والارضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم انى أدرأبك فى نحره واعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال فتحول ما فى قلب موسى من الخوف أمنا وكذلك من دعا بهذا الدعاء وهو خائف آمن الله خوفه ونفس كربته وهون عليه سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسى من أنت فقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين معنا على ديننا هذا الذى تعيبه الان بعينه قال موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين اى من المخطئين ولم أرد بذلك القتل ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكره له من يده عليه فقال وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل اى اتخذتهم عبيدا تنتزع ابناءهم من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت اى انما صيرنى اليك ذلك قال فرعون وما رب العالمين

مطلب فى ذكر دخول موسى وهارون على فرعون

قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله من ملائه الا تستمعون انكارا لما قال موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون يعني ما هذا بكلام رجل صحيح العقل اي يزعم ان لكم الها غيرى قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين قال أو لو جئتك بشئ مبين تعرف به صدقي وكذبك وحقي وباطلك قال فرعون فأت به ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبي القصر واضعة لحيها الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون تأخذه فارفض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريره وأحدث حتى قام به بطنه في يومه ذلك أربعين مرة وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يمتخط ولا يتصدع رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم الا في كل أربعين يوما مرة واحدة وكان اكثر ما يأكل الموز لئلا يكون له ثقل فيحتاج الى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين له ان قال ما قال لانه ليس له من الناس شبيه قالوا فلما قصدته الحية صاح يا موسى انشدك بالله وحرمة الرضاع الا ما أخذتها وامسكتها عني وأنا اومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصى كما كانت ثم ان موسى نزع يده من جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج لها شعاع كشعاع الشمس فقال له فرعون هذه يدك فلما قالها فرعون ادخلها موسى في جيبه ثم أخرجها الثانية لها نور ساطع في السماء تكل عنه الابصار قد اضاء ما حولها يدخل ضوءها البيوت ويرى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى الى جيبه ثم أخرجها فاذا هي على لونها الاول قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام اليه هامان وجلس بين يديه ثم انه قال له بينما أنت اله تعبد اذ انت تابع لعبد فقال فرعون لموسى امهلني اليوم وغدا فاوحى الله لموسى قل لفرعون انك ان آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددتك شابا طريا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل اليه هامان فاخبره فرعون بما وعده موسى من ربه فقال له هامان والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ في منخره ثم قال له هامان أنا أردك شابا فأتى بالوشمة فخضبه بها فهو أول من خضب بالسواد فلذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فاوحى الله تعالى اليه لا يهولنك ما رأيت فانه لن يلبث الا قليلا حتى يعود الى حالته الاولى وفي بعض الروايا

ان موسى وهارون لما انصرفا من عند فرعون اصابهما مطر فى الطريق فأتيا على عجوز من أقربا أمهما وكان فرعون وجه الطلب فى اثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما فى دارها وجاء الطلب الى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت العصى من صرير الباب والعجوز تنظر اليها فقاتلتهم فقتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهارون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية العصى فيهم ثم ان العجوز آمنت بهما وصدقتهما * الباب العاشر فى قصة موسى وهارون مع فرعون والسحرة

مطلب فى قصة موسى وهارون مع فرعون والسحرة

وخروجهم يوم الزينة الى الفضا للمغالبة قالت العلما باخبار الانبياء ان موسى وهارون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان الله تعالى على السحر فقال للملاء حوله ان هذان لساحران عليمان فماذا تأمرون قالوا اقتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملاء من قوم فرعون أرجئه واخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وكانت لفرعون مداين فيها سحرة عدة لأمر اذا أحزنه قال ابن عباس قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى فى اليد والعصى ما رأى ان يغالب موسى الا بمن هو مثله فاخذ غلمانا من بنى اسرائيل فبعث بهم الى قرية يقال لها الفرقا يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان فى الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم انه بعث الى السحرة فجئ بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما كبيرا لا تطيقه سحرة الارض الا أن تكون أمرا من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرط فى مملكته فلم يترك فى مملكته ساحرا الا أتى به واختلفوا فى عدة السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما راس القوم وسبعون من بنى اسرائيل وقال الكلبى كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذى يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من اهل مينوبة وقال كعب كانوا اثنى عشر الفا وقال السدى كانوا بضعة وثلاثين الفا وقال عكرمة سبعون ألفا وقال محمد ابن المنكدر ثمانين الفا والجامع لهذه الاقاويل ما روى ان فرعون جمع السحرة وهم سبعون الفا فاختار منهم سبعة الاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا وقال عطاء كان رأس السحرة بأقصى مداين الصعيد وكانا اخوين فلما جاءهما رسول فرعون قالا لامهما دلينا على قبر أبينا فدلتهما عليه فأتياه وصاحا باسمه فاجابهما فقالا له ان الملك

وجه البنار سولا لنقدم عليه لانه اتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولهما
عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصى اذا القياها
لا يقوم لها شئ حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة فاجابهما أبوهما وقال انظراهما
اذا هما ناما فاذا قدرتما ان تسلا العصى فسلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهو
نائم فان عملت العصى وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين لا طاقة لكما به ولا
للملك ولا لجميع أهل الدنيا ثم انهما أتياهما وهما فى خفية وهما نائمان ليأخذا العصى
فقصدتهما العصى قالوا ثم انه واعد موسى يوم الزينة وكان يوم سوق لهم
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت
أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وكان يوم عيد لهم يجتمع اليه الناس من
جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان مجمعهم بالميقات بالاسكندرية
ويقال بلغ ذنب الحية من وراء الجزيرة من وراء البحرين يومئذ قالوا ثم ان
السحرة قالت لفرعون ائن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم
اذا لمن المقربين عندى فى المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا
على عصاه ومعه أخاه هارون حتى أتيا المجمع وفرعون فى مجلسه مع أشراف
قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم
بعذاب وقد خاب من افترى فتناجى السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض
ما هذا بقول ساحر فذلك قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى
فقالت السحرة لنأتينك اليوم بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون وكانوا قد جاؤا بالعصى والحبال يحملها ستون بعيرا فلما أبوا الا الاصرار
على السحر قالوا لموسى اما أن تلقى واما ان نكون نحن الملقين قال لهم موسى
بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم فألقوا فاذا حيات كامثال الجبال قد ملأت
الوادى تلقى بعضها بعضا تمشى فذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها
تسعى الى قوله تعالى خيفة موسى فقال موسى والله انها كانت لعصى فى أيديهم
ولقد عادت حيات وما عصاى هذه فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله اليه
لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد
ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ففرح موسى ثم انه ألقى عصاه من يده فاذا
هى ثعبان مبين كاعظم ما يكون من الثعابين اسود مدلهم يدب على أربع
قوائم قصار غلاظ شداد وهو أعظم وأطول من بختى عظيم وله ذنب يقوم
عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه وعنقه وكاهله لا يضرب بذنبه
على شئ الا حطمه وكسره ويكسر بقوائمه الصخور الصم الصلاب ويطحن كل شئ
ويصرم الحيطان والبيوت نفسه نار وله عينان يلتهبان نارا ومنخراه ينفخان

سموما وعلى معرفته شعر كامثال الرماح وصارت الشعبتان له فما بين كل شعبة اثنى عشر ذراعا وفيه انياب وأضراس لها نخيخ وكشيش وصريف وصرير فاستعرضت ما ألقت السحرة من حبالهم وعصيهم وهي تخيل في اعين الناس وعين فرعون أنها تسعى فجعلت تلقفها وتبلعها واحدا واحدا حتى ما يرى في الوادى لا قليل ولا كثير مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضا حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم مخوفا مرعوبا عقله فما عاد اليه عقله وقد استطلق عليه بطنه في يومه ذلك عن اربعمائة جلسة ثم بعد ذلك الى اربعين مرة في اليوم والليلة على الدوام الى ان هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ما عاينوا فقالوا لبعضهم لو كان بالسحر ما غلبنا ولا خفي علينا أمره وان كان سحرا فأين حبالنا وعصينا فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وكان فيهما اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهما من الكبر وكانوا علماء ورؤساء السحرة وكان رئيس السحرة خمسة نفر سابور وعلى دور وحفظ وخطط ومصفا وهم الذين آمنوا حين رأوا أمارا وامين سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدا امنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر الى قوله تعالى أشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات الآية فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوبا مهزوما مكسورا ثم أبى الا الاقامة على الكفر والتمادى في الشر فتابع الله عليه الآيات وأخذه وقومه بالسنين الى أن أهلكهم الله ثم ان موسى عاد راجعا الى قومه والعصى على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الالوف بصاحبه والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها وقد ملئوا رعبا فلم تزل العصى على هيئة الحية والناس يتحدثون وينظرون اليها ويتصاعقون ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بني اسرائيل فأخذ برأسها فاذا هي عصى كما كانت اول مرة وشتت الله على فرعون أمره ولم يجد الى موسى سبيلا واعتزل موسى من مدينته ولحق بقومه وعسكره وكانوا مجتمعين الى أن صاروا ظافرين * الباب الحادى عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله واولاده رضى الله عنهم قالت الرواة كان حزقيل من اصحاب فرعون نجارا وهو الذى صنع لام موسى التابوت حين ولدته وألقته في البحر وقيل انه كان خازنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مؤمنا مخلصا يكتم ايمانه الى ان ظهر موسى على السحرة فأظهر حزقيل أمره فأخذ يومئذ وقتل

مطلب في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون

مع السحرة صلبا وهو الذى ذكره الله فى القرآن فى قوله تعالى وقال رجل مؤمن
من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم
ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين على بن أبى طالب رضى الله عنه وصاحب يس
ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل
مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو افضلهم وأما
امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من اماء الله
الصالحات الا انها كانت تكون مع بنات فرعون تخدمهم وكان من قصتها
ما أخبرنا به بالاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لما أسرى بى مررت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ما هذه
الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون واولادها كانت تمشط ذات يوم
بنت فرعون فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون ابى
قالت لا بل ربى ورب أبيك فقالت لها لاخبرن بذلك ابى فلما اخبرته دعا بها
وبولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربى وربك الله فأمر بتنور من نحاس
فأحمى وأمر بها وبولدها ان يلقوا فيه فقالت له ان لى اليك حاجة فقال وما هى
قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنهما قال وذلك لما لك علينا من الحق
ثم أمر باولادها فالقوا واحدا واحدا فى التنور حتى اذا كان آخر اولادها ولدا
صبيا رضيعا فقال اصبرى يا أماه فانك على الحق فألقيت فى التنور مع ولدها
فسئل ابن عباس فيمن تكلم فى المهد فقال تكلم فى المهد أربعة عيسى بن مريم وشاهد
يوسف وصاحب جريج وهذا الصبى * الباب الثانى عشر فى ذكر آسية
بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى قال الله تعالى وضرب الله
مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بنى اسرائيل
وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتتعلل فى قضاء حاجتها
فتبرز فتصلى يومها فى متبرزها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى أن
قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة فى قصر فرعون تنظر
الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت
آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما اراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها
من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هى كذلك اذ دخل عليها فرعون
وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل
لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذى
اعترى صاحبتك فقالت ما اعترانى جنون ولكنى آمنت بالله ربى وربك
ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذى

مطلب فى ذكر آسية امرأة فرعون ومقتلها

اخذ الماشطة ثم انه اقسم بالله لتذوقن الموت اولتكفرن باله موسى فخلت بها أمها
وسألتها موافقة فرعون فيما اراد فأبت وقالت تريدين ان اكفر بالله فلا والله
ما أفعل ذلك ابدا فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة اوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت
رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذى الأوتاد عن ابن عباس قال أخذ
فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها لتدخل فى دينه فمر بها موسى وهو يعذبها
فشكت اليه باصبعها فدعا الله موسى ان يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد
للعذاب مسا الى أن ماتت فى عذاب فرعون فقالت وهى فى العذاب رب ابن لى
عندك بيتا فى الجنة ونجنى الآية فاوحى الله تعالى اليها ان ارفعى رأسك ففعلت
فرأت البيت فى الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذى
بها تضحك وهى فى العذاب * الباب الثالث عشر فى بناء الصرح قال الله

مطلب في بناء الصرح

تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أبلا
لفرعون فى كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة والتنعم والترفع والتمنع
ما قد استحل به رعيته من اهل مملكته حتى استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه
مع ما أوتى من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود والشوكة والعدة
والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته
أنه ربما لبث أربعين يوما وليلة لا يخرج منه شئ الا مرة واحدة وهو مع ذلك يأكل
ويشرب ولا يتبزق ولا يتمخط ولا يتنخخ ولا يسعل ولا يأخذه وجع فى بطنه
ولا ترمد عيناه ولا يمرض ولا يصيبه آفة فى نفسه ولا كراهة قالوا وبلغ من
املاء الله تعالى له انه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد
ابن جبير ملك فرعون اربعمائة سنة لا يرى مكروها ولو كان فى تلك المدة ادرك
جوع يوما وحمى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم
يمسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه الا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره
مشرق منيف على ألف عتبة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر
عليها وكان يركبها صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه استدراجا منه له
فلما عاين من أمر موسى ما عاين لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه
الرعب والخوف فخاف عليهم ان يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه
وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد اركانه فقال لوزيره يا هامان ابن
لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه
كاذبا فأمرها مان ببنيانه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن
يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بنا سوى الاتباع والاجرى
ممن يطبخ الآجر والجص وينحت الخشب والابواب والمسامير فلم يزل يبنى الصرح

وبشر الله تعالى له امره استدراجا له منه واتاه الامر على ما يريد الى ان فرغ منه
فى سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات
والارض فشق ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه ان دعه وما يريد فانى
مستدرج له وآخذه بغتة وانى مبطل كل ما عمله فى ساعة واحدة وكان ذلك الصرح
اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث
لا يعلمه الا الله تعالى فلما تم بناه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه
الصرح ضربة فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى الهند
وقطعة فى المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذفت
به على عسكر فرعون فقتل منهم الفى الف رجل قالوا ولم يبق احد ممن عمل فيه الا
اصابه موت أو حريق او عاهة من نجار أو حداد أو بناء الا يبست يده والذين
كانوا يطبخون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم واما الفعارمة والعمال
فماتوا وكان تدمير فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى
طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه
شيأ فعزم على قتال موسى وقومه فأمر اصحابه فنصبوا له الحرب ثم ان عسكر
فرعون قالوا لموسى انك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت
نعمته وتربيته ونسيت احسانه اليك ومنته عليك حيث ألقتك أمك فى اليم
قبحا لك وتبغضا لك لما علمت مما أنت صائر اليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون
من الغرق واستدركك من الموت فآواك وكفلك وربّاك واتخذك ولدا ثم
فررت منه آبقا كافرا وجئته عدوا محاربا فلسنا بممتنعين عنك حتى نردك الى
عبادته وخدمته أو نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم انه
لا يغني عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة
العذاب ابتلاهم الله بالعذاب وبالايات * الباب الرابع عشر فى ذكر الايات
التى ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دنى هلاكهم اظهارا لقدرته والزاما لحجته
قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال المفسرون هى العصى
واليد البيضا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر
فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات قال قتادة
أما السنون فكانت ببادية بهم بر مواشيهم واما نقص الثمرات فكان فى أمصارهم
قال تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان الآية واختلف المفسرون فى ذلك الطوفان
ما هو قال ابن عباس كان اول الآيات الطوفان وهو الماء ارسل عليهم من السماء
وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكها وقال الضحاك هو الغرق وقال
مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف وروى عن رسول الله صلى الله عليه

مطلب فى ذكر الايات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه

وسلم وقال وهب هو الطاعون بلغة اهل اليمن ارسل الله الطاعون على ابكار آل
فرعون فاقتضهن فى ليلة واحدة فلم يبق منهن باقية وقال ابو قلابة الطوفان
الجدرى فهم اول من عذب به فبقى فى الارض والجراد والقمل واختلفوا فى القمل
ما هو فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة
وروى عن على بن ابى طلحة انه قال الذباب الذى لا أجنحة له وروى معمر عن
قتادة قال القمل اولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث وقال عطاء
هو القمل دليله قرأة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال أبو عبيدة هو
الحمنان وهو ضرب من القردان قال ابو العالية ارسل الله الحمنان على دوابهم
فأكلها حتى لم يبق منها شئ ولم يقدروا على الميرة قال امية بن الصلت الثقفى

ارسل الذر والجراد عليهم * وعذابا فاهلكتهم دبورا

باب فى صفة هذه الايات وتفصيلها وكيفيتها قال ابن عباس وسعيد
ابن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق وغيرهم من اصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم
فى بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا
مقهورا فانصرف موسى وهارون الى عسكر بنى اسرائيل فأمر فرعون قومه ان
يكلفوا بنى اسرائيل ما لا يطيقون فكان الرجل من القبط يجئ الى الرجل من بنى
اسرائيل يقول له انطلق معى فاكبس حشى واعلف دوابى واستق لى وتجئ القبطية
الى الكريمة من بنى اسرائيل فتكلفها ما لا تطيق ولا يطعمونهم فى كل ذلك خبزا
فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتسبوا لانفسكم ما تاكلون فشكوا ذلك
الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين قالوا يا موسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا
كنا نطعم اذا استعملونا من قبل ان تأتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا فقال
موسى عسى ربكم ان يهلك عدوكم يعنى فرعون والقبط ويستخلفكم فى الأرض
يعنى الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادى على
الكفر والاقامة عليه فى الشر والظلم دعا موسى ربه فقال يا رب ان عبدك فرعون
قد طغى فى الارض وبغى وعتى وان قومه نقضوا عهدك واخلفوا وعدك رب
خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم من الامم اعتبارا فتابع
الله عليهم الايات المفصلات بعضها فى اثر بعض فاخذهم بالسنين ونقص من
الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان وهو الماء ارسل عليهم السماء حتى كادوا يهلكوا
وبيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها فى بعض فامتلأت
بيوت القبط حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بنى
اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدروا على ان

مطلب
فى صفة الايات
وتفصيلها
وكيفيتها

يحرثوا ولا يعملوا اشياء وجهدوا ودام ذلك عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن لك ونرسل معك بنى
اسرائيل فدعى موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى
اسرائيل وعادوا الى أشر ما كانوا عليه فأنبت الله تعالى لهم فى تلك السنة الكلاء
والزرع والثمرة ما لم ينبت قبل ذلك فأعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا
كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة لنا وما يسرنا انا لم نمطر فاقاموا شهرا فى
عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق اشجارهم وزهرها
حتى كانت لتاكل الابواب والثياب والأمتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير
من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل
بيوت بنى اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شئ فعجوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا
ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل
فأعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام
عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضا فاشار
الى المشرق بالعصى فذهب الجراد من حيث جاء كان لم يكن * فصل فى بعض
ما ورد من الاخبار الغريبة اخبرنى الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن انس بن
مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع
الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم واهلك صغارهم وافسد بيضه
وخذ بافواههم عن معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعا فقال رجل من القوم
كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابره فقال
انما الجراد نثر حوت من البحر قال ابن علاثة وحدثنى من رأى الحوت ينثره باسناد
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر الجراد مكتوب
جند الله الاعظم وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد فى سنة من سنى
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يخبر عنه بشئ فاغتم لذلك فارسل راكبا الى اليمن
وراكبا الى الشام وراكبا الى العراق يسالون هل رأوا اشياء من الجراد ام لا فاتاه
الراكب الذى دخل اليمن بقبضة من الجراد فألقاه فى يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة
فى البحر واربعمائة فى البر فأول شئ يهلك من هذه الامم الجراد فاذا اهلك الجراد تتابع
مثل النظام اذا قطع سلكه وباسناده عن أبى امامة الباهلى يحدث عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال ان مريم ابنة عمران سألت ربها ان يطعمها لحما لا دم له
فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياع فقلت
يا ابا المعفى ما الشياع قال الصوت وباسناده عن عبد الله بن ضمرة السلولى قال

لما اخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى
وأنا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وانا جندي النساء هن شبكتي
التي لا تخطئ أبدا أخبرنا الحسين باسناده عن الأوزاعي يقول كان ببيروت
رجلا صالحا يذكر انه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان
اظنهما احمران وهو يقول الدنيا باطل باطل مافيها ويقول بيده هكذا فحيث
ما أشار استاق الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا ان ذلك الرجل ملك الجراد قال
فاقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسى أمر
أن يمشي الى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك
الكثيب وكان اهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع مابقي
من حروثهم واشجارهم ونباتهم فاكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب
أحدهم وبين جلده فيعضه وكان ياكل احدهم الطعام فيمتلئ قملا حتى ان احدهم
ليبني الاسطوانة بالجص ويزلقها حتى لا يرتقي فوقها شئ ثم يرفع فوقها الطعام
فاذا صعد اليه لياكله وجده مليء قملا فما أصيبوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل
واخذ القمل اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم
كانها الجدري عليها ومنعتهم النوم والقرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد
ابن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة
الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة اقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا
يا ايها الساحر اي ايها العالم انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك بما عهد عندك ليكشف
عنا هذا العذاب فدعى موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في اقطار الارض
واطراف البلاد بعدما اقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا
العهد وعادوا الى اخبث اعمالهم وقالوا ما كنا قط احق ان نستيقن ان موسى
ساحر لنا الا اليوم فيجعل الرمل دوابا فعلى ماذا نؤمن به ونرسل معه بني اسرائيل
فقد اهلك زرعنا وحروثنا واذهب اموالنا فما عسى ان يفعل اكثر مما فعل وعزة
فرعون لا نصدق به ابدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرا في عافية
وقيل اربعين يوما فاوحى الله تعالى اليه وأمره ان يقوم على صفة النيل فيغرز
عصاه فيه ويشير بالعصى الى ادناه وأقصاه واعلاه وأسفله ففعل ذلك فتتابعت
له الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضه بعضا واسمع أدناها اقصاها ثم
انها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم
في بيوتهم بغتة وامتلأت منها أفنيتهم وآنيتهم وأبنيتهم وكان أحدهم لا يكشف
ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى
ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان أحدهم ينام على فراشه

وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه
ركاما حتى لا يستطع ان ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان احدهم يفتح فاه
لاكلته فتسبقه الضفدعة الى فيه وكانوا لا يعجنون شيأ من العجين الا انشدخت
فيه ولا يطبخون قدرا الا امتلأت فيه وكانت تثب فى نيرانهم فتطفيها وفى طعامهم
فتفسده فلقوا منها اذا شديدا روى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع
برية فلما ارسلها الله تعالى على فرعون سمعت واطاعت فجعلت تقذف انفسها فى القدور
وهى تفور وفى التنانير وهى مسجورة فأتابها الله بحسن طاعتها برد الماء قال
فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم امرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة
وطرقها مملوءة جيفا من كثرة ما يطاؤنها باقدامهم واروحت البقاع كلها منهم فلما
رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه
المرة ولا نعود فاخذ على هذا عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه فكشف
عنهم الضفادع وذلك فيما يروى ان موسى أمر ان يهتف بعصاه ويميلها ففعل
ذلك فانقشعت فما كان منها حيا فلحقت بالنيل وارسل الله على الميت ريحا
فنحتها عن مدينتهم بعد ما أقامت عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فاقاموا
شهرا فى عافية وقيل اربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم
فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم وذلك ان الله تعالى امر موسى ان يذهب
الى شاطئ البحر فيضرب بعصاه ففعل ذلك فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم
كلها دما وما يسقون من الانهار والآبار الا وجدوه دما احمر غبيطا فشكوا ذلك
الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه
قد سحركم فكان يجتمع الرجلين على الاناء الواحد القبطى والثانى الاسرائيلى فيكون
ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما غبيطا وكان القبطى والاسرائيلى يستقيان
من ماء واحد فيخرج ماء القبطى دما وماء الاسرائيلى ماء عذبا وكانا يقومان
الى الجرة التى فيها ماء فيخرج للاسرائيلى ماء وللقبطى دما حتى أن المرأة من آل فرعون
تأتى الى المرأة من بنى اسرائيل حين اجهدهم العطش فتقول اسقينى من مائك فتسكب
لها من جرتها او تصب لها من قربتها فتعود فى الاناء دما حتى انها تقول لها اجعليه
فى فيك ثم مجيه فى فمى فتاخذ فى فيها ماء فاذا مجته صار دما قالوا والنيل على ذلك
يسقى الزرع والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان
فرعون اعتراه العطش فى تلك الايام حتى انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة
فاذا مضها تغير ماؤها ملحا أجاجا ومرا زعاقا فمكثوا فى ذلك سبعة أيام لا يأكلون
ولا يشربون الا الدم قال زيد بن أسلم كان الدم الذى سلط عليهم الرعاف فلما
ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن

بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك ان موسى
أمر أن يضرب النيل بعصاه ضربة اخرى فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا
ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان الآيات قال
نوف البكالي بن امرأة كعب الاحبار مكث موسى في آل فرعون عشرين سنة بعد
ما غلب السحرة يريهم الآيات الجراد والقمل والضفادع والدم وقال الضحاك لما
يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون الا الطغيان والكفر
والتمادي والكبر فدعا عليهم موسى وأمن هارون عليهما السلام فقالا ربنا
انك آتيت فرعون وملاءه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك
ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
فأجاب الله دعاهما كما قال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان الآية قالوا
وكان لفرعون واصحابه من اثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة
واليواقيت وانواع الحلي والجواهر ما لا يحصيه الا الله تعالى وكان اصل ذلك
المال مما جمعه يوسف عليه السلام في زمانه ايام القحط فبقي ذلك في يد القبط فاوحى
الله الى موسى عليه السلام انى مورث بني اسرائيل ما في أيدي آل فرعون من العروض
والحلي وجاعله لهم جهازا وعتادا الى الارض المقدسة فاجعل لذلك عيدا تعتكف
عليه انت وقومك تشكرونني وتذكرونني وتعظمونني ذلك اليوم وتعبدونني فيه
لما أريكم من الظفر ونجاة الأولياء وهلاك الأعداء واستعيروا للعيد كم من آل فرعون
الحلي وانواع الزينة فانهم لا يمنعون عنكم للبلاء الحال بهم في ذلك الوقت ولما
قذفت في قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فأمر فرعون
بزينة أهله وولده وما كان في خزائنه من انواع الحلي فأعيرت لبني اسرائيل لما
اراد الله بذلك ان يفي على موسى وقومه افضل اموال اعدائه بغير قتال ولا ايجاف
خيل ولا رجل لطفا منه بهم وافضالا عليهم فلما دعا موسى عليه مسخ الله الاموال
التي بقيت في ايديهم حجارة كلها حتى النخل والرقيق قال محمد بن كعب سألني
عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التي اراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والعصى واليد البيضا والطمس وفلق البحر
فقال عمر لا يكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فيها اشياء مما كان أصيب
لعبد العزيز بن مروان اذ كان عليها بقايا اموال فرعون فاخرج البيضة مشقوقة
نصفين وانها لحجر والجوزة مشقوقة وانها لحجر والحمصة والعدسة وروى محمد
ابن اسحاق عن رجل من اهل الشام انه كان بمصر قال وقد رأيت نخلة مصروعة
وانها لحجر وقال لقد رأيت انسانا وما شككت انه انسان وانه لحجر وكان ذلك
المسخ في ارقائهم دون احرارهم اذ العبيد من جملة اموالهم فلم يبق لهم مال الا

مسخه الله تعالى ما حلا الذى بأيدى بنى اسرائيل من الحلى والجواهر وانواع
الزينة وقال ابن عباس اول الآيات العصى وآخرها الطمس قالوا وبلغنا أن
الدنانير والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا وأثلاثا
وجعل سكرهم حجارة * الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام
ببنى اسرائيل وخبر فلق البحر لهم قال الله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى
انكم متبعون قال العلماء باخبار الانبياء اوحى الله تعالى الى موسى حين اراد
اظهاره على عدوه ان اجمع بنى اسرائيل كل اربعة ابيات فى بيت ثم اذبحوا اولاد الضان
واضربوا بدمائها على الابواب فانى مرسل على اعدائكم عذابا وانى سأرسل الملائكة
فلا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرها فتقتل ابكار آل فرعون من انفسهم واموالهم
فتسلمون انتم ويهلكون هم ثم اخبزوا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى
تنتهى بهم الى البحر فيأتيك امرى فامر موسى بنى اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط
لبنى اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله تعالى لمرسل العذاب عليكم
فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا
أمرنا نبينا فأصبحوا وقد طعن ابكار آل فرعون وماتوا كلهم فى ليلة واحدة وكانوا
سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه
متوجهين الى البحر وهم ستمائة الف وعشرون الفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة
لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على
الساقة وهارون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن ابكارهم وبلغهم خروج
بنى اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا ابكارنا من انفسنا واموالنا
ثم انهم خرجوا ولم يرضوا ان ساروا بانفسهم حتى ذهبوا باموالنا معهم فنادى
فى قومه كما قال الله تعالى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة
قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون ثم ان فرعون تبعهم فى قومه
وعلى مقدمته هامان فى ألف ألف وسبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى رأسه
بيضة وبيده حربة قال ابن جريج أرسل فرعون فى اثر موسى وقومه الف الف
وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك الف رجل ثم خرج فرعون خلفهم
فى الدهم وكان فى عسكر فرعون مائة الف حصان ادهم سوى سائر الالوان وذلك
حين طلعت الشمس واشرقت كما قال تعالى فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان
رأت بنوا اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا يا موسى اين ما وعدتنا من النصر
والظفر هذا البحر قدامنا ان دخلنا غرقنا وفرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا
ولقد أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا فقال موسى لقومه يا قوم
استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة

مطلب فى قصة اسراء موسى عليه السلام ببنى اسرائيل

للمتقين

للمتقين وقال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون * فصل قالوا لما سار موسى ببنى اسرائيل من مصر وارادوا ان يسيروا ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بنى اسرائيل فسألهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه فى الارض المقدسة فلذلك نالنا هذا الامر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى انشد الله كل من يعلم اين موضع قبر يوسف الا اخبرنى ومن لا يعلم صمت اذناه عن قولى فكان يمر بين الرجلين ينادى فلا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرايتك ان دللتك عليه اتعطينى ما سألتك فأبى عليها وقال حتى استأذن ربى فامره ربه ان يعطيها مناها فاعطاها ذلك فقالت له انى اريد ان لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت فانى عجوز كبيرة لا استطيع ان امشى فاحملنى فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه فى جوف هذا الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فحسره عنه فقالت له احفر هاهنا ففعل فاستخرجه وهو فى صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه فى الارض المقدسة قال عروة بن الزبير وقد كان الله تعالى امر موسى ان يسير ببنى اسرائيل اذا طلع الفجر فدعا ربه ان يؤخر طلوعه حتى يفرغ من امر يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من فعل ذلك منهم اخبرنى الحسن بن محمد باسناده عن ابن ابى موسى الاشعرى عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نزل النبى صلى الله عليه وسلم باعرابى فاكرمه فقال له عليه السلام تعاهدنا فاتاه الاعرابى فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابى ناقة يا رسول الله برحلها واعنز يحلبها اهلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ما حاجتك فقال مالى حاجة غيرها فقال عليه السلام ان عجوز بنى اسرائيل كانت احسن مسألة من هذا وذكر الحديث الذى فى قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وغارت ترمى بموج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى هاهنا فخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوارى حافر دابته الماء وقال الذى يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا مكلم الله اين امرت قال هاهنا فبكح فرسه بلجامها حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب فى الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر وكان الماء ذلك الوقت فى غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فاوحى الله تعالى اليه أن كنه فضربه ثانيا وقال انفلق

يا ابا خالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق
البحر فاذا بالرجل الذى اقتحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده
ثم ظهر فى البحر اثنى عشر طريقا لاثنى عشر سبطا لكل سبط طريق وارسل الله تعالى
الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر
يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قال سعيد بن جبير ارسل معاوية الى ابن
عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة فارسل اليه انه المكان الذى
انفلق من البحر لبنى اسرائيل اخبرنا الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام
أن موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل
شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب
بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق الاية وروى الاعمش عن شقيق قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أعلمكم الكلمات التى تكلم بها موسى حين جاز
البحر ببنى اسرائيل فقلنا بلى يا رسول الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى
وانت المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عبد الله فما تركتهن
منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنو اسرائيل البحر كل
سبط فى طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا
وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء أن تشبكى فصار الماء
شبكات كهيأت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فأخذوا يجاوزون البحر وهم يرون
بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى
واذ فرقنا بكم البحر اى فلقنا وميزنا لكم الماء يمينا وشمالا فانجيناكم وأغرقنا
آل فرعون وانتم تنظرون وذلك انه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر
وصلت مقدمة عسكر فرعون فاراد موسى ان يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى
فأوحى الله تعالى اليه ان اترك البحر رهوا انهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون
الى البحر رأوه منفلقا فقال فرعون انظروا الى البحر كيف انفلق لهيبتى حتى أدرك
اعدائى وعبيدى الذين أبقوا فاقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوه
ولم يكن فى خيل فرعون انثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على
فرس له انثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر
فظن اصحاب فرعون ان الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر فى
اثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم
الحقوا باصحابكم فلما أراد فرعون ان يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان
وقال له انى قد اتيت الى هذا الموضع مرارا وما لى عهد بهذه الطريق وانى اخاف
ولا آمن أن يكون مكر من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك اصحابنا فلم يطعه

فرعون وذهب معاجلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاءه جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فجمحم اليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون فاقحمه البحر فلما تواقفوا في البحر وهم اولهم ان يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر ان يأخذهم فالتطم عليهم فغرقهم اجمعين وذلك بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون يعني الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدركه فرعون الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين فقال له جبريل الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل اراه فتياه وتوقيعه الذى فيه وقال له انما هذا فتياك الذى افتيت به ثم جعل يدس فى فيه من حماء البحر مخافة ان يعيد تلك الشهادة وفي الحديث ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت أحدا من الخلق ما ابغضت رجلين أما احدهما فمن الجن وهو ابليس عليه لعنة الله حين ابى ان يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال أنا ربكم الاعلى ولو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من حماء البحر وأدسه فى فيه مخافة ان يقول كلمة يرحمه الله بها قالوا فلما سمعت بنوا اسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى ما هذه الضوضا فقال لهم ان الله قد اهلك فرعون وكل من كان معه غرقا فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت لانه خلق خلق من لا يموت الم تر أنه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شئ مما يحتاجه الانسان فأمر الله تعالى البحر فالقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنوا اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فيقال انه لو لم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى ببني اسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون اخبرني الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودي الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسة وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت اقدامكم من حماء البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما اغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجا موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثنى عشر ألفا الى مداين فرعون وهي يومئذ خالية من اهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فأمر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا حملها باعوه من قوم آخرين فذلك قوله

مطلب في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه

تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين * الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه وصفة اتيان الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر واذ واعدنا موسى اربعين ليلة قال العلماء بقصص النبيين وسير الماضين ان موسى كان وعد بني اسرائيل وهو بمصر اذا اخرجوا منها وهلك عدوهم ان يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بني اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذي أوعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله ان يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل انكر خلوف فيه فتسوك بعود خرنوب وقال أبو العالية أخذ من لحاء الشجر فمضغه فقالت له الملائكة انا كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة ايام اخر وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندي من رائحة المسك وكانت فتنتهم في العشرة الايام التي زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وأتممناها بعشر يعني من ذي الحجة اخبرني الحسن بن محمد باسناده عن ابي هريرة ان جميع الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة فلما مضت اربعين ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه لميقات ربه فلما أتى طور سينا كلمه ربه وناجاه وقربه وأدناه كما قال تعالى وقربناه نجيا قال وهب كان بين الله وبين موسى سبعين حجابا فرفعها الله كلها الا حجابا واحدا فتخلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع موسى فيها فقال رب أرني انظر اليك قال السدي لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس في قلبه وقال ان مكلمك الشيطان فعند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى له لن تراني وليس يطيق البشر النظر الي في الدنيا من نظر الي مات فقال الهي سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولكن انظر اليك ثم أموت احب الي من ان اعيش ولا اراك فقال له انظر الى الجبل فان استقر مكانه هذا الجبل وهو اعظم جبل في مدين يقال له الرس وذلك ان الجبال لما علمت ان الله يريد أن يتجلى لجبل منها تعاظمت وتشامخت رجاء أن يتجلى الله لها وجعل الرس يتواضع من بينها فلما رأى الله تواضعه رفعه

من

من بينهن وخصه بالتجلي قال الله تعالى فان استقر مكانه هذا الجبل فسوف تراني
فتجلى الله تعالى للجبل واختلف العلماء في معرفة التجلي قال ابن عباس ظهر نوره
للجبل وقال الضحاك اظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله
ابن سلام وكعب ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا كسم الخياط حتى صار دكا دكا
وقال السدي ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قرأ هذه الآية فقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر
فساخ الجبل يعني انهار وقال الحسن اوحى الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتي
فغار الجبل وساخ في الارض وموسى ينظر اليه حتى ذهب اجمع وقال ابو بكر بن عمر
الوراق حكى لي عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى اظهر من بين سبعين ألف
حجاب نورا قدر درهم فجعل الجبل دكا قال ابو بكر فعذب اذ ذاك كل ماء وافاق
كل مجنون وبرئ كل مريض وزال الشوك عن الاشجار واخضرت الارض واهتزت
وخمدت نار المجوس وخرت الاصنام لوجوهها وقال السدي ما تجلى للجبل الا
قدر جناح بعوضة فصار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتى
وقع في البحر وهو يذهب معه قال عطية العوفي صار رملا هائلا وقال الكلبي
جعله دكا اي كسر الجبل اصغارا وبالاسناد عن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمته
ستة فوقعت ثلاثة في المدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة
ثور وثبير وحرى وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا
وقال الكلبي خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة
يوم النحر قال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت الملائكة ما لابن عمران وسؤاله
الرؤية وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا
يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وقال
وهب لما سأل موسى الرؤية ارسل الله تعالى السحاب والصواعق والظلمة والرعد
والبرق فاحاطت بالجبل الذي عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات
ان يعرضوا على موسى اربعة فراسخ من كل ناحية فمرت به الملائكة ملائكة سماء الدنيا
كثيران البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد
الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه
مثل الأسد لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى العبد الضعيف ابن عمران
مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في جسده فقال ندمت على مسئلتي فما ينجيني
من مكاني الذي انا فيه شئ متى خرجت احترقت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة
ورئيسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير مما رأيت ثم هبطت ملائكة

السماء الثالثة كأمثال النسور لهم قطف ورجف ولجب شديد بالتسبيح والتقديس والتهليل كلجب جيش عظيم وكلهب نار به ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شئ من الذين مروا به ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شئ من اصوات الذين مروا به ثم هبط عليه ملائكة السماء الخامسة في سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم فامتلأ جوف موسى فزعا واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا بن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة ان اهبطوا على عبدي الذي أراد رؤيتي فاعترضوا عليه فهبطوا وفي يد كل ملك منهم حربة طويلة تلتهب نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا بهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة ابدا لا يموت وفي رأس كل ملك منهم اربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه وصوته يسبح معهم ويبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك لا أدري هل اتخلص مما أنا فيه أم لا ان خرجت احترقت وان مكثت مت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم اوشك يا بن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم امر الله تعالى ان يحمل عرشه في ملائكة السماء السابعة وقال الله أروه اياه فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات اصواتهم جميعا وارتج الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه وخر موسى العبد الضعيف صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذي كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بانك ربي وصدقت بانه لا يراك احد فيحيى ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الالهة وملك الملوك لا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ تبت اليك الحمد لله لا شريك لك انت رب العالمين قال السدي حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل اخبرني الحسن باسناده عن عروة بن ديلم اللخمي قال كانت الجبال قبل ان يتجلى الله لموسى صما ملسا فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتفطرت الجبال وصار فيها كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة الواح طول كل لوح منها عشرة اذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التي اتخذ منها الالواح من زمرد اخضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة اغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعها نورا وصار النور قلما

اطول مما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ وذلك يوم الجمعة واشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى ان يأخذها بقوة ويقربها قومه فوضعت الالواح على السماء فلم تطق حملها لثقل العهود والمواثيق التى فيها فقالت يا رب كيف اطيق ان احمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وامره ان يحمل الالواح فيبلغها موسى فلم يطق حملها فقال يا رب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يا رب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا فى القرآن فقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون كما انزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدى موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله تعالى يا موسى انى اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له فى الالواح الآية

فصل

مطلب في نسخة العشر كلمات التي كتبها الله لموسى عليه السلام

فى نسخة العشر كلمات التى كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه فى الالواح وهى معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة وهى بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران أن سبحنى وقدسنى لا اله الا انا فاعبدنى ولا تشرك بى شيأ واشكر لى ولوالديك الى المصير احييك حياة طيبة ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فاضيق عليك السماء باقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا ازكى من لا يعظم اسمى ولا تشهد بما لا يعى سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فانى أوقف اهل الشهادات على شهادتهم يوم القيامة واسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتى ولا تزنى ولا تسرق فاحجب عنك وجهى واغلق دون دعوتك ابواب السموات ولا تذبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان أهل الارض الا ما ذكر عليه اسمى ولا تغدرن بحليلة جارك فانه اكبر مقتا عندى واحبب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك فهذه نسخة العشر آيات وقد اعطاها الله جميعا لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ثمانية عشر آية وهى قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى قوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها فى ثلاث آيات من سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون اخبرنا أبو عمر

محمد القرباني باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعطى
موسى الالواح نظر فيها فقال يارب لقد اكرمتني بكرامة لم تكرم بها احدا من العالمين
قبلي قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن
من الشاكرين أي بقوة وجد ومحافظة بموت على حب محمد عليه السلام قال موسى
يارب ومن محمد قال احمد الذي أثبت اسمه على عرشي قبل ان اخلق السموات والارض
بألفي عام وانه نبيي وصفيي وخيرتي من خلقي وهو أحب الي من جميع خلقي وجميع
ملائكتي فقال موسى يارب ان كان محمد أحب اليك من جميع خلقك فهل خلقت
أمة اكرم عليك من أمتي قال الله تعالى ان فضل امة محمد عليه السلام على سائر الامم
كفضلي على جميع الخلق قال يارب ليتني أراه وأراهم قال يا موسى انك لن تراهم
ولو أردت ان تسمع كلامهم أسمعتك قال يارب فاني اريد ان اسمع كلامهم قال
الله تعالى يا امة محمد فاجبنا كلنا من اصلاب ابائنا وارحام امهاتنا لبيك اللهم
لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك فقال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتي
سبقت غضبي وعفوي عقابي قد اعطيتكم من قبل ان تسألوني وقد اجبتكم
من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل ان تعصوني من جاء يوم القيامة
بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة ولو كانت ذنوبه
اكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى
الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
اخبرنا احمد القرباني باسناده عن عبد الرحمن بن العاص عن ابيه ان كعب الاحبار
رأى حبرا من اليهود يبكي فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال انشدك
الله لئن اخبرتك بما ابكاك لتصدقني قال نعم قال انشدك الله هل تجد في كتاب
الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال اني اجد أمة هم خير الامم اخرجت للناس
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون
أهل الضلالة حتى يقاتلون الأعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم امتي
قال هم امة محمد يا موسى قال له الحبر نعم قال كعب انشدك الله تعالى هل تجد
في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال اني اجد أمة هم الحامدون
رعاة الشمس هم المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعله ان شاء الله تعالى فاجعلهم
امتي فقال هم امة محمد يا موسى قال له الحبر نعم قال انشدك الله
هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد امة
ياكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير أن
موسى يجمع صدقات بني اسرائيل فلا يجد عبدا مملوكا ولا أمة الا اشتراه من
تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر وألقاه فيها ثم دفنه كيلا

قوله رعاة الشمس لم يظهر لي معناها ولعل هنا تحريف اوسقط تامل اهـ مصححه

قوله وهم المسبحون مرتبط بقوله آكلون كفاراتهم وصدقاتهم وبينهما اعتراض تامل اهـ مصححه

يرجعون فيه وهم المسبحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون
قال موسى يارب اجعلهم امتى قال هى امة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب
انشدك الله هل تجد فى التوراة ان موسى نظر فى التوراة فقال انى اجد امة اذا
اشرف احدهم على شرف كبر الله تعالى واذا هبط الى واديا حمد الله تعالى الصعيد
لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد
كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم
امتى قال هى امة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب انشدك الله
هل تجد فى التوراة ان موسى نظر فيها فقال يارب انى أجد امة اذا هم احدهم
بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف
واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم
يارب امتى قال هى امة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب انشدك الله هل تجد
فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مرحومة
ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم امتى قال هم
امة احمد ياموسى فقال الحبر نعم قال كعب انشدك الله هل تجد فى كتاب الله
المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد فى التوراة امة مصاحفهم
فى صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنة يصفون فى صلاتهم صفوفا كصفوف
الملائكة أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا
يرى الحساب الامثل مايرى الحجر من وراء الشجر فاجعلهم امتى قال هم أمة محمد ياموسى
قال الحبر نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذى أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه
وسلم وعليهم اجمعين قال موسى ياليتنى من اصحاب محمد فاوحى الله تعالى اليه
بثلاث آيات يرضيه بهن فقال تعالى ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى
وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله
تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا
وقال ابن عباس لما سار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ماتبتغى
قال جئت ابتغى الهدى قال وجدته ياموسى قال موسى يارب اى عبادك احب اليك
قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا
يتبع الهوى قال أى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه
الى هدى او ترده عن ردى وقال عبد الله بن مسعود لما قرب الله تعالى موسى
بطور سيناء رأى عبدا فى ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد
الناس على ما آتاهم الله من فضله برا بوالديه لا يمشى بالنميمة قال موسى يارب

اغفر لي ما جرى من ذنبي وما غبر وما بين ذلك وما انت اعلم به مني اعوذ بك من
وسوسة نفسي واعوذ بك من سوء عملي قال قد كفيت ذلك يا موسى قال موسى يارب
أي الاعمال احب اليك ان اعمل به قال تذكرني ولا تنساني قال أي عبادك خير عملا
قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه مومن في خلق حسن قال فأي
عبادك شر عملا قال فاجر في خلق سيئ جيفة بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع
موسى الى قومه وقد اتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الاثقال
والاغلال التي كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فامر الله جبريل فقلع جبلا
على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل وقال
أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله
حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وقال عطاء عن
ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم
واتاهم البحر ملحا من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه
وفعلتم ما امرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل واغرقتكم في هذا البحر واحرقتكم بهذه
النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون
الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم
فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا واطعنا ولولا الجبل ما أطعناك وروى
قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تغشاه نور رب العالمين وانصرف الى
قومه أربعين ليلة لا يراه احد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع
لا يبدي وجهه لاحد مخافة ان يموت واخبرني الحسين الثقفي باسناده عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد
ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ وباسناده عن
زيد بن أسلم عن ابيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا لشدته

باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهارون مع السامري حين اتخذ لهم

مطلب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري

العجل قال اهل السير واصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني
ذاهب الى الجبل لميقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون
وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هارون فجاء جبريل عليه السلام على
فرس يقال لها فرس الحياة وهي بلقى انثى لا تصيب شيئا الا حيي فلما رآه السامري
على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذا الفرس لشانا واخذ قبضة من تراب حافر فرس
جبريل هذا قول السدي وقال الكلبي اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل
العجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بلقى خطوتها مد البصر

عليها

عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وسمت خيول قوم فرعون ريحها فخاضت في
اثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين أمر
بذبح أولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا في جوف
الليل الى صحرا ووادا وغار في جبل فاخفته فيقيض الله له ملكا من الملائكة يطعمه
ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي ربى السامري جبريل عليه السلام
فجعل يمص من احدا بهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا فمن ثم عرفه ومن ثم الصبي الى
اليوم اذا جاع يمص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق ويقال ان جبريل
عليه السلام وكل بالسامري وعلا لبونا يسقيه اللبن بالغداة والعشي حتى كبر
واختلط بالناس فلذلك عرفه دون بني اسرائيل لانه هو الذي رباه وكان ابو
عمر والسكندري يقول داية موسى وفرعون داية موسى ارى هل نهشت وفرعون
ارى هل درج وداية السامري وجبريل داية جبريل ارى هل نهشت والسامري
ارى هل درج بود قال قتادة والسدي كان عظيما من عظماء بني اسرائيل
من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامري
من اهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا صائغا من اهل باحرمي واسمه منجا وقال
ابن عباس اسمه موسى ظفر وكان رجلا منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم
يعبدون البقر فدخل في قلبه حب البقر فلما ذهب موسى لميقات ربه وكان قد وعد
قومه ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر حتى صارت اربعين فعد بنو اسرآئيل ثلاثين
ليلة فلما لم يرجع اليهم افتتنوا وقالوا ان موسى خلفنا الوعد فاغتنمها السامري
حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدوا الليل يوما والنهار يوما وكان موسى
قد وعدهم اربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا فاتاهم السامري وقال
لهم ان موسى قد احتبس عنكم فينبغي لكم ان تتخذوا الها فان موسى ليس براجع اليكم
وقد تم الميقات فينبغي لكم ان تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامري لأن يوم عبر
موسى البحر فمروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل
لنا الها كما لهم آلهة الآية فاغتنمها السامري فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضى
من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين
ارادوا الخروج من مصر بعلة العيد وأهلك الله فرعون وقومه وبقي ذلك الحلي
بأيدي بني اسرائيل فلما خرج موسى قال هارون لبني اسرآئيل ان حلي القبط الذي
استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه
فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامري بالقبضة التي
اخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهارون يا نبي الله هل اقذفها
فيه فظن هارون انه من الحلي يريد به ما يريد فقال له اقذف فقذفها في الحفرة

على الحلى فصارت عجلا جسدا له خوار وقال ابن عباس اوقد هارون نارا
وامرهم ان يقذفوها فيه فقذف السامرى تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا
له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك ان السامرى قال لهارون
ألق ما فى يدى وهو يظن أنه من تلك الحلى فقال نعم ويقال ان الذى قال لبنى
اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامرى فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه
فصاغ منها عجلا فى ثلاثة ايام ثم ألقى فيه القبضة فجثى وخار خورة ثم لم يعد
وقال السدى كان يخور ويمشى فلما أخرج السامرى العجل وكان من ذهب
مرصع بالجوهر كاحسن ما يكون وقال هذا الهكم واله موسى فنسى اى أخطأ
الطريق فتركه هاهنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واختلف الموعد وفى
بعض الروايات ان السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أسعر العجل
وغدا وخار فصار له لحم ودم ويروى ان ابليس خار فى وسطه ويقال ان
السامرى جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر فى الجانب الآخر فى الارض وأجلس
فيه انسانا فوضع فمه فى دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم واله موسى
فشبه السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجهالهم حتى اضلهم وقال لهم ان موسى
قد أخطأ ربه فاتاكم ربه أراد أن يريكم انه قادر على ان يدعوكم الى نفسه بنفسه
وانه لم يبعث موسى لحاجة منه اليه وانه قد أظهر اليكم العجل ليكلمكم من وسطه
كما كلم موسى من الشجرة قال على بن ابى طالب رضى الله عنه انما سمى العجل لانهم
تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم وقال الحسن البصرى اسم عجل بنى اسرائيل الذى
عبدوه بهموت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتنوا به غير اثنى
عشر الفا وكان مع هارون ستمائة الف فعكفوا على عبادته يعبدونه من دون الله
وأحبوه حبا ما احبوا مثله شيأ قط فقال لهم هارون يا بنى اسرائيل انما فتنتم
به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى
يرجع الينا موسى فاقام هارون فيمن معه من المسلمين وأقام من يعبد العجل على
عبادته وتخوف هارون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين
ان يقول له موسى فرقت بين بنى اسرائيل وكان له هائبا مطيعا وقال قتادة
فى هذه القصة وذكر الصالحون الفرقة المفتونون من قبلكم اخبرنى الحسن
باسناده عن راشد بن سعيد قال لما وعد الله لموسى اربعين يوما قال الله تعالى
يا موسى ان قومك قد افتتنوا من بعدك قال يا رب كيف يفتتنون وقد نجيتهم
من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الها من دونى وهو عجل
ذو جسد له خوار قال يا رب من نفخ فيه الروح قال أنا قال أنت وعزتك
فتنتهم ان هى الا فتنتك الآية فقال الله تعالى يا موسى يا رأس النبيين يا ابا

الاحكام انى رايت ذلك فى قلوبهم فنشرته لهم فلما رجع موسى من الميقات الى
قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يزفون ويرقصون حوله ولم
يخبر موسى اصحابه السبعين بما اخبره ربه من حديث العجل فقالوا هذا قتال
فى المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله
فذلك قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل
وما يصنعون به ألقى الالواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذى كان
فيها ولم يبق فيها الا السدس ثم اعيدت له فى لوحين عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس المعاين كالمخبر قال الله تعالى لموسى ان القوم قد فتنوا
فلم يلق الالواح فلما عاين ألقى الالواح فكسرها عن تميم الدارى قال قلت يارسول الله
مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبة من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام
تلك انطاكيه أما ان فيها فى غار من غيرانها رضاض من الواح موسى وما من سحابة
شرقية ولا غربية تمر بها الا القيت عليها من بركاتها ولن تذهب الأيام والليالى
حتى يسكنها رجل من اهل بيتى يملاها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما فلما
رأى موسى ما صنع قومه من بعده من عبادة العجل أخذ برأس اخيه هارون
بيمينه ولحيته بشماله وكان هارون قد اعتزلهم فى اثنى عشر ألفا الذين لم يعبدوا
العجل فقال لهارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعنى افعصيت امرى هلا
قاتلتهم كما اذ علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هارون يا بن أم
قال المفسرون كان هارون اخا موسى لابيه وامه ولكنه اراد بقوله يا بن
أم تعريفه واستعطافه عليه لا تاخذ بلحيتى ولا برأسى اى بذوائبى انى خشيت
ان قاتلتهم ان يصيروا احزابا يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بنى
اسرائيل ولم ترقب قولى ولم تحفظ وصيتى حين قلت اخلفنى فى قومى وأصلح
ولا تتبع سبيل المفسدين ثم ان موسى اقبل على السامرى وقال له ما خطبك
يا سامرى اى ما امرك وشانك فقال السامرى بصرت بما لم يبصروا به فقبضت
قبضة من أثر الرسول يعنى اخذت ترابا من أثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتها
فى العجل وكذلك سولت لى نفسى اى زينت لى قال فلما علم بنوا اسرائيل اى انهم قد
اخطأوا وضلوا فى عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال
تعالى ولما سقط فى ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا
لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل قالوا
له فأى شئ نصنعه وما الحيلة قال فتوبوا الى بارئكم وارجعوا الى خالقكم قالوا
فكيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم اى ليقتل البرئ المجرم
ذلك يعنى القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس ابى الله ان يقبل توبة بنى اسرائيل

الا بالمحال الذى كرهوا ان يقاتلوهم حين عبدوا العجل و قال قتادة جعل الله توبة
عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل
استسلموا لامره وقالوا نصبر لامر الله فجلسوا فى الافنية محتبين واظلت عليهم
القوم بالسيوف والخناجر فكان الرجل يرى اخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم
يمكنه الا امضاء امر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نصنع فارسل الله ضبابة وسحابة
سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او
اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردودة توبته فكانوا يقتلونهم الى المسا فلما اكثر
فيهم القتل وبلغ عدة القتلى سبعون الفا دعا موسى وهارون ربهما وجزعا وتضرعا
وقالا يا رب هلكت بنوا اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وامرهم
ان يرفعوا السلاح ويكفوا القتل عنهم فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك
على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما يرضيك ان أدخل القاتل والمقتول الجنة
فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عن ذنبه فذلك قوله تعالى فتاب
عليكم انه هو التواب الرحيم قالوا ثم أمر الله تعالى موسى ان يبرد العجل بالمبرد
ويحرقوه ثم يذروه فى النيل فمن شرب ماءه من عبدة العجل اصفر لون وجهه
واسودت شفتاه وقيل ثبت على شاربه الذهب فكان علما لجرمه فاخذ موسى
العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم احرقه وجمع رماده وامر السامرى حتى انه بال عليه
استخفافا به وتصغيرا له ثم ذراه فى الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك
الذى ظلت عليه عاكفا الآية قالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشربوا
منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه واسودت شفاههم فاقروا بحب العجل وعبادته
وقالوا يا موسى انا قد ندمنا على ما صنعنا وتبنا الى الله فلو أمرنا ان نقتل نفوسنا
لتقبل توبتنا قتلناها فقيل لهم فاقتلوا انفسكم ثم ان موسى هم بقتل السامرى
فأوحى الله تعالى اليه لا تقتله فانه سخى فلعنه موسى وقال له فاذهب فان لك فى
الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه اى بعذابك فى القيامة ثم أمر
موسى بنى اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه فصار السامرى وحشيا لا يقبل
ولا يألف أحد ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يمس احدا منهم فمن مسه قرض
ذلك الموضع بالمقراض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم
يقولون ذلك أى لا مساس وفى بعض الكتب انه ان مس أحدا من غيرهم او أحد منهم
حُمّ كلاهما فى الوقت قالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى ان يأتيه بالناس من خيار بنى
اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة قومهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا لينطلقوا
معه الى الجبل كما امر الله تعالى وأمر ان يكونوا شيوخا فلم يصب شيخا فاوحى الله
تعالى اليه ان يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وكان قد اختار

من

من كل سبط ستة نفر فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال انما امرت بسبعين رجلا
فليتخلف منكم رجلين فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان لمن قعد مثل اجر من خرج
فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فأمر موسى السبعين ان يصوموا ويتطهروا
ويطهروا اثوابهم ثم خرج بهم الى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار
موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الآية وكان لا يأتيه الا باذن منه فلما دنى
موسى الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنى موسى ودخل فيه
وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع
احد من بني اسرائيل ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنى القوم حتى دخلوا في
الغمام وخروا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره
وينهاه واسمعهم الله تعالى انني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض
مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام
اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي نار
جاءت من السماء فأحرقتهم جميعا قال وهب بل ارسل الله عليهم جندا من
السماء فلما سمعوا احسها ماتوا يوما وليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم ياموسى
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون فلما ماتوا
قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
يارب كيف ارجع الى بني اسرائيل وقد اهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه
حتى احياهم الله له جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك
قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم الآية اخبرني الحسن باسناده عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا الى الجمعة سبعون كانوا
كالسبعين الذين وفدوا مع موسى الى ربهم وافضل * باب في قصة

مطلب في قصة قارون حين عصى ربه

قارون حين عصى ربه وموسى واستكبر واورثه ماله الطغيان والبطر حتى
اهلكه الله تعالى قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية
قالت العلماء باخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن
قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول اكثر العلما
وقال ابن اسحاق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماويب بن بركيا بن يعشان
ابن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران بحنيب
بنت اشمويل بن بركيا بن يشعان فولدت هارون وموسى ابني عمران فموسى على
قول ابن اسحاق ابن اخي قارون وقارون عمه لابيه وامه وعلى قول الآخرين
ابن عمه وعليه اصحاب التواريخ وكان قارون اعلم بني اسرائيل بعد موسى وهارون
وافضلهم واجملهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني

اسرائيل اقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فبغى على قومه
كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا فى معنى هذا البغى قال ابن عباس رضى الله
عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بنى اسرائيل حين كانوا بمصر واخبرنى
الحسين باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم
قال كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم وقال عطاء
الخراسانى وشهر بن حوشب زاد عليهم فى الثياب شبرا وروى شيبان عن قتادة
قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان اغنى اهل زمانه واثراهم كما قال
تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه الآية اى لتثقل وتميل بهم اذا حملوها لثقلها
واختلف المفسرون فى عدد العصبة فى هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة
الى الخمسة وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول
اربعين ومنهم سبعين وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هو
ستون وروى جرير عن خيثمة قال وجدت فى الانجيل ان مفاتيح خزاين قارون
وقر ستين بغلا غرا محجلة ما يزيد منها مفتاح على اصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال
ان قارون كان اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت
عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصبع فكانت
تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا واختلفوا فى سبب جمع تلك الاموال له
فقيل كان عنده علم الكيميا قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيميا فعلم
يوشع بن نون ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما
قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وفى آخر أن الله تعالى علم موسى الكيميا فعلم
موسى اخته فعلمته قارون فكان ذلك سبب بدو امواله فذلك قوله تعالى
انما أوتيته على علم عندى بالتصرف فى التجارات والزراعات وسائر انواع المكاسب
والمطالب وقيل فى سبب جمعه تلك الاموال ما اخبرنا الثقفى باسناده عن
ابى الحوارى قال سمعت اباسليمان الدارانى كان يقول تبدى ابليس لقارون وكان
قارون قد أقام على جبل اربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب بنى اسرائيل فى العبادة
بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يتعبد مع
قارون وجعل ابليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخضع له قارون وقال له ابليس
يا قارون قد رضينا بهذا الذى نحن فيه لا نشهد لبنى اسرائيل جماعة ولا نعود
لهم مريضا ولا نشهد جنازة قال فاحدره من الجبل الى البيعة فكانوا يوتون
بالطعام فقال له ابليس يا قارون قد رضينا ان نكون هكذا كلا على بنى اسرائيل
فقال له قارون فاى رأى عندك قال نكتسب يوما فى الجمعة ونتعبد بقية
الجمعة قال فنكتسبوا فى يوم الجمعة ونتعبد وابقيتها فقال ابليس قد رضينا

ان نكون هكذا قال لـه قارون فائّ الرأى عندك قال نكتسب يوما ونتعبّد يوما فنتصدق ونعطى قال فلما كسبوا يوما وتعبدوا يوما جلس ابليس وتركه ففتحت على قارون ابواب الدنيا فبلغ ماله ما اخبرنا به ابن فنجوية باسناده عن المسيّب بن شريك قال ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت اربعمائة الف فى اربعين خزانا فصار فى الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال انشدنى ابو العباس سهل بن محمد المروزى عن بعضهم

وعدتنى وعدك حتى اذا * طمعتنى فى كنز قارون

جئت من الليل بغسالة * تغسل ما قلت بصابون

فبغى قارون وطغى وتجبر حين استغنى واثرى حتى هلك فصار عبرة للغابرين وعظة للباقين وكان اول طغيانه وعصيانه انه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال فكان يخرج فى زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه فى زينته الآية قال مجاهد على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليهم المعصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المعصفرات فى الارض فيما كان ابى يذكر لى أنه خرج على بغلة شهبا على سرج من الذهب عليه الارجوان ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب فتمنى اهل الخسارة والجهالة مثل الذى أوتيه فقالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم فانكر عليهم اهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما امركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا اى لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا قالوا ثم ان الله اوحى الى نبيه موسى عليه السّلام ان يأمر قومه ان يعلقوا فى أرديتهم خيوطا اربعة فى كل طرف خيط اخضر لونه كلون السماء فقال موسى يا رب لم امرت بنى اسرائيل بتعليق هذه الخيوط الخضر فى أرديتهم فقال الله تعالى ان بنى اسرائيل فى غفلة وقد اردت ان اجعل لهم علما فى ثيابهم ليذكرونى به اذا نظروا اليه ويذكرون انه السماء ويعلمون انى منزل منها كلامى فقال موسى يا رب افلا تأمرهم ان يجعلوا ارديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تحقر هذه الخيوط قال له يا موسى ان الصغير من امرى ليس بصغير وان هم ان لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير قال فدعا موسى بنى اسرائيل ثم قال لهم ان الله امركم ان تعلقوا فى ارديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لتذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعلت بنى اسرائيل ما امرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذه الارباب بعبيدهم لكى

يتميزوا عن غيرهم فكان ايضا هذا من بغيه وعصيانه قالوا فلما قطع موسى ببني
اسرائيل البحر جعلت الحبورة وهي رياسة المذبحة وبيت القربان لهارون فكانت
بنو اسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه الى هارون فيضعه على المذبح فتنزل
نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك وأتى موسى وقال له يا موسى
لك الرياسة والرسالة ولهارون الحبورة ولست انا في شئ من ذلك وأنا أقرأ
للتوراة منكما لا صبر لي على هذا فقال موسى والله ما جعلتها انا في هارون بل الله
جعلها له فقال له قارون والله لا اصدقك في ذلك حتى تريني بيانه قال فجمع
موسى رؤساء بني اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه خضرا فهو
أحق بالحبورة فجمعوا العصي وجاؤا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فحزمها
موسى وألقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى
اصبحوا فاصبحت عصي هارون قد اهتزلها وورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال
موسى يا قارون ترى هذا من فعلي فقال قارون والله ما هذا ابأعجب مما تصنع
السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى باتباعه وجعل موسى يداريه
للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد في كل وقت الا عتوا وتجبرا
ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنا دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر وضرب
على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون
فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله انزل
الزكاة على موسى فلما أوجب الله الزكاة عليهم اتى قارون موسى فصالحه على كل
الف دينار دينار واحد وعن كل الف درهم درهم واحد وعن كل الف شاة شاة
واحدة وعن كل شئ شيأ ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا
فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم يا قوم ان موسى قد امركم فأطعتموه
وهو الآن يريد يأخذ اموالكم فقالوا له انت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت
فقال آمركم ان تجيئوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها
فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنوا اسرائيل فرفضوه فاستر حنا منه فأتوا بها
فجعل لها قارون ألف درهم وقيل الف دينار وقيل طشتا من ذهب وقيل حكمها
وقال لها أنا امولك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا الناس
يجتمعون فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى فقال ان بني اسرائيل
اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم اعلام دينهم واحكام شرعهم
فخرج اليهم موسى في براح من الارض فقام فيهم خطيبا ووعظهم وقال فيما قال
يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنا
وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة جلدناه حتى يموت فقال

له

له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك
فجرت بفلانة قال أنا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهى كما قالت فدعوها فلما
جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقولوا هؤلاء وعظم عليها وسألها
بالذى فلق البحر لموسى وبنى اسرائيل وانزل التوراة على موسى الا صدقت
فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت فى نفسها الان احدث اليوم توبة
افضل من أن اوذى رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لى قارون جعلا
على أن اقذفك بنفسى فلما تكلمت بهذا الكلام سقط ما فى يدى قارون ونكس
راسه وسكت الملأ وعرف انه وقع فى مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكى ويقول
يا رب ان عدوك هذا قد أذانى واراد فضيحتى وشينى اللهم ان كنت رسولك
فاغضب لى وسلطنى عليه فاوحى الله تعالى اليه ان ارفع رأسك وأمر الارض بما
شئت تطيعك فقال موسى يا بنى اسرائيل ان الله قد بعثنى الى قارون كما بعثنى
الى فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه فاعتزلوا عن
قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الى احقاوهم
ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى اعناقهم وقارون وصاحباه فى كل ذلك يتضرعون
الى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روى فى بعض الاخبار انه ناشده
سبعين مرة وموسى فى جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض
خذيهم فانطبقت الارض عليهم واوحى الله الى موسى يا موسى ما أفظك استغاثوا
بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتى وجلالى لو اياى دعوا لوجدونى
قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى يخسف بهم فى كل يوم قامة
وانه يتجلجل فيها الى يوم القيامة اخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون انا الحسين
أنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير واحمد بن يوسف قالوا أنا عبد الرزاق
أنا معمر بن راشد عن همام بن منبه قال أنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر فى بردينه وينظر فى عطفيه وقد اعجبته نفسه
اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قالوا فلما خسف الله
بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنوا اسرائيل يتناجون فيما بينهم بين ان موسى
انما دعا على قارون الا ليستبد بداره وامواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف
الله بداره وامواله الارض فاوحى الله تعالى اليه انى لا أعبد الارض لاحد بعدك
ابدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه
من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله تعالى بقارون حمد الله تعالى
المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى اذ قال له
قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين اى لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله

الدار الاخرة الآية وندم الذى كانوا يتمنون مكانه بالامس وحاله وحاله كما قال الله تعالى واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة وأهلك اعداهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وفرعون وهامان وقارون ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض الايات

انتهى الجزء الاول

باب فى قصة موسى حين لقى الخضر وما جرى

مطلب فى قصة موسى حين لقى الخضر وما جرى بينهما

بينهما من العجائب الى ان بلغ من امرهما ما بلغ قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضى حقبا قال الاستاذ الامام اختلف العلماء فى السبب الذى قصد موسى لاجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابا العباس ان نوف بن مريم روى عن كعب بن عمر وان موسى عليه السلام الذى طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثنى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى نبى بنى اسرائيل سأل ربه فقال يارب ان كان فى عبادك أحد هو اعلم منى فدلنى عليه فقال الله عز وجل نعم فى عبادى من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له فى لقائه وروى هارون بن عنترة عن ابيه عن ابن عباس قال سال موسى ربه فقال يارب اى عبادك احب اليك فقال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال يارب اى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تهديه الى هدى او ترده عن ردى قال فهل فى الارض احد اعلم منى قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة التى يفلت عندها الحوت وجعل الحوت علما له ودليلا وقال اذا حيى هذا الحوت فان صاحبك هناك وكان قد تزود سمكا مالحا وروى عطية العوفى عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر انزل قومه مصرا فلما استقرت بهم الدار انزل الله عليهم المن والسلوى وذكرهم بأيام الله فخطب موسى قومه فذكرهم ما اتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم فى الارض قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فنبيكم افضل أهل الارض وأنتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة انعمها الله عليهم الاذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من بنى اسرائيل قد عرفنا الذى تقول فهل على وجه الارض احد اعلم منك يا نبى الله قال لا قال فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال له ياموسى ما يدريك اين اضع علمى بل ان لى عبدا بمجمع البحرين اعلم منك فسأل

موسى ربه ان يريه اياه فاوحى الله اليه ان ات البحر فانك تجد على شاطئ البحر حوتا
فخذه وادفعه الى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد
العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصد ان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام
ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعنى ابن عمران لفتاه اى
لصاحبه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام لا أبرح اى لا أزال أسير
حتى ابلغ مجمع البحرين يعنى بحر فارس والروم مما يلى المشرق قال قتادة وقال أبى
ابن كعب قال هو افريقية قال محمد بن كعب طنجه او امضى حقبا دهرا وزمانا
طويلا فذهبا ومعهما الخبز والسمك المالح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع
البحرين ليلا قال معقل بن زياد وهى الصخرة التى دون نهر الزيت قال وعندها
عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شياء الا عاد حيا فلما اصاب السمكة
روح الماء وتزودته اضطربت فى المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله
تعالى فلما بلغا يعنى موسى وفتاه مجمع بينهما يعنى البحرين نسيا تركا حوتهما وانما
كان الحوت مع يوشع وهو الذى نسيه يدل عليه قوله تعالى انى نسيت الحوت
ولكنه صرف النسيان اليهما والمراد به احدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان وانما يخرجان من المالح دون العذب فاتخذ الحوت سبيله فى البحر
سربا اى مذهبا ومسلكا واختلفوا فى كيفية ذلك فروى ابى بن كعب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة فلم يلتئم
فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس
نزل اثر جناحه فى الطريق حتى وقع فى الماء وجعل الحوت لا يمس شياء من
البحر الا يبس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن ابى بن كعب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت فى
المكتل فخرج منه وسقط فى البحر هاربا فاتخذ سبيله فى البحر سربا فأمسك الله تعالى
عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى عليه السلام نسى
صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد
قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال قتادة رد الله الى الحوت روحه
فسرب من البحر حين افضى الى البحر ثم سلكه ثم جعل لا يسلك منه موضعا الا صار
ماء جامدا طريقا يبسا وقال الكلبى توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح
على الحوت المالح من ذلك الماء وهو فى المكتل فعاش ووثب فى ذلك الماء وجعل
يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شياء من الماء وهو ذاهب الا يبس قال
الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار سفر الهرب وهو قوله تعالى ففررت
منكم لما خفتكم والثانى سفر الطرب وهو قوله تعالى فلما اتاها نودى أن بورك

لعله جماحه تامل

من فى النار ومن حولها والثالث سفر الطلب وذلك قوله تعالى عند خروجه
من مصر واوحينا الى موسى ان أسر بعبادى والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى
اخبارا عن قول قومه فاذهب انت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب
وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك انه لما ألقى على موسى الجوع
بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه
وتذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت أى تركته وفقدته وقيل
فيه اضمار تقديره فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله
فى البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أى شئ اعجب من حوت كان دهرا من الدهور
يؤكل منه ثم صار حيا حتى حسن فى البحر وكان شق حوت وقال وهب بن منبه
ظهر فى الماء من أثر جرى الحوت اخدود شبه نهر من حيث دخل الى حيث انتهى
فرجع موسى حتى انتهى الى مجمع البحرين واذا بالخضر فذلك قوله تعالى ذلك ماكنا
نبغى اى نطلب فارتدا فارجعا على آثارهما الذى جاآ منه قصصا أى يقصان الاثر
فوجدا عبدا من عبادنا يعنى الخضر عليه السلام * فصل فى ذكر جمل من اخبار
الخضر عليه السلام واحواله واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن
ارفخشد بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما اخبرنا به ابو سعيد محمد بن عبد الله
ابن حمدون بقراءتى عليه قال قال ابو حامد احمد بن محمد بن الحسين الشرقى قال ثنا
محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر واحمد بن يوسف قالوا أنا عبد الرزاق أنا
عبد الله بن حامد الوراق قال انا مكى بن عبدان قال انا ابو الازهر قال ثنا عبد الرزاق
قال أنا معمر عن همام بن منبه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضا فاذا هى تهتز تحته خضرا واخبرنا
ابو نصر محمد بن على بن الفضل الخزاعى قال انا ابو بكر محمد بن الحسن القصار قال
أنا احمد بن يوسف السلمى قال أنا محمد بن يوسف الفريابى قال ذكر سفيان عن
منصور عن مجاهد قال انما سمى الخضر لانه اينما صلى اخضر حوله * فصل
فى بدو أمر الخضر عليه السلام يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى به
الى السماء بينما هو على البراق وجبريل يمر به اذ وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل
ما هذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك فى الزمان الاول له سيرة حسنة فى اهل
مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره كان هذا الحديث بخط الاستاذ قال
أصحاب الاخبار وكان أبوه ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه
وكان ما بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فألفه وكان يجلس
عنده والمعلم يظن انه فى المنزل وابوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من
العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته

مطلب في ذكر جمل من اخبار الخضر عليه السلام

المعروف وهو المشهور بليا باللام لا بالنون لو صحيحه

مطلب في بدو امر الخضر عليه السلام

فعرض عليه ابوه التزويج فابى ثم عارضه فعرض عليه وزوجه جارية من بنات الملوك
فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها انى مخبرك بامر ان انت سمعتيه صرف الله عنك
شر الدنيا وعذاب الاخرة وان افشيتي سرى عذبك الله فى الدنيا وفى الاخرة قالت
وماذاك قال انى رجل مسلم لست على دين ابى وليس النساء من حاجتى فان رضيت
ان تقيمى معى على ذلك وتتابعينى على دينى فذاك وان أنت ابيت لحقت باملك
فقالت المرأة بل اقيم معك فلما اتت عليها مدة قالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا
لا يولد له ولد فسأله ابوه فقال ما ذلك بيدى وانما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء
فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل ذلك مثلى ما رد الخضر فمكث ابوه زمانا ثم
عاد دعا ابنه اليه فقال له احب ان تطلق امرأتك هذه وازوجك امرأة غيرها
ولودا ربما ترزق منها ولدا فكره ذلك الخضر والح عليه أبوه حتى فرق بينهما وزوجه
امرأة غيرها ولودا ثيبا فعرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت اقيم
معك فلبثا زمانا ثم ان اباه استبطأ الولد منه فدعاه وقال له ليس يولد لك
فقال ليس ذلك بيدى ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها انت امرأة شابة
وقد كنت ولدت عند غير ابنى ولست تلدين عند ابنى فقالت ما مسنى منذ صحبته
وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك فدعا ابنه وعيره وعنفه
ففزع من ابيه ولم يأمن على نفسه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدر احد من خلق
الله تعالى اين توجه فندم ابوه على ما فعل فارسل فى طلبه مائة رجل من طرق شتى
مختلفة فانطلقوا فى طلبه فادركه منهم عشرة فى جزيرة من جزائر البحر فقال لهم
انى اقول لكم شيأ فاكتموه عنى فان كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب
الاخرة وان ابيتم ذلك وأفشيتم سرى عذبكم الله فى الدنيا والاخرة قالوا له قل
ما شئت قال هل ابى بعث فى طلبى احدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا فاكتموا امرى
ولا تخبروا ابى انكم رأيتمونى وقولوا مثل قول نظرائكم الذين ارسلهم فى طلبى
فلم يرونى لانكم لو اخبرتموه بى اوذهبتم بى اليه قتلنى وصرتم انتم مؤاخذين بدمى
قال فخلوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على ابيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال
لنا كيت وكيت فخليناعنه وقال العاشر ما نابه علم وما لى به خبر والتسعة قالوا قد
ظفرنا به وان شئت اتيناك به فقال لهم ارجعوا فى طلبه واتونى به وان الخضر
خاف ان يظفروا به فانحاز من ذلك الموضع الى موضع آخر فاتوا اليه فلم يجدوه
فرجعوا وقالوا لم نره فقتلهم ابوه قال ثم ان العاشر الذى انكر رؤيته
خرج وان ابوه دعا بالمرأة الثيب وقال لها انت صنعت هذا بابنى حتى هرب
فقتلها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذى
انكر رؤية الخضر ما يؤمننى ان يقتلنى كما قتل التسعة فهرب حتى اتى قرية

فاذا المرأة الهاربة ايضا في تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها
الرجل الهارب فقال لها من انت فاخبرته خبرها فقال يا هذه انا الفاشر خرجت خوف
القتل فهل لك ان اتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا
قرية فيها بعض الفراعنة فاتخذ ابيتا من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة اولاد
فقال لها الرجل اذا انا مت فادفنيني في هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فاني
لا احب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصي ان يهدم عليه البيت
فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم انهم يوحدون الله ويعبدونه
فجئ بالمرأة الى حضرته فأمرها ان ترجع عن دينها فابت فأمر بقدر من نحاس فملئت
ماء وأغلى غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها فلما حضروا قال لها ترجعي عن دينك
والا القيتك انت واولادك في هذا القدر فأبت عليه فامر بولدها الاكبر فالقي
فيه فتفسخ فيه وكذلك الثاني وكان في حجرها ابن رضيع فارادوا القاوه فرقت
المرأة ونازعتهم في شانه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبري فانا جميعا في الجنة
فلما أرادوا أن يلقوها في القدر قالت لهم لي اليكم حاجة يسيرة قالوا وما هي قالت
اذا رميتموني في القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا في بيتنا واهدموه علينا
ففعلوا ذلك فلما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رائحة طيبة فقال
ماهذه يا جبريل فاخبره بقصتهم عليه السلام ويروى من وجه آخر ان جبريل
عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه رائحتهم وان قوما من أهل
تلك المدينة ركبوا البحر في تجارتهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت
منهم رجلان على لوح من الواحها فضربتهم الامواج حتى اسندتهما الى جزيرة من
جزائر البحر فخرجا يجولان في الجزيرة فاذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب
بيض وهو قائم يصلي فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من انتما
قالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا في هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه
السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختارا ان شئتما ان تقيما في هذا الموضع
تعبدان الله تعالى وتاتيكما ارزاقكما وان شئتما اردكما الى منازلكما قالا بل تردنا
الى منازلنا فقال لهما على ان تعطياني عهد الله وميثاقه على انكما لا تخبرا بشئ مما تريابه
فأعطياه العهد والميثاق على الكتمان فقرأ فاذا سحائب تمر فدعاهن وسألهن
فقالت كل واحدة منهن اريد بلد كذا وكذا فدعا الذي تريد بلادهما فقال لها
احملي هذين حتى تضعيهما على سطوحيهما فسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما
ومضت حتى وضعتهما على سطوحيهما فعزم احدهما على الكتمان ونزل الى منزله
وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق الى باب المدينة
ونادى النصيحة فادخل على الملك فقال له ما نصيحتك فقال رايت ابنك في موضع

كذا

كذا وكذا وصنع بى كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك قال فلان كان رفيقى فبعث
اليه وسأله عما قال فقال اما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا وقد انكسرت بنا
السفينة وصرنا على لوح من الواحها فلم تزل الامواج تضربنا حتى صرنا الى الساحل
فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والتمر ترفعنا ارض وتضعنا
اخرى حتى انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معى رسلك حتى ادفعه اليك
وتعلم ان هذا قد كذب فامر بالرجل الكاتم فحبس وتواعده بالصلب ان وفى
صاحبه بما قال واوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلا
فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا اشياء فرجعوا بالرجل
الى الملك وقالوا هذا الكذب خلق الله ما رأينا مما قال شيأ فصلبه وخلى عن الآخر
ثم ان اهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصى حتى غضب الله عليهم قال جبريل
عليه السلام فبعثنى الله تعالى فادخلت جناحى تحتها واقتلعتها فرفعتها حتى سمع
اهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم امرنى فقلبتها فجاءت تهوى بمن
فيها حتى انتهت الى وجه الارض فبقى بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب
سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعلا يدوران فى حدود
المدينة فلا يلقى كل واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك اعتزلا فقال الرجل
أيتها المرأة قد رأيت ما اصاب القوم وانه لم يفلت غيرى وغيرك فبأى شئ نجونا
فاخبرينى وانا اخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا
قصتهما واحدة وانما نجاهما الكتمان فقال لها هل لك ان تزوجينى نفسك ونخرج
الى مدينة من هذه المدائن فاكتسب عليك وتكتسبين على حتى يقضى الله من امرنا
ما يشاء ففعلت فذهبا الى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذا لهما بيتا وولد لهما
اولادا وتلطفت المرأة لال فرعون وصارت ماشطة لهم فحظيت عندهم فبينما
هى ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله
تعس من كفر بالله ففزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت ربى فقالت
لها وان لك لربا غير أبى فقالت ربى ورب أبيك ورب كل شئ فهبطت الجارية
ودخلت على ابيها وقالت تعلم أن فلانة تقول قولا عجيبا تقول كذا وكذا فأرسل
اليها فحضرت فقال لها ما هذا الذى بلغنى عنك فقالت هو ما بلغك قال فهل أحد
يقول بقولك قالت نعم بعلى وصبيتى فبعث اليهم وامتحنهم فاذا هم يقولان قولا
واحدا فقال لهم انا لا نقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع
ما أنت صانع فامر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم اشعل تحتها حتى اضطرب
الماء من الزيت ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحدا واحدا ليكفروا فأبوا أن يكفروا
فاخذهم وطرحهم فى القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فأبى فألقاه فى القدر

ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان انت رجعت الى ديننا والا القينالك
فى القدر فقالت له اصنع ما انت صانع ثم انها قالت له لى اليك حاجة قال وما هى
قالت اذا صنعت ما انت صانع فمر ببيتنا ان يحفر فيه حفرة ثم تأمر بالقدر فيحمل
بما فيها ثم يا توابها منزلنا فيسكب ما فى القدر فى الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم
يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه الرائحة رائحة المسك تسطع من بيتهم الى يوم
القيامة فهذه قصة الخضر مع ابيه وبدو أمره وكان فى زمن افريدون الملك
ابن القيا على قول عامة اهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين
الاكبر الذى كان فى زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذى قضى لهم ببئر السبع وهى
بئر كان احتفرها ابراهيم عليه السلام لماشيته فى صحرآ الأردن وان قوما من اهل
الأردن ادعوا الارض الذى احتفرها فيها ابراهيم عليه السلام فحاكمهم ابراهيم عليه
السلام الى ذى القرنين الذى كان الخضر على مقدمته ايام مسيره فى البلاد وانه بلغ
مع ذى القرنين نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن
معه فى محلته فخلد وهو فى الحياة الى الآن وقيل ان ذا القرنين الذى كان على
عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على مقدمته هو افريدون الملك
وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه
وهاجر معه من أرض بابل فروى محمد بن اسحاق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر
هو أرميا بن خلفيا وكان من سبط هارون بن عمران وهو الذى بعثه الله نبيا فى
أيام ناشية بن اموص ملك بنى اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق واولى بالعدل
والصدق لان ناشية بن اموص كان فى عصر كرفشت بن كراراشب فى ايام بخت نصر
وبين افريدون وكرفشت من الدهور والازمان ما لا يجهله ذو علم بايام الناس
واخبارهم وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى بن كعب
أن صاحب موسى بن عمران الذى أمر بطلبه وبالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام
ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق بالامور الماضية والباقية وموسى بن
عمران انهما بنيا فى عصر منوجهر الملك وكان منوجهر الملك بعد ملك جده افريدون
فدل هذا على خطاء من قال انه أرميا بن خلفيا لان أرميا كان فى أيام بخت نصر
وبين عهد موسى وبخت نصر من المدة ما لا يخفى على اهل العلم اللهم الا أن يكون
الامر كما قاله من قال انه كان على مقدمة ذى القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام
فشرب من ماء عين الحياة فخلد ولم يبعث فى أيام ابراهيم ومن بعده ناشية بن
أموص فبعث حينئذ نبيا والله أعلم والخضر على جميع الاقوال نبى معمر محجوب
عن جميع الابصار وروى محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبيد الله بن سوار قال
الخضر من ولد فارس والياس من بنى اسرائيل يلتقيان فى كل عام فى الموسم واخبرنى

محمد بن القاسم أنا ابوبكر محمد بن القاسم أنا ابوبكر بن محمد بن يعقوب أنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطى انا على بن المنذر عن سعيد بن عيينة عن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لايزالان حيان فى الارض ما دام القرآن فى الارض فاذا رفع القرآن ماتا واخبرنى ابو عمرو العمرانى انا ابو احمد محمد بن على الرازى أنا ابراهيم بن اسحاق الانماطى أنا ابو همام الوليد بن شجاع السلمى أنا عمر بن عبد الواحد السلمى عن ابن ثوبان عن بعض اهل العلم عن انس بن مالك قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوت يجى من شعب فقال يا انس انطلق فابصر ما هذا الصوت قال فانطلقت واذا برجل يصلى ويقول اللهم اجعلنى من امة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمته بذلك فقال لى انطلق فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول لك من أنت فأتيته فاعلمته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له أخوك الخضر يقول لك ادع الله ان يجعلنى من أمتك المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها رجعنا الى حديث موسى وفتاه قالوا فانتهى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم يصلى على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال انا بارض السلام ثم رفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يا نبى بنى اسرائيل فقال له موسى وما أدراك بى ومن اخبرك أنى نبى بنى اسرائيل قال الذى أدراك بى ودلك على ثم قال يا موسى لقد كان لك فى بنى اسرائيل شغل قال موسى ان ربى ارسلنى اليك لاتبعك وأتعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر يا موسى خطر ببالك أنك اعلم اهل الارض ما علمك وعلمى وعلم جميع الاولين والآخرين فى جنب علم الله تعالى الا اقل من الماء الذى حملته الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال ابن عباس وكان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل اتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا لأنى اعلم علم الباطن علما علمنيه الله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا يعنى على ما لم تعلمه قال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك امرا قال فان اتبعتنى فلا تسئلنى عن شئ اعلمه مما تنكره حتى أحدث لك منه ذكرا وأبين لك شانه ثم انطلقا يسيران يلتمسان سفينة يركبان فيها فمرت بهم سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال اصحاب السفينة هؤلاء لصوص وأمروهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ما هؤلاء بلصوص ولكنى أرى وجوههم وجوه الانبياء قال أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا يمشيان على

ساحل البحر اذ مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير مونة
فلما لجوا فى البحر اخذ الخضر عليه السلام فاسا فخرق لوحا من السفينة حتى دخلها الماء
فحشاها موسى بثوبه وقال له أخرقتها لتغرق اهلها وقد حملونا واحسنوا الينا
فخرقت سفينتهم ماهذا لجزاؤهم منا لقد جئت شياء إمرا أى عجبا منكرا قال الخضر
ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال موسى لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى
من أمرى عسرا يعنى لا تعجلنى ولا تضيق على أمرى قال ابن عباس لما خرق
الخضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال فى نفسه ماكنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل
كنت فى بنى اسرائيل اتلو عليهم كتاب الله غدوة وعشية وآمرهم فيطيعونى فقال له
الخضر ياموسى اتريد أن اخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت
ثم انطلقا يمشيان حتى أتيا ايله فاذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو اظرفهم
واضوأهم وجها قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما
يعمل الفساد فتأذى منه ابواه وقال الكلبى كان الغلام يسرق المتاع بالليل فاذا
أصبح يجئ الى أبويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بات عندنا واختلفوا
فى اسمه فقال الضحاك كان اسمه حسنود وقال وهب بن منبه كان اسم ابيه ملاس
واسم أمه رحمة قال فأخذ الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا فى كيفية قتله
قال سعيد بن جبير اخذ فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبى صرعه ثم
نزع رأسه فقتله وقال قوم رفسه برجله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار
حتى قتله وفى رواية اخرى ادخل أصبعه فى سرة الصبى فاقتلعها فمات فلما قتله
قال موسى أقتلت نفسا زكية يعنى طاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بغير نفس
لقد جئت شياء نكرا أى منكرا قال قتادة المنكر اشد واعظم من الامر قال فغضب
الخضر واقتلع كتف الصبى الايسر وقشر اللحم عنه فاذا فى عظم كتفه مكتوب كافر
لا يؤمن بالله ابدا ويدل على صحة هذا القول ما اخبرنا به عبد الله بن حامد أنا أحمد
ابن عبيد الله انا محمد بن عبد الله بن سليمان أنا يحيى أنا قيس بن ابى اسحاق عن سعيد
ابن جبير عن ابى بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان
الغلام الذى قتله الخضر طبع عليه كافرا فقال الخضر لموسى ألم أقل لك انك لن
تستطيع معى صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى
عذرا فى رؤياى اخبرنا عبد الواحد بن حامد الوزان أنا مكى بن عبدان أنا
عبد الرحمن بن بشر أنا حجاج بن محمد أنا حمزة الزيات عن ابى اسحاق عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس عن ابى بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر
احدا بدعائه بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى اخى موسى لو لبث مع
صاحبه لأبصر العجب العجيب ولكنه قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى

قد بلغت من لدنى عذرا ثم انطلقا يمشيان حتى أتيا اهل قرية واختلفوا فى القرية قال ابن عباس هى انطاكيه وقال محمد بن سيرين هى ايله وهى أبعد ارض الله من السماء وقيل هى قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها ينسب الناصرى قالوا فوافياها قبل غروب الشمس فاستطعما اهلها واستضافاهم فأبوا ان يضيفوهما قالوا لو كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة فى هذه الآية شر القرى التى لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة فى تلك القرية قراء ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة فالتجأوا الى حائط على شارع الطريق يريد أن ينقض اى يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يمر به اهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منهم وكان قد بناه رجل صالح وفى بعض الاخبار أن سمك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فأقامه الخضر أى سواه قال ابن عباس هدمه بعقبه ثم قعد يبنيه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيديه ومنكبيه فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا ليكون لنا قوتا وبلغة على سفرنا واستضفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ثم اخذ يفسر له فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة زمنا لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها من ابيهم خمسة منهم يعملون فى السفينة فى البحر وخمسة لا يطيقون العمل فاما العمال منهم فاحدهم مجذوما والثانى اعور والثالث اعرج والرابع احدب والخامس محموما لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو اصغرهم والخمسة الذى لا يطيقون العمل اعمى وأصم واخرس وابرص ومقعد ومجنون وكان البحر الذى كانوا يعملون فيه ما بين فارس الى بحر الروم عن عكرمة قال قلت لابن عباس فى قوله اما السفينة فكانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساوى الف دينار فقال ان المسافر مسكين وان كان معه الف دينار ولهذا قيل ان المسافر وماله على قلت الا ما وقى الله تعالى قال الله تعالى فاردت ان اعيبها قطعا لطمع الطامعين فيها ودفعا لشرهم وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وراهم اى أمامهم قال الله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون اى امامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم فى طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فأعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكذلك يقرأها ابن عباس فخرقها وعيبها كيلا يتعرض لها ذلك الملك واختلفوا فى اسم ذلك الملك فقال اكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحاق كان اسمه منواه بن جلند الاردنى وقال شعيب الجبائى كان اسمه هدهد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلثمائة وستون قصرا فى كل قصر امرأة

القلت
الهلاك

قال فلما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها واما الغلام فكان أبواه
مؤمنين فخشينا أي فعلمنا ان يرهقهما يغشاهما طغيانا وكفرا فيهلكهما وقيل
خشي ان يدرك فيدعو ابواه الى الكفر فيجيباه ويدخلا معه في دينه لفرط محبتهما
له وقيل خشي على الغلام ان يعمل عمل الفساق فيتغافل ابواه فيدخلان النار فاردنا
ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وصلاحا واقرب رحما قال ابن عباس يعني واصل
للرحم وبرا بوالديه فابدلهما الله جارية مؤمنة ادركت يونس بن متي وتزوجها نبي
من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم واخبرنا عبد الله بن
حامد قال أنا حامد بن احمد قال أنا ابو محمد عبد الله بن يحيى بن الحارث أنا عبد الوهاب
ابن فليح انا ميمون بن عبد الله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه في هذه
الآية قال ابدلهما جارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج ابدلهما بغلام مسلم
وكان المقتول كافرا وقال قتادة في هذه الاية قد فرح به ابواه حين ولد وحزنا
عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فرضاء المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره
خير له من رضائه فيما يحبه واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة واسمهما
اصرم وصريم وكان تحته كنز لهما واختلفوا في ذلك الكنز ما هو فقال ابن عباس
وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال الحسن وجعفر بن محمد
كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف
يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح
وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف
يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان
ذلك الكنز مالا يدل عليه ما أخبرنا ابو بكر الحمشادي المزكي أنا ابو الحسن احمد بن
محمد بن عبدوس الطرائفي أنا عثمان بن سعيد أنا صفوان بن صالح الدمشقي أنا يزيد
ابن مسلم الصنعاني عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال ذهبا وفضة وكان ابوهما اسمه
كاشح وكان صالحا تقيا أمينا فحفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما
وبين الأب الذي حفظا به تسعة اباء اخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد قال أنا بشر
ابن موسى أنا الحميدي أنا سفيان أنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال ان الله عز
وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التي هو فيها والدويرات التي
حوله فما يزالون في حفظ من الله وستره وعن سعيد بن المسيب انه كان اذا رأى
ابنه قال يا بني لازيدن في صلاتي من اجلك لعل احفظ فيك ويتلو هذه
الآية اخبرنا يحيى بن اسماعيل بن سلمة قال كانت لي اخت أسن مني فاختلطت
وذهب عقلها فتوحشت وكانت في غرفة في اقصى سطوحنا فلبثت في ذلك بضع

عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات الليلة إذ أنا بباب بيتي يدق في نصف الليل فقلت من هذا فقالت بحة فقلت اختي قالت اختك فقلت لبيك فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من عشرين سنة فقلت يا أختي خيرا فقالت خيرا يا أخي بت الليلة فأتاني آت في منامي فقال لي السلام عليك يا بحة فقلت وعليك السلام فقال ان الله قد حفظ اباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بأبيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وان شئت صبرت ولك الجنة فان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما قد تشفعا لك الى الله تعالى لحب أبيك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختيار احدهما فالصبر على ما انا فيه والجنة وان الله لواسع المغفرة لخلقه لا يتعاظمه شيء في حكمه لو شاء لجمعهما لي قالت فقيل لي قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما ابي بكر وعمر فانزلي وأذهب الله عنها ما كان بها ويحكى عن بعض العلوية انه دخل على هارون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه اكرمه وخلى سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك الله قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح ابائي فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما المدفون تحت الجدار وما فعلته عن أمري وانما فعلته بأمر الله تعالى وذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويقال لما عاب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار محتسبا مجانا قال له يا موسى اتلومني على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين القتك امك وانت صغير في اليم ضعيف فحفظك الله وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر وتلومني على ترك اخذ الاجرة في اقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا لاجل الملك الجبار قال بعض اهل الاخبار هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا في التيه فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم في التيه ويروى عن علي بن ابي طالب وغيره ان موسى لما اراد فراق الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال له موسى اوصني فقال له الخضر لا تكون مشاء في غير حاجة واياك واللجاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد وروى ابو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينما الخضر يمشي في سوق من أسواق بني اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق علي بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون ما معي من شيء أعطيكه فقال له الرجل تصدق علي بارك الله عليك فاني ارى الخير في وجهك ورجوت الخير من قبلك فقال له الخضر

آمنت بالله وما يقضى الله من امر سيكون ما معى شئ اعطيكه فقال له السائل اسألك بالله لما تصدقت على فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضى الله من أمر سيكون ما معى شئ أعطيكه الا ان تاخذ بيدى وتدخلنى فى السوق فتبيعنى قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتنى بعظيم سألتنى بوجه ربى وقد اجبتك فخذ بيدى وادخلنى السوق وبعنى فاخذ بيد الخضر فادخله السوق فباعه باربعمائة درهم فلبث عند المبتاع اياما لا يستعمله فى شئ فقال له الخضر استعملنى فقال له انك شيخ كبير واكره ان اشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا ستة نفر فى يوم تام فقام ونقلها فى ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال احسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر انى أراك امينا ناصحا فاخلفنى فى اهلى قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعملنى فى شئ قال اكره ان أشق عليك قال لا يشق ذلك على فقال اضرب لى لبنا أريده لقصرلى ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذ هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد الرجل منه تعجبا وقال له من انت قال انا المملوك الذى كنت اشتريتنى فقال له سألتك بوجه الله ان تخبرنى من انت فقال الخضر ان هذا القسم الذى اوقعنى فى العبودية اما انا ساخبرك أنا الخضر سألنى سائل بوجه ربى ان اعطيه ولم يكن معى شئ اعطيه فامكنته من نفسى حتى باعنى وبلغنى ان من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدى ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بابى انت وامى شفقت عليك ولم اعرفك فاحكم على فى مالى واهلى او احب اليك ان اخلى سبيلك قال نعم بل احب الى ان تخلى سبيلى اعبد ربى وكان الرجل كافرا فأسلم على يديه واعطاه اربعمائة دينار وخلى سبيله فاوحى الله اليه قد نجيتك من الرق واسلم الكافر على يديك واعطاك مكان كل درهم دينارا ولا تحسر على الله احد فهذه آخر قصة الخضر وموسى وفتاه

* باب فى ذكر قصة عاميل قتيل بنى اسرائيل وقصة البقرة قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل فى بنى اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا فى قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدى كان فى بنى اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له مالها فى بنى اسرائيل مثل فى الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية الى قرية اخرى فالقاه هنالك وقال عكرمة كان لبنى اسرائيل مسجد

مطلب فى ذكر قصة عاميل قتيل بنى اسرائيل

له

له اثني عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط وجر الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثاره ودمه ويدعيه عليه وقيل القاه بين القريتين فاختصم اهلهما وجاء اولياؤه الى موسى واتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوا القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه امر القتيل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم أمر ذلك القتيل فسأل موسى ربه فامرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا جئناك لنسألك عن القتيل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين فى الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين أى من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد لزمهم سألوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ولو أنهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا الامر على انفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدى وغيره ان رجلا فى بني اسرائيل كان بارا بأبيه وبلغ من بره ان رجلا أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفا وكان فيها فضل وربح فقال البائع أعطني ثمن اللؤلؤة فقال ان ابى نائم ومفتاح الصندوق تحت راسه فامهلني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أباك واعطني المال فقال ما كنت لافعل ولكن أزيدك عشرة الاف وانظرني حتى ينتبه ابى فقال الرجل أنا أحط عنك عشرة الاف ان أيقظت أباك وعجلت النقد فقال انا ازيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فقال قبلت فقعد ولم يوقظ اباه فلما استيقظ ابوه اخبره بذلك فدعا له وجزاه خيرا وقال له أحسنت يا بني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة انظروا ما صنع البر به وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من اهل الكتب كان فى بني اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فاتى بالعجلة الى غيطة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة فى الغيطة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة اثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له امه يوما يا بني ان اباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيطة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها وادع عليها باله ابراهيم واسماعيل واسحاق ان يردها عليك

وعلامتها انك اذا نظرت اليها يتخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت اسمها المذهبة لحسن خلقها وصفا لونها وصفرتها فاتى الغيضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها اعزم عليك بآله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب أن تردى على فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك اهون لك فقال الفتى ان أمي لم تامرني بذلك وانما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة واله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر على ابدا فانطلق فانك لو أشرت الى الجبل ان ينقلع من اصله وينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال له ايها الفتى انى راع من رعاة البقر اشتقت الى اهلى فاخذت ثورا من ثيراني وحملت عليه زادى ومتاعي حتى اذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فغدا وسط الجبل وما قدرت عليه وانى لأخشى على نفسي الهلكة فان رأيت ان تحملني على بقرتك هذه وتنجيني من الموت واعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها واعطيك عشرة امثالها فقال له الفتى ان امى لم تأمرني بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدى البقرة فنفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتى وقال بسم اله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت ايها الفتى البار بوالدته الم تر الى الطائر الذى طار فانه ابليس عدو الله اختلسني اما انه لو ركبني لما قدرت على ابدا فلما دعوت باله ابراهيم جاء ني ملك انتزعني من يد ابليس وردني اليك لبرك بأمك وطاعتك لها فجاء بها الفتى الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم ابيعها فقالت بثلاثة دنانير ولا تبيعها بغير رضاي ومشورتي وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك انا اعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي فردها الى امه واخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاى فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق فأتى الملك فقال له استأمرت والدتك قال الفتى نعم امرتني ان لا انقصها عن ستة دنانير على ان استأمرها فقال له الملك انى اعطيك اثنى عشر دينارا على ان لا تستأذن والدتك فأبى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذى يأتيك هو ملك من الملائكة

يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فاذا أتاك فقل له اتأمرني ان ابيع هذه البقرة ام لا ففعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل ولا تبيعوها الا بملئ مسكها دنانير فامسكوا البقرة وقدر الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافاة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي وما سمتها قال موسى انه يعني الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اى لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين البينين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لان العين تسر وتولع بالنظر الى الشئ الحسن وقال علي بن ابي طالب من لبس نعلا صفرا قل همه لان الله تعالى يقول صفرا فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي اسائمة ام عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث مسلمة برية من العيوب لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها اصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق اى بالوصف الثابت التام البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بأمه فاشتروها منه بملئ مسكها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلى ثمنها وقال القرطبي وما كادوا يذبحونها باجتماع اوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما يعني عاميل وهذه الآية اول القصة فادارأتم فيها اى فاختلفتم فيها والله مخرج اى مظهر ما كنتم تكتمون اى تخفون فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها اى ببعض البقرة واختلفوا في هذا البعض ما هو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين ابن الفضل وهذا اولى الاقاويل لان المراد كان من احياء القتيل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها قال ريان بعصعصها وهو اولى التأويلات بالصواب لان العصعص أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى قال مجاهد بذنبها وقال عكرمة والكلبي بفخذها الأيمن وقال السدي بالبضعة التي بين كتفيها وقيل بأذنيها ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات

مطلب من لبس نعلا صفرا قل همه

مكانه قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا عاميل بعد موته ويريكم آياته دلائل
قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان اوحى الله
تعالى الى موسى ان يتوجه الى الارض المقدسة ببني اسرائيل لينظر الى كل قتيل يوجد
بين قريتين او محلتين فياخذ اقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا
قاتله سلموه الى اهله وان لم يعلموا تخيروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم
ثم ليأخذوا بقرة حولية ويذبحوها ببطن واد يسميه لهم ثم ليضع الخمسون
رجلا ايديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السماء والارض اله بني اسرائيل
واسحاق ويعقوب واسماعيل انا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برئوا من
دمه وأدوا ديته الى اوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسامة بينهم الى ان مات وكذا
بني اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله
اعلم * باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة
وصفة النار التي كانت تاكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك

مطلب في ذكر بناء بيت المقدس

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا
بقربان تاكله النار الآية أنبأني محمد بن حمدونة باسناده عن وهب بن منبه قال
اوحى الى موسى ان يتخذ مسجدا لجماعتهم وبيت قدس للتوراة وللتابوت السكينة
وقبابا للقربان وان يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود
الملبسة عليها وان تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمد بها
اصواف تلك الذبائح وعهد اليه ان لا يغزل تلك الحبال حائض ولا يدبغ تلك
الجلود جنب وأمره ان ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود
منها اربعون ذراعا ويجعل فيها اثنى عشر قسما مسرجا فاذا انقضى وصار اثنى
عشر جزءا حمل على كل جزء بما فيه من العمد سبطا من أسباط بني اسرائيل وأمره أن
يجعل سعة ذلك السرادق ستمائة ذراع في ستمائة ذراع وأن ينصب فيه سبع
قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة
على عمود من فضة طوله اربعون ذراعا وعليها اربعة دسوت من ثياب محلاة الباطن
الاول سندس اخضر والثاني ارجوان احمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان
وقاية لها من المطر والغبار وحبالها التي تمد بها من صوف القربان وأن يجعل
سعتها اربعون ذراعا وأن ينصب في جوفها موائد من فضة مربعة يوضع عليها
القربان سعة كل مائدة منها اربعة اذرع في اربعة اذرع كل مائدة منها على اربع قوائم
من فضة طول كل قائمة ثلاثة اذرع لا ينال الرجل منها الا قائما وأمره ان ينصب
بيت المقدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يضعه على شبيكة من ذهب
احمر طولها تسعون ذراعا مرصع بانواع الجواهر وأن يجعل اسفله مشتبكا بقضبان

الذهب والفضة وان يجعل حبالها التي تمد لها من اصواف القربان وان يجعله مصبوغا بالوان من احمر واصفر واخضر وان يلبسه سبعة من الجلال مجلاة الباطن الاول منها سندس اخضر والثاني ارجوان احمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من الحرير الاصفر وكذلك اسما نحوها وسائرها من الديباج والوشي والظاهر له غاشية من جلود القربان وقاية من الاذى والندى وأمره ان يجعل سعته سبعين ذراعا وان يفرش القباب بالقز الاحمر وأمره ان ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق مرصع بالوان الجواهر واليواقيت الاحمر والاشهب والزمرد الاخضر وقوائمه من ذهب وان يجعل سعته سبعة اذرع في اربعة اذرع وعلوه قامة موسى وان يجعل له اربعة ابواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه هارون وباب يدخل منه اولاد هارون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وأمر الله نبيه موسى عليه السلام ان يأخذ من كل محتلم فيها من بني اسرائيل مثقالا من ذهب فينفقه على هذا البيت وان يجعل باقي ذلك المال من الذي لا يحتاج اليه من الحلي والحلل التي ورثها الله بني اسرائيل وموسى واصحابه من فرعون وقومه دفينا في ارض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بني اسرائيل ستمائة الف وسبعة وخمسون رجلا فاخذ منهم ذلك المال واوحى الله اليه اني منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيئا ولا تنطفي ابدا لتأكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التي في بيت المقدس وهي من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلي وأنواع الجواهر وأمره أن يضع في وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام ويتقر فيها نقرة لتكون كانون تلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى اخاه هارون وقال له ان الله قد اصطفاني بنار تنزل من السماء تأكل القرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل واوصاني بها واني قد اصطفيتك بها واوصيتك بها فدعا هارون ابنيه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفى موسى بامر واوصاه به وانه قد اصطفاني له واوصاني به واني قد اصطفيتكما واوصيتكما به وكان اولاد هارون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنيران فشربوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت واسرجوا القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فاحرقتهما وموسى وهارون يدفعان عنهما النار فلم يغنيا عنهما من امر الله شيئا فاوحى الله تعالى الى موسى هكذا افعل بمن عصاني ممن يعرفني فكيف افعل بمن لا يعرفني من اعدائي وهذا آخر القصة والله أعلم * باب ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حين ما جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء

قوله سبعة لعله اربعة لانه لم يذكر سواها تأمل اه مصححه

مطلب ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام

وجعلكم ملوكا الايات اختلفت عبارات المفسرين فى الارض المقدسة ما هى
فقال مجاهد هى الطور وما حوله وقال مقاتل هى ايليا وبيت المقدس وقال عبد الله
ابن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بمقداره من
السموات والارض وقال عكرمة والسدى هى اريحا وقال الكلبى هى دمشق
وفلسطين وبعض الاردن وقال الضحاك هى الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة
هو الشام كله فصل فى فضل الشام واهله قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس
عند النبى صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشام
قالوا يا رسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليهم عن عبد الله
ابن خولة قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال والله لا يزال هذا الامر فيكم حتى
يفتح الله لكم ارض فارس والروم وأرض حمير حتى تكونوا اجنادا ثلاثة جند بالشام
وجند بالعراق وجند باليمن فقلت اخبرنا يا رسول الله ان ادركنا ذلك ما تختار لنا
قال اختار لكم الشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبى صفوته من عباده
يا اهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد
تكفل لى بالشام واهله وعن عبد الله بن مسعود قال قسم الله الخير عشرة اجزاء
فجعل منه تسعة اجزاء فى الشام وواحدا فى العراق وقسم الله الشر عشرة اجزاء فجعل
منه تسعة فى العراق وواحدا بالشام ودخل الشام عشرة الاف عين رأت النبى
صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
فيهم سبعين بدريا وقال الكلبى صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له
انظر فما ادركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك
قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم يعنى كتب الله فى اللوح
المحفوظ انها لكم مساكن قال ابو اسحاق وهبها الله لكم مساكن وقال السدى امركم
تدخلوها * ذكر قصة بلعام بن باعورا قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى
آتيناه آياتنا فانسلخ منها واختلفوا فيه فقال اكثر المفسرين هو بلعام بن باعورا
ابن ايد بن مارث بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقا وهى مدينة
الجبارين وسميت بلقا لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافون وكانت قصة
بلعام على ما ذكره ابن عباس وابن اسحاق والسدى والكلبى وغيرهم ان موسى عليه
السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل ارض بنى كنعان من ارض الشام اتى قوم
بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم وقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه
جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى اسرائيل وانا قومك
وبنوا اعمامك وجيرانك وليس لنا منزل وانت رجل مجاب الدعوة فاقدم الينا
واشر علينا فى امر هذا الرجل العدو الذى قد ارهقنا فادع الله ان يردعنا موسى

مطلب فى فضل الشام واهله

مطلب ذكر قصة بلعام ابن باعورا

وقومه فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو
عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم واني ان فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى قال
لهم اصبروا حتى أستأمر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فآمر ربه
في الدعاء عليهم في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد آمرت ربي في
الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ثانيا فآمر فلم يجب فقال
قد آمرت فلم يجب لي شيأ فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل في المرة
الاولى فلم يزالوا يرفقون به وينا شدوه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فقالوا
لبعضهم اهدوا اليه فيقال انهم أهدوا اليه هدية فقبلها ويقال ان بلعام بن باعورا
لما أبى أن يدعو على موسى وقومه فاجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا
انها فقيرة وانه لا يصدر عن رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم
صحيفة من ذهب مملوءة ورقا فأهدوهم لها فأقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى
قالت له ارجع الى ربك فاسأله أن يأذن لك في موازرتهم والدعاء على عدوهم فلم
تزل به حتى دعا واستجاب فلم يجب اليه بشئ فقالت له انه قد خير لك في الدعا عليهم
فلو لم يأذن لك لنهاك قالوا فركب أتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني
اسرائيل يقال له حسان وكانت مراكب العباد الاولين الاتن فما سار عليها غير كثير
حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى أذلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى
ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها
حتى اذا أذلقها أذن الله تعالى لها في الكلام حجة عليه فقالت له ويحك يا بلعام أين تذهب
ألا ترى أن الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب الى نبي والمؤمنين تدعو عليهم
فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت عنه الملائكة ثم رفع رأسه فجاءه
الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما برحت
منك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب أتانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى اذا
أشرفت على جبل حسان فجعل لا يدعو عليهم بشئ من الشر الا صرف الله به لسانه الى قومه
ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه أتدري
ما تصنع يا بلعام انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا أمر لا أملك منه شيأ قد غلبني
الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت مني
الآن الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسأمر لكم واحتال فحملوا النساء
وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى المعسكر يبعن فيه ويشترين وأمروهن
أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم لو زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك
فلما دخلت النسا المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كبشا بنت صوريا برجل
من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن سلوم من سبط شمعون بن يعقوب بن اسحاق

ابن ابراهيم فقام اليها واخذ بيدها حين اعجبه حسنها وجمالها ثم وقف على موسى وقال
انى سأظنك ان تقول هذه حرام عليك فقال اجل هى حرام عليك لا تقربها قال والله
لا اطيعك فى هذا ثم انه دخل قبته فواقعها فارسل الله الطاعون على بنى اسرائيل فى
الوقت وكان فنحاص بن عيزار بن هارون صاحب موسى رجلا قد اعطى بسطة
فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع زمرى بن سلوم نجاء والطاعون
يجوس فى بنى اسرائيل فى الوقت فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت حديد اكلها ثم
دخل عليه القبة وهما متضاجعان فانتظمهما فى حربته ثم خرج بهما رافعهما بيديه
الى السماء والحربة قد اخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة على
لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون
عنهم فحسب من هلك من بنى اسرائيل من الطاعون فيما بين ان اصاب زمرى المرأة
الى ان قتله فنحاص فوجدوه قد اهلك سبعون الف نفس فى ساعة واحدة فمن هنالك
يعطى لبنى اسرائيل من كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة
على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل اموالهم
لانه كان بكر العيزار بن هارون فنفى بلعام انزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى
آتيناه اياتنا الاية قال مقاتل ان ملك البلقا قال لبلعام ادع الله على موسى
والا قتلتك فقال انه من اهل دينى ولا ادعو عليه فجئ بخشبة ليصلبه فلما رأى
ذلك خرج على اتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت
فضربها فقالت له لم تضربنى وانا مأمورة فلا تظلمنى وهذه نار امامى قد منعتنى ان
امشى فرجع فاخبر الملك فقال له لتدعو عليه والا صلبتك فدعا على موسى باسم الله
الاعظم ان لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنى اسرائيل فى التيه بدعائه
فقال موسى يارب بأى ذنب وقعنا فى التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما
سمعت دعاه على فاسمع دعائى عليه ان تنزع منه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله مما
كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضا وانزل الله تعالى هذه الآية وقال
آخرون هو نبى من بنى اسرائيل يقال له بلعام اوتى التوراة فرشاه قومه على ان
يسكت ففعل وتركهم على ماهم عليه وقال عبد الله بن عمرو بن زيد بن اسلم وابو روق
انزلت هذه الآية فى امية بن الصلت الثقفى وكانت قصته انه كان فى ابتداء امره
قد قرأ الكتب السالفة وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الوقت ورجا ان يكون
ذلك هو الرسول فلما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك
فلما رجع مر بقتلى بدر فسأل عنهم فقيل قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباه
فلما مات امية اتت اخته فارعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة
اخيها فقالت بينما هو راقد اذ أتياه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد

احدهما

احدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه وقال الذى عند رأسه للذى عند رجليه اوعى قال اوعى قال ازكى قال ازكى قال فسألته عن ذلك فقال خيرا اريد بى ثم فطرت عينه ثم غشى عليه فلما افاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر امره الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لى * فى قلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * تشيب فيه الصغار يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطيبه من شعر سالتك بالله فاعادت عليه شعر اخيها وانشدت شعرا جيدا فقالت

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شئ اعلا منك جدا وامجدا
مليك على عرش السما مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجدا

وانشدته هى قصيدة طويلة حتى اتت على آخرها ثم انها انشدته قصيدته التى يقول فيها

عند ذى العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والسر الخفيا
يوم نأتى الرحمن وهو رحيم * انه كان وعده ما تيا
يوم نأتيه مثل ما قال فردا * ثم لا يذر راشدا ولا غويا
اسعيد سعادة انا ارجو * ام مهانا بما كسبت شقيا
رب ان تعف فالمعافات ظنى * او تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أأخذ بما اجترمت فانى * سوف القى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن بشعره وكفر بقلبه فانزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الاية قال سعيد بن المسيب نزلت فى ابى عامر بن المعمر بن صيفى الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر اماتك الله الكاذب منا فى مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين اعدوا القوة والسلاح وابنوا الى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر وآتى بجند لنخرج محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعنى انتظارا لمجيئه فمات فى الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت فى البسوس وكان رجلا قد اعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة وله منها ولد فقالت له اجعل لى منها واحدة فقال لك منها دعوة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلنى اجمل امرأة فى بنى اسرائيل فدعا فجعلت اجمل امراة فى بنى اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان

فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة وان الناس يعيروننا فادع الله أن يردها الى الحال التي كانت عليه فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها * باب في ذكر النقباء الذين اختارهم الله لموسى ليكونوا لهم كفلاء على قومهم حين بعثه اياهم الى أرض كنعان جواسيسا له ولقومه قال الله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يورثه وقومه الارض المقدسة وهي الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاود بن سام بن نوح وعده الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني اسرائيل فلما استقرت ببني اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير الى أريحا من أرض الشام وهي الارض المقدسة فقال يا موسى اني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم فخذ من قومك اثني عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه وامرهم على ما أمروا به فاختار موسى النقباء من كل سبط نقيبا وأمرهم عليهم وهذه أسماؤهم من سبط روبيل ساهد بن ذكر ومن سبط شمعون ساباط بن جرير ومن سبط يهوذا كالب بن يوقنا ومن سبط جادحابذ بن سوسف ومن سبط بالون حدى بن سوري ومن سبط أشير شايون ابن مليكيك ومن سبط يقالى حيي بن وقسي ومن سبط دان حماد بن وكيل بن حمل ومن سبط لاوي خولان بن مليكا ومن سبط يوسف أفراثيم ومن سبط أفراثيم يوشع بن نون وهما سبطان موسى ومن سبط ميشاحيي بن سوسي ومن سبط بنيامين ناظم بن زقون ثم انه سار ببني اسرائيل قاصدا أريحا فبعث موسى اليها هؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق * فصل في ذكر جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعا بالذراع الاول وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله ويروى أنه أتى نوحا في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينتك فقال اذهب يا عدو الله فاني لم أومر بك فطبق الماء على الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق عشرة

مطلب في ذكر النقباء

أذرع

أذرع فما أصاب منه الا كعبه وهو مصروع فى الارض فقتله قالوا فأقبل جماعة
كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا راسه فلما قتل وقع على نيل مصر فجسره
سنة قالوا وكانت أمه عناق هي احدى بنات آدم من صلبه ويقال انها كانت أول من
بغت على وجه الارض وكان كل اصبع من أصابعها ثلاثة أذرع فى ذراعين فى كل أصبع
ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقعدها خربة من الارض ولما بغت بعث
الله اليها أسودا كالفيلة وذئابا ونمورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها
فقتلوها واكلوها قالوا فلما لقيهم عوج وكان على رأسه حزمة حطب فأخذ الاثنى
عشر نقيبا وجعلهم فى حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظرى الى هؤلاء الذين
يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال لأطحننهم برجلى فقالت له
امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتى أنهم يخبرون قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلى
سبيلهم فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم
فى خشبة ويدخل فى قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت
النقباء قال بعضهم لبعض يا قوم انكم ان أخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم فشلوا
وارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموا شانهم واخبروا موسى وهارون فيريان رأيهما
فيهم فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وجاؤا بحبة
من عنبهم وقشرة من قشور رمانهم وأخبروه بما رأوا ثم ان النقباء نكثوا العهد
وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم وأخبروهم بما رأوا من
حالهم الا رجلين منهم وفيا بما قالا وهما يوشع بن نون بن أفراثيم فتى موسى وكالب
ابن يوقنا ختن موسى على اخته مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس
رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا فى أرض مصر أو ليتنا نموت فى هذه البرية
ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل
منهم يقول لأصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى
اخبارا عنهم يا موسى ان فيها قوما جبارين الآية قال قتادة كانت لهم أجسام وخلق
عجيب ليس لغيرهم مثله قالوا انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا
داخلون قال موسى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم
فان الذى أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر هو الذى يبلغكم ويظفركم عليهم فلم
يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمره وهموا بالانصراف الى مصر فخرج يوشع
ابن نون وكالب بن يوقنا الى القوم وهما اللذين أخبر الله عنهما بالتوفيق والعصمة
فى قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة
ادخلوا عليهم الباب يعنى مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لأن الله
منجز وعده فانا رأيناهم وخبرناهم فكانت جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة

فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فاراد بنوا اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوهما وقالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صدّ عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحره عند البيت فاستشار اصحابه فى ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندى انا والله لا نقول لك كما قالت قوم موسى لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضت بحرا لخضناه ولو تسنمت جبلا لعلوناه ولو ذهبت بنا الى برك الغماد يعنى مدينة بالحبشة لتبعناك فلما سمع ذلك من اصحابه صلى الله عليه وسلم وتابعوه على ذلك فاشرق لذلك وجه النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان اكون صاحب هذا المشهد أحب الى من الدنيا وما فيها قالوا فلما فعلت بنوا اسرائيل ما فعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم امر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب انى لا املك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين العاصين وكانت عجلة يحملها موسى فظهر الغمام على باب فيه الزمرد واوحى الله تعالى الى موسى الى متى يعصينى هذا الشعب والى متى لا يصدقون بهذه الايات لاهلكنهم جميعا ولاجعلن لك شعبا أقوى واكثر منهم فقال موسى الهى لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الامم الذين سمعوا ذلك انما قتل هذا الشعب من اجل انه لم يستطع ان يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم فى البرية وانك طويل صبرك كثيرة نعمتك وانت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولا توبقهم فقال الله تعالى لموسى انى قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم لأحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكالب ولأتيهنهم فى هذه البرية اربعين سنة فى هذه القفار فكان كل يوم من الايام التى تجسسوا فيها سنة وكانت اربعين يوما ولياتيهم جيفهم فى هذه القفار واما بنوهم الذى لم يعصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض متحيرون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ وكانوا ستمائة الف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا هم أمسوا فاذا هم بالموضع الذى منه ارتحلوا وسموا الموضع الذى هم فيه فارتحلوا ومات اوليك النقباء العشرة الذين افشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات فى التيه غير يوشع ابن نون وكالب بن يوقنا ولن يدخل احدا اريحا ممن قال انا لن ندخلها ابدا

فلما

مطلب في ذكر النعمة التي انعم الله بها على بني اسرائيل في التيه

فلما هلكوا وانقضت اربعون سنة ونشأت النواشي من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين وفتح الله لهم * باب في ذكر النعمة التي انعم الله بها على بني اسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام قال الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الآية كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والعد لا يقع على الواحد التي انعمت عليكم اي على اجدادكم واسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وانجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واورثهم ديارهم واموالهم وانزل عليهم التوراة فيها بيان كل شئ يحتاجون اليه واعطاهم ما اعطاهم في التيه وذلك انهم قالوا لموسى اهلكتنا واخرجتنا من العمران الى مفازة لا ظل فيها ولا كنان فانزل الله تعالى عليهم غمامة بيضا رقيقة ليست بغمام المطر بل ارق واطيب وابرد منه فاظلتهم وكانت تسير بسيرهم اذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه تقيكم حر الشمس ومنها ان جعل منها لهم عمودا من نور يضئ لهم بالليل اذا لم يكن ضوء للقمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فاين الطعام فانزل الله عليهم المن والسلوى واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شئ كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو البر يختبز وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدي كان عسلا يقع على الشجر من الليل فياكلون منه وقال عكرمة هو شئ انزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاج جملة المن ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقول النبي صلى الله عليه وسلم الكماة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا موسى فانزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس واكثر الناس هو طائر يشبه السمانى قال ابو العالية ومقاتل هو طير احمر بعثه الله عليهم فامطرها السماء في عرض ميل قدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا قد تمعط ريشه وزغبه وكانت الريح تاتي به اليهم فيصبحون وهو في معسكرهم وقيل انه كان ياتيهم فيسترسل اليهم فياخذونه بايديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند اكبر من العصفور وقال المؤرخ هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهدا لأنتم * ألذ من السلوى اذا ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان احدهم ياخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة اخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم

السبت فذلك قوله تعالى وأنزلنا عليكم المن والسلوى فخالفوا أى قلنا لهم كلوا
من طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤا لغد فدود وفسد ما ادخروا
وقطع الله عنهم ذلك فقال تعالى وما ظلمونا أى أضروا بنا بالمعصية ومخالفة الامر
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستحبابهم غدا وقطع عنهم مادة الرزق الذى كان
ينزل عليهم بلا مؤونة ولا مشقة فى ذلك الدنيا ولا حساب ولا تبعة فى العقبى اخبرنا
شعيب بن محمد باسناده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا بنوا اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها
ومنها أنهم عطشوا فى التيه فقالوا يا موسى من أين نشرب فاستسقى لهم موسى
فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان
موسى يقرع لهم أقرب حجر من عرض الحجارة فتنفجر منه عيون لكل سبط منهم عين
وكانوا اثنى عشر سبطا ثم تسيل كل عين فى جدول السبط الذى أمر بسقيهم فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله تعالى اليه لا تقرعن الحجارة بالعصا
ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا مضينا
الى الرمل والى الارض التى ليس فيها حجارة فأمر موسى يحمل معه حجرا فحيث ما نزل
ألقاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله الحجر فادخل
الألف واللام للتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا فى
ذلك الحجر ما هو فقال ابن عباس كان الحجر خفيفا مربعا مثل رأس الرجل أمر أن
يحمله فكان يضعه فى مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضرب به بعصاه فيتفجر
عيونا كما ذكرنا فسقاهم قال أبو روق كان الحجر من الكدان وكان فيه اثنى عشر
عينا أى حفرة ينبع من كل حفرة ماء عذب فيأخذونه فاذا فرغوا وأراد موسى حمله
ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقى ستمائة ألف من جميع الاجناس
وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذى وضع موسى عليه ثيابه ليغتسل ففر الحجر بثوبه
فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسى ان الله يقول لك ارفع هذا
الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذى ذكره الله تعالى فى قوله يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية وهو ما
أخبرنا به الحسن بن أحمد الخلدى باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت بنوا اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى
سوءة بعض وكان موسى يغتسل وحده فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه
فجمح فى اثره موسى يقول ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى نظر بنوا اسرائيل الى سوءة
موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر من بعد ما نظر اليه بنى
اسرائيل فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان أثر ضرب موسى

بالحجر ستة اوسبعة قال عبد العزيز الكنانى كان موسى ضرب الحجر اثنى عشر ضربة
فكان يظهر فى كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة ثم يتفجر بالانهار المطردة فذلك
قوله تعالى فانفجرت منه اثنتى عشرة عينا ومنها انهم قالوا لموسى فى التيه من اين
لنا اللباس فخلد الله عليهم اللباس حتى لا تزيد على الايام ومرور الاعوام الا جدة
وطراوة ولا تخلق ولا تبلى وتنموا على صبيانهم كما تنموا فمكثوا على ذلك زمانا طويلا
والله اعلم * باب فتح اريحا ونزول بنى اسرائيل الشام

مطلب فتح اريحا ونزول بنى اسرائيل الشام

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح
فقال قوم انما فتح اريحا موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته وسار
موسى اليه بمن بقى من بنى اسرائيل فى التيه ولم يمت فى التيه فدخلها بهم يوشع وقتل
الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى ببنى اسرائيل فقام فيها ما شاء الله ان يقيم
ثم قبضه الله تعالى ولا يعلم احد قبره من الناس وهذا اولى الاقاويل بالصدق
واقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار الانبياء ان عوج بن عنق قتله موسى وقال
آخرون ما قاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك
من كان ابى المسير اليها وقالوا مات موسى وهارون عليهما السلام فى التيه قصة
وفاة هارون عليه السلام قال السدى اوحى الله الى موسى انى متوفى هارون

مطلب وفاة هارون عليه السلام

فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم ير
مثلها وبيت مبنى وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هارون الى ذلك
اعجبه وقال يا موسى انى احب ان انام على هذا السرير فقال نم عليه فقال انى اخاف ان
يأتى رب هذا البيت فيغضب على قال له موسى لا تخف انا اكفيك رب هذا البيت
فنم فقال يا موسى نم معى فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى
واخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتنى فلما قبض رفع ذلك
البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل وليس
معه هارون قالوا قتل موسى هارون وحسده لحبنا اياه فقال موسى ويحكم ان
هارون اخى فكيف اقتله فلما اكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل
فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون
مات موسى وهارون فى التيه ومات هارون قبل موسى وكانا خرجا فى التيه الى
بعض الكهوف فمات هارون وانصرف موسى الى بنى اسرائيل فقالوا اين هارون
قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا فى بنى اسرائيل فتضرع
موسى الى ربه وشكى الى ربه ما لقى من بنى اسرائيل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم
الى قبره فانى باعثه حتى يخبرهم انه مات ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هارون
فناداه يا هارون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا

مطلب ذكر وفاة موسى عليه السلام

ولكنى مت فعاد وانصرفوا * ذكر وفاة موسى عليه السلام قال ابن اسحاق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه اراد الله ان يحبب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يا نبى الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبى الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شئ مما أحدث الله لك حتى تكون انت تبتدى به وتذكره ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ باسناده حدثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق ببنى اسرائيل ذرعا لما كثروا عليه فاوحى الله تعالى اليه الف نبى يكونون اعوانا له فلما مال الناس اليهم وجد موسى فى نفسه غيرة فاماتهم الله لكرامته فى يوم واحد واختلفوا فى صفة موت موسى عليه السلام حدثنا ابو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون باسناده عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت الى الله عز وجل فقال يا رب انك ارسلتنى الى عبد لا يريد الموت وفقأ عينى فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدى وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فكانه قريب قال يا رب فادننى من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال سمعت ابا سعيد ابن حمدون يقول سمعت ابا حامد المشرقى يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يردها الا كل مبتدع ضال وفى حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتى الناس عيانا حتى اتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية قال السدى فى خبر ذكره عن ابى مالك وابى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى وعن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام يمشى وفتاه يوشع اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة فقال يا قوم الساعة وانى ملتزم بموسى نبى الله فانسل من تحت القميص وترك القميص فى يدى يوشع فلما جاء يوشع بالقميص اخذته بنوا اسرائيل وقالوا قتلت نبى الله فقال والله ما قتلته ولكنه انسل منى فلم يصدقوه وأرادوا قتله فقال لهم اذا لم تصدقونى فأخرونى ثلاثة ايام فدعا الله تعالى فأرى الله كل رجل ممن كان يحرسه فى المنام وأخبره ان يوشع لم يقتل موسى وانما قد رفعناه الينا فتركوه قال وهب بن منبه خرج موسى ليقضى حاجة فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ قط احسن منه

مطلب قوله فما وارت يدك من شعرة سنة [2]

[2] لعله فبعث

ولم ير مثله قط من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون
هذا القبر فقالوا نحفره لعبد صالح كريم على ربه فقال موسى ان هذا العبد من الله بمنزلة
عظيمة فقالت الملائكة يا صفى الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع
فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس اسهل نفس تتنفسه فنزل فاضطجع فيه ثم توجه الى ربه
ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل انه اتاه ملك الموت
بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه ويروى ان يوشع بن نون رآه بعد موته فى المنام
فقال له كيف وجدت الموت يا نبى الله قال كشاة تسلخ وهى فى الحياة ويروى ان
موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفى الله فمن الذى يطمع فى البقاء
وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة عشرون منها فى ملك افريدون ومائة سنة فى
ملك منوجهر قال الاستاذ رجعنا الى قصة حرب أريحا وخبر الفتح قال فلما
انقضت اربعين سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبيا فاخبرهم انه نبى الله
وان الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه ببنى اسرائيل الى أريحا
ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان فى الشهر السابع نفخوا
فى القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين
وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم فكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون
على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقى منهم بقية
وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فخشى ان يعجزوا فقال اللهم اردد
الشمس على وانه قال للشمس انك فى طاعة الله وانا فى طاعة الله فسأل الشمس ان تقف
والقمر أن يقيم حتى ينتقم من اعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيد له
فى النهار ساعة واحدة حتى قتلهم اجمعين اخبرنا احمد بن عبد الله بن حامد الاصفهانى
باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة رضوان الله عليها فرأيت فى عنقها
خرزا ورأيت فى يدها مسكتين غليظتين وهى عجوز كبيرة فقلت لها ما هذا فقالت انه
يكره للمرأة أن تتشبه بالرجل ثم حدثتنى ان اسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها ان على
ابن ابى طالب رضى الله عنه كان مع نبى الله وقد اوحى الله اليه فجلله بثوبه ولم يزل
كذلك حتى ادبرت الشمس تقول غابت او ارادت ان تغيب ثم ان نبى الله سرى عنه
فقال اصليت يا على قال لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس
فرجعت حتى بلغت نصف المسجد قال ثم ارسل ملوك الارامنة وكانوا خمسة فارسل
بعضهم الى بعض فجمعوا كلمتهم على يوشع وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوك حتى
اهبطوهم الى ثنية حوران ورماهم الله باحجار البرد فكان من قتله البرد اكثر ممن
قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا فى غار فامر بهم يوشع
فاخرجهم وصلبهم ثم انزلهم فطرحهم فى ذلك وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم

احد وثلاثون ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصار الشام كله لبنى اسرائيل
وفرق عماله فى نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله تعالى الى يوشع ان
فيها غلولا فامرهم ان يبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال له هلم
ما عندك فاتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد
غله فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبى من الانبياء فقال للقوم
لا يتبعنى رجل كان قد ملك بضع امرأة هو يريد أن يبنى بها ولا آخر قد بنى له بيت
ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر اولادها قال فدنى
من القوم صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم
احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار
فلم تأكلها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فلتصقت يد
رجل بيده فقال فيكم الغلول انتم غللتم قال فأخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فالقوه
فى الغنيمة وهى بالصعيد فجاءت النار فاكلتها قال النبى صلى الله عليه وسلم فلم تحل الغنائم
لاحد قبلنا وذلك ان الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا ثم امرهم الله ان يدخلوا
اريحا متواضعين مستغفرين خافضين رؤسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا لهم
ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة
وكان لهم سبعة ابواب سجدا أى منحنين متواضعين وقولوا حطة اى حط عنا
خطايانا قال وهب انهم اذنبوا بابيائهم وكان توبتهم اذا اذنبوا دخول أريحا فلما
فصلوا من التيه احب الله ان يستنقذهم من الخطاء قال ابن عباس حطة قول لا آله
الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب تغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين احسانا
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وذلك انهم دخلوا مترجفين على استاههم
وقالوا هطاسمقايا يعنى حنطة حمرا استخفافا بأمر الله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا
رجزا من السماء اى عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك ان الله تعالى ارسل
عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم فى ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم
قالوا فلما استغرقت ببنى اسرائيل الشام وصفت لهم توفى الله نبيه يوشع ودفن فى
جبل افرائيم وكان عمره مائة وعشرون سنة وتدبيره امر بنى اسرائيل بعد موت
موسى سبعا وعشرين سنة * مجلس فى ذكر الانبيا والملوك الذين قاموا بامور
بنى اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام قالت العلماء باخبار الماضين
لما حضرت الوفاة يوشع استخلف على بنى اسرائيل كالب بن يوقنا ختن موسى عليه
السلام وهو أحد الرجلين الذين انعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين
يخافون انعم الله عليهما فاحسن الخلافة حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بنى

اسرائيل

لعله زاحفين

لعل هنا سقط وهو سبعون الفا كما وقع غير مرة فى محل فيه ارسال الطاعون فليتامل وليراجع ام مصححه

مطلب فى ذكر الانبيا والملوك الذين قاموا بامور بنى اسرائيل بعد يوشع

مطلب في خبر حزقيل عليه السلام

اسرائيل ابنه يوساقوس وكان فيما ذكر انه شبيه يوسف عليه السلام في الحسن *
والجمال والبهاء وكانوا يفتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون اليه ويقولون
له يا ايها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحي ان يردهم فلما اكثروا خاف الفتنة
فسأل الله ان يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فاصابه الجدري فصار مجدورا
ملوحا فلبث فيهم مائة واربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله اعلم * ذكر خبر حزقيل
عليه السلام قالت العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وابنه بعث الله
تعالى حزقيل الى بني اسرائيل وهو حزقيل بن بوري ويلقب بابن العجوز وانما لقب
بابن العجوز لان امه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد
فوهبه الله تعالى لها وهو الذي أحيى الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم
الوف حذر الموت فأحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته في قوله تعالى الم تر الى
الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف الآية قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها
اوردان وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة
فهلك اكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين
فقال الذين بقوا ان اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن
وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التي لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل
فهرب عامة اهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون
فيه النجاة والحياة رآهم ملك من أسفل الوادي وآخر من اعلاه ينادون ان موتوا
فماتوا جميعا عن محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة
خرج رجل من اهلها عنها على حمار له ومعه ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار
فطفق العبد يرتجز ويقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة خطار

قد صبح الله امام الساري * فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله وروى عبد الرحمن
ابن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا
تقدموا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل
والكلبي انما فر هؤلاء من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان
يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا
وقالوا لملكهم ان في الارض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فارسل
الله عليهم الموت فلما رأوا أن الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت
فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك
فأرهم آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك
فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتة رجل واحد

فما أتى عليهم ثلاثة ايام حتى انفجروا وأروحوا وأروحت اجسادهم فخرج اليهم الناس
فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ
عددهم فقال عطاء الخراساني كانوا ثلاثة الآف وقال ابن عباس ووهب كانوا اربعة
الآف وقال مقاتل والكلبي ثمانية الاف وقال ابو روق عشرة الاف وقال ابو
مالك ثلاثين ألفا وقال السدى بضع وثلاثين الفا وقال ابن جريج اربعين ألفا
وقال عطاء بن ابى رباح سبعين الفا قال فأتى على ذلك مدة وقد بليت اجسادهم
وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي فوقف متفكرا متعجبا
فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد أن اريك كيف احيي الموتى قال نعم يا رب فأحياهم
الله تعالى جميعا هذا قول السدى وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل
كانوا قوم حزقيل فلما اصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يا رب كنت في قوم
يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون
بلادك ويعبدونك قال الله تعالى او تحب أن افعل ذلك قال نعم يا رب قال الله
تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا
قال وهب اصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما اصابهم وقالوا يا ليتنا
قد متنا واسترحنا مما نحن فيه فاوحى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاء
وزعموا انهم ودوا لو ماتوا واستراحوا وأى راحة لهم في الموت ايظنون انى
لا اقدر ان ابعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها اقواما ماتوا فأتاهم
فاوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت اجسامهم وعظامهم قد تفرقت
فرقتها الطير والسباع فنادى حزقيل أيتها العظام ان الله يأمرك ان تكتسى
اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا ودما وعصبا وعروقا فكانت أجسادا
فنادى ايتها الارواح ان الله تعالى يامرك ان تعودى الى اجسادك فقاموا جميعا
وعليهم ثيابهم التى ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة وروى منصور بن المعتمر
عن مجاهد انهم قالوا حين احيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا
الى قومهم وتناسلوا بعد ما احياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون انهم كانوا موتى
سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد رميما مثل الكفن حتى ماتوا
لآجالهم التى كتبت عليهم قال ابن عباس فانه ليوجد فى ذلك السبط من اليهود
تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم فى الجهاد فأماتهم
الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت
ما بعثوا بعد موتهم فلما احياهم الله تعالى امرهم بالجهاد قال وقاتلوا فى سبيل الله
واعلموا ان الله سميع عليم * باب فى قصة الياس عليه السلام قال الله
تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحاق والعلماء من اصحاب

مطلب في قصة الياس عليه السلام

الاخبار

الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله الذى عهد اليهم فى التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث اليهم الياس نبيا وهو الياس بن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن عمران بن هارون وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من احكام التوراة وبنوا اسرائيل يومئذ متفرقون فى ارض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح ارض الشام وملكها بوأها بنى اسرائيل وقسمها بينهم فاخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعثه الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد اضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرون ذراعا وكان له اربعة وجوه وقال ابن اسحاق قد سمعت بعض اهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه الا تتقون أتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من امر لاجب الملك الذى ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوم امره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها اربيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم فى غزاة او غيرها فكانت تبرز بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب مؤمن رجل حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبى كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا احبت سوى الذين قتلتهم وكانت فى نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الارض افحش منها وهى مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بنى اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بنى اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنينة يعيش فيها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها حينا وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبه مزدكى وامرأته اربيل تحسد على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما احرى ان تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من امر الملك وامرأته كى لا يغصبونها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى فى ان تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته اربيل ان يتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكى فى ان تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت اربيل جمعا

من الناس وأمرتهم ان يشهد واعلى مزدكى بالزور وانه يسب لاجب الملك فاجابوها
الى ماسألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم فى ذلك الزمان على من يسب الملك
القتل ان قامت البينة فأحضرت مزدكى وقالت له بلغنا عنك انك شتمت الملك
واغتبته فانكر مزدكى ذلك فاقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس
فأمرت بقتله فقتل واخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح
فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا ارانا
نفلح بعدها أبدا وانكنا عن جنينته لاغنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم
بنا منذ زمان طويل فأحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت
بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك
فى العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها وما يسع حلمك
وعظيم خطرك عن العفو عن رجل واحد فتحفظين جواره فقالت قد كان ماكان
فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقومه وأمره ان يخبرهم ان الله تعالى
قد غضب عليهم لوليه حين قتلوه بين اظهرهم ظلما وقد آلى على نفسه انهما ان لم
يتوبا من صنعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكى والا يهلكهما يعنى لاجب وامرأته
فى جوف الجنينة اشر مايكون بسفك دمائهم ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها
حتى تتعرا اعظامهما عن لحومهما ولا يمتعان بها الا قليلا قال فجاء الياس واخبر
الملك بما أوحى الله اليه فى أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه
ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا والله ما أرى الا فلانا وفلانا
وسمى ملوكا منهم عبدوا الاوثان الا على مثل ما نحن عليه ياكلون ويشربون
ويتمتعون مملكين ماينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذى تزعم انه باطل شئ
وما نرى لكم علينا من فضل قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله قال فلما سمع
الياس ذلك وأحس بالشر رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك
الى عبادة بعلا فارتقى الياس الى اصعب جبل واشمخه فدخل مغارا فيقال انه بقى
فيه سبع سنين شريدا طريدا خائفا يأوى الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات
الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون اخباره
ويجتهدون فى اخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء فلما تم
سبع سنين أذن الله تعالى فى اظهاره عليهم وشفا غيظه منهم فأمرض الله تعالى
ابن الملك لاجب وكان أحب اولاده اليه واعزهم عليه واشبههم به فأدنف حتى يئس
منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل فعظموه حتى انهم سموا مدينتهم به فقالوا لها
بعلبك وجعلوا له اربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أنبياءه وجعل الشيطان
يدخل فى جوف الصنم فيكلمهم بأنواع الكلام والاربعمائة يصغون باذانهم الى ما يقول

الشيطان ويسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الأنبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك ان يشفعوا له الى بعل ويطلبون منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه فلم يجبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم مجتهدون في التضرع اليه والمريض لا يزداد بذلك الا ألما وجهداً فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب ايها الملك ان في ناحية الشام آلهة اخرى وهي في العظم مثل الهتك فابعث اليها الأنبياء يشفعون لك اليها فلعلها ان تشفع لك الى بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد اجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لأي شئ غضب علىّ وأنا اطيعه واطلب رضاه ولم اسخطه ساعة قط قالوا من أجل انك لم تقتل الياس وفرّطت فيه حتى نجا سالما وهو كافر بالهتك يعبد غيره فذلك الذى أغضبه عليك قال لاجب وكيف لى أن اقتله في يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابنى وليس لالياس مكان ليطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفى ابنى تفرغت لطلبه ولم يكن لى همّ ولا شغل غيره حتى آخذه واقتله وأريح آلهى منه وارضيه قال ثم انه بعث انبياءه الاربعمائة ليشفعوا الى الآلهة التى بالشام ويسألوها أن تشفع الى صنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا الى الاصنام وكلموها فمنع الله عز وجل الشيطان الولوج في الاصنام ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك واخبروه بذلك فقال الملك وكيف لى ان اقتل الياس في هذا اليوم قال فخرجوا الاربعمائة حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذى فيه الياس فاوحى الله اليه ان يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فانى اصرف عنك شرهم وألقى الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما انهم وقفوا قال ان الله تعالى ارسلنى اليكم والى من وراءكم فاسمعوا ايها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول ألست تعلم يا لاجب انى انا الله لا اله الا أنا آله بنى اسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فجملك جهلك وقلة عقلك على أن تشرك وتطلب الشفاء لابنك من غيرى ممن لا يملكون لانفسهم شيأ الا ما شئت وانى آليت باسمى لأغيظنك بولدك ولأميتنه في فوره هذا حتى تعلم ان أحداً لا يملك له شيأ دونى فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما صاروا الى الملك ووصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الياس واخبروه بأن الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف ونحل وتمعط شعره وتقشر جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خلل على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقفنا صار معنا فقذف له في قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر على أن نكلمه ونراجعه ونملى أعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصّوا

عليه كلام الياس فقال لاجب لا ننتفع بالحياة ما دام الياس حيا ما الذى منعكم
ان تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتاتونى به وانتم تعلمون انه طلبتى وعدوى
قالوا قد اخبرناك ما الذى منعنا عنه ومن كلامه والبطش به فقال لاجب اذا
ما نطيق الياس الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه من ذى
القوة والبأس وعهد اليهم عهدا وأمرهم بالاحتيال عليه وان يطمعوه بأنهم قد
آمنوا به هم ومن وراءهم ليطمئن اليهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا
حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه الياس ثم انهم تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلا
أصواتهم ويقولون يا نبىّ الله ابرز علينا واشرف علينا بنفسك فانّا قد آمنا بك
وعرفناك وملكنا لاجب وصدقناك وكذلك جميع قومنا مقرّين بذلك ويقرونك
السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعزمنا على ما قلت وآمنا بك واجبناك الى
ما دعوتنا اليه فهلم الينا فأنت نبيّنا ورسول ربنا فاقم بين أظهرنا واحكم بيننا
فانّنا ننقاد الى ما أمرتنا وننتهى عما نهيتنا وليس لك ان تتخلف عنا بعد ايماننا
وطاعتنا فتداركنا وارجع الينا كل هذا مكر منهم وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم
وقع فى نفسه وطمع فى ايمانهم وخاف الله وشفق من سخطه ان هو لم يظهر لهم
ولم يجبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمّم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال
لو أنى دعوت الله تعالى فسألته أن يعلمنى ما فى نفوسهم ويطلعنى على حقيقة
أمرهم وكان ذلك الهام من الله تعالى اياه وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا
صادقين فيما يقولون فأذن لى فى البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم
وارمهم بنار تحرقهم جميعا فما استتم قوله حتى حصبوا فى النار فأحرقوا أجمعين
قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع عن ضمير السوء والاحتيال بالسوء
ثانيا فى أمر الياس فجهز فيه اخرى مثل عدد اولئك وأقوى منهم وأمكر منهم
فى الحيلة والرأى فأقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوا متفرّقين وجعلوا
ينادون يا نبىّ الله نعوذ بالله وبك من غضب الله ومن سطوته انا لسنا كالذى
أتوا قبلنا أولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك ليمكروا بك من غير
رأينا ولا علمنا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد كفاك الله أمرهم واهلكهم
بسوء نيّاتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعى الله بدعوته الاولى
فأمطر عليهم نارا فاحرقوا عن آخرهم ومع ذلك كله ابن الملك فى البلاء الشديد
من وجعه كما وعد الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف
عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك اصحابه ثانيا ازداد غيظا الى غيظه
وأراد أن يخرج فى طلب الياس بنفسه الّا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه
نحو الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجاء ان يأنس اليه وينزل معه

فأظهر للكاتب انه لا يريد باليأس سوأ ولا مكروها وانما اظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وبان الملك مع اطلاعه على ايمانه انه كان مغضبا في بقائه لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأي والنظر بالامور فلما وجهه بنحوه ارسل معه فئة من اصحابه واوعز اليهم دون الكاتب ان يوثقوا الياس ويأتوا به ان اراد التخلف عنهم وان جاء مع الكاتب وانقاد بمكانته آنسا به لم توحشوه ولم تروعوه ثم انه أظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لي ان أتوب وانفض وقد أصابتنا بلايا من حريق اصحابنا والبلاء الذي فيه ولدي وقد عرفت أن ذلك بدعوة الياس ولست آمن أن يدعو علي وعلى جميع قومي فيهلكوا بدعوته فكن رسولنا اليه وأخبره أنا قد تبنا وأنبنا وأنه لا يصلحنا الا هو في توبتنا ولا يكون من رضا ربنا وخلع أصنامنا الا ان يكون الياس بين اظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا ما نريد بما يرضي ربنا قال ثم انه أمر قومه ان يعتزلوا الاصنام وقال له أخبر الياس بأنا قد خالفنا آلهتنا التي كنا نعبد وقد أهملنا أمرها حتى ينزل الينا فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها وكان ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذي فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وأنس به وكان مشتاقا الى لقائه فأوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى أخيك الصالح فالقه وجدد به العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغي وقومه وانه قص عليه ما قاله وقال له واني لخائف ان رجعت اليه ولست معي ان يقتلني فأمرني بما شئت ان افعله وانتهي اليه ان شئت وان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت أرسلني اليه بما تحب فابلغ رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا قال فاوحى الله تعالى الى الياس أن كل ما جاءك منهم فهو مكر وكذب ليظفروا بك وان لاجب ان اخبرته رسله انك لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اليه فانه يتهمه ويعرف أنه قد داهن في أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذره وبراءته عند لاجب واني سأشغل عنكما لاجب وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم اميته على أشر حال فاذا مات هو فارجع عنه ولا تقم عنده قال فانطلق معه حتى دخلوا على لاجب فلما قدموا عليه شدد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت يكظه فشغل الله بذلك لاجب واصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لاجب وفرغوا من أمره وقل جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذي جاء به فقال ليس لي به علم وذلك انه قد شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولم اكن أحسبك الا قد

أستوثقت منه فتركه لاجب لماكان فيه من الحزن على ابنه فلما طال الامر على
الياس مل الجبل والمقام به فاشتاق الى العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق
حتى نزل بامرأة من بني اسرائيل وهي أم يونس بن متى ذي النون فاستخفى عندها
ستة اشهر ويونس بن متى يومئذ مولود رضيع وكانت أم يونس بن متى تخدمه
بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس
عليه السلام سئم ضيق البيوت بعد قعوده في الجبال ودوحها فاحب اللحوق
بالجبال فخرج وعاد الى مكانه فجزعت ام يونس لفراقه واوحشها فقده ثم لم
يلبث الا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت في
طلب الياس فلم تزل ترقى في الجبال وتطوف فيها حتى عبرت عليه فوجدته فسلمت
عليه وقالت له اني فجعت بعدك بابني وعظمت مصيبتي به واشتد لفقده بلائي
وليس لي ولد غيره فارحمني وادع ربك تعالى يحيي لي ابني ويجبر مصيبتي فاني
قد تركته مسجى لم ادفنه وقد اخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا
مما أمرت به وانما أنا عبد مأمور اعمل بما يأمرني ربي ولم يأمرني بهذا فجزعت
المرأة وتضرعت فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها ومتى مات ابنك فقالت
منذ سبعة ايام فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة ايام حتى اتى الى منزلها
فوجد يونس بن متى منذ اربعة عشر يوما ميتا فتوضأ الياس وصلى ودعا فاحيى
الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى
موضعه فلما ان كثر عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا وأجهده البلاء
فأوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور مجهود يا الياس ما هذا الحزن
والجزع الذي انت فيه الست أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي
فاسألني أعطيك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام
أتمنى ان تلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني وأبغضتهم فيك
وبغضوني فأوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي اعرى منك الارض واهلها
وانما قوامها وصلاحها بك واشباهك ولكن سلني أعطيك قال الياس
فان لم تمتني الهي فاعطني ثاري من بني اسرائيل قال الله تعالى فأي شئ تريد
ان اعطيك يا الياس قال تمكني من خزائن السماء سبع سنين ولا تنشئ عليهم
سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتي فانهم لا يذلهم
الا ذلك قال الله تعالى يا الياس انا ارحم الراحمين وان كانوا ظالمين قال
فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال انا أرحم بخلقي
من ذلك وان كانوا ظالمين قال فأربع سنين قال انا أرحم بخلقي من ذلك وان
كانوا ظالمين ولكن اعطيك ثارك ثلاث سنين ولا أنزل عليهم قطرة الا بدعوتك

قال

قال الياس فبأى شئ اعيش قال أسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك
من الريف والارض التى لم تقحط قال الياس قد رضيت فأمسك الله المطر عنهم
ثلاث سنين حتى هلكت المواشى والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا
شديدا والياس على حاله مختف من قومه بموضع ينساق له الرزق ويأتيه حيث
ما كان وقد عرفه بذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا لقد
دخل الياس هذا المكان فيطلبوه ويلقى منهم اهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس
أصاب بنى اسرائيل القحط ثلاث سنين فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام
قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل فدعا فيهما بالبركة ومسه حتى ملا جرتها
دقيقا وملاء خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا قالت مر
بى رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس ثم
انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال * قصة اليسع عليه السلام

مطلب قصة اليسع عليه السلام

ثم ان الياس أوى الى بيت امرأة من بنى اسرائيل لها ابن يسمى اليسع من اخطوب وكان
به ضر فآوته وأخفت مكانه فدعا له فعوفى من الضر الذى كان به واتبع اليسع
الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيث ما ذهب وكان الياس
قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس عليه السلام
انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعصونى سوى بنى اسرائيل من البهائم
والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بنى اسرائيل فيزعمون والله
اعلم ان الياس قال رب دعنى اكون الذى أدعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من
البلاء الذى اصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم
فجاء الياس الى بنى اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت
البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم بخطاياكم وانكم
على باطل وغرور فان كنتم تحبون ان تعلموا ان أصنامكم التى تدعونها من دون الله
لن تغنى عنكم شيأ فاخرجوا بأصنامكم هذه فان استجابت لكم كما تقولون كان ذلك
وان هى لم تفعل علمتم انكم على باطل وغرور ودعوت الله تعالى لكم ان يفرج عنكم
ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا ومعهم اوثانهم فدعوها فلم تستجب
ولم يفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا
فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج مما هم فيه وان يسقوا فخرجت
سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت عليهم
الافق ثم ارسل الله عليهم المطر فأغاثهم وسقت بلادهم قال فشكوا الى الياس
هدم الجدارات وعدم البزور وقالوا ليست لنا حبوب فاوحى الله تعالى اليه
ان يأمرهم بأن يبذروا الملح فى الارض ففعلوا فأنبت الله لهم الحمص وأمرهم أن يبذروا

الرمل فأنبت الله لهم الدخن فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد ولم يرعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم فأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شئ فاركبه ولا تهابه فخرج الياس ومعه اليسع بن اخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذى امر به فأقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرنى به فقذف اليه كساه من الجو الاعلى وكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بنى اسرائيل وذهب الياس وكان آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم وقتل لاجب الملك وامرأته فى بستان مزدكى فلم تزل جيفتهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما وذهبت عظامهما ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبيا ورسولا الى بنى اسرائيل واوحى الله تعالى اليه وايده بمثل ما ايد الله به عبده الياس فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وينتهون الى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان قبضه الله اليسع اخبرنا ابو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن ابى داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام واخبرنى ابن فنجويه عن رجل من اهل عسقلان قال كان يمشى بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من انت فقال انا الياس فوقعت على رعدة شديدة فقلت له ادع الله لى ان يرفع عنى ما اجد حتى افهم حديثك واعقل عنك قال فدعا لى بثمان دعوات وهن يا رب يا رحيم يا حنان يا منان يا حى يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم افهمهما فرفع الله عنى ما كنت اجد ووضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين يدى فقلت له أيوحى اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الىّ قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم احيا قال اربعة اثنان فى الارض واثنان فى السماء اما اللذان فى السماء فعيسى وادريس عليهما السلام واما اللذان فى الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجلان بعسقلان وستة فى سائر البلدان كلما ذهب الله بواحد منهم جاء بآخر مكانه بهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر اين يكون قال فى جزائر البحر قال فقلت هل تلقاه قال نعم قلت اين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعرى وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين اهل الشام القتال قلت فما تقول فى مروان بن الحكم قال فما تصنع به رجل جبار عات على الله

مطلب في قصة ذى الكفل عليه السلام

تعالى القاتل والمقتول والشاهد في النار قلت فانى شهدت ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم ولم اضرب بسيف فانا استغفر الله من ذلك المقام ان اعود الى مثله ابدا قال احسنت فهكذا فكن قال فبينما انا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضا من الثلج فاكلت انا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفع فما رأيت أحدا وضعهما ولا احدا رفعهما قال وله ناقة ترعى في وادى الاردن فرفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت له انى اريد ان اصحبك قال انك لا تقدر على صحبتى قال فقلت انى خلو لا زوجة لى قال تزوج واياك من النساء الناشزة والمختلعة والملاعنة والمناعة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت انى احب ان القاك قال اذا رأيتنى فقد لقيتنى ثم قال انى اريد ان اعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بينى وبينه شجرة فوالله ما ادرى اين ذهب وهذا آخر القصة * مجلس في قصة ذى الكفل عليه السلام قال الله تعالى واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو انى استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتى حتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس ثم قال من تكفل لى بثلاث استخلفته يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل شاب تزدريه العيون فقال انا فرده ذلك اليوم فقال مثلها في اليوم الثانى فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال انا فاستخلفه قال فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم فقال دعونى واياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير حين اخذ مضجعه للقائلة فكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول ان بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فانى آخذ لك مظلمتك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة واخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا قال انا الشيخ المظلوم ففتح له وقال الم اقل لك اذا قعدت فأتنى فقال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد يقولون نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا رحت فأتنى وفاتته القائلة فراح واقبل وجعل ينتظره فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى اقوم فانه قد شق على عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاءهم فلم يأذن له الرجل فلما اعياه نظر فاذا كوة في البيت فتسور اليها فاذا هو في البيت واذا هو يدق الباب من داخل فاستيقظ فقال للرجل الم آمرك ان لا تأذن لاحد على فقال اما من قبلى فما اوتيت فانظر من قبل من اوتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال له اتنام والخصوم ببابك

فعرفه فقال له يا عدو الله ما الجاك على هذه الفعال فقال انك أعييتني فى كل شئ
اردت بك ففعلت معك ما ترى لاغضبك فعصمك الله منى فسمى ذا الكفل لانه تكفل
بأمر فوفى به اخبرنا ابن فنجوية قال ثنا عمر بن الفضل عن ابى هاشم انا ابن الفضيل
قال انا الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الدارى عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا لو لم اسمعه الامرة او مرتين لم احدث به سمعت
منه اكثر من سبع مرار يقول كان فى بنى اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا يتزع
عن عمل ولا عن ذنب وانه اتبع امراة فاعطاها ستين دينارا على ان تعطيه نفسها
فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة رعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من
هذا العمل ان هذا العمل ما عملته قط فقال لها اكرهتك قالت لا ولكن حملنى عليه
الحاجة فقال لها اذهبى وهو لك ثم انه قال والله لا اعصى الله بعدها قط ابدا فمات
من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا ان الله تعالى قد غفر
لذى الكفل قال ابو موسى الاشعرى ان ذا الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا
تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلى لله تعالى فى كل ليلة مائة صلاة فاحسن الله عليه
الثنا وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله اعلم بالصواب * مجلس فى قصة عيلى
واشمويل وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على
ابواب كثيرة * قال الله تعالى الم تر الى الملاء من بنى اسرائيل الآية * فصل فى سياق
الآية ومقدمة القصة قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام
واستخلفه على بنى اسرائيل وكان فيهم ما شاء الله ان يكون ثم قبضه الله تعالى وخلف
فيهم الخلوف وعظمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر
فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وكانوا لا يلقاهم عدو الا قدموا
التابوت فينصرون ويرجعون به معهم الا هزمه الله تعالى ذلك العدو وكان الله
تعالى قد بارك لهم فى ارضهم انه لا يدخلها عليهم عدو ولا يحتاجون معه الى غيره
فكان احدهم فيما يذكرون يجمع التراب على الصخرة ثم يبذرون الحب فيخرج الله له
ما ياكله سنة هو وعياله ويكون لاحدهم الزيتونة فيعصر منها ما ياكل هو وعياله
سنة فلما كثرت احداثهم وذنوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم سلط الله عليهم العمالقة
وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل بحر الروم ما بين مصر وفلسطين
وكان جالوت الملك منهم فظهروا على بنى اسرائيل وغلبوهم على كثير من ارضهم وسبوا
كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضربوا عليهم
الجزية واخذوا توراتهم وبقوا على اضطراب من امرهم واختلاف من حالهم يتمادون
احيانا فى غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم منهم ليرجعوا الى التوبة
احيانا ويكفيهم الله شر من بغى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم

مطلب فى قصة عيلى واشمويل وقصة التابوت

توراتهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ماكان بين وفاة يوشع بن نون الذى كان أمر بنى اسرائيل فى بعضها الى السياسة فيهم وفى بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم ويملك عليهم الى ان ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم باشمويل النبى عليه السلام اربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم فى هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان بدو امرهم فى ملكهم شيخ كبير يقال له عيلى الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم مدة بعث الله اشمويل نبيا

مطلب فى بدو امر اشمويل وصفة نبوته

القول فى بدو أمر اشمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم قال وهب ابن منبه كان لابى اشمويل امرأتان احدهما عجوز عاقر لم تلد له ولدا وهى أم اشمويل والاخرى قد ولدت له عشرة اولاد قال وكان لبنى اسرائيل عيد من اعيادهم فاقاموا فيه شرائطه وقربوا فيه القربان فحضر ابو اشمويل وامرأتاه واولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم اخذ كل واحد منهم نصيبه وكان لأم الأولاد عشرة انصبا وللعجوز نصيب واحد فجعل بينهم ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغى فقالت ام الاولاد للعجوز الحمد لله الذى كثرنى بولدى وقللك فوجمت العجوز وجوما شديدا فلما كان عند السحر عمدت الى متعبدها فقالت اللهم بعلمك وسمعك كانت مقالة صاحبتى واستطالتها على بنعمتك التى انعمتها عليها وانت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فارحم ضعفى وارزقنى ولدا تقيا رضيا اجعله لى ذخرا فى مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجحدك فاذا رحمت ضعفى ومسكنتى واجبت دعوتى فاجعل لى علامة اعرف بها قبول دعاءى فلما اصبحت حاضت وكانت قبل ذلك يئست من الحيض جعله الله علامة لما سألته فألم بها زوجها فحملت وكتمت امرها ولقى بنو اسرائيل ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبى يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى ان يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحبلها تعجبوا من امرها وقالوا انما حملت هذه الا بنبى لأن الآيسات لا يحبلن الا بالأنبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحاق وايشاع امرأة زكريا حملت بيحيى عليه السلام فأخذوها وحبسوها فى بيت رهينة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل تقول سمع الله دعاءى فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلى وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذى يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام والغلام نائم الى جانب الشيخ عيلى الكاهن وكان لا يأمن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا مرعوبا الى الشيخ وقال يا أبتاه دعوتنى فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال

يا بنيّ ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فأتاه الغلام وقال دعوتني يا أبتاه فقال الشيخ ما شأنك قال أما دعوتني قال لا قال اشمويل فاني سمعت صوتا في البيت وليس في البيت غيرنا فقال له الشيخ ارجع فتوضأ وصلّ فانك ان دُعيت باسمك فأجب وقل لبيك انا طوعك فامرني بما شئت افعل ما تأمرني به ففعل ذلك الغلام فنودي ثالثة فقال لبيك أنا طوعك فامرني أفعل ما تأمرني فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبيّا وان الله قد ذراءك يوم ذرأك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذي تاهت عليها ضرّتها فيه فلا أحد اليوم أشدّ عضدا منك ولا أطيب ولادة منك فانطلق الى عيلي فقل له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فبقيت زمانا بأمره حاكما بكتابه محافظا على حدوده فلما امتد عمرك ودق عظمك وذهبت قوّتك وفني عمرك وقرب أجلك وصرت افقر ما يكون الى الله تعالى ولم تزل فقيرًا اليه عطلت الحُدود وجرت بين الخصوم وعملت بالرّشا والمصانعات وأضعت الحكومات حتى عزّ الباطل وذلّ الحق وحزبه وظهر المنكر وخفي المعروف وفشى الكذب وقلّ الصدق وما والله عاهدك على هذا ولا عليه استخلفك فبئس ما ختمت عليه عملك والله لا يحبّ الخائنين بلّغه هذه الرسالة وقم بعده بالخلافة فلما بلغه اشمويل هذه الرسالة فزع وجزع وكان السّبب فيما عاتب الله عبده عيلي ووبخه أنه كان له ابنان شابّان فاحدثا شيئا في القربان لم يكن فيه وذلك انه كان سواط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلاليبين فما آخرجا كان للكاهن الذي يسوطه فجعل ابناه كلاليب فاوحى الله الى اشمويل أن انطلق الى عيلي فقل له ما منعك حب الولدان تزجر ابنيك أن يحدثا في قرباني وان يعصياني فلأنزعنّ الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكنّك واياهما فأخبر اشمويل عيلي ففزع فزعا شديدا وسار اليهم عدوهم ومن حولهم فأمر عيلي بنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدوّ فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تهيّؤا للقتال جعل عيلي يتوقع ماذا صنع القوم فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيّه فأخبره بأن الناس قد انهزموا وأن ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت قال ذهب به العدوّ قال فشهق ووقع على قفاه ومات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبر أنّ التابوت قد سلب وأنّ عيلي قد مات فمات كمدا فلما مات الامير والوزير واخذ التابوت مرج امر بني اسرائيل واختلّ واجترى عليهم عدوّهم فقالوا لاشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وذلك بعد ما دبّر اشمويل أمرهم عشر سنين فلما نالهم الذل والهوان والقتل والسّبي من عدوهم بسوء معصيتهم سألوا نبيّهم اشمويل ان يبعث لهم ملكا يجاهدون معه في سبيل الله وانما كان قوام بني اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملك للأنبياء وكان الملك

قوله فما اخرجا الخ لعل هنا سقط وتحريف وهو فما اخرجا ابناه الكلاليبين الذين كان الكاهن يسوطه بهما وجعل ابناه مكانهما كلاليب تامل وحرر وراجع ان ظفرت بنسخة معتمدة في هذا المحل لتظهر اهـ مصححه

هو الذى يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبى منهم هو الذى يقيم له أمره
ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى قال وهب بن منبه بعث
الله أشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة فى احسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة
ما كان قالوا لأشمويل عليه السلام أن يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى ألم تر الى
الملاء من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى
سبيل الله يعنى اشمويل وهو بالعربية اسمعيل بن بالى بن علقمة بن ماجد بن
عموما بن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عموصا بن عزريا قال مجاهد هو أشمويل
ابن ملقى ولم ينسبه اكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هارون عليه السلام
فقال لهم نبيهم هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فأجابوا بما قص الله
فى كتابه قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما أخذ
أشمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم
ملكا * ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحزب جالوت وما يتعلق

مطلب ذكر قصة الملك طالوت

به قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال
المفسرون ان اشمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله سأل الله تعالى
أن يبعث لهم ملكا فاوتى بعصى وقرن فيه دهن القدس وقال له ان صاحبكم الذى
يكون ملكا طوله طول هذه العصى وقيل له انظر الى القرن الذى فيه الدهن فاذا
دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه
وملكه عليهم ثم انهم قاسوا انفسهم بالعصى فلم يكونوا مثلها وكان طالوت بطولها
واسمه بالسريانية سادل وبالعبرانية ساول بن قيس بن انثال بن ضرار بن كرب
ابن أفيح بن انيس بن بنيامين بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام

قوله قال عكرمة والسدى لعله وقال عكرمة والسدى انه كان رجل يستقى على حمار له انتهى مصححه

وكان رجلا دباغا يعمل الأدم قال وهب بن منبه كان يدبغ الجلود عكرمة والسدى
يقولان سقايستقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج فى طلبه قال وهب بن منبه
بل ضاعت حمر لأبى طالوت فارسله وغلاما له يطلبانها فمرا ببيت أشمويل عليه
السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا
ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر
اذ نش الدهن الذى فى القرن فقام اشمويل وقاس طالوت بالعصى فكانت على طوله
فقال له اشمويل قرب رأسك الىّ فدهنه بدهن القدس ثم انه قال له انت ملك بنى
اسرائيل وقد امرنى ربى أن أملكك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أوما علمت
أن سبطى أدنى أسباط بنى اسرائيل قال بلى قال أوما علمت ان بيتى ادنى بيت فى بنى
اسرائيل قال بلى قال فبأى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد أبوك الحمر فكان كذلك
ثم ان اشمويل قال لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال مجاهد

امیراعلی الجیش فقالوا انّی یکون له الملك علینا ونحن احق بالملك منه ولم یؤت
سعة من المال وانما قالوا ذلك لانه کان فی بنی اسرائیل سبطان سبط نبوة
وسبط مملکة وکان سبط النبوة سبط لاوی بن یعقوب ومنهم موسی وهارون
وسبط المملکة سبط یهودا بن یعقوب ومنهم داود وسلیمان علیهما السلام ولم
یکن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملکة وانما کان من سبط بنیامین
ابن یعقوب وکانوا عملوا ذنبا عظیما وکانوا ینکحون النساء علی ظهر الطریق نهارا
فغضب الله علیهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لکم طالوت
ملکا انکروا ذلك لانه کان من ذلك السبط فقالوا انّی یکون له الملك علینا ونحن احق
بالملك منه وایضا انه فقیر لم یؤت سعة من المال قال لهم اشمویل ان الله اصطفاه
علیکم وزاده بسطة فی العلم والجسم یعنی بالطول فی قومه والقوة وانما سمی
طالوت لطوله وکذلك کان یفوق الناس برأسه ومنکبیه وقال
ابن کیسان بالجمال وکان طالوت اجمل رجل فی بنی اسرائیل واعلمهم والله
یؤتی ملکه من یشاء والله واسع علیم قالوا فما آیة ذلك قال لهم نبیهم ان آیة
ملکه ان یاتیکم التابوت الآیة * قصة التابوت وصفته وابتداء امره الی انتهائه
قال اهل التفسیر واصحاب الاخبار ان الله تعالی اهبط تابوتا علی آدم علیه السلام
من الجنة حین اهبط الی الارض فیه صور الانبیاء من اولاده وفیه بیوت بعدد الرسل
منهم وآخر البیوت بیت محمد صلی الله علیه وسلم من یاقوتة حمراء واذا هو قائم یصلی
وعن یمینه الکهل المطیع مکتوب علی جبینه هذا اول من یتبعه من امته ابی بکر
الصدیق رضی الله عنه وعن یساره الفاروق وعلی جبهته مکتوب قرن من حدید
لا یأخذ فی الله لومة لائم ومن ورائه ذوالنورین آخذ بحجزته مکتوب علی جبهته
بار من البریة ومن بین یدیه علی بن ابی طالب کرم الله وجهه شاهر سیفه علی عاتقه
ومکتوب علی جبهته هذا اخوه وابن عمه المؤید بالنصر من عند الله وحوله عمومته
والخلفاء والنقباء الکبکبة الخضرا انصار الله وانصار رسوله نور حوافر دوابهم
یوم القیامة مثل نور الشمس فی دار الدنیا وکان التابوت نحوا من ثلاثة اذرع فی
ذراعین وکان من عود الشمشار الذی یتخذ منه الامشاط مموه بالذهب وکان
عند آدم علیه السلام الی ان مات ثم عند شیث ثم توارثه اولاد آدم الی ان بلغ
الی ابراهیم علیه السلام فلما مات کان عند اسمعیل لانه اکبر ولده فلما مات اسماعیل
کان عند ولده قیدار فنازعه فیه ولد اسحاق وقالوا له ان النبوة صرفت عنکم
ولیس لکم الا هذا النور الواحد یعنی نور محمد صلی الله علیه وسلم فأعطنا التابوت
فکان یمتنع علیهم ویقول انه وصیة ابی ولا اعطیه لاحد من العالمین قال فذهب
ذات یوم لیفتح ذلك التابوت فعسر علیه فتحه فناداه مناد من السماء مهلا یا قیدار

مطلب قصة التابوت وصفته

فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتحه الا نبي فادفعه الى
ابن عمك يعقوب اسرائيل الله فحمل قيدار التابوت على عنقه وخرج يريد ارض
كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيدار صرّ التابوت صرة سمعها
يعقوب عليه السلام فقال لبنيه أُقسم بالله لقد جاءكم قيدار بالتابوت فقوموا
نحوه فقام يعقوب واولاده جميعًا فلما نظر يعقوب الى قيدار سعى اليه باكيا وقال
يا قيدار فاني أرى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة اأرهقك عدو ام اتيت بمعصية
بعد أبيك اسماعيل قال ما أرهقني عدو ولا أتيت معصية ولكن انتقل ظهري نور
محمد صلى الله عليه وسلم فذلك تغير لوني وضعف ركني قال يعقوب افي بنات اسحاق
قال لا ولكن في العربية الجرهمية وهي العامرية فقال يعقوب بخ بخ شرفا لمحمد صلى الله
عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات يا قيدار وانا مبشرك ببشارة
قال وما هي قال اعلم ان العامرية قد ولدت تلك البارحة غلاما قال قيدار وما
علمك يا عمي وانت بأرض الشام وهي بأرض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لاني
رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر المدور بين السماء والارض
ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت ان ذلك من أجل
محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيدار دفع التابوت الى عمه يعقوب ورجع الى اهله
فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حمل وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان
التابوت في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة
ومتاعًا من متاعه وكان عنده الى ان مات ثم تداولته انبياء بني اسرائيل الى وقت
اشمويل عليه السلام فوصل الى اشمويل وقد تكامل امر التابوت بما فيه وكان فيه
مما ذكر الله في كتابه فيه سكينة من ربكم واختلفوا في السكينة ما هي فقال علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه السكينة ريح هجوج هفافة لها راسان ووجهها كوجه الانسان
وقال مجاهد لها راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن
اسحاق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل السكينة راس هر كانت اذا
صرخت في التابوت صراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح وروى السدي عن
ابن مالك عن ابن عباس قال هي طشت من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الأنبياء
وروى بكار بن عبد الله عن وهب بن منبه هي روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا
في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون قال
المفسرون كان فيه عصى موسى ورضاض الالواح وذلك ان موسى لما ألقى الالواح
فتكسرت فوقع بعضها على بعض وجمع ما بقي فجعله في التابوت وكان فيه أيضا
لوحان من التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل ونعلا موسى
وعمامة هارون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بني اسرائيل اذا اختلفوا في شيء

تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال أقاموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم
فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه
وذلك فى أيام عيلى الكاهن الذى ربّى اشمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت
يوم سبى قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختلّ امر بنى اسرائيل الى أن بعث
الله طالوت ملكا فسألوه الاية على ملكه فقال لهم اشمويل ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
وكانت قصة ذلك التابوت أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية
من قرى فلسطين يقال لها ازدود وجعلوه فى بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم
الاعظم فأصبحوا من الغد واذا الصنم تحته فاخذوه وجعلوه فوقه وسمّروا قدمى
الصنم على التابوت فاصبحوا من الغد وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى
تحت التابوت فأصبحت الأصنام كلها متكسرة فاخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه
فى ناحية من مدينتهم فأخذ اهل تلك الناحية وجع فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم
فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بنى اسرائيل لا يقوم له شئ فأخرجوه
من مدينتكم قال فأخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك القرية فارا فيبيت
الرجل صحيحا فيقرضه الفار فيصبح ميتا وقد اكلت ما فى جوفه فأخرجوه منها الى
الصحراء ودفنوه فى مجراة لهم فكان كل من تبرّز هناك اخذه الباسور والقولنج
فأخرجوه ووضعوه فى بيت فمكث فيهم عشر سنين وسبعة اشهر لا يدنو احد منهم
إلّا احترق واصابهم فى المدينة الآفات والعاهات وفى مواشيهم الموت وفى نسائهم
الطاعون فتحيّروا وكانت عندهم امرأة من نساء بنى اسرائيل من أولاد الانبياء
فقالت إنكم لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه
عنكم فأتوا بعجلة باشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين
وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما
فلم يمر التابوت بأرض الا كانت مقدسة فأقبلا حتى وقفا على أرض فيها حصاد لبنى
اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضع التابوت فيها ووجع الثوران الى
أرضهما فلم تدر بنى اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعت
على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة أى تسوقه الملائكة وقال ابن عباس
جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته
فى دار طالوت فأقرّوا بملكه قال الله تعالى ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين
قال ابن عباس ان التابوت وعصى موسى فى بحيرة طبرية وانهما يخرجان يوم القيامة
والله اعلم * باب فى قصة اشمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت
بالمسير الى قتال جالوت مع بنى اسرائيل وصفة نهر الابتلى قال الله تعالى
فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما أوحى الله الى اشمويل

مطلب فى قصة اشمويل

علیه

عليه السلام ان يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف
عنه الا كبير الهرمه او مريضا لمرضه او ضريرا لضره او معذورا لعذره وذلك انهم
لما رأوا التابوت قالوا قد اتانا التابوت وهو النصر لاشك فيه فسارعوا الى الجهاد
فقال طالوت لاحاجة لى فيما ارى لا يخرج معى رجل بنا بناء لم يفرغ منه ولا صاحب
تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولم يتبعنى
الا الشاب النشط الفارغ فاجتمعوا ثمانون الفا على شرطه فخرج بهم وكان فى حر شديد
فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملها فادع الله تعالى ان
يجرى لنا نهرا فقال لهم طالوت بامر اشمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر مختبركم
ليرى طاعتكم وهو اعلم بنهر وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذب يقال له
ارمى فمن شرب منه فليس منى اى من اهل دينى وطاعتى ومن لم يطعمه يشربه فانه منى
ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم وهو ملئ الكف
ومن فتح الغين اراد المرة الواحدة الا قليلا منهم قال السدى كانوا اربعة الاف
وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه قول البراء بن
عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر انتم اليوم على عدة اصحاب
طالوت حين عبروا النهر وما جاوز معه الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة
عشر قالوا فمن اغترف غرفة بيده كما امر الله تعالى قوى قلبه وصح ورجح ايمانه وعبر
النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا
امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر
وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين
ثبتوا معه قالوا يعنى الذين شربوا وخالفوا امر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون
انهم اى يعلمون ويوقنون انهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت كم
من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية ومروا قاصدين الجهاد باب
فى ذكر امر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله قال الله تعالى ولما برزوا
لجالوت وجنوده قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون
والمخبرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا ابو داود
ومعه ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم واحقرهم فأتى ذات يوم اباه فقال
يا أبتاه ما اقذف بمقلاعى هذه شيئا الا اصبته وصرعته فقال ابشر يا بنى فان الله
قد جعل رزقك فى قذافتك يعنى فى مقلاعك ثم اتاه يوما آخر فقال يا ابتاه لقد
دخلت بين الجبال فرأيت اسدا رابضا فركبته وقبضت باذنيه فلم يهمنى فقبضت
على فكيه ففطرتهما ولويت بعنقه وبرأسه الى لبته بيدى من غير سل سكين

مطلب
فى ذكر امر داود
عليه السلام

ولاضرب بحديد وتراه هنالك مقتولا فقال له ابوه ابشر يا بنى فان هذا خيرا
اعطاكه الله ثم اتاه يوما آخرا وقال يا ابتاه انى لأمشى بين الجبال فأسبح فما يبقى
جبل الا سبح معى قال ابشر يا بنى فان هذا خيرا اعطاكه الله وسيكون لك شان
عظيم قال فلما وصلت غزاة بنى اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت ارسل
جالوت الى طالوت ان ابرز الى او ابرز الى من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى فشق ذلك
على طالوت فنادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته فى مملكتى
فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه احد فسال طالوت نبيهم اشمويل عليه
السلام فدعى الله تعالى فى ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس وشبه تنور من حديد
وقيل له ان الذى يقتل جالوت هو الذى يوضع هذا القرن على رأسه فيغلى الدهن
حتى يدهن منه راسه ولايسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل
فى هذا التنور فيملاه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت اشدآء بنى اسرائيل وأقوياءهم فمر
بهم فلم يوافقه منهم احد فاوحى الله الى اشمويل عليه السلام ان فى ولد ايشا من يقتل
جالوت وانى اريد أن اجعله خليفة فى الارض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو
راعى الغنم فقل لايشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض على
بنيك فأخرج له اثنى عشر ولدا امثال السوارى وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على
القرن والتنور فلايرى شيا ويقول لذلك الجسيم ارجع فيردده على التنور فاوحى
الله تعالى اليه انا لا ناخذ الرجال على صورهم ولكنا ناخذهم على صلاح هممهم وقلوبهم
فقال لايشا هل بقى لك ولد غيرهم قال لا قال اشمويل رب قد زعم انه ليس له ولد
غيرهم فقال كذب فقال اشمويل يا ايشا ان ربى كذبك قال صدق الله يا نبى الله
ان لى ابنا صغيرا يقال له داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته
وخلفته فى الغنم يرعاها وهو فى شعب كذا وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا
سقيما مصفرا ازرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادى
قد حال بينه وبين الزريبة التى كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين
يعبر بهما السيل ولا يخوض بهن الماء فلما راى اشمويل قال هذا هو لا شك فيه هذا
يرحم البهائم فهو ارحم بالناس فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض واجلسه
فى التنور فملأه فلما راى طالوت ذلك قال له هل لك ان تقتل جالوت وأزوجك
ابنتى وأجرى حكمك فى مملكتى قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيئا تتقوى به
على قتله قال نعم انا راعى الغنم فيجئ الأسد والنمر والذئب ليأخذ شيأ فاقوم اليه
وافتضه وأفتح لحييه عنها وأخرقهما الى قفاه فلما سمع طالوت منه ذلك رده الى
عسكره فمر داود عليه السلام فى الطريق بحجر فناداه يا داود احملنى فانى حجر هارون
الذى قتل به ملك كذا وكذا فوضعه فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملنى

فانی حجر موسى عليه السلام الذى قتل به ملك كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر
آخر فقال احملنى فانى حجرك الذى تقتل به جالوت وقد خبأنى الله لك فوضعه فى
مخلاته فلما انهم تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له داود
وكان طالوت اعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا
فوجد فى نفسه زهوا فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام
فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرنى
فما يغنى عنى هذا السلاح شيأ فدعنى اقاتل كيف اريد فقال له طالوت افعل ما تريد
فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان
جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها
ثلثمائة رطل حديد وكان له فرس ابلق مثله فى الشدة والقوة وعظم الخلق فلما برز
جالوت الى داود القى الله تعالى فى قلبه الرعب فقال له انت تبرز الى قال نعم وكان
جالوت راكبا على فرس ابلق وعليه السلاح التام فقال له يا بنى تاتينى بالحجر بالمقلاع
كما يؤتى الكلب بالحجر قال نعم انت اشر من الكلب قال لاجرم لأقسمن لحمك بين
سباع الارض وطير السماء فقال داود بسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع وطير
السماء واخذ حجرا منها وقال بسم الله اله ابراهيم ووضعه فى مقلاعه واخذ حجرا ثانيا وقال
بسم الله اله اسحاق ووضعه فى مقلاعه ثم اخرج حجرا ثالثا وقال بسم الله اله يعقوب
ووضعه فى مقلاعه قال فصارت الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وأدار المقلاع
ورمى به فسخر الله له الريح حتى اصاب الحجر انف البيضة فخالط دماغه وخرج من
قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من بعد ما خرج من قفاه تكسر وتفتت
باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم احد الا وقد اصابته منه قطعة ومثل
ذلك صار كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثى الحثوة من التراب فانهزم
الجيش وخر جالوت قتيلا وأسرع داود عليه السلام اليه فحز رأسه وانتزع من
يده خاتمه وأقبل برأسه يجره حتى القاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا
شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين * ذكر
بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود بعد قتل جالوت قالوا لما قتل داود
جالوت ذكر الناس داود وعظم فى انفسهم فجاء داود الى طالوت وقال له انجز لى
ما وعدتنى واعطنى امرأتى فقال له طالوت اتريد ابنة الملك بغير صداق عجل صداق
ابنتى وشانك بها فقال داود لطالوت ما شرطت على صداقا وليس لى شئ فتحكم
فى الصداق وبما تريد وأقرضنى مهرها وعلى الأداء والوفاء لك به فقال طالوت
اصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا تظلمه وانجز له ما وعدته
فلما رأى طالوت ميل بنى اسرائيل الى داود احسن ثناءه عليه وقال لا حاجة لابنتى

مطلب
ذكر بقية
قصة طالوت

فى المال ولا اكلفك ما لا تطيق انت رجل جرئ وفى جبالنا اعدأ من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم مائتى رجل وجئتنى برؤسهم زوجتك ابنتى فاتاهم داود عليه السلام وجعل كلما قتل منهم رجلا احتز رأسه ونظمه فى خيط حتى نظم رؤسهم ثم جاء بهم الى طالوت والقاهم بين يديه وقال له ادفع الىّ امرأتى فزوجه امرأته واجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام وأحبه بنو اسرائيل واكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك فى نفسه فاراد قتله قال وهب بن منبه كانت الملوك يومئذ يتوكاؤن على العصى ويفعلون فى أطراف العصى أزجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا فى ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصى بغتة ليقتله بها صبرا فلما احسّ داود بذلك حاد عن رميته وأمال نفسه من غير ان يبرح من مكانه فارتكزت العكاز فى الجدار فقال له داود اردت قتلى قال له طالوت لا بل أردت ان اقف على ثباتك عند الطعان وربط اجاشك للاقران فقال له داود عليه السلام افالقيته على ما قدرته فىّ قال نعم لعلك فزعت قال معاذ الله ان اخاف الا الله ولا ألجأ الا اليه ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انتزعها من الجدار وهزها هزة منكرة وقال له اثبت كما ثبتّ لك فأيقن طالوت بالهلاك فقال له انشدك بالله وبحرمة المصاهرة التى بينى وبينك وما كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تخويف وتحذير فقال داود لطالوت ان الله قد كتب فى التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها واحدة والبادى اظلم قال طالوت أفلا تقول قول هابيل لئن بسطت الىّ يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لأقتلك انى اخاف الله رب العالمين فقال داود انى قد عفوت عنك لوجه الله تعالى فلبث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على ان يأتيه ويغتاله فى داره فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود اخبرها رجل يقال له ذو العين فقالت لداود انك لمقتول الليلة قال ومن يقتلنى قالت ابى قال وهل اجرمت جرما قالت حدثنى من لا يكذب ولا عليك بأس ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان اراد ذلك لا استطيع خروجا ولكن ائتينى بزق خمر فأتته به فوضعه فى مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير قال فدخل طالوت نصف الليل واراد ان يقتل داود فقال لابنته اين بعلك فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ان لا يدعنى حتى يدرك ثاره منى ثم انه استتر بحجابه وحراسه واغلق دونه الابواب قال فأتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب وفتح الله له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه

وسهما

وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها
فقال رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني لو شاء
لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما كانت الليلة القابلة أتاه داود
ثانيا وأعمى الله عنه أعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فأخذ ابريق طالوت
الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب به وقطع شعرات من لحيته وشيأ
من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على
داود العيون وشدد في طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود
عليه السلام يمشي في البرية فقال طالوت في نفسه اليوم اقتل داود وأنا راكب وهو ماش
وكان داود اذا فزع لم يدرك فركض طالوت في اثره واشتد داود في الجرى فدخل
غارا فأوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر
الى بناء العنكبوت قال لو كان هاهنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضى
خرج داود من الغار وانطلق الى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطعن العلماء
والعباد على طالوت في شان داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله
فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني اسرائيل على عالم ويطيق قتله الا قتله ولم
يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى اوتي بامرأة تعلم الاسم الاعظم فأمر خبازه بقتلها
فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ووضع الله في قلب طالوت التوبة فندم
على ما فعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي
وينادي انشدك الله عبدا يعلم لي توبة الا اخبرني بها فلما اكثر عليهم بكاه ناداه مناد
من القبور يا طالوت اما ترضى انك قتلتنا احياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا
وبكاء فرحمه الخباز فقال له ما لك أيها الملك فقال هل تعلم لي في الارض عالما اسأله
هل لي من توبة فقال له الخباز أيها الملك هل تدري ما مثلك قال لا قال انما مثلك
الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في هذه القرية
ديكا الا ذبحتموه فلما اراد أن ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك فايقظونا حتى ندلج
فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وأنت هل تركت عالما في الارض فازداد حزنا
وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال ارأيت ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فتوثق
منه الخباز بالايمان فأخبره ان المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها أسألها
هل لي من توبة وكانت تعلم ذلك الاسم الاعظم وكانوا اهل بيت افنيت رجالهم
وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك
ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال لها ألست أعظم الناس عليك منة أنجيتك
من القتل واويتك عندي قالت بلى قال لي اليك حاجة هذا طالوت يسال هل له
من توبة فلما سمعت بذكره غشي عليها من الفرق فلما افاقت قال لها انه لا يريد قتلك

ولكن يسألك هل له من توبة قالت لا والله ماله من توبة ولكن هل تعلمون قبر
اشمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت
عنده ركعتين ثم انها نادت يا صاحب القبر فخرج اشمويل عليه السلام من القبر ينفض
التراب عن رأسه فلما نظر الى الثلاثة المرأة والخباز والملك فقال لهم أقامت القيامة
قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له اشمويل ما فعلت يا طالوت
بعدى قال لم ادع شيأ من الشر الا فعلته وقد جئت أطلب التوبة قال كم لك من ولد
قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا ان تتخلى من ملكك وتخرج انت وولدك
تجاهد فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقاتل حتى تقتل
آخرهم ثم رجع اشمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن
ما يكون وخاف لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل
عليه اولاده فقال لهم أرأيت لو دفعت الى النار اكنتم تنقذونى قالوا نعم ننقذك
بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا مقالتك
فذكر لهم القصة فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا فى الحياة بعدك
قد طابت انفسنا بالذى سألت فتجهز باولاده الى الغزو وكانوا
عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود
يبشره بقوله له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذى تحيى بعده فضرب عنقه
* مجلس فى خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها * قال الله تعالى يا داود انا
جعلناك خليفة فى الارض الآية قالت العلماء باخبار الانبياء لما استشهد طالوت
أتى بنوا اسرائيل الى داود فاعطوه خزانة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد
قتل داود جالوت بسبع سنين ولم يجتمع بنوا اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع
ابن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه
الله الملك والحكمة الآية * باب فى ذكر نسبه هو داود بن ايشا بن عويل
ابن باعد بن سلمون بن يحسون بن عمر بن يارث بن رام بن حصرون بن فارض بن
يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم اجمعين
باب فى ذكر صفته وحليته أخبرنى الحسن بن محمد الدينورى باسناده
عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرقة
العينين يمن وكان داود عليه السلام ازرق العينين احمر الوجه دقيق الساقين
سبط الشعر ابيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب
والبدن * باب فى ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام
من الفضل والكرامات حين أعطاه الله الملك منها انه نزل عليه الزبور بالعبرانية
خمسين ومائة سورة فى خمسين منها ذكر ما يكون من بخت نصر وأهل بابل وفى خمسين

مطلب فى خلافة داود عليه السلام

مطلب فى ذكر نسب داود عليه السلام

مطلب فى ذكر ما خص الله به نبيه داود عليه السلام

منها

منها ذكر ما يلقون من الروم من اهل ايرون وفى خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا ومنها الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والألحان ولم يعط الله احدا مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يفيق المحموم وهو مغشي عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع ويوخذ بأعناقها وتظله الطيور مصيحة ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وما صنعت المزامير والبرابط والصنوج الا على صوته وذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته الا ترون ما دهاكم فقالوا له أمرنا بما شئت فقال انه لا يصرف الناس عن داود الا بما يضاده ويحاده فى مثل حاله فهيؤا المزامير والعيدان والاوتار والملاهى على اجناس اصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا اليها فاغتروا بها ويقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغى له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبلها ونقصت نعمته فقال الهى ما هذا فاوحى الله تعالى اليه ذلك لانس الطاعة هذه لوحشة المعصية يا داود ان الخطيئة هى التى غيرت صوتك وحالك فقال الهى اوليس قد غفرتها لى قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التى بينى وبينك من القربة والود فلن تدركها ابدا اخبرنا ابو سعيد بن احمد بن حمدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدوابه ان تسرج فكان يقرأ القرآن قبل ان تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يده قال الاستاذ الامام اراد بالقرآن الزبور وبالاسناد اخبرنا ابو بكر الجوزقى عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت اما والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا واخبرنا ابو بكر اخبرنا ابو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم صوت ابى موسى فقال كأن صوت هذا من صوت آل داود ومنها تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تخلل الجبال يسبح الله فكانت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال فى نفسه ليلة من الليالى لاعبدن الله عبادة لم يعبده احد بمثلها فصعد الجبل فلما كان فى جوف الليل داخلته وحشة فاوحى الله تعالى الى الجبال ان آنسى داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود فى نفسه كيف يسمع صوتى

مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام واخذ بعصنده حتى انتهى به الى الجبل فوكزه برجله فانفرج له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانفجرت له الارض حتى انتهى به الى الحوت فوكزه برجله حتى انتهى به الى الصخرة ففتحت الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة فى هذا الموضع * قوله تعالى يسبحن بالعشى والاشراق قال المفسرون يعنى صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر ومنها انه اكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هى الاصابة بالامور واما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى علم الكلام والنظر فى القضاء كان لا يتمعع فى القضاء بين الناس قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه هو البينة على المدعى واليمين على من انكر اخبرنا ابو عبيد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذى اعطى داود عليه السلام ما اخبرنا ابو حفص عن الاعمش عن ابى صالح عن كعب الاحبار فى قوله وفصل الخطاب قال الشهود والايمان عن الشعبى قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذى اعطى داود اما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو اول من قالها ومنها السلسلة التى اعطاها الله تعالى له ليعرف المحق من المبطل فى المحاكمة اليه وهو ماروى الضحاك عن ابن عباس قال ان الله تعالى اعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون الحديد وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر ومدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث فى السماء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يمسها ذو عاهة الا برئ وكان علامة دخول قومه فى الدين ان يمسوها بايديهم ثم يمسحون باكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن تعدا على صاحبه او انكر ماله فى حق اتى السلسلة فمن كان صادقا مدّ يده الى السلسلة فينالها ومن كان كاذبا ظالما لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخديعة قال بلغنا ان بعض ملوكهم اودع عند رجل جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها انكره فتحاكما الى السلسلة فعلم الرجل الذى كانت عنده الجوهرة ان يده لا تنال السلسلة فعمد الى عكازه فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لى عندك وديعة فقال خصمه ما اعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال المنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم انت عكازى هذه فاحفظها حتى اتناول السلسلة فاخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التى يدعيها قد وصلت اليه فقرب منى السلسلة فمد يده فتناولها

قوله المعنى اى فى فصل الخطاب

مطلب قصة السلسلة

فتعجبوا

فتعجبوا القوم وتفكروا فيها فأصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا اشتبه عليه الأمر بين الخصمين اللذين يتحاكما فيقول ما احوجكما الى سلسلة بنى اسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره الى الحق جرا ومنها القوة فى العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه اواب يعنى القوة فى العبادة انه اواب اى تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما ويفطر يوما وكان داود يصوم النهار ويقوم الليل وما مرت به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلى ولا يوم من الأيام الا وفيه صائم ومنها قوة المملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه اى قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد وقال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون الف رجل قال السدى كان يحرسه كل ليلة اربعة الاف رجل اخبرنا عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا من بنى اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المستعدى ان هذا اغتصبنى بقرتى فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد وسأل الآخر البينة فلم يكن لهما بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر فى امركما فقاما من عنده فاوحى الله تعالى له فى منامه ان يقتل الرجل الذى استعدى فقال هذه رؤيا ولست اعجل حتى اتبين فاوحى الله تعالى اليه مرة اخرى ان يقتله فقال هذه رؤيا فأوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة ان يقتله فارسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد اوحى الى ان اقتلك فقال له الرجل تقتلنى بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لا يقذف امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل على حتى اخبرك انى والله ما اخذت بهذا الذنب ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه الف رجل من الأنبياء وعن يساره الف رجل من الاجناد ومنها شدة البطش فيروى انه ما فر ولا انحاز من عدو له قط ومنها الانة الحديد له وكان سبب ذلك على ما روى فى الأخبار ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته ان يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول فى داود واليكم هذا اى الرجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فبينما هو كذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا فى صورة الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود فقال ما هى يا عبد الله قال ان داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فينفق منه ويطعم عياله فألان له الحديد فصار

فى يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير ادخال النار ولا ضرب بحديد وعلمه الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو اول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنّا له الحديد أن اعمل سابغات اى دروعا كوامل واسعات وقدّر فى السرد اى لا تجعل المسامير دقاقا فتعلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اعتدّ من ذلك مالا وروى ان لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ما هو فأراد ان يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعلم لقمان ما يراد به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

باب فى قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك

مطلب فى قصة ابتلاء داود بالخطيئة

قال الله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء باخبار الانبياء فى سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك انه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب وسأله ان يمتحنه بمثل الذى كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذى أعطاهم فروى السدى والكلبى ومقاتل عن اشياخهم دخل حديث بعضهم فى بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضى فيه بين الناس ويوما يخلو فيه بنسائه ويوما لعبادة ربه وقراءة الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام فيقول يا رب أرى الخير قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها احد فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه السلام بنار النمرود وبذبح ولده وابتلى اسحاق بالذبح وذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف وانك لم تبتل بشئ من ذلك فقال داود عليه السلام يا رب فابتلنى كما ابتليتهم وأعطنى كما اعطيتهم فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس على الصبر فلما كان فى اليوم الذى وعد الله دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمدّ يده ليأخذها وفى بعض الروايات ليدفعها الى ابن له صغير فلما اهوى اليها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتدّ اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت فوقعت فى كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث اليها من يصيدها فنظر الى امرأة فى بستان على شط بركة تغتسل هذا قول الكلبى

وقال

وقال السدى رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من احسن النساء خلقا فعجب داود من حسنها وكانت منها التفاتة فأبصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى بدنها كله فزاد بذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل له هى سابع بنت سابع امرأة اوريا بنت حيان وزوجها فى غزاة البلقاء مع ايوب بن صوريا بن اخت داود فكتب داود الى ابن اخته ايوب صاحب البلقاء ان ابعث اوريا الى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع الى ورائه حتى يفتح الله على يديه او يستشهد فبعث به ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه داود ايضا ان ابعثه الى غزوة كذا وكان رئيسها اشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهى ام سليمان عليه السلام وقال آخرون انما سبب امتحانه ان نفسه حدثته انه يطيق قطع يوم بغير مقارفة سيئة وهو عن الحسن ما اخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادة ربه ويوما لقضاء حوائج المسلمين ويوما لبنى اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه غلق ابوابه وأمر ان لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شئ حسن قد وقعت بين يديه فأهوى اليها ليأخذها فطارت غير بعيد من غير ان تؤنسه من نفسها فما زال يتبعها حتى اشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله فى الارض خللت نفسها فى شعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها فى بعض جيوشه فكتب اليه ان سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب فخطبها داود وتزوجها وقال بعضهم فى سبب ذلك ان داود عليه السلام هو ما اخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد قال قال داود لبنى اسرائيل حين ملك والله لأعدلن فيكم ولم يستثن فابتلى وقال ابو بكر بن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك ان داود عليه السلام كان كثير العبادة فأعجب بعمله فقال هل فى الارض احد يعمل عملى فأتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك والعجب يأكل العبادة فان أعجبت ثانيا وكلتك الى نفسك فقال داود يا رب كلنى الى نفسى سنة فقال انها لكثير قال فشهر فقال انه لكثير قال أسبوع فقال انه لكثير قال فيوما قال انه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو فى نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان من امر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة اوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين فى صورة رجلين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته

فمنعهم الحراس ان يدخلا عليه فتسوروا المحراب وهو يصلي فما شعر الا وهو بهما بين يديه جالسين فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اى ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا الى وسط الطريق المستقيم ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حين كني بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا وتكني النساء بالظباء والنعاج والبقر وهو كثير فاش في أشعارهم فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال الضحاك اى أعطينيها وتحول لي عنها واجعلها كفلي اى نصيبي وعزني في الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان افصح مني وان حارب كان أبطش مني فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه قال السدي باسناده ان أحدهما لما قال ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة قال داود للاخر ما تقول قال ان لي تسع وتسعون نعجة وله نعجة واحدة فأريد ان آخذها منه وأكمل نعاجي مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وذلك ان رمت هذا ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف   وأصل الجبهة فقال يا داود أنت أحق بضرب هذا منى حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية لان داود حكم قبل ان يسمع كلام الخصم الاخر قالوا ثم ان داود نظر فلم ير احدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود أنما فتناه وابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظرة قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يتعمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصارت عليه وبالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فالأولى لك وعليك الأخرى فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير في قصة داود عليه السلام وقد روى الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص معتقدا صحته جلدته جلدتين لعظيم ما ارتكب وجليل ما احتقب يعني ما اكتسب من الغرور والاثم يرمي من قد رفع الله محله وأباه من قبله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين وقال القائلون في هذه القصة انه لا انما كان تمنى ان تكون له امرأة اوريا حلالا وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فأرسل اوريا فقدمه امام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الأنبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود ان اوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها

بياض بالاصل

قوله لان داود حكم الخ فيه انه لم يحكم الا بعد السماع لانه تقدم قريبا انه سأل الخصم الاخر وقال له ما تقول أي فيما قاله خصمك فقال ان لي تسع وتسعون نعجة الخ فعلى هذا لم يحك داود حكم قبل سماع قول الخصم الاخر تامل وصححه

فلما

فلما غاب فى غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا غماً شديداً فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الاول وقد كان عنده تسعة وتسعون امرأة ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يبيع احدكم على بيع اخيه ولا يخطب على خطبة اخيه ومما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين المتقدمين ما اخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المغافرى عن زكريا عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة فظع على بنى اسرائيل فاوصى الى صاحب البلقا اذا حضر العدو فقرب فلاناً بين يدى التابوت وكان التابوب يستنصرون به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل او ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليقصان عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث اربعين ليلة ساجداً يبكى حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه واكلت الارض جبينه وهو يقول فى سجوده زل داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثاً فى الخلائق من بعده فجاء جبريل عليه السلام بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود قد علمت ان الله قادر على ان يغفر الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف بفلان يعنى اوريا اذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لافعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذى ارسلتنى فيه فقال الله تعالى قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يا رب فاقول فان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً عن دمك اخبرنا ابن فتحويه باسناده عن كعب الاحبار عن وهب بن منبه قالوا جميعاً ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه فتحولا فى صورهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انما فتناه فخر ساجداً اربعين يوماً لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها او صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام اربعين يوماً لا ياكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه تعالى ويسأله التوبة وكان يقول فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب الهى خليت بينى وبين عدوى ابليس فلم اقم لفتنته اذ نزل بى قدمى سبحان خالق النور الهى تبكى الثكلا على ولدها اذا فقدته ويبكى داود على خطيئته سبحان خالق النور الهى لم اتعظ بما وعظت به غيرى سبحان خالق النور الهى امرتنى ان اكون لليتيم كالاب الرحيم وللارملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان

خالق النور الهى خلقتنى وفى سابق علمك كان ما انا صائر اليه سبحان خالق النور
الهى الويل لداود اذا كشف عنه الغطا فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور
الهى بأى عين انظر اليك يوم القيامة وانما تنظر الظالمون من طرف خفى سبحان
خالق النور الهى باى قدم أقوم امامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة
من سوء الحساب سبحان خالق النور الهى مضت النجوم وكنت اعرفها بأسمائها
فتركتنى والخطيئة لازمة لى سبحان خالق النور الهى امطرت السما ولم يمطر حولى
وأعشبت الارض ولم تعشب حولى بخطيئتى سبحان خالق النور الهى انا الذى
لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهى انا الذى لا أطيق
صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى كنت تستر الخاطئين
بخطاياهم وانت شاهد حيث كانوا سبحان خالق النور الهى فرق القلب وخمدت العينان
من مخافة الحريق على جسدى سبحان خالق النور الهى الطير تسبح لك وانا العبد الخاطئ
الضعيف الذى لم ارع وصيتك سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب العظيم
الذى اصاب ولا علم له بذلك سبحان خالق النور الهى انا المستغيث وأنت المغيث
فمن يدعو المغيث الا المستغيث سبحان خالق النور الهى انى أسئلك باله ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب ان تعطينى سؤلى سبحان خالق النور اللهم برحمتك
اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى فانك ارحم الراحمين سبحان خالق
النور الهى انى اعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر
وعذاب لا يفتر سبحان خالق النور الهى انى أعوذ بك بنور وجهك الكريم من ذنوبى
الذى أوبقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك من ذنوبى واعترفت بخطيئتى
فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم يبعثون سبحان خالق النور الهى فرغ
الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتى وخطيئتى ألزم لى من جلدى
سبحان خالق النور قالوا فأتاه الندا أجائع انت فتطعم او ظمآن انت فتسقى
او مظلوم انت فتنصر ولم يجبه فى ذكر خطيئته بشئ فصاح صيحة فهاج ما حوله
ثم نادى يا رب الذنب الذى اصبته فنودى يا داود ارفع رأسك فقد غفرت
لك فلم يرفع رأسه حتى اتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه
ان داود عليه السلام اتاه ندا انى قد غفرت لك فقال يا رب كيف وانت لا تظلم
احدا فقال اذهب الى قبر اوريا فناده وانا أسمعه نداك فتحلل منه قال فانطلق
داود عليه السلام حتى اتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم ناداه يا اوريا
فقال لبيك من هذا الذى قطع على لذتى وايقظنى قال انا داود قال ما جاء بك
يا نبى الله قال جئت اتحلل مما كان منى اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك
للقتل قال عرضتنى للجنة وانت فى حل فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلام

الم

الم تعلم اني حكم عدل لا اقضي ــــ الا بالحق الا اعلمته انك تزوجت امرأته
قال فانطلق داود اليه فناداه يا اوريا فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي
لذتي قال انا داود قال يا نبي الله ما جاءك اليس قد عفوت عنك قال نعم لكن
انا ما فعلت بك ذلك الا لمكان امرأتك واني قد تزوجتها قال فسكت اوريا ولم
يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم
الويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان
خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له اذ انصبت الموازين القسط ليوم
القيامة سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته
ثم يدفع الى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين
يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور الويل لداود ثم
الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور
قال فأتاه النداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمتك ورثيت لطول
مكائك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك قال يا رب كيف لي ان تعفو عني وصاحبي
لم يعف عني قال يا داود وان يعف اولم يعف فانا اعطيه يوم القيامة ما لم تر عيناه
ولم تسمع اذناه فأقول له قد رضيت عبدي فيقول يا رب من اين هذا ولم يبلغه
عملي فاقول هذا عوض من اجل عبدي داود فأستوهبك منه فيهبك لي فقال
داود يا رب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله عز وجل فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وروى
ابو معشر محمد بن كعب ومحمد بن قيس انهما قالا في قوله تعالى وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب ان اول من يشرب الكأس يوم القيامة داود عليه السلام
وابنه سليمان عليه السلام اخبرنا ابو الحسين بن محمد ثنا محمد بن علي انا بكر
ابن احمد بن معقل انا عمرو بن محمد الشرقي قال النضر الكعبي قال ثنا ابو سعيد
عبد الله المدني قال ثنا محمد بن المنكدر عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني ابو
سعيد الخدري قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني
رأيت الليلة في منامي كأني تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت الشجرة
الى السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها اجرا واحطط
عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افسجدت انت يا ابا سعيد قال قلت لا
يا رسول الله فقال انت احق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة ۞ قال وهب بن منبه
ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقى له

دمعة ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر
بعد الخطيئة على اربعة اقسام فكان يوما للقضاء بين الناس ويوما للنسائه ويوما
يسيح فى الفيافى والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو فى داره وفيها اربعة
الاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك
فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافى فيرفع صوته كالمزامير ويبكى فتبكى معه
الشجر والمدر والطير والوحش حتى يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يجئ الى
الجبال فيرفع صوته كالمزامير فيبكى وتبكى معه الجبال والحجارة والدواب
والطير حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجئ الى الساحل فيرفع صوته كالمزامير
فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فاذا امسى رجع
فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه
فليحضر من يساعده فى ذلك فيدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط له ثلاث
فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها وتجئ الرهبان اربعة الاف راهب
عليهم البرانس وعليهم المسوح وفى ايديهم العصى فى تلك المحاريب ثم يرفع
صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكى حتى تغرق الفرش
من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجئ ابنه سليمان عليه السلام
فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر
ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه ببكاء اهل الارض ودموعهم لعدلها اخبرنا
ابن فنحوية عن عثمان بن ابى عاتكة انه قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانك
الهى اذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت
الى روحى الهى اتيت اطباء عبادك ليداووا لى خطيئتى فكلهم عليك دلونى وقال
صلى الله عليه وسلم خد الدمع فى وجه داود خد الماء فى الارض اخبرنا ابن
فنحوية عن الحسن بن عبد الله القرشى قال لما اصاب داود الخطيئة فزع الى العباد
فاتى راهبا فى قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما اكثر عليه الصوت قال
الراهب من هذا الذى ينادينى قال انا داود نبى الله قال صاحب القصور الحسنة
الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات لان نلت الجنة بهذا لانت انت
قال داود فمن انت قال انا راهب راغب منزوى مترقب قال فمن انيسك ومن جليسك
قال اصعد تراه ان كنت تريد ذلك قال فتخلل داود الجبل ورقى الى القلة فاذا هو
بميت مسجا فقال هذا انيسك وهذا جليسك قال نعم قال فمن هذا قال تلك وصيته
مكتوبة فى لوح من رصاص عند رأسه فقرأ داود الكتاب فاذا فيه انا فلان بن فلان
ملك الملوك عشت الف عام وبنيت الف قصر والف مدينة وهزمت الف عسكر
وتزوجت الف امراة وافتضضت الف بكر فبينما انا فى ملكى اذ اتانى ملك الموت

فاخذنى

فاخذنى واخرجنى مما كنت فيه فهذا التراب فراشى والدود جيرانى قال فخر
داود عليه السلام مغشيا عليه وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون انه مرض وما به الا الحياء
والخوف من الله تعالى قال وهب بن منبه لما تاب الله على داود كان يبدأ اذا دعا
يستغفر للخاطئين قبل نفسه فيقول اللهم اغفر للخاطئين فعساك ان تغفر
لداود معهم وعن قتادة عن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا
الخاطئين ثم يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا وهو ممزوج
بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس فى قصعته ولا يزال يبكى حتى
يبتل بدموعه وكان يذر عليه الملح والرماد فياكل ويقول هذا اكل الخاطئين
قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف
الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله قال وهب
ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب اغفر لى قال نعم قال فكيف لا انسى
خطيئتى فاستغفر فيها لى وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته فى
يده اليمنى فلم يضع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس
الا بسط راحتيه فاستقبل الناس ليروا وسم الخطيئة واخبرنا عبد الله بن
حامد عن ثابت قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تعالى تخلعت اوصاله
ولا يشدها الا الانين فاذا ذكر رحمة الله تراجعت وعن ابى عبد الله البجلى قال
ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء قط حتى مات صلى الله على نبينا محمد
وعليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين * باب فى ذكر خروج ابن
داود على ابيه وما كان من امرهما قال وهب وغيره من اهل الكتب ان داود
عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الملك الى ان كان من امره وامر امرأة
اوريا ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنوا اسرائيل
واستضعفته واجتمع اهل الزيغ من بنى اسرائيل وذهبوا الى ابن داود من ابنة طالوت
يقال له شالون ويقال ايشاو قالوا له قد كبر ابوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت
حقوق الناس وضعف امر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا
عنه ودعا هذا الابن الى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين اظهرهم مع ابن اخ
له يقال له ثواب وتوغل فى الجبال فأشار قومه على ابن داود ان يقتل اباه فلما بلغ
ذلك داود ارسل اليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بابن قتل اباه فقال له الابن
وهل سمعت انت بنبى اذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى
قد اذن لك فى هلاكه فلا تباشره انت فانه لا يجمل فى الآخرة حدوثه منك فقبل منه
ذلك فكف عن قتل ابيه داود وبقى ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود وصار

مطلب فى ذكر خروج ابن داود عليه السلام

الناس تأتيه فحارب ابنه فهزمه فوجه الأب فى طلبه قائدا من قواده يتقدم اليه
ويتوقى حتفه ويتلطف فى أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فربض
بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق بغصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد
فقتله مخالفا لامر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر القائد
وكان له بأس شديد فى ملاقاة العدو فكره داود أن يقتله فتركه لاجل مجاهدة العدو
فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين
فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحى الى
أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه مدة سنتين * باب
فى قصة أصحاب السبت قال الله تعالى واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة
البحر اذ يعدون فى السبت الآية قال ابن عباس ووهب بن منبه ان قوما من بنى اسرائيل
سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد
الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا العبادة ذلك اليوم وذلك
فى زمان داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع
هناك ويخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن حتى اذا مضى السبت
تفرقن ولزمن مقر البحر لا يرى منهن الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم
حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية سمعت
أبا القاسم قال سمعت أبى يقول سئل الحسن بن الفضيل هل تجد فى كتاب الله الحلال
لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم فى قصة داود عليه السلام وايلة
اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم الآية قال فعمد رجال
منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الأنهار فاذا كان عشى الجمعة فتحوا
تلك الأنهار فيقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها
وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الحبال والشصوص
يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت
كثير وفى غير يوم السبت لا يأتيهم حوت واحد فأخذ رجل منهم حوتا وربط فى
ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة فى الساحل ثم تركه فى الماء الى يوم الاحد فأخذه
فشواه فوجد جار له ريح الحوت فقال له يا فلان انى أجد فى بيتك ريح الحوت
فانكره فاطلع الجار فى تنوره فاذا هو فى بيته فقال له انى أرى الله سيعذبك
فلما رأى العذاب لم يأخذه فاخذ فى السبت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل
عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا فأثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم
عقوبة فقست القلوب وتجبروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد
أحل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لانهم قتلوا ابناهم فلما فعلوا ذلك صاروا أهل

مطلب فى قصة اصحاب السبت

تلك

تلك القرية وكانوا نحواً من سبعين الفا ثلاثة أصناف صنف امسك ونهى وصنف امسك ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذى انتهكوا اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصيحتهم قالوا الباقون والممسكون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم فى قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بجدار وعبروا على ذلك ومكثوا سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من ابوابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم احد فلما ابطأوا تسوروا عليهم الحائط فاذاهم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس اى شديد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اى صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل يعنى كفار اصحاب المائدة على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا انهم قد مسخوا عرفت القردة انسابهم من الانس ولم تعرف الانس انسابهم من القردة فجعل القرد ياتى نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكى فيقول له الرجل الم ننهكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج الممسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متحيرين ومكثوا كذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا وكذلك لم يبق مسخ قوم اكثر من ثلاثة ايام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا فقذفهم فى البحر فاذا كان يوم القيامة اعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار وروى ابو منصور عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اهلك الله قوما ولا قرنا ولا امة بعذاب من السماء بعد ما انزل الله التوراة على وجه الارض غير اهل القرية التى كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى الآية

مطلب فى قصة داود وسليمان

* باب فى قصة داود وسليمان عليهما السلام فى الحرث قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين قال ابن عباس وقتادة كان الحرث زرعا قال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد نبتت فيه عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم اذ رعته ليلا فافسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعى بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شئ قال ابن عباس وقتادة ان رجلين دخلا على داود احدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ قال له داود اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحرث فمرا على سليمان فقال كيف

قضى بينكما فأخبراه فقال لهما سليمان لو وليت امركما لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع فى القضاء بينهما قال كنت ادفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وحلبها وحرثها وعوارضها ومنافعها وتبذر أصحاب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل صار الحرث كهيئته يوم اكل فيدفع الى اهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه وقال ابن مسعود وشريح ان راعيا نزل ذات ليلة تحت الكرم وقد جاءت الغنم الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وافسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالأغنام لصاحب الكرم وانه لم يكن بين ثمن الأغنام وثمن الكرم تفاوت قال فمر سليمان وهو ابن احد عشر سنة فقال لهما ما قضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا ارفق بالفريقين فعادا الى داود فأخبراه بذلك فدعا سليمان وقال له بحق النبوة الا اخبرتنى بالذى هو ارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها ويعمد الراعى فى اصلاح الكرم والحرث الى ان يعود كهيئته ثم ترد الأغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يعنف الله داود فى حكمه فقال الاستاذ وهذا يدل على ان كل مجتهد مصيب * باب فى قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدو الخاتم قال ابو هريرة رضى الله عنه انزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاثة عشر مسئلة فاوحى الله تعالى اليه ان سل عنها ابنك فان هو اخرجهن فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا واجلس سليمان بين أيديهم وقال يا بنى ان الله تعالى انزل على كتابا من السما فيه مسائل وامرنى ان اسألك عنها فان اخرجتهن فانت الخليفة من بعدى فقال سليمان ليسأل نبى الله عما بدا له وما توفيقى الا بالله قال داود يا بنى ما اقرب الأشياء وما ابعد الاشياء وما آنس الاشياء وما اوحشها وما احسن الاشياء وما اقبحها وما اقل الاشياء وما اكثرها وما القائمان وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الأمر الذى اذا ركبه الرجل حمد آخره وما الأمر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام اما اقرب الاشياء فالاخرة واما ابعد الاشياء فما فاتك من الدنيا واما انس الاشياء فجسد فيه روح واما اوحش الاشياء فجسد لا روح فيه واما احسن الاشياء فالايمان بعد الكفر واما اقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان واما اقل الأشياء فاليقين واما اكثر الاشياء فالشك واما القائمان فالسما والارض واما الساعيان فالشمس والقمر واما المشتركان فالليل والنهار واما المتباغضان فالموت

مطلب فى استخلاف داود ابنه سليمان

والحياة

والحياة واما الامر الذى اذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب واما الامر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب قال ففكوا الخاتم فاذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون لا نرضى حتى نسأله عن مسئلة فان آخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام سلونى وما توفيقى الا بالله فقالوا له ما الشئ الذى اذا اصلح صلح كل شئ من الانسان واذا افسد فسد كل شئ من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يامرنى ان استخلف عليكم سليمان قال فضجت بنوا اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفينا من هو افضل منه واعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا اسباط رؤساء بنى اسرائيل وقال لهم انه قد بلغنى مقالتكم فأرونى عصيكم فأى عصاة اثمرت فان صاحبها ولى هذا الامر بعدى قالوا قد رضينا فجاؤا بعصيهم فقال لهم داود وليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم ادخلت بين العصى واغلق عليها الباب وحرست رؤس اسباط بنى اسرائيل فلما اصبح صلى بهم الغداة ثم اقبل ففتح فأخرج عصيهم فاذا هى كما هى وعصى سليمان قد اورقت واثمرت قال فسلموا ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وجعل سليمان خليفة ثم سار به فى بنى اسرائيل فقال ان هذا خليفتى عليكم من بعدى قال وهب بن منبه لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يا بنى اياك والهزل فان نفعه قليل ويفتح العداوة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يعليان كل شئ واياك وكثرة الغيرة على اهلك من غير شئ فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا برآء واقطع طمعك من الناس فانه هو الغنا واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك وما يعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت ان يكون يومك خير من امسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفها ولا ترد على عالم ولا تماره فى الدين واذا غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فانها وسعت كل شئ * قالوا ثم ان سليمان بعد ان استخلف اخفى امره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس واخفى نفسه واقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بأبى انت وأمى ما اكمل خصالك واطيب رائحتك ولا اعلم لك خصلة اكرهها الا انك فى مونة ابى فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت ان لا يخيبك الله فقال سليمان انى ما عملت عملا قط ولا احسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شئ فرجع فأخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان فى اليوم الثانى مضى حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له

هل لك أن أعينك وتعطيني شيأ قال نعم فأعانه فلما بلغ فراغه أعطاه الصياد سمكتين فأخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق احداهما فاذا هو بخاتم في بطنها فأخذه وصره في ثوبه وحمد الله عز وجل وأخذ السمكتين وجاء بهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فأخرج الخاتم ولبسه في اصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث ابوه أن مات فلما مات حملت المرأة وأبوها الى اصطخر * باب

مطلب في ذكر وفاة داود

في ذكر وفاة داود عليه السلام سمعت الشيخ أبا عمرو الغازي يقول روي ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة فأغلقت ذات ليلة الأبواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور فخذ حذرك فقال لها أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب يصلي ففزع واضطرب وقال لها علي به فأتاه فقال له داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير اذن فقال له أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له إذاً فأنت ملك الموت قال نعم قال فجئت داعياً أم ناعياً فقال ملك الموت بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا ارسلت الي قبل ذلك وآذنتني لأستعد للموت فقال كم ارسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التي ارسلت الي فقال يا داود أين ابوك ايشا وأين امك أين أخوك أين جارك أين قهارمتك أين فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال اما علمت انهم رسلي اليك وان البرية تبلغك قال الاستاذ رضي الله عنه في هذا الموضع قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرء يبغي اخاً حتى يكونه وقد يرجو الرجا فيحول الموت دونه وقد تضمنه بعض الشعراء فقال

* واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بأنك بعدها محمول *
* واذا وليت أمور قوم مدة * فاعلم بأنك عنهم معزول *

وقال أهل التاريخ ان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه اربعين سنة وقد مضى في قصة آدم وما وهب آدم لداود من عمره عليهم السلام * (مجلس في قصة سليمان وما يتعلق به) * قال الله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا قال مقاتل كان سليمان عليه السلام اعظم ملكا من ابيه داود وأقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشر سنة وكان ملكه ما بين بلاد الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها

مطلب في قصة سليمان عليه السلام

روى مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فالنمرود وبخت نصر باب

مطلب في حلية سليمان

في

فى صفة حليته عليه السّلام قال وهب بن منبه وكعب الاحبار كان سليمان
ابيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا
يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان ابوه فى ايام ملكه
يشاوره فى كثير من اموره مع صغر سنّه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا محمد
وعليهم وسلم * باب فيما خص الله به نبيّه سليمان عليه السّلام حين
ملّكه من انواع المناقب والمواهب وغير ذلك قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان
علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال تعالى اخبارا عنه
ربّ اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهّاب فاجاب الله دعاءه
واكرمه بخصائص لم يكرم بها احدا من خلقه قبله ولا من بعده فمنها تسخير الله له الريح
كما قال عز وجلّ فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث اصاب اى اراد بلغة حمير
قال محمد بن اسحاق وغيره من اصحاب الاخبار كان سليمان عليه السّلام رجلا غزّاء
لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك فى ناحية من الارض الّا اتاه حتى يذلّه
ويقهره وكان اذا اراد الغزو امر بمعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب
سرير ثم يحمل عليه الناس والدوابّ وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد امر
العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فحملتها حتى اذا استقلّتها امر الرخاء
فمرّت به شهرا فى غدوته وشهرا فى روحته الى حيث اراد كما قال تعالى ولسليمان
الريح غدوّها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحاق ذكر لى انّ منزلا كان من
ناحية الدّجلة وجد فيه مكتوب كتبه بعض اصحاب سليمان اما من الجن او من الانس
نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون ان شاء الله
فبائتون الشام قال وكان فيما بلغنى تمرّ بمعسكره الرّيح الرخاء تهوى به الى حيث اراد
وانها لتمرّ بالمزرعة فلا تحركها واخبرنا الحسن بن محمد بن فنجويه باسناده عن
وهب بن منبّه عن ابى وهب قال ان سليمان عليه السّلام ركب الريح يوما فمرّت بحرّاث
فنظر اليها الحرّاث وقال لقد اوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح الكلام والقته
الى اذن سليمان عليه السّلام فنزل الى الحرّاث وقال انى سمعت قولك انما نزلت اليك
لتتمنى ما لا تقدر عليه تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما اوتى آل داود فقال
له الحرّاث اذهب الله همّك كما اذهبت همّى قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان
عليه السّلام بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب
فى وسط البساط ويقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسىّ من الذهب والفضة فيقعد
الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس
الجنّ والشياطين وتظلهم الطّير باجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا
البساط مسيرة شهر من الصّباح الى الرّواح ومسيرة شهر من الرّواح الى الصّباح

مطلب خصائصه عليه السلام

اخبرنا ابن فنجوية باسناده عن محمد بن كعب القرظي قال بلغنا ان سليمان عليه السلام كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطير وكان له الف بيت من القوارير على الخشب منها ثلثمائة حرة ومنها سبعمائة سرية فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخا فتسير بها فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك انه لا يتكلم احد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح به اليك فاخبرتك به ومنها تعليم الله له كلام الطير حتى النمل كما قال تعالى يا ايها الناس علمنا منطق الطير الاية قال ابن فنجوية باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون ما تقول قالوا الله ورسوله اعلم فقال انها تقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت الفاختة عند سليمان فقال اتدرون ما تقول قالوا الله ورسوله اعلم قال انها تقول كما تدين تدان وصاح هدهد عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول اتقوا الله يا مذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح الطيطو عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حى ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة عند سليمان فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول سبحان ربى الاعلى ملئ سماواته وملئ ارضه وصاح قمرى عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحى الذى لا يموت ابدا وصاح غراب فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يلعن العشارين والحدأة تقول كل شئ هالك الا وجهه والقطا تقول من سكت سلم والعنقا تقول ويل لمن الدنيا همه والبازى يقول سبحان ربى الاعلى وبحمده والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان واخبرنا ابن ميمون باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المرى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلين وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده عن الحسين بن على عليهم السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن ادم عش ما شئت فان آخره الموت واذا صاح العقاب قال فى البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضى آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمد القارى وقال فرقد السبخى مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ورسوله اعلم قال انه يقول اكلت نصف تمرة

فعلى

فعلى الدنيا العفا اخبرنا ابو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن ابيه
قال نزلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فمررنا بشجرة فيها فراخ حمرة فاخذناها
فجاءت الحمرة الى النبى صلى الله عليه وسلم تعرض فقال النبى صلى الله عليه وسلم من
فجع هذه فى فراخها فقلنا نحن فقال ردوها الى موضعها وروى ان زوجى قنبر باضا
فى طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثى الم انهك ان تبيضى فى طريق سليمان
الملك لو ركب لحطم بيضنا فقالت الانثى ويحك ان نبى الله ارحم بنا من ذلك فسمع
سليمان قولها فبعث اليها جنيا حين اراد ان يركب فقال اجعل بيضها تحت رجليك
واياك ان تصبها بشئ فلما مر سليمان فى موكبه وجاوزها قالت الانثى الم اقل لك
ان نبى الله ارحم بنا من ذلك فقال الذكر للانثى تعالى نهدى للملك هدية قالت وما
عندك قال عندى جرادة ادخرتها لاولادك فقالت الانثى ان عندى لتمرة ادخرتها
لولدى قال فاخذ التمرة والجرادة ثم طارا حتى وقفا بين يدى سليمان وهو على
سريره فى مجلسه فوضعاهما بين يديه وسجد له فدعا بهما ومسح على رؤسهما فيروى
ان هذه القشرة التى على رؤسهما من مسح سليمان عليه السلام اياهما قال ومر سليمان
بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما اعظم ما اوتى آل داود فتبسم
سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال الا انبئكم بخير مما هو اعجب مما قالت
هذه النملة قالوا بلى قال اتقوا الله فى السر والعلانية والقصد فى الغناء والفقر والعدل
فى الغضب والرضا وروى ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقى ومعه الانس
والجن فمر بنملة عرجا ناشرة جناحيها رافعة يديها وهى تقول اللهم انا خلق من
خلقك ولا غنا لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بنى آدم واسقنا فقال سليمان
لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وحكى ان نملة دبت على سليمان فحملها مطلب نفيس
ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه الصولة وما هذا البطش اما علمت انى
امة من انت عبده فغشى على سليمان فلما افاق قال ائتونى بها فاتوه بها فسألها فقالت
له جلدى رقيق وبدنى ضعيف واخذتنى ورميتنى فقال لها سليمان اجعلينى فى
حل فانى لم اقصدك بذلك فقالت بشرائط قال وما هى قالت لا تنظر الى الدنيا
بعين الشهوة ولا تستغرق فى ضحكك ولا يستعين احد بجاهك الا بذلته قال قد
فعلت ذلك قالت فانت فى حل ومنها قصة وادى النمل قال الله تعالى وحشر
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون اى يحبس اولهم على آخرهم
حتى اذا اتوا على وادى النمل الآيات قال الشعبى وكعب وغيرهما من اهل الكتب ان
سليمان عليه السلام كان اذا ركب حمل اهله وحشمه وخدمه وكتابه فى مركبه الذى
هيئ له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام يسع
كل قدر عشر جزورات وقد اتخذ ميادين للدواب امامه فيطبخ الطباخون

وَ يخبز الخبازون وَ تجرى الدواب بَين يَديه بَين السّماء وَالأرض وَالهوى وَالرّيح
تهوى بهم فسَار من اصطخر الى اليمن وَتوغل فى البادية فسلك مَدينة الرسُول صَلى الله
عَليه وَسلم فقال سُليمان هذه دَار هجرة نبى يبعث فى آخر الزمَان طوبى لمن آمَن به
وَ اتبعه ثم أتى أرض الحرم فرأى حَول البيت أصناما تعبد مِن دون الله فجاوَز البيت
فَلما جَاوَزه سُليمان بكى البيت فاوحَى الله تعَالى الى البيت مَا يبكيك فقال يَارب ابكانى
هَذا نبىّ مِن انبيَائك وَقوم من أَوليآئك مَروا علىّ فلم يهبطوا بى وَلم يصلوا عندى
وَ لم يَذكروك بحضرتى وَهذه الاصنام تعبد حَولى مِن دونك قال فاوحى الله تعالى
اليه لا تبكى فانى سَوف املأك وجوها سجّدا لى وَ انزل فيكَ قرآنا جَديدا وَ أبعث
منك فى آخر الزمَان نبيّا هوَ أحبّ الأنبيَاء الىّ وَ أَجعَل فيكَ عمّارا مِن خلقى يَعبدوننى
وَ أفرض على عبَادى فريضَة يزفون اليك زفّا مثل زفيف النسُور الى أَوكارهَا
وَ يحنون اليك حنين الناقة الى وَلدهَا وَالحمَامة الى بَيضها وَ أطهرك مِنَ الأوثان
وَعبَدة الشيطان ثم أمر سُليمان عَليه السّلام أَن ينزل عَليه وَيصَلى فيه وَيقرّب
عنده قربَانا ففعَل ذلك سُليمان قال فذبح عندَ الكعبة خمسَة الآف نا قة وَخمسة
الآف ثور وَعشرين الف شاة وَقال لمن حضر مِن أشراف قومه انّ هذا المكان يخرج
منه نبىّ عربىّ وَيعطى النصر على جَميع مَن ناوَاه وَيكون السّيف على رَقبة مَن خَالفه
وَتبلغ هيبَته مسيرَة شهر القريبُ وَالبعيد عندَه سوَا لا يأخذه فى الله لوْمة لائم
فطوبى لمن أدركه وَصدّقه قالوا فكم بَيننا وَبين خروجه يا نبىّ الله صَلى الله عليك
قال زهى على ألف عَام قال قال ثم ان سُليمان مَضى حَتى أتى على وَادى السرير وادمن
الطّائف فأتى على وَادِ النمل فقالت نملة تمشى وَكانت عرجا تتطاوس وَكانت مِثل
الذّنب العظيم وَقال الشعبىّ كانت ذات جَناحين وَاختلفوا فى اسمها فأخبرنى ابن
مَيمُونة باسْناده عَن الضحاك قال كان اسم نملة سُليمان طَاخية وَقيل خرمى فنادَت
النملة لما رَأت سُليمان فى مركبه أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سُليمان وَجنودُه
وَهم لا يَشعرون وَكانَ لا يتكلم خلق الّا حَملته الريح وَألقته فى مسَامع سُليمان فقال مقاتل
سَمع سُليمان كلامها مِن ثلاثة اميَال فتبسّم ضاحكا مِن قولها وَقال رَبّ أَوزعنى أَن
أَشكر نعمتك التى أَنعمت علىَّ وَعلى وَالدىّ الآية وَفى بعض الاخبار ان سُليمان لما سمع
قولها نزل عَليها وَقال ائتونى بها فاتوه بها فلما أتوه بها قال لها لم حذّرت النمل هَل
سمعتم انى ظالم أمَا علمتم أنى نبى الله عَدل فلمَ قلتِ لا يحطمنكم سُليمان وجنوده قالت
النملَة يا نبىّ الله أمَا سمعتَ قولى وَهم لا يَشعرون مع انى مَا اردت حطم النفوس
وَانما أرَدت حطم القلوب خشيت ان يَتمنين مَا اعطيتَ فيفتتن وَيشتغلن
بالنظر اليك عَن التسْبيح فقال لها عظينى فقالت له النملَة هَل علمتَ لم سُمّى أَبُوك
دَاود قال لا قالت لانه دَاوى جرحه فودا ثم قالت وَهَل تدرى لم سمّيتَ سليمان قال لا

لعل هنا تحريف

قالت لانك سليم ركنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وان لك ان تلحق بأبيك داود ثم
قالت أتدرى لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت اخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا
من قولها متعجبا وقال رب أوزعني ان اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى الآية اخبرنى
ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربعة
من الدواب الهدهد والصرد والنحلة والنملة * ومنها قصة العنقاء فى اثبات القضاء والقدر
أخبرنا ابو محمد عبد الله بن حامد باسناده عن جعفر بن محمد الصادق قال عاتب سليمان
الطير فى بعض عتابه فقال لها انك تأتين كذا وتفعلين كذا فقالت له والله رب السماء
والثرى انا لنحرص على الهدى ولكن قضاء الله يأتى الى منتهى علمه وقدره قال صدقت
لا حيلة فى القضاء فقالت العنقاء لست او من بهذا فقال لها سليمان الا أخبرك بأعجب
العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولد ملك كبير
وان هذه الجارية ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان فى امنع المواضع بقدرة الله تعالى
وهو طاعلى سفاح بن جزيرة فى وسط البحر فقالت العنقاء يا نبى الله أوقد ولد هذين الولدين
المذكورين قال نعم الليلة قالت فهل اخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم ابيهما قال لى
اسمهما كذا وكذا واسم ابيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يا نبى الله انا ابطل المقدر
وافرق بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فأشهد سليمان عليها
الطير وكفلتها البومة وصارت البومة كفيلتها فمرت العنقاء وكانت فى كبر الجمل عظما
ووجهها وجه انسان ويديها يدى انسان وثديها ثدى امرأة واصابعها كذلك فحلقت
فى الهوى حتى أشرفت على الدنيا فأبصرت كل دار وما فيها وكل انسان وابصرت الجارية
وهى فى مهدها وقد اجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت
الى جبل شاهق فى السماء فى جوف البحر ووسط جزيرة وفى الجزيرة شجرة عالية
لا ينالها طائر الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل غصن
كأعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا فى وسط الشجرة
عجيبا واسعا مضيئا وطيا وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها
بأنواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر احدا
بشأنها كيما تتم أمرها وهى تغدو الى سليمان وتروح الى وكرها فعلم سليمان بذلك ولم
يبك لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وكان ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد
ويحبه ويطلبه فصار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك
ولده لاهيا بالصيد لم يزجره عنه حتى نال منه زمانا طويلا وأمرا عظيما فقال يوما
لأصحابه كل صيد البر وفلواته ومفازاته قد ملت من صيده فلو ركبت البحر فانال
من صيده فانه كثير الصيد كثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت
وهو اكثر شئ من خلق الله صيدا او عجائبا فأمر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ

السفن وجعل يأخذ من كل شئ يملكه وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والغلمان والجواري والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقورة وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون اليه مما يريده ويشتهيه من الملاهي وركب السفن ومر في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيأ غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فأرسل الله على سفينته ريحا عاصفا خفيفة فضربتها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقا والجارية وهي مسيرة خمسين سنة في منتهى خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركدت سفينته باذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فأخرج رأسه من سفينته ونظر فاذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في وسط البحر في لون الزعفران طويلة لا يدري أين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الأغصان والأوراق ورقها في عرض آذان الفيلة تفوح بريح الأقحوان ليس لها ثمر يشبهها الساق فقال لأصحابه اني أرى عجبا أرى جبلا شاهقا في وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبني منظرها ثم انه حرك سفينته وجاء بها الى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها وقال لأصحابه تقيموا هاهنا حتى آمضي وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذي في وسطها هل فيها عمارة أو أثر آدمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمي قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ماهي لأنها أخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك فبينما هي متفكرة في أمر السفينة فاذا احس حديث الآدميين فأخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت الى أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفعها في السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها لتنظر الى السفينة فحانت منها التفاتة الى أصل الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنية أنت أم انسية قالت لا والله أنا من خيار الانس فمن أنت فأفهمها لغته فقالت لا أدري ما تقول وما أنت الا اني أرى وجهك كوجهي وكلامك ككلامي واني لا أعرف شيأ غير العنقاء وهي أمي التي ربتني وحضنتني وهي تأتيني كل ليلة وتسميني بنتها فقال لها الغلام وأين العنقا فقالت هي في نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئني وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه لملك عظيم على ما تصفه لي أمي العنقا من ملك سليمان وانها تخبرني انه أحسن الناس وجها

وأنتم ظلمتمونى قالت فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذى قتل أبى وسبى ذريته
وانى لمن طلقائه وممن يؤدى اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم بكى الغلام
ساعة فقالت له الجارية ما يبكيك قال عمى وحدتك فى مثل هذا الموضع الذى لا انس
فيه ولا احد وان مثلك فى الدنيا عدد الشجر والمدر وكلهم فى مقاصير الذهب والفضة
والعيش الهنى والرغد واللذة الحسنة مع الازواج يتعاشقون ويتنعمون ويتوالدون
الاولاد مثل خلقك وخلقى أرأيت ان هاجت الريح فأزعجتك من وكرك من يمسكك
أن تقعين فى البحر وان وقعت فى البحر فمن ذا الذى يخرجك قال ففزعت الجارية من
قوله قالت وكيف لى أن يكون معى انسيا مثلك يحدثنى بمثل حديثك ويحفظنى بمثل
ما ذكرت فقال لها الغلام أولا تعلمين أن الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير
هو الذى رحلك وساقنى اليك لاكون لك الفا وصاحبا وأنيسا وانى لمن أولاد الملوك
فقالت له الجارية وكيف أنت تصير الى وأصير اليك وان العنقا هذه تروح وتجى
وتحضننى الى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكاك
على العنقا ليلتك هذه فاذا جاءت اليك وقالت لك ما تحبين وما تريدين وما شأنك
فأخبريها بوحدتك فى نهارك ثم انظرى ما يكون من ردها عليك فاخبرينى بذلك
ففعلت وان العنقا رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها يا بنية مالك فقالت
لها الوحدة والوحشة قتلتنى وانى لزعجة على نفسى من ذلك فقالت لها يا بنية لا تخافى
ولا تحزنى فانى أستأمر سليمان عليه السلام أن آتيه يوما ويوما لا آتيه فيكون ذلك
انسا لك فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها فقال لها اوتصبرين على ذلك ولكنى سأنحر
من دوابى هذه فرسا وأبقر بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيب معى وأدخل أنا فى
جوفه وألقيه على رأس سفينتى هذه فاذا جاءتك العنقا تقولين لها أرى عجبا أرى
خلقة ملقاة على هذه فلو اختطفتيها وحملتيها الى فكانت معى فى وكرى فأنظر اليها
وآنس بها كان أحب الى من كونك عندى نهارا وأما اكلك عن اخبار سليمان واخبار
المسلمين فلما رجعت العنقا وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه
فى استئذانها اياه فى المقام يوما والذهاب يوما فقالت لها يا بنية ان نبى الله قد اشتغل
عنى اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل اليه قالت لها انى لا أريد أن تخلفى عنه
نهار المكان اخبار سليمان واخبار المسلمين وانى أرى عجبا فى البحر أرى شيأ ما نفعا
ما هو قالت لها العنقا هذه سفينة قوم سيارة ركبوا فى البحر قالت فما الذى أراه ملقى
على رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة ألقوها قالت فاحمليها الى لاستأنس بها
وأنظر اليها فانقضت العنقا فاختطفت الفرس وكان الغلام فى بطنها فحملتها الى عشها
فقالت الجارية يا أماه ما أحسنه وضحكت ففرحت العنقا بذلك ثم قالت يا بنية
لو علمت لكنت أتيتك بمثل هذا منذ حين ثم انها طارت الى نوبتها الى عند سليمان

فخرج الغلام من بطن الفرس فلاعبها ولامسها وافتضها واحبلها من ساعتها
وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر
باجتماعهما من قبل الريح وان العنقا راحت وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير
وحكمهم فجلس سليمان عليه السلام للطير فى رتبته ودعى بعرفاء الطير وامرها ان لا تدع
طيرا الا حشرته اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم امر عرفاء الجن ان يحشروا قبائل الجن
من سكان البحار وسكان الجزائر والهوى والمقابر والفلوات والامصار فحشروا اليه وامر
الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كهيئتهم ثم كل دابة تدب على وجه الارض
فاشتد الخوف وقالوا فى انفسهم نشهد بالله ان لنبى الله امر قد اهمه فاول سهم قد خرج
فى تقديم الطير سهم الحدأة وكانت الطير لا تتقدم الا بالسهام فتقدمت الحدأة تدعى
على زوجها وكان قد جحدها ولدها فقالت يا نبى الله انه سفدنى حتى اذا احتضنت على
بيضى واخرجت ولدى جحدنيه فامر سليمان بولدها فجئ به فوجد الشبه واحدا فالحقه
بالذكر ثم قال لها لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدى عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يجحدك
بعدها ابدا الى يوم القيامة فهى اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت يا كفور شهرتنى اشهدوا
معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقا فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك
فى القدر فقالت يا نبى الله لى من القوة والاستطاعة ما ادفع الشر وآتى بالخير فقال لها
سليمان فاين الشرط الذى كان بينى وبينك وزعمت انك تفرقين بقوتك واستطاعتك
بين الجارية والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله اكبر فائتينى بها الساعة والخلق شهود
لا علم تصديق ذلك ثم امر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تأتى بها فمرت
العنقا حتى قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقا تسمع هفيف اجنحتها
فيبادر الغلام ويدخل جوف الفرس فلما رأتها البنت قالت لها كالفزعة ان لك شانا
اذ رجعت من ساعتك قالت لها اى لعمرى ان لى شانا هذا سليمان قد امرنى باحضارك
الساعة لامر كان بينى وبينه فى امرك وارجو نصرتى اليوم فيك قالت لها كيف تحملينى
قالت على ظهرى قالت وهل استقر على ظهرك وانى ارى اهوال البحر فلا آمن ان ازول
فاسقط واهلك قالت فى منقارى قالت فكيف اصبر فى منقارك قالت لها فكيف اصنع
ولا بد لى من احضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معى وقد دعا بكفيلتى البومة
فقالت لها ادخل فى جوف هذا الفرس ثم ترفعيه على ظهرك او فى منقارك فلا ارى شيأ فلا
اسقط ولا افزع من شى قالت اصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام
وحملت العنقا الفرس فى منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدى سليمان
عليه السلام فقالت يا نبى الله هى الآن فى جوف الفرس فاين الغلام فتبسم سليمان
طويلا ثم قال لها اتؤمنين بقضاء الله وقدره اذ لا حيلة للمرء وحا نيين فى دفع
قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أومن بالله واقول

ان المشيئة الى العباد والقوة فمن شأ فليفعل خيرا اوشرا قال سليمان كذبت ما جعل
الله من المشيئة للعباد شيأ ولكن من شأ الله ان يكون سعيدا كان سعيدا ومن شأ ان يكون
كافرا كان كافرا ولا يقدر احد أن يدفع قضأ الله وقدره بحيلة ولا بفعل ولا بعلم
وان الغلام الذى قد ولد بالمغرب مع الجارية التى ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن
فى مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقا لا تقل
يا نبى الله هذا فان الجارية معى فى جوف هذا الفرس فقال سليمان الله اكبر اين البومة المتكفلة
بالعنقا قالت ها انا يا نبى الله قال سليمان انت على مثل قول العنقا قالت نعم فقال سليمان
قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما على قضاء الله وقدره قال فأمر البومة ففتحت جوف
الفرس ولتخرجهما جميعا من جوف الفرس فاما العنقا ففزعت وذهبت وطارت فى السما
فأخذت نحو المغرب واختفت فى بحر من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر فى وجه
طير ابدا استحيا منهم واما البومة فانها لزمت الآجام والجبال وقالت اما بالنهار فلا خروج
لى ولا سبيل الى المعاش فهى اذا خرجت نهارا وتبعتها الطير واجتمعت عليها وقالت لها
يا قدرية فهى تخضع لهذا وهذا ما كان من شان العنقا والبومة فى القضاء والقدر والله
اعلم بالغيب * ومنها تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التى
اخرجها له من البحر فى قول اكثر اهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات
الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد اقامت الاخرى على طرف الحافر
من يد او رجل والجياد السراع قال الحسن بلغنى انها كانت خيلا خرجت من البحر لها اجنحة
وقال الكلبى غزا سليمان اهل نصيبين فاصاب منهم الف فرس وقال مقاتل ورث سليمان
من ابيه داود الف فرس وكان ابوه اصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة
الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد
غابت وفاتت الصلاة ولم يعلمه احد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فردوها
فعرقبها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقى منها مائة فرس فما فى ايدى الناس
من الخيل العراب فهى من نسل تلك المائة وقال كعب كانت الافراس اربعة عشر فامر
بضرب اعناقها واسواقها بالسيف وقتلها فسلب الله ملكه اربعة عشر يوما لانه
ظلم الخيل بقتلها قال الحسن فلما عقر الخيل لاجل الله تعالى ابدله الله تعالى مكانها خيرا
منها واسرع وهى الريح تجرى بامره رخاء حيث شاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر
وكان يغدو من ايليا فيقيل فى اصطخر ثم يروح منها فيبيت بكابل ويروى ان سليمان
سار من ارض العراق غازيا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله
الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين
ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض الهند خرج منها الى مكران
وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما ثم غدا منها فقال بكشكر ثم رجع

الى الشام وكان مستقره مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام الى العراق أن يبنوا له تدمر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفى ذلك يقول النابغة الشاعر

ما الفخر كل الفخر الا لسليمان اذ قال المليك له * قم فى البرية فاحددها عن الفند

وجيش الجيش انى قد آذنت لهم * يبنوا تدمر بالصفائح المجلس والعمد

قال ووجدت هذه الابيات منقورة فى صخرة بارض كشكر انشاها بعض اصحاب سليمان ابن داود عليهما السلام

ونحن ولا حول سوى حول ربنا * نروح الى الاوطان من ارض تدمر

اذا نحن رحنا كان شهر رواحنا * مسيرة شهر والغدو لآخر

اناس سروا والله طوع نفوسهم * لنصرة دين ابن داود النبى المطهر

لهم فى معالى الدين فضل ورأفة * وان نسبوا يوما فمن خير معشر

متى يركب الريح المطيعة اسرعت * مبادرة عن شهرها لم تقصر

تظلهم طير صفوف عليهم * متى رفرفت من فوقهم ليس تفتر

* رجعنا الى القصة وقال قوم من العلماء معنى قوله فطفق مسحا بالسوق والاعناق حبسها فى سبيل الله وكوى اسواقها واعناقها بميسم الصدقة وقال الزهرى مسح سوقها واعناقها من الغبار قال وهى رواية الوالبى عن ابن عباس قال قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه ثم ان الله امر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر فى وقتها حدثنا ابو عبد الله عقيل الانصارى باسناده عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان يخلق الخيل قال للريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائى ومذلة لاعدائى وجمالا لاهل طاعتى فقالت الريح الهى وسيدى ومولاى انى مطيعة فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقود بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحونى ويحمدونى ويكبرونى فتسبحنى اذا سبحوا وتهللنى اذا هللوا وتكبرنى اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من تسبيحة وتحميدة وتمجيدة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعها الا تجيبه بمثلها فلما سمعت الملائكة صفتها ونظروا خلقتها قالوا ربنا نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا فخلق الله لهم خيلا بلقا اعناقهم كاعناق البخت فلما ارسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه على الارض صهل فقيل له بوركت من دابة اذل بصهيلك المشركين واذل به اعناقهم واملأ به اذانهم وارعب به قلوبهم فلما ان الله تعالى عرض على آدم من كل شئ قال له اختر من خلقى ما شئت فاختار الفرس فقال له اخترت عزك وعز ولدك

خالدا

قوله ما الفخر الخ هذان البيتان وجدا هكذا فابقيناهما على حالهما لعدم وجود نسخة معتمدة يرجع اليها اه مصححه

قوله صلى صلها اى صاحب الخيل الرواية هنا الاسنادية وان كان القياس الاظهار تامل اه مصححه

خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا بركتى عليك وعليهم ما خلقت خلقا أحب الى منك ومنهم
ومنها قوله تعالى واسلنا له عين القطر اذ بنا له عين النحاس أسيلت ثلاثة أيام كما
يسيل الما وكانت بأرض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما أخرجه الله لسليمان عليه السلام
ومنها تسخير الله تعالى له الجن والانس والطير والوحش والشياطين يعملون له ما يشاء
كما قال تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب
السعير وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه
ضربة احرقته فمما عملت له الشياطين بأمره واحدثوا له الحمامات والطواحين والقوارير
والصابون وقير اكثيرا واحتفروا له نهر الملك والقوا ترابه فى خانقين وقصر شيرين
ومما عملوا له الغياصة كما قال تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى
والشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون فى البحار ويستخرجون انواع اللآلى من
الدر والمرجان وسائر الجواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وأنواع
الجواهر الثمينة من المعادن وهم اول من فعل ذلك * حديث القبة قال وهب بينما
سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله
والطير تظله إذ نظر الى امواج البحار اذ دعته نفسه أن يعلم ما فى قعر البحر فامر الريح
فسكنته من تحته ثم قعد على كرسى ملكه ثم دعى رأس الغواصين فقال له احضر لى من
أصحابك مائة رجل فاختار له مائة فقال اختر لى من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين
فقال اختر لى من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة فقال اختر لى من العشرة ثلاثة فاختار
له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قعر البحر وتأتينى بالخبر فقال له سمعا
وطاعة لك يا نبى الله فغاص وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذى رأيت قال يا نبى الله
رأيت أمواجا وحيتانا غير انى رأيت ملكا فقال لى أين تريد فقلت له ان نبى الله سليمان
أرسلنى أنظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه فاقرأ عليه منى السلام وقل له ان قوما
ركبوا البحر منذ أربعين عاما فغاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من احدهم
قدوم فهو يتجلجل فى البحر ولم يبلغ قعره بعد قال فتعجب نبى الله سليمان عليه السلام
من ذلك ولهى عما كان قصد قال فبينما هو على شاطئ البحر اذ رأى قبة من زجاج تضربها
الأمواج فى لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا فى اثرها فغاصوا فأخرجوها
فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح لها باب بمصراعين وخرج من القبة شاب عليه
ثياب أبيض من اللبن وكأن رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدى سليمان فقال له
سليمان يا فتى من الجن أنت أم من الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه
ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يا نبى الله كانت لى والدة وكنت من أبر
الناس بها اطعمها واسقيها بيدى ولا اترك شيأ من صنائع البر الا صنعته لها
فلما حضرتها الوفاة سألتها ان تدعولى فرفعت رأسها الى السماء وقالت يا رب

مطلب حديث القبة

قد عرفت برّ ولدى بى فارزقه العبادة فى موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فخرجت يوما الى ساحل البحر اذا انا بهذه القبة فدعتنى نفسى ان ادخلها فلما دخلتها انطبقت علىّ ابوابها وتزاخرت الامواج بها وكان آخر العهد بى يا نبىّ الله فقال له سليمان فمن اين مطعمك ومشربك فقال يا نبى الله اذا كان الليل جاءنى طائر ابيض فى منقاره شئ ابيض فيدفعه الىّ فآكله فهو يعصمنى من الطعام والشراب فقال له سليمان فمن اين تعرف الليل والنهار وانت فى ظلمة هذا البحر قال يا نبىّ الله ان فى القبة خيطان خيط ابيض وخيط اسود فاذا رأيت الخيط الابيض زائدا علمت انه النهار واذا رأيت الخيط الاسود زائدا علمت انه الليل فقال له سليمان هل لك فى صحبتنا قال لا يا نبىّ الله ان تشا تأذن لى ان اعود الى قبتى فأذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاحمت به الامواج فكان آخر العهد به ومنها قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كان تسع الجفنة الواحدة طعام الف رجل فيجتمعون عليها يأكلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لا تزول يسع القدر الواحد عشر جزر * قصة مدينة سليمان عليه السلام التى كان يسافر بها فى الهوى * ومما عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع فى عشرة آلاف ذراع فيها الف سقف ما بين كل سقفين عشرة اذرع فى كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق اسفلها اغلظ من الحديد واعلاها ارق من الماء يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلا قبة بيضا عليها علم ابيض يستضئ به فى الليل الداجى العسكر كله يتلألأ شعاعه مدّ البصر وبها من الاركان الف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وخشمه واولياؤه علوا وسفلا يحملها الريح الى حيث يشأ وكانت تلك المدينة له مستقرا يأكل ويشرب وينام ويتمتع بها وفى اسفلها مربط واصطبلات واوارى لخيله ودوابه * ومما عملوا له كرسى ملكه وصفة كرسى سليمان عليه السلام قال الله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب يروى ان نبى الله سليمان عليه السلام امر الشياطين باتخاذ كرسى يقعد عليه للقضا وامر ان يعمل مرعبا مجهولا بحيث لو رآه مبطل او شاهد زور ارتدع وبهت قال فعملوا له كرسيا من انياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وانواع الجواهر وحفوه باربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب وعلى رأس الاخرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسى اسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات اشجار الكرم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسى قالوا وكان سليمان اذا اراد صعود

مطلب فى ذكر مدينة سليمان عليه السلام

مطلب فى صفة كرسى سليمان

وضع

وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كله بما فيه دوران الرحى المسرعة
وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها وتبسط الاسدان أيديهما ويضربان الارض
بأذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى بأعلاها أخذ النسران
اللذان على النخلتين المسك والعنبر ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر
من أعمدة الكرسي التوراة فتفتحها لسليمان فيقرأها على الناس ويدعوهم الى فصل القضا
قال وتجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهي
ألف كرسي على يمينه وتجيء عظماء الجن فيجلسون على كراسي الفضة عن يساره وهي ألف
كرسي حافين به جميعاً ثم تظلهم الطير وتتقدم الناس اليه للقضا فاذا دعى بالبينات
وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله دوران الرحا
المسرعة قال معاوية لوهب بن منبه ما الذى كان يدير ذلك الكرسي قال بلبلين من
ذهب وذلك الكرسي مما عمله له صخر الجني قالوا فاذا دار الكرسي بسط الاسدان ايديهما
ويضربان الارض بأذنابهما وينشران النسران والطاوسان أجنحتهما فتفزع منه
الشهود ويداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شان كرسي
سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بخت نصر
فأخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فأراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود
عليه ولا باحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد يده اليمنى فضرب
ساقه ضربة شديدة دقها ورماه فحمل بخت نصر فلم يزل يعرج ويتوجع منها حتى مات
وبقي الكرسي بأنطاكية حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداس فهزم خليفة
بخت نصر ورد الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا
الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولا يعرف خبره ولا يدرى أين هو والله أعلم
ومنها بيت المقدس وصفة بنيانه وبدو أمره قال الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي
باركنا فيها للعالمين قيل بالمياه والاشجار والثمار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من تحت
أصل الصخرة التي ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يتفرق في الارض وذلك قوله
تعالى باركنا فيها وروى خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من
انهار الجنة الى يوم القيامة وأما بدؤ بناء بيت المقدس وصفة بنائه على ما ذكره أهل
البصيرة بالسير وهو ان الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى جعلهم في الكثرة غاية
لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين
وهم يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود كثرتهم وأراد ان يعلم عدد بني اسرائيل
كم هم فأمر بعدهم وبعث بذلك عرفاء ونقباء وأمرهم ان يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم

فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجز وافبعث الله جبريل عليه السلام واوحى اليه يا داود
قد علمت انى وعدت اباك ابراهيم يوم امرته بذبح ولده فصبر واتم امرى بان اباركه
له فى ذريته حتى يصير وابعد د بنجوم السما واجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فاردت
ان تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيرى وانى قد اقسمت لا ابتليهم ببلية يقل منها
عددهم و يذهب عنك اعجابك بهم وبكثرتهم فاختاروا بين ان ابتليكم بالجوع والقحط
ثلاث سنين او اسلط عليكم عدوكم ثلاثة اشهر او الموت ثلاثة ايام فجمع داود بنى
اسرائيل واخبرهم بما اوحى الله تعالى وخيرهم فيه فقالوا له انت اعلم بما هو ايسر لنا
انت نبينا فانظر لنا غير ان الجوع لا اصبر لنا عليه وتسليط العدو فامر فاضح فان كان
لا بد فالموت لا نريده لا بيد غيره فامرهم داود ان يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا
ولبسوا الاكفان وبرزوا الى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذرارى والاهلين
وامرهم ان يضجوا الى الله تعالى ويتضرعون اليه لعله ان يرحمهم فارسل الله اليهم
الطاعون فاهلك منهم فى يوم وليلة الوف كثيرة لا يدرى عددهم ولم يفرغوا من
دفنهم الا بعد مدة شهر فلما اصبحوا فى اليوم الثانى خر داود عليه السلام ساجدا لله تعالى
يبتهل الى الله تعالى ويقول يا رب انا اكل الخل الحامض وبنى اسرائيل يضرسون
يعنى اذنبت وبنى اسرائيل يعاقبون فما كان من شئ ففى انزله واعف عن بنى اسرائيل
فاستجاب الله دعاه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام
الملائكة سالين سيوفهم فغمدوها وارتقوا فى سلم من ذهب فى صخرة بيت المقدس
الى السما فقال داود لبنى اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فجددوا له شكرا
قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم ان تتخذوا فى هذا الصعيد الذى رحمكم الله فيه مسجدا
لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكر الله تعالى فاخذ داود فى بنائه فلما ارادوا ان يبتدوا
بالبناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم فى بنائهم فقال لبنى اسرائيل
ان لى فيه موضعا انا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تحجبونى عن حقى فقالوا يا هذا ما من احد
من بنى اسرائيل الا وله فى هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن ابخل الناس ولا
تضايقنا فيه فقال انا اعرف حقى وانتم لا تعرفون حقكم فقالوا له اما ترضى وتطيب بنفسك
والا اخذناه منك كرها فقال لهم اتجدون هذا فى حكم الله وحكم داود قالوا فرفع
خبره الى داود عليه السلام فقال ارضوه فقالوا بكم نأخذه يا نبى الله قال خذوه
بستمائة شاة فقال الرجل زدنى يا نبى الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدنى قال
بمائة بعير قال زدنى يا نبى الله فانما تشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال
داود حيث قلت هذا فاحتكم اعطيكه قال تشتريه بحائط مثله زيتونا ونخلا وعنبا
قال نعم فقال الرجل ان تشتره لله تعالى فلا تبخل قال سل ما شئت قال انت اكرم على الله
منى ولكن ابن لى حوله جدارا مشرفا ثم تملأه ذهبا وان شئت ورقا قال داود

هذا هين فالتفت الرجل الى بني اسرائيل وقال هذا هو التائب المخلص ثم قال لداود يا نبي
الله لان يغفر الله لي ذنبا واحدا احب الي من كل شيء وهبت لي ولكني اني كنت اخبرتكم فجدوا
في بناء بيت المقدس وذلك فيما قيل في احد عشر سنة مضت من ملك داود وكان داود
ينقل لهم الحجارة على ظهره وكذلك احبار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة فاوحى الله تعالى
اليه ان هذا بيت المقدس وانك رجل سفاك الدماء ولست ببناه ولكن ابن لك املكه
بعدك اسمه سليمان اسلمه من سفك الدماء واقضي اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره
واخره لك باقيا فصلوا فيه زمانا الى ان توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان فامر الله
باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل
طائفة بعمل يصلح لها وارسل الجن والشياطين في تحصيل عمل الرخام والمها الابيض الصافي
في معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ربضا لكل ربض منها
سبطا من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بنا المسجد
فوجه الشياطين فرقا فريقا منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه
وفريقا يغوصون في البحر ويستخرجون انواع الدر ويقلعون الجواهر والحجارة من اماكنها
وفريقا ياتون بالمسك والعنبر وانواع الطيب من اماكنه فاوتي بشيء من ذلك لا يحصيه
الا الله تعالى ثم انه احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها الواحا واصلاح
تلك الجواهر ونقشها فكانوا يعالجونها فتضرب ضربا شديد الصلابتها فكره سليمان
تلك الاصوات فدعى الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت
فقالوا يا نبي الله ليس في الجن اكثر تجاربا ولا اكثر علما من صخر العفريت فارسل اليه من
ياتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد
وكان اذا طبع بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه احد من جن ولا شيطان الا
انقاد اليه باذن الله تعالى فارسل الطابع مع عشرة من الجن فاتوه به وهو في بعض
جزائر البحر فاروه الطابع فلما نظر اليه كاد ان يصعق خوفا فاقبل مسرعا مع الرسل حتى
دخل على سليمان فسال سليمان رسله عما احدث العفريت في طريقه فقالوا يا نبي الله انه كان
يضحك في بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان ما رضيت بتمردك علي وتركك المجي الى طاعتي
حتى صرت تسخر فقال يا نبي الله اني لست اسخر منهم غير ان ضحكي كان تعجبا مما كنت اسمع
واري في طريقي فقال له سليمان وما ذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا ومعه
بغلة يريد يسقيها وجرة يريد ان يستقي بها فسقى البغلة وملا الجرة ثم اراد ان يقضي
حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حمق الرجل
حيث توهم ان الجرة تحبس البغلة ومررت ايضا برجل آخر وهو جالس عند اسكاف يستعمله
في اصلاح خف له فسمعته يشترط عليه ان يصلحه بحيث يبقى معه اربعين سنة ونسي
نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر

الناس بما لا تعلم من امور السماء وقد كنت عهدت رجلا دفن فى موضع فراشها ذهبا كثيرا
فى الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهبا كثيرا وهى لا تعلم بمكانه ثم تخبر
الناس بأمر السماء فضحكت منها ومررت برجل فى بعض المدن وقد كان به داء فيما قيل
فأكل البصل فبرئ من دائه فصار يطيب الناس وكان لا يأتيه احد يسأله عن علة الا امره
باكل البصل وانه لا اضر شئ حتى ان ضرره يصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت فى
بعض الاسواق فرأيت الثوم وهو افضل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو
من السموم القاتلة يوزن وزنا ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله ويسئلونه
الرحمة والمغفرة فمل منهم قوم وجاء آخرون فجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم واخطأت
الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا للقضاء والقدر قالوا فقال له
سليمان هل علمت من كثرة تجاربك وجولانك فى البحار شيأ يبحث لى هذه الجواهر فتلين
نسخه الماس ويسهل بحثها وثقبها بلا صوت قال نعم يا نبى الله اعرف حجرا ابيضا كاللبن يقال له السامور
غير انى لا اعرف معدنه الذى هو فيه وليس فى الطير شئ هو احيل ولا اهدى من العقاب
فأمر بفراخه ان تجعل فى صندوق من تلك الجواهر فانه يأتى بذلك الحجر فيضرب به الصندوق
حتى يثقبه ليصل الى اولاده قال فأمر سليمان بفراخ العقاب ان تضم فى صندوق
من حجر منها يوما وليلة فحجب عن افراخه فمر مسرعا وجاء بالحجر بعد يوم وليلة
فنقب به الصندوق حتى وصل الى افراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرا من الجن حتى اتوه
منه بما علم ان فيه الكفاية واستعمل ذلك فى ادوات الصناع فسهل عليهم بحثها من غير صوت
وهو حجر يستعمل فى نقش الخواتيم وثقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبنا سليمان
المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين المهى الصافى وسقفه بالواح
الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلى واليواقيت وانواع الجواهر وبسط
ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن يوجد يومئذ فى الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك
المسجد وكان يضئ فى الليل كالقمر فى ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بنى اسرائيل
واعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شئ منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذى فرغ
منه عيدا لم يتخذ فى الارض قط اعظم عيد من ذلك اليوم ولا اطعمة اكثر منه فذبح فيه من الجزور الف جزور
ومن البقر خمسة وعشرون الفا معلوفة ومن الغنم اربعمائة الف شاة قالوا ومن عجائب
ما اتخذ سليمان ببيت المقدس انه بنى بيتا وطين حائطه بالجص وصقله فكان اذا دخله
البار استبان خياله فى ذلك الحائط ابيض واذا دخله الفاجر استبان خياله فى ذلك الحائط
اسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب فى زاوية من زوايا
المسجد عصى ابنوس فكان من مسها من اولاد الانبياء لم يضره منها شئ ومن مسها من غيرهم
احترقت يده فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قربانا على الصخرة ثم قال اللهم
انت وهبت لى هذا الملك منا منك على وجعلتنى خليفتك على ارضك واكرمتنى به من قبل

ان اكون شيا فلك الحمد اللهم انى اسئلك لمن دخل هذا المسجد خصالا ان لا يدخله احد
يصلى فيه ركعتين مخلصا فيهما الا اخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ولا يدخله مذنب
الا تبت عليه ولا خائف الا امنته ولا سقيم الا شفيته ولا مجدب الا اخصبته واغنيته
واذا اجبت دعوتى واعطيتنى طلبتى فاجعل علامته ان تتقبل قربانى قال فنزلت نار من السماء
فسدت ما بين الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به الى السماء وكان بيت
المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بخت نصر بنى اسرائيل فخرب المقدس
والقى فيه الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية
الى ارض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه بامره والله اعلم * بـــــاب فى قصة بلقيس ملكة سبأ وما يتصل به

مطلب في قصة بلقيس

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين الاية
قالت العلماء باخبار القدماء ان نبى الله سليمان بن داود عليه السلام لما فرغ من بناء بيت
المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن
والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وامر الريح الرخا فحملتهم فلما
وافوا الحرم واقام به ما شاء الله ان يقيم وقرب القرابين وقضى المناسك وبشر اهله
بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك
مثبت فى زبورهم ثم احب ان يسير الى ارض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن
يؤم نجم سهيل فوافى صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا بيضاء حسنة
تزهر بخضرتها فاحب النزول بها ليصلى ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد
دليله على الماء وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى احدكم كاسه بيده فينقر الارض
فيعرف موضع الماء وعمقه ثم يجئ الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب يستخرجون الماء
قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع كيف يبصر الماء من تحت الارض
ولا يبصر الفخ اذا اعطى له بقدر اصبع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عمى البصر وروى
قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاكم عن قتل الهدهد
فانه كان دليل سليمان على قرب الماء من بعده واحب ان يعبد الله فى الارض حيث يقول
وجئتك من سبا بنبأ يقين انى وجدت امرأة تملكهم الاية قالوا فلما نزل سليمان قال
الهدهد فى نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الدنيا
وعرضها ونظر يمينا وشمالا فرأى بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فاذا هو
بهدهد فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير
ليعفور من اين اقبلت والى اين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبى سليمان بن داود
فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش
والرياح فمن اين انت قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس

اى ابن الازرق راس فرقة من الخوارج يخرج على علي بن ابي طالب اهـ

وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كله
وتحت يدها اثنى عشر الف قيلا مع كل قيل مائة الف مقاتل والقيل هو القائد بلغة
اهل اليمن فهل انت منطلق معى حتى تنظر الى ملكها قال فانى اخاف ان يتفقدنى سليمان
فى وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليمانى ان صاحبك ليسره ان تأتيه
بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى اتى بلقيس ونظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت
صلاة العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك
انه نزل على غير ماء فسأل الانس فقالوا لا نعلم ها هنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا
لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد ففقده فلم يجده فتواعده قال ابن عباس فى بعض
الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على راس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعى
عريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادرى اين هو وما
ارسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا اولاذبحنه
واختلف العلما فى العذاب الشديد ما هو فقال اكثر المفسرين كان عذابه ان ينتف ريشه
وذنبه ويدعه ممعطا ثم يلقيه فى بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لأنتفنه ولاشدن
رجليه ولاشمسنه وقال مقاتل لاطلينه بالقطران ولاشمسنه وقيل لاودعنه القفص
وقيل لافرقن بينه وبين الفه وقيل لامنعه من خدمتى اوليأتينى بسلطان مبين
اى حجة واضحة وروى عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان فى القرآن حجة قال ثم دعا
العقاب سيد الطيور فقال له علىّ بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السما
حتى التصق بالهوى فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدى احدكم فنظر يمينا وشمالا فاذا
هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رآى الهدهد ان
العقاب يريده بسوء فناشده وقال له بحق الذى قواك واقدرك على الا رحمتنى ولا تعرض
لى بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك امك ان نبى الله سليمان قد حلف
ان يعذبك او يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى المعسكر تلقاهما
النسر والطير كله وقالوا له اين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبى الله سليمان واخبروه
بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبى الله قالوا بلى انه قال اوليأتينى بسلطان مبين
فطار الهدهد والعقاب حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد
اتيتك به يا نبى الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وارخى ذنبه وجناحيه
يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده الى راسه فجبذه وقال اين كنت لاعذبنك
عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفى
عنه اخبرنى الحسين بن محمد الثقفى باسناده عن عكرمة قال انما صرف سليمان عن
ذبح الهدهد لبره بوالديه ثم ساله ما الذى ابطاك عنى قال الهدهد ما اخبر الله به احطت
بما لم تحط اى علمت ما لم تعلم به وجئتك من سباء بنباء يقين انى وجدت امراة تملكهم

واوتيت من كل شئ واسمها بلقيس بنت السرح وهو الهدهاذ وقيل هي بلهمة بنت
شراحيل بن ذى خدن بن السرح بن الحارث بن قيس بن صغ بن سبأ بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان وكان ابو بلقيس هو الذى يسمى السرح ويلقب بالهدهاذ ملك عظيم الشان
قد ولد له اربعون ملكا وكان ملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس
احد منكم كفوا لى وابى ان يتزوج منهم فزوجوه بامراة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر
وكانت الانس اذ ذاك ترى الجن وتخالطهم فولدت له بلهمة وهى بلقيس ولم يكن
له ولد غيرها وتصديق هذا ما اخبر به ابن ميمونة باسناده عن ابى هريرة عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال كان احد ابوى بلقيس جنيا قالوا فلما مات ابو بلقيس ولم
يخلف ولدا غيرها طمعت فى الملك وطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها
آخرون فاختاروا عليها رجلا فملكوه عليهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت
على طرف من ارض اليمن ثم ان هذا الرجل الذى ملكوه اساء السيرة فى اهل مملكته حتى كان
يمد يده الى حرم رعيته يفجر بهن فاراد اصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك
ادركتها الغيرة فارسلت اليه وعرضت نفسها عليه فاجابها الملك الى ذلك وقال مامنعنى ان
ابتدأتك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا ارغب عنك فانك كفو كريم فاجمع رجال قومى
واخطبنى منهم فجمعهم وخطبها منهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال انما هى التى ابتدأتنى وانى
احب ان تسمعوا قولها فتشهدون عليها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك قالت نعم انى احببت الولد
ولم ازل منذ كنت ارغب عن هذا والساعة قد رضيت له فزوجوها منه فلما زفت عليه خرجت فى
ناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصت منازله ودوره بهم فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزت
رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما اصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على
باب دارها علموا ان تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها
انت احق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والشنار ما قتلته ولكن رايته قد عم فساده
فاخذتنى الحمية ففعلت به ما فعلت فملكوها واستتبت امرها فى المملكة وروى ابن ميمونة
باسناده عن الحسن بن على عن ابى بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لا يفلح قوم ولوا امرهم امراة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

مطلب فى صفة قصر بلقيس

قصة صفة القصر الذى بنته بلقيس قال الشعبى روى ان بلقيس لما ملكت امرت ببناء
قصر فحمل اليها خمسمائة اسطوانة من رخام كل اسطوانة خمسون ذراعا فامرت بها فنصبت
على تل قريب من مدينة صنعا وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة اذرع ثم جعلت فيها سقفا
منظومة بالواح الرخام والحم بعضها الى بعض بالرصاص حتى صارت كانها لوح واحد
ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص فى كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة
فى الهوى فيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بالوان الجواهر
المربعة وجعلت فيها اى فى باب ذلك القصر مما يلى المدينة درجا من الرخام الابيض

والاخضر والاحمر وفى جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر
مراتبهم * صفة عرشها كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرد الاخضر
ومؤخره من فضة مكللا بألوان الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت احمر وقائمة — مطلب صفة عرش بلقيس
من ياقوت اخضر وقائمة من زمرد اخضر وقائمة من در اصفر وصفائح السرير من ذهب
وعليه سبعة أبيات وعلى كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانون ذراعا فى ثمانين ذراعا فى
الهوى فذلك قوله عز وجل واوتيت من كل شئ مما تحتاج اليه فى الملك من الآلة والعدة
ولها عرش عظيم اى سرير ضخم حسن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
وذلك انها قالت لوزرائها ما كان يعبد اباءى الماضون قالوا كانوا يعبدون اله السماء
قالت واين هو قالوا هو فى السما وعلمه فى الارض قالت فكيف أعبده وانا لا أراه ولست
أعرف شيأ اشد من نور الشمس فهو اولى ما ينبغى لنا عبادتها فعبدت الشمس من دون الله
تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت فلما
قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر أصدقت ام كنت من الكاذبين ثم ان
الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وهى الآبار التى لم تطو ببطن كل واد فروى الناس
والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس
ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد ان لا تعلوا على واتونى
مسلمين قال ابن جريج وغيره لم يزد سليمان على ما قص الله تعالى فى كتابه شيأ وكان
ابلغ الناس فى كتابه واقله املاء وكذلك الانبيا عليهم الصلاة والسلام كانوا لا يطيلون
كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد
اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون اى
يردون من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت بارض يقال لها
مأرب من صنعا على ثلاثة ايام فوافاها فى قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا
رقدت غلقت الابواب واخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها
فأتاها الهدهد وهى نائمة مستلقية على ظهرها فالقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة
وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المراة فرفرف ساعة
والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فالقى الكتاب فى حجرها وقال وهب بن منبه
كانت لها كوة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت
لها فجاء الهدهد الى تلك الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت
الشمس فقامت تنظرها فرمى الصحيفة فى وجهها قالوا فاخذت بلقيس الكتاب وكانت
قارئة كاتبة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميرى فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت
لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان الذى ارسل هذا الكتاب هو اعظم ملكا منها
لان ملكا تكون رسله الطير انه لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم انها

جاءت

جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنى عشر الف قيل تحت
يد كل قيل منهم مائة الف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فاذا احزنها أمر أسفرت
عن وجهها فلما جاؤا واخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس انى أُلقى الى كتاب كريم أى
شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما يدل عليه ما اخبرنى
به ابو حامد الورّاق باسناده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب
ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدّرا ببسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه
من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا علىّ وائتونى مسلمين قالت يا ايها
الملأ افتونى فى أمرى واشيروا على فيما عرض لى ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون
اى تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن اولوا قوة واُولوا بأس شديد عند الحرب
والأمر اليك فانظرى ماذا تامرين تجدينا لأمرك طائعين فقالت لهم بلقيس
حين عرضوا انفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة
اهلها اذلة اى اهانوا اشرافها وكبراءها لكى يستقيم لهم الامر فصدق الله قولها
فقال وكذلك يفعلون انشدنى ابو القاسم الجندى فى هذا المعنى قال انشدنى ابى فى معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك فى اكنافهم ظل
ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان ارضيتهم ملوا
وان مدحتهم خالوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكلّ
فاستغن بالله عن ابوابهم كرما * انّ الوقوف على ابوابهم ذلّ

قال الله تعالى مخبرا عنها وانى مرسلة اليهم بهدية وذلك ان بلقيس كانت امرأة
لبيبة عاقلة قد ساست الملأ من قومها وجربت الامر وساسته انى مرسلة اليهم الى
سليمان وقومه بهدية اصانعه عن ملكى واختبره بها أملك ام نبى فان يك ملكا
قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على
دينه ثم انها اهدت اليه وصفا ووصائف قال ابن عباس البستهم لباسا واحدا حتى
لا يكون يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد البست الغلمان لباس الجوارى والبست
الجوارى لباس الغلمان واختلفوا فى عددهم فقال الكلبى عشرة جوارى وعشرة
غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتى غلام ومائتى
جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وارسلت اليه ايضا بصفائح
الذهب واختلفوا فى كيفيتها وعددها اخبرنى ابن ميمونة ايضا باسناده عن ثابت
البنانى فى قوله تعالى وانى مرسلة اليهم بهدية قال اهدت له صفائح الذهب فى اوعية
الديباج فلما بلغ ذلك سليمان امر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم امر به فألقى فى
الطريق فى كل مكان فلما جاؤا ورأوه ملقى فى الطريق فى كل مكان قالوا قد جئنا
نحمل شيئا نراه ههنا ملقى لا يلتفت اليه فصغر فى أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت اربع

لبنات من ذهب وقال وهب بن منبه وغيره من اهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فالبست الجوارى لباس الغلمان الأقبية والمناطق والبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى سواعدهم اساور من ذهب وفى اعناقهم اطواقا من ذهب وفى اذانهم اقراطا وسيوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر حواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه ايضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وارسلت اليه ايضا بالمسك والعنبر والعود وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه من قومها رجلا صاحب رأى وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت فى الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفان واخبر بما فى الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل الخيط فى الخرزة ثم امرت بلقيس الغلمان وقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النسا وامرت الجوارى ان يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم انها قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولك منظره فانا اعز منه وان رأيته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم انه نبى مرسل فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا فلما رأى الهدهد ذلك اقبل مسرعا الى سليمان واخبره بالخبر كله فامر سليمان الجن ان يصنعوا له لبنات من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم امرهم ان يبسطوا له من موضعه الذى هو فيه الى تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حيطانا مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم اى الدواب احسن ما رأيتم فى البر والبحر فقالوا يا نبى الله انا رأينا فى البحر دوابا كذا وكذا مسمرة مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواصى فقال سليمان على بها الساعة فأتوه بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره بلبنات الذهب والفضة والقوا لها علوفة ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع اربعة الاف كرسى عن يمينه ومثلها عن يساره وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وامر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما اقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم تر اعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا وفى بعض الروايات ان سليمان عليه السلام لما امر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وامرهم ان يتركوا فى طريقهم

على

على قدر اللبنات التي معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة
خافوا ان يتهموهم بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان قال فلما جاؤا الى الميدان
ورأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا منهم فقيل لهم جوزوا فلا خوف
عليكم قال فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع
والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان منظرا
حسنا بوجه طلق ثم قال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا به واعطوه كتاب
الملكة فلما نظر اليه وقرأه قال لهم اين الحقة فأوتى بها فحركها فجاءه جبريل عليه السلام
فأخبره بما فى الحقة فقال ان فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب
فقال له الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان من لى
بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك
ثم سأل الشياطين فقالوا له ارسل الى الارضة فارسل اليها فلما اتت اخذت شعرة
فى فيها ودخلت فيها فخرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان حاجتك قالت تنشر
رزقى فى الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة
انا لها يا نبى الله فاخذت الدودة الخيط فى فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الاخر
فقال سليمان حاجتك فقالت تجعل رزقى فى الفواكه قال لها لك ذلك قال ثم انه ميز
بين الجوارى والغلمان بأن امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فكانت الجارية
تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله فى اليد الاخرى ثم تضرب به على الوجه
والغلام يأخذه من الاناء ثم يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن
ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر
الماء حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال اتمدوننى بمال فما
آتانى الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل المفاخرة والمكاثرة فى الدنيا
ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتى لان الله تعالى قد مكننى منها واعطانى
ما لم يعط احدا من العالمين فيها ومع ذلك ان الله سبحانه وتعالى اكرمنى بالنبوة والحكمة
ثم انه قال للمنذر بن عمرو امير القوم ارجع اليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل
لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ان لم يأتونى مسلمين قالوا فلما رجعت
رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها فقالت والله ما هذا بملك وما لنا به من
طاقة ثم انها بعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى ينظروا ما امرك
والى ما تدعوا اليه من امر دينك ثم ان بلقيس امرت بعرشها فجعل فى آخره سبع لبنات
بعضها فوق بعض ثم وضعته فى آخر قصر من سبع قصور لها ثم اغلقت دونه الابواب
ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك
وسرير ملكى فلا تخلص اليه احد ولا تونه احدا حتى آتيك ثم انها امرت مناديا

ينادى فى أهل مملكتها ليؤذنهم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان فى اثنى عشر الف
قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة الف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان
عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدى بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما
وجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يا رسول الله
قال وقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس كما بين الكوفة والحيرة قدر
فرسخ فاقبل سليمان على جنوده وقال ايكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين
اى طائعين خاضعين واختلف العلماء فى السبب الذى لاجله أمر سليمان باحضار
العرش فقال اكثرهم لان سليمان علم انها اذا أسلمت حرم عليه مالها فاراد أن يأخذ
سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظم
سلطانه فى معجزة يأتى بها فى عرشها وقال قتادة لانه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد
فاراد أن يراه قبل أن يراها قال عفريت من الجن وهو المارد القوى * أنا
آتيك به قبل أن تقوم من مقامك اى من مجلسك الذى تقضى فيه
واختلفوا فى اسمه * فقال وهب اسمه كورى وقال
شعيب اسمه كوذان وانى عليه لقوى على حمله أمين على ما فيه من الجواهر فقال سليمان
أريد أسرع من هذا فقال الذى عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم
هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام
وقال آخرون بل كان رجلا من بنى آدم ثم اختلفوا فيه فقال اكثر المفسرين هو آصف
ابن برخيا بن شمعيا بن ملكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به
اجاب واذا سئل به أعطى اخبرنا ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف
قال لسليمان حين صلى ودعى الله تعالى قال له مد عينك حتى ينتهى طرفك قال فمد
سليمان عينيه فنظر نحو اليمن فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون
الارض خدا حتى انخرقت الارض بالسرير بين يدى سليمان واختلف العلماء فى
الدعاء الذى دعى به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش فروت عائشة رضى الله
عنها عن أبيها رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الاسم الاعظم الذى دعى
به آصف بن برخيا ياحى يا قيوم وروى الاعمش بن مظعون عن الزهرى
قال ان الاسم الاعظم يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله
الا انت ائتنى بعرشها وقال مجاهد يا ذا الجلال والاكرام حدثنا
ابن ميمونة باسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الذى
عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان فى جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم
ينظر من ساكن الارض وهل يعبد الله او لا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من اسماء الله
تعالى فاذا هو بالعرش قد حمل فاوتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد اليه

طرفه وباسناده عن مجاهد قال حدثنا سهيل بن حرب قال زعم ابن ابي برزة
قال ان اسم الذى عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه مليخا وقال محمد
ابن المنكدر انما هو سليمان اما ان الناس يرونه انه كان معه اسم الله الأعظم وقيل
ليس كذلك وانما كان رجلا عالما اتاه الله علما وفقها وقال انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك فقال سليمان هات قال انت النبى وابن النبى وليس احد عند الله اوجه
منك ولا اقدر على حاجته منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت
ففعل ذلك فجئ بالعرش فى الوقت فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده محمولا
اليه من مارب الشام فى قدر ارتداد الطرف وهو مده قال هذا من فضل ربى ليبلونى
ا اشكر أم اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ثم لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب
شكره لتمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة
ومن كفر فان ربى غنى عن شكره كريم بالإفضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان
عليه السلام نكروا لها عرشها اى فزيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا اعلاه اسفله
واسفله اعلاه ننظر اتهتدى الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون
اليه اراد ان يختبر عقلها وانما حمل سليمان على ذلك ما ذكره وهب ومحمد بن اسحاق
وغيرهما من اهل العلم ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان ويستولدها فيفشى
اليها اسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فارادوا ان
يزهدوه فيها فسأوا الثناء عليها وقالوا له ان فى عقلها شيأ وان رجليها كحافر حمار
فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت
بلقيس قيل لها اهكذا عرشك قالت كأنه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها
فى بيت خلف سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم
سليمان كمال عقلها قال الحسين بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم واجابتهم
على حسب سؤالهم ولو قال لها هذا عرشك لقالت نعم فقال سليمان واوتينا العلم
بابتلائها ومجيئها طائعة من قبلها اى من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين
خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت
عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا واوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه
السلام بالآيات المتقدمة قبلها اى من قبل هذه الآية وكنا مسلمين اى منقادين
لك مطيعين لأمرك من قبل ان جئناك فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلى
الصرح وذلك ان سليمان لما اقبلت بلقيس تريد امر الشياطين فبنوا له صرحا
اى قصرا من زجاج كانه الماء بياضا واجروا من تحته الماء والقى فيه السمك ثم وضع
سريره فى صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وانما امر ببناء
الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان ما سخر وبلقيس

ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية والسخرة أبدا فارادوا ان
يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعرة الساقين لان امها كانت جنية
فاراد سليمان ان يعلم حقيقة ذلك وينظر الى قدميها وساقيها فامر ببناء الصرح
وقال وهب بن منبه انما بنا الصرح ليختبر عقلها وفهمها فعاتبها بذلك كما فعلت
هى بتوجيهها اليه الوصائف والوصفان ليميز بين الذكر والانثى تعاتبه بذلك
فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وهى معظم الماء فكشفت
عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هى احسن الناس ساقا وقدما
الا انها كانت شعرة الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه
صرح ممرد من قوارير اى مجلس مملس من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له يا سليمان
انى اريد ان اسألك عن شئ قال سلينى قالت اسئلك عن ماء ليس من ماء ارض ولا ماء
سماء وكان سليمان اذا جاءه شئ لا يعلمه يسأل الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل
الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما اهون من
ذلك أمر الخيل ان تجرى ثم املأ الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل فقالت
صدقت ثم قالت اخبرنى عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا
وصعق فقامت عنه وتفرقت عنه جنوده فجاء جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول
لك ربك ما شأنك قال يا جبريل ربى اعلم بما قالت قال فان الله يأمرك ان تعود الى سريرك
فترسل اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل
ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لها عن ماذا سألتينى قالت عن ماء ليس من
ارض ولا من سماء فأجبت قال وعن اى شئ سألتينى ايضا قالت ما سألتك عن شئ الا
هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وانساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب
ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش
والصرح فأجابت وقالت رب انى ظلمت نفسى بالكفر واسلمت مع سليمان لله رب
العالمين واختلف العلماء فى امرها بعد الاسلام فقال اكثرهم لما اسلمت بلقيس
اراد سليمان ان يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها وقال
ما اقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة ما مسنى
حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندرى
ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لا ندرى فلما ألح عليهم قالوا نحن نحتال لك
عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام قال ابن عباس انه اول
يوم رؤيت فيه النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام اخبرنى ابن ميمونة عن ابى
موسى يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال اول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام
فلما التصق ظهره بالجدار قال اوه من عذاب الله تعالى قالوا فلما تزوجها سليمان احبها

حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير
الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان وبينون ثم ان سليمان كان يزورها
في كل شهر مرة بعد ان ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة ايام ثم يبكر من الشام
الى اليمن ومن اليمن الى الشام وروى محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم عن وهب بن
منبه قال سليمان لبلقيس لما اسلمت وفرغ من امرها اختاري رجلا من قومك حتى
ازوجك اياه قالت ومثلي ينكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من
السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذاك ولا ينبغي لك ان تحرمي
ما احل الله لك قالت زوجني ان كان ولا بد من تبع الاكبر ملك همدان فزوجه اياها
ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة امير جن اليمن
فقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل
بها ملكا يعمل فيها ما اراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول وبلغ
الجن موت سليمان اقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف الليل صرخ
باعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارفعوا ايديكم قال فعمدت
الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحميرية نحن
بنينا سلحين وابنين وبنينا صرواح ومرواح وبينون وهنده وهنيدة ودلوم
وهذه الحصون كانت باليمن عملها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لم
يرفعوا ايديهم فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك
سليمان عليه السلام والله اعلم * باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام

مطلب غزوة سليمان عليه السلام

اباز وجته الجرادة وخبر الشيطان الذي اخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه
قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب روى محمد بن اسحاق عن بعض العلماء
ان سليمان اخبر ان في جزيرة من جزائر البحر رجل يقال له صيدون ملك عظيم الشان
لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد اتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع
عليه شيء في بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده
من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها فاصاب فيما اصاب بنت الملك يقال لها
جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على يده
في الظاهر على خفي منه وقلة ثقة فاحبها حبا شديدا لم يحبه احدا من نسائه وكانت منزلتها
عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقى دمعها فشق
ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقا
فقالت اني اذكر ابي واذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان
قد ابدلك الله ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا هو اعظم من سلطانه وهداك الله الى
الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني

ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين يصوّروا لي صورته في داري التي انا فيها اراه
بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزني ويسليني عن بعض ما اجد في نفسي فأمر
سليمان الشياطين ان يمثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوه
لها حتى نظرت الى ابيها بعينه الّا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرته
وقمصته وعممته وردّأته مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من
دارها تغدو اليه في ولائدها فتسجد له ويسجدون له معها كما كانت تصنع معه في
ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك اربعين
صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان لا يُردّ عن باب سليمان اي ساعة اراد دخول
بيته دخل حاضرا ام غائبا فاتاه فقال يا نبيّ الله كبر سني ودق عظمي ونفذ عمري وقد حان
الذهاب مني وقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله
تعالى واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من امورهم فقال
افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله تعالى
واثنى على كل نبيّ بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى الى سليمان فقال له ما كان
احكمك في صغرك واورعك في صغرك وافضلك في صغرك واحكم امرك في صغرك
وابعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك
حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره ارسل اليه فلما اتاه قال له يا آصف ذكرت
من مضى من انبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من امورهم
فلما ذكرتني اثنيت عليّ بخير في صغري وسكت عما سوى ذلك من امري في كبري فما
الذي احدثت في آخر عمري فقال له ان غير الله يعبد في دارك اربعين صباحا في هوى
امرأة فقال سليمان في داري قال نعم في دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت
انك قلت ما قلت الا عن شئ بلغك ثم ان سليمان رجع الى داره فكسر ذلك الصنم
وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم انه امر بثياب الطهر فاوتي بها وهي ثياب لا يغزلها
الا الابكار ولا تمسها امرأة ذات دم ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر برماد
ففرش ثم اقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا
لله تعالى وتضرعا اليه ويدعو ويستغفر مما كان في داره ويقول فيما يقول ما كان
ينبغي لآل داود ان يعبدوا غيرك وان يُقروا في دورهم واهاليهم عبادة غيرك
فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها امينة
كان اذا دخل مذهبه او اراد قضاء حاجة او اراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه
عندها حتى يتطهر ولا يمس خاتمه الا وهو متطهر طاهر لان خاتمه كان من ياقوتة
خضراء اتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عنده

دخول مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسم صخر فظنته
سليمان لانها لم تنكر منه شياء فقال يا أمينة خاتمى فناولته اياه فجعله فى يده ثم خرج
حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين فخرج سليمان
فأتى الى امينة وقد تغير من حاله ونفسه عند كل من رآه فقال يا امينة خاتمى فقالت
ومن انت قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان واخذ
خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان الخطيئة قد ادركته فخرج سليمان
وجعل يقف على الدار من دور بنى اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه
التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون واى شئ يقول يزعم انه سليمان
فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر من البحر
الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احد السمكتين بأرغفة وشوى
الأخرى فيأكلها فمكث كذلك اربعين صباحا عدة ما كان ذلك الوثن يعبد فى داره
فانكر آصف بن برخيا وعلماء بنى اسرائيل حكم عدو الله الشيطان فى تلك الاربعين
يوما فقال آصف يا معشر بنى اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت
قالوا نعم فقال امهلونى حتى ادخل على نسائه فأسألهن هل انكرن منه فى خاصة امره
ما انكرناه من عامة امر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال لهن ويحكن هل انكرتن
من امر سليمان بن داود ما انكرناه فقلن اشد ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل
من جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم انه خرج
الى بنى اسرائيل فقال ما فى الخاصة اعظم مما فى العامة فلما مضت اربعين صباحا
زال الشيطان عن مجلسه ثم مر فى البحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاصطادها
بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشا اعطاه
السمكتين وكان من جملتهما السمكة التى ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التى
ليس فى بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الأخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه
فى جوفها فاخذه فجعله فى يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين
واقبل على الناس وعلم ان الذى دخل عليه لما كان احدث فى داره فرجع الى ملكه واظهر
التوبة من ذنبه ثم امر الشياطين وقال ائتونى بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى اتت
به فأخذ له صخرة فادخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به
فقذف فى البحر فهذا حديث وهب بن منبه وقال السدى فى سبب ذلك كان لسليمان
مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى أثر نسائه وآمنهن عنده وكان
اذا اراد ان يأتى حاجته او دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه احدا من الناس غيرها
فجاءته يوما من الايام وقالت له ان اخى بينه وبين فلان خصومة وانا احب ان تقضى
له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل وابتلى بقوله فاعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج

الشيطان فى صورته فقال لها هاتى الخاتم فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت له ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه تائبا ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فأنكر الناس حكمه واجتمع قرّاء بنى اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن ما أنكروه فقالوا ونحن قد انكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء احكامه فليس لنا صبر على ذلك فبكى النساء عند ذلك قال فاقبلوا يمشون حتى اتوه وأحدقوا به واخذوا ينجالسهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فلما قرؤا التوراة طار من بين ايديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه الحوت قال واقبل سليمان على حالته التى كان فيها حتى انتهى الى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال انى سليمان بن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه وقالوا والله بئس ما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم انه سليمان ابن داود فاعطوه سمكتين مما بدر عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام الى شاطئ البحر فشق بطونهما وجعل يغسلها فوجد خاتمه فى بطن احداها فأخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما احمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا كان لا بد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر ان يأتوا بالشيطان الذى اخذ خاتمه فاتى به فجعله فى صندوق من حديد ثم اطبقه وجعل عليه قفلا وختمه بخاتمه ثم امر به فألقى فى البحر وهو حى كذلك الى الساعة * وفى بعض الروايات ان سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأخذه سليمان واعاده عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت فى يده ايقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك اربعة عشر يوما ففر الى الله تائبا من ذنبك وانا اقوم مقامك واسير فى عالمك واهل بيوتك بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ويردك الى ملكك ففر سليمان هاربا الى ربه واخذ آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت وان الجسد الذى قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب واقام آصف فى ملك سليمان وعالمه يسير بسيرته ويعمل بعمله اربعة عشر يوما الى ان رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فاقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه واعاد الخاتم فى يده فثبت * وقيل سبب ذلك ما اخبرنا شعيب بن محمد العجلى باسناده عن سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود احتجب من الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه ان يا سليمان احتجبت عن عبادى ثلاثة ايام فلم تنظر فى امورهم ولم تنصف

مظلوما من الظالم وذكر حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه كما رويناه وقال فى
آخره قال على كرم الله وجهه ذكرت ذلك للحسين فقال ما كان الله تعالى ليسلط على
نسائه وقال بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان انه أمران لا يتزوج امرأة الا
من بنى اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك وقيل ان سليمان عليه
السلام لما أصاب بنت الملك صيدون أعجب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت
فخوفها سليمان فقالت له ان اكرهتنى على الاسلام قتلت نفسى فخاف سليمان ان
تقتل نفسها فتزوج بها مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوتة اربعين صباحا
فى خفية من سليمان الى ان أسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه اربعين يوما وقال
الشعبى فى سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم
لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة سبيلنا ان نقتل
ولده او نخبله فعلم سليمان ذلك فامر السحاب ان يأخذ ابنه وامر الريح فحملته وغدى
ابنه فى السحاب فأمن مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات
الولد فالقى على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله وألقينا على كرسيه جسدا
ثم أناب * باب فى ذكر وفاة سليمان عليه السلام * قال الله تعالى
فلما قضينا عليه الموت الآية قال اهل التاريخ لبث سليمان فى ملكه بعد ان رده الله عليه
تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور
راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل
الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث أحب قال فتربا لهم ابليس وهم راتبون فى العمل فقال
كيف انتم قالوا ما لنا طاقة مما نحن فيه فقال ابليس تذهبون بحملون الحجارة وترجعون
فراغا لا تحملون شيأ قالوا نعم قال فانتم فى راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فامرهم
ان يحملوا ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس أتنامون بالليل قالوا نعم قال فأنتم
فى راحة قال فأبلغت الريح ذلك سليمان فامرهم ان يعملوا بالليل والنهار فتربا لهم
ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون فى العمل فقال كيف انتم
قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشأ فعله قالوا نعم قال فتوقعوا
الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام قال
ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب فى بيت المقدس السنة والسنتين
والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله فى المرة
التى مات فيها وكان بدؤ ذلك انه لم يكن يوما يصبح فيه الا نبتت له ببيت المقدس
شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فيقول لاى شئ انت
فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس غرسها وان كانت لدواء كتب
عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلى يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك

مطلب فى ذكر وفاة سليمان

قالت الخرنوبة قال ولاى شئ نبتك قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن
داود ما كان الله تعالى ليخربه وانا حى انت الذى على وجهك هلاكى وخراب بيت
المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس
ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء
وانهم يعلمون ما يكون فى غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلى متكيا على عصا
فمات فى تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين احد وهم مع ذلك يعملون له ويخافون
ان يخرج فيعاقبهم وقال عبد الرحمن بن زيد قال سليمان لملك الموت اذا
امرت بى فاعلمنى قال فأتاه فقال يا سليمان قد امرت بك وقد بقى لك سويعة فدعى
الشياطين فبنوا له صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى واتكى على عصاه فدخل
عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكى على عصاه وفى رواية اخرى ان سليمان عليه
السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى اتانى من الملك ما ترون وما مر على يوم
فى ملكى صفا فى ساعة من الكدر وقد احببت ان يكون لى يوم واحد يصفو لى الى الليل
ولا اغتم فيه وليكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصرا له وامر باغلاق ابوابه
ومنع الناس من الدخول ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيأ يسوءه ثم اخذ
العصى بيده ووضعها فوق خصره واتكا عليها ينظر الى ممالكه اذ نظر شابا حسن
الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك يا سليمان
فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذنى وقد منعت من دخوله
اما منعك البواب والحجاب اما هبتنى حين دخلت قصرى بغير اذنى فقال انا الذى
لا يحجبنى حاجب ولا يدفعنى البواب ولا اخاف الملوك ولا اقبل منهم الرشا وما
كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان فمن اذن لك فى دخوله فقال له
ربه قال فارتعد سليمان وعلم انه ملك الموت فقال له انت ملك الموت قال نعم
قال فيم جئت قال جئت لاقبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم اردت ان يصفو
لى ولا اسمع فيه ما يغمنى فقال يا سليمان انك اردت يوما يصفو لك فيه عيشك
حتى لا يغمك فيه شئ وذلك يوم لم يخلق فى الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لا مرد له
قال فاقبض كما امرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه قالوا وكانت
الشياطين بجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه اينما كان وكان للمحراب بابان
باب بين يديه وباب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت
جليدا فادخل من الباب الذى بين يديه واخرج من الباب الذى خلفه فدخل
ذلك البعض لم يكن شيطان ينظر الى سليمان فى المحراب الا احترق فمر ذلك الشيطان
فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد
سقط ميتا فخرج فاخبر الناس ان سليمان قد مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدوا

منسأته وهي العصى بلغة الحبشة قد أكلتها الأرضة فلم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصى فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون اليه ويحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك وفي رواية ابن مسعود فمكثوا يدأبون به بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس ان الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو انهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا في العنا والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للأرضة لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لأسقيناك أعذب الشراب ولكنا ننقل اليك الماء والطين شكرا لك فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته الآية قال أهل التاريخ كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها اربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه ثم ملك بعد سليمان ابن له يقال له رخيعم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه سبعة عشر سنة ثم ملكهم بعده ابنه ايشا بن رخيعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة ثم ملك من بعده ابنه ايا بن ايشا وكان رجلا صالحا وكان ظهر به عرق النساء نطمع فيه الملوك لضعفه وافترقت ملوك بني اسرائيل فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهندي في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم في بعضها البعض فتكسرت وغرق روح الهندي ومن كان معه واضطربت الامواج حتى ألقت أثقالهم واموالهم وسلبهم الى محلة بني اسرائيل ونودوا ان خذوا مما غنمكم الله تعالى به وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهلكهم الله تعالى الى ان ظهر فيهم الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بخت نصر * (مجلس في قصة بخت نصر وخبر اشعيا وارميا ودانيال وعزير عليهم السلام وما يتصل به) * قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا الآية

مطلب في قصة بخت نصر

* قصة اشعيا عليه السلام قال محمد بن اسحاق وغيره من أهل السير والاخبار كان مما أنزل الله تعالى على موسى وخبره خبر بني اسرائيل من احداثهم وما هم فاعلون بعده كما قال تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى

يتجاوز عنهم فى ذلك تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم
من تلك الوقائع كما اخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ان ملكا منهم كان يدعى
صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث الله نبيا يسدده ويرشده ويكون
واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من امورهم ولم ينزل عليهم كتب وانما يامرهم ان يأمروهم
باحكام التوراة والنهى عن المعاصى والمنكرات والدعاء الى ما يزكوا من الطاعات
فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى اشعيا بن امضيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى
وعيسى واشعيا هو الذى بشر بيت المقدس حين شكى اليه الخراب فقال ابشرى
اورا شلم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بنى
اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الرديئة
واشعيا معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده فى ستمائة الف
راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة شديدة
فجاء النبى اشعيا فقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده
فى ستمائة الف راية واقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هابهم الناس وتفرقوا
منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبى الله هل اتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا
به كيف يفعل الله بنا وبعدونا سنجاريب فقال النبى لم يأت وحى فبينماهم كذلك
اذ اوحى الله تعالى الى اشعيا عليه السلام ان ائت ملك بنى اسرائيل فأمره ان يوصى بوصيته
ويستخلف على مملكته من يشاء من اهل بيته وعترته فأتى اشعيا صديقة فقال ان
ربك قد اوحى الى ان آمرك ان توصى بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل
بيتك فانك ميت فلما قال ذلك اشعيا لصديقة اقبل الى القبلة وصلى ودعى وبكى
وقال فى دعائه وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب
الارباب واله الالهة القدوس المقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف الذى لا تأخذه سنة
ولا نوم اذكرنى بعملى وفعلى وحسن قضاءى فى بنى اسرائيل وذلك كله كان منك
وانت اعلم به منى سرى وعلانيتى لك ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبدا
صالحا فأوحى الله تعالى الى اشعيا وامره ان يخبر صديقة الملك ان ربه قد استجاب
له ورحمه وقبل منه وقد اخر اجله خمسة عشر سنة وانجاه الله من عدوه سنجاريب
ملك بابل وجنوده فاتاه اشعيا النبى فأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه
الوجع وانقطع عنه الهزال وخر ساجدا لله تعالى وقال يا الهى واله ابائى لك سجدت
وسبحت وكبرت وعظمت انت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة انت الاول والآخر والظاهر
والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين انت الذى اجبت دعوتى
ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه اوحى الله الى اشعيا ان قل للملك صديقة ان

يأمر عبداً من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ففعل ذلك فبرئ
فقال الملك لأشعيا سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله
لأشعيا قل له انى كفيتك عدوك هذا وانجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم
الا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما اصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب
المدينة يا ملك بنى اسرائيل قد كفاك الله عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه
قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه
فادركه الطلب هو ومن معه فى خمسة نفر من كبرائه فى مغارة احدهم بخت نصر
فجعلوهم فى الجوامع ثم اتوا بهم ملك بنى اسرائيل فلما رآهم خر ساجداً لله تعالى من حين
طلعت الشمس الى العصر ثم قال له يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بك الم يقتلكم
بحوله وقوته ونحن وانتم غافلون فقال له سنجاريب قد اتانى خبر ربكم ونصرته
اياكم من قبل أن اخرج من بلادى فلم اطع مرشداً ولم يلقنى فى الشقوة الا قلة عقلى
فلو سمعت او عقلت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معى قال فقال
صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفاناكم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك
لكرامتك عليه ولكن انما ابقاك ومن معك ليزدادوا شقاوة فى الدنيا وعذاباً فى
الآخرة وتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم وبمن معكم ولدمك ومن
معك اهون عند الله من دم قرادة لو قتلت ثم ان ملك بنى اسرائيل امر امير جيشه
فقذف فى رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وايليا
وكان يطعمهم كل يوم رغيفان من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك
بنى اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما امرت فامر بهم الملك الى سجن القتل
فأوحى الله الى اشعيا ان قل للملك يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم
وليكرموا وليحملوا حتى يبلغوا بلادهم فبلغ اشعيا الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب
ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع سنجاريب الناس
فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك قد كنا نقص عليك
خبرهم وخبر نبيهم ووحى الله اليه فلم تطعنا وهى امة لا يستطيعها احد من ربهم
وكان من امر سنجاريب مما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب
بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بخت نصر وكان ابن ابنه وكان
بخت نصر يعمل كما يعمل جده ويقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله
تعالى ملك بنى اسرائيل صديقة فمرج امر بنى اسرائيل وتنافسوا فى الملك حتى قتل
بعضهم بعضاً وظهر فيهم البغى والفساد ونبيهم اشعيا فيهم لا يرجعون اليه ولا
يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله لاشعيا عليه السلام قم فى قومك يوح على
لسانك فلما قام النبى اطلق الله لسانه بالوحى فقال يا سماء اسمعى ويا ارض انصتى

فان الله اراد ان يقضى شان بنى اسرائيل الذى رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده فاستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فاوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسرها وداوى مريضها واسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون ان جاءهم الخير والشر ان البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الأرى الذى يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المسرح الذى يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من حيث جاءهم الخير وهم اولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير انى ضارب لهم مثلا ليسمعوا قل لهم كيف ترون فى ارض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا واسقى نهرا وانبت عليها غرسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وانواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأى حفيظا قويا امينا فانتظرها فلما اطلعت جاء طلعها خرنوبا فقال بئس الارض هذه ترى ان يهدم جدرها وقصرها ويدفن نهرها وينقض نبتها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا اول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتى وان القصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيى وان الخرنوب الذى اطلع الغراس اعمالهم الخبيثة وانى قد قضيت عليهم قضاهم على انفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فهم يتقربون الى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ويدعون ان يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح النفس التى حرمتها فايديهم مخضوبة منها وبناؤهم مزملة بدمائها ويشيدون لى البيوت والمساجد ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم واجسادهم ويدنسونها فاى حاجة لى الى تشييد البيوت ولست اسكنها واى حاجة لى الى تزويق المساجد ولست ادخلها وانما امرت برفعها لاذكر فيها واسبح ولتكن معلما لمن اراد ان يصلى فيها يقولون لو كان الله يقدر على ان يجمع الفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر ان يفقه قلوبنا لفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم ائت بهما فاذنهم فى جميع ما يكون فقل للعودين ان الله يأمركما ان تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم انى قدرت على الفة العيدان اليابسة فكيف لا اقدر على ان اجمع الفتهم ان شئت ام كيف لا اقدر على ان افقه قلوبهم وانا الذى صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عوى الذئاب وفى كل ذلك لا نسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذى يمنعنى ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وانظر الناظرين

واقرب

واقرب المجيبين وارحم الراحمين او ان ذات يدى قلت كيف ويداى مبسوطتان بالخير انفق كيف اشا ومفاتيح الخزائن عندى لا يفتحها غيرى ام يقولون رحمتى ضاقت فكيف ورحمتى وسعت كل شئ انما يتراحم المتراحمون بفضلها ام يقولون البخل يعتريني اولست اكرم الاكرمين والفتاح بالخيرات اجود من اعطى واكرم من سئل ولو ان هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التى تورث فى قلوبهم فنبذوها واشتروا بها الدنيا اذا لابصروا من حيث اتوا واذا لايقنوا ان انفسهم التى هى اعدى العداة لهم فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام ام كيف انور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن الى من يحاربنى وينتهك محارمى ام كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم وانما اجزى عليها اهلها المغصوبين ام كيف استجيب لهم دعاء وانما هو قول بألسنتهم والفضل من ذلك بعيد وانما استجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاى رضا المساكين ولو رحموا المساكين وقاربوا الضعفا وانصفوا المظلوم ونصروا المغصوب وعدلوا للغائب وادوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغى لى ان اكلم البشر اذا لكلمتهم واذا كنت نور ابصارهم وسمع اذانهم ومعقول قلوبهم واذا عمرت اركانهم وكنت قوة ايديهم وارجلهم واذا ثبت السنتهم الا انهم يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى انها اقاويل منقولة واحاديث متواترة وتاليف فيما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا ان لو يشاؤا ان ياتوا بحديث مثله لفعلوا وان يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اذ طلعوا وكلهم يستخفى بالذى يقول ويسر وهم يعلمون انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما يبدون وما يكتمون وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضا ابينه على نفسى وجعلت له اجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه وفى اى زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان ياتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها افضى فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان ياتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التى ادبر بها امر ذلك القضا ان كانوا صادقين فانى قضيت يوم خلقت السموات والارض بان اجعل النبوة فى الاحرار واجعل الملك فى الرعا واجعل العز فى الاذلاء والقوة فى الضعفا والغنا فى الفقرا والثروة فى الاقلال والمدائن فى الفلوات والاجام فى المفاوز والبرى فى الغيطان والعلم فى الجهلة والحكم فى الاميين فسلهم ممن هذا ومن القيم بهذا وعلى يد من انشئه ومن اعوان هذا الامر وانصاره فانى باعث لذلك نبيا اميا لا اعمى من العميان ولا ضال من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يتزين بالفحش ولا قوال بالخنا اسدده بكل جميل اهب له خلق كريم

أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقولة والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغنى به بعد الفقر واجمع به بعد الفرقة وأألف به قلوبا مختلفة واهواء مشتتة وأمما متفرقة واجعل امته خير امة أخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ايمانا وتوحيدا ويصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون فى سبيل الله صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغا رضوان الله ألهمهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد فى مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف ويطهرون لى الوجوه والاطراف ويعتقدون الثبات فى الانصاف قربانهم دماءهم وقرآنهم فى صدورهم رهبانا بالليل ليوثا بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم اشعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه وهو فى وسطها * قصة ارميا عليه السلام * فاستخلف الله على بنى اسرائيل بعد قتلهم اشعيا رجلا منهم يقال له ناشية بن اموص وبعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر ارميا بن خلقيا وكان من سبط هارون بن عمران وانما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضا فقام عنها وهى تزهر خضرا فقال الله تعالى لأرميا حين بعثه الى بنى اسرائيل يا ارميا من قبل ان أخلقك اخترتك ومن قبل ان اصورك فى بطن امك قدستك ومن قبل ان اخرجك من بطن امك طهرتك ومن قبل ان تبلغ السعى نبأتك ولأمر عظيم اجتبيتك فذكر قومك نعمى وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال ارميا انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تنصرنى فقال الله تعالى انا الهمك فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم فى آخرها فانى أحلف بعزتى وجلالى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى ارميا عليه السلام انى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا بكى وصاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما نظر الله تضرع ارميا وبكاءه ناداه يا ارميا اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يارب اهلكنى قبل ان ارى فى بنى اسرائيل ما لا اسر به فقال الله وعزتى وجلالى لا اهلك احدا من بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح ارميا

مطلب قصة ارميا عليه السلام

بذلك وطابت نفسه وقال والذى بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بنى اسرائيل
ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا
فبذنوب كثيرة وان يرحمنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا فيها
الا معصية وتماديا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وقل الوحى ودعاهم الملك
الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر فخرج فى ستمائة الف راية يريد اهل
بيت المقدس فلما فصل بخت نصر سائرا الى الملك اتى الملك الخبر فقال الملك لارميا
انت زعمت ان الله اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب
الاجل وعزم الله على هلاكهم بعث الله الى ارميا ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى
اسرائيل فقال له يا نبى الله انى استفتيك فى اهل رحمى وصلت ارحامهم ولم ازل اليهم
محسنا ولا يزيد اكرامى اياهم الا اسخاطا فافتنى فيهم فقال له احسن فيما بينك وبين
الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث الا اياما ثم اقبل اليه فى صورة ذلك الرجل
فقعد بين يديه فقال له ارميا او ما طهرت اخلاقهم لك بعد قال يا نبى الله والذى
بعثك بالحق نبيا ما اعلم كرامة يأتيها احد من الناس الى اهل رحمه الا قدمتها اليهم وافضل
قال ارميا عليه السلام ارجع الى اهلك فاحسن اليهم وسل الله ان يصلح عباده الصالحين
فقام الملك فمكث اياما وقد نزل بخت نصر وجنوده حول بيت المقدس باكثر من الجراد
ففزع منهم بنوا اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارميا يا نبى الله اين ما وعدك الله به
قال انى بربى لواثق ثم اقبل الملك على ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر
بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه وقال له انا الذى اتيتك فى شان اهلى مرتين
فقال له ارميا عليه السلام الم يأن لهم ان ينتهوا من الذى هم فيه فقال يا نبى الله كل شئ
كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه واليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله تعالى
فقال ارميا عليه السلام على اى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك
وأتيتك لاخبرك وانى أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبيا الا ما دعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم
فقال ارميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على
سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم قال فما خرجت الكلمة من فم ارميا تماما حتى ارسل الله
صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة ابواب من
ابوابها فلما رأى ذلك ارميا صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال
يا مالك السموات والارض اين ميعادك الذى وعدتنى فنودى انه لم يصبهم الذى
اصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن ارميا عليه السلام انها فتياه وان ذلك السائل
كان رسول ربه فطار ارميا عليه السلام حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده
بيت المقدس ثم امر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس
فقذفوا فيه التراب حتى ملأوه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بنى اسرائيل

وامرهم أن يجمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بني اسرائيل
فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما اراد أن يقسم الغنائم في جنده قالت له الملوك
الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم
من بني اسرائيل ففعل ذلك فأصاب كل واحد منهم اربعة غلمان وكان من أولئك
الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر
ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط اشر بن يعقوب
واربعة آلاف من سبط يهودا ابن يعقوب واربعة آلاف من سبط روبيل ولاوي
ابني يعقوب ومن بقي من سبايا بني اسرائيل جعلهم بخت نصر ثلاث فرق فثلثا
أقر بالشام وثلثا سبي وثلثا قتل وذهب بآواني بيت المقدس حتى أقدمها بابل
وذهب بالغلمان السبعين ألفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الوقعة
الأولى التي أنزلها الله على بني اسرائيل باحداثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا
جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد يعني بخت نصر وجنوده وكان
بدو بخت نصر على ما روى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير
قال كان رجل من بني اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا أولي
بأس شديد بكى وفاضت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال رب أرني
هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني اسرائيل على يديه فأرى في المنام أنه مسكين ببابل
يقال له بخت نصر فانطلق بمال واعبد له وكان رجلا موسرا فقيل له أين تريد
قال اريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكراها ليس فيها احد غيره فجعل
يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه فقال هل بقي مساكين
غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بخت نصر فقال لغلمانه انطلقوا
وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بخت نصر فقال لغلمانه احملوه فنقله
اليه ومرضه حتى برئ فكساه وأعطاه نفقة ثم أذن الاسرائيلي في الرحيل فبكى
بخت نصر فقال الاسرائيلي ما يبكيك فقال أبكي لأنك فعلت معي ما فعلت ولا أجد
شيأ اجازيك به فقال جزائي شئ يسير قال وما هو قال له ان صرت ملكا وملكت
بيت المقدس تعطيني ما اطلبه فجعل يتبعه ويقول له تستهزئ بي ولا يمنعه أن
يعطيه ما سأله الا أنه يرى انه يستهزئ به قال فبكى الاسرائيلي وقال قد علمت ما يمنعك
أن تعطيني ما سألتك الا ان الله تعالى يريد أن ينفذ قضاه فكتب له كتابا وضرب الدهر
ضربانه فقال يوما صيحون وهو ملك بابل لو أنا أرسلنا طليعة الى الشام قالوا
ما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فبعث رجلا وأعطاه مائة ألف فخرج
بخت نصر في مطبخه لم يخرج الا ليأكل في مطبخه فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة
أكثر أهل الارض فرسانا ورجالا جلدا فكبر ذلك في ذرعه فلم يسل ولم يسألهم عن شئ

وكان

وكان بخت نصّر دخل الشام ولم يزل يجلس مجالس اهل الشام ويسألهم ويقول لهم
ما منعكم ان تغزوا بابل فلو غزوتموها لنلتم منها شيأ كثيرا فقالوا انا لانحسن
القتال ولا نقاتل حتى انقد مجالس اهل الشام وعرف سرائرهم ثم ان الطليعة رجعت
فأخبروا ملكهم بما رأوا وكان بخت نصر رجع معهم فجعل يقول لفوارس الملك لو
دعانى الملك لاخبرته غير الخبر الذى اخبره فلان وفلان فرفع ذلك اليه فدعاه
فاخبره الخبر وقال ان فلانا لما رأى اكثر اهل الارض كراعا ورجالا لاجلد اكبر ذلك
فى ذرعه ولم يسألهم عن شئ وانى لم ادع مجلسا من الشام الا جلست فيه اسأل اهله
فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة
لبخت نصّر فضحتنى لك مائة الف دينار وترجع عما قلت فقال له لو اعطيتنى بيت
مال بابل ما رجعت عما قلت فضرب الدّهر بضرباته فقال الملك لو بعثنا جريدة
خيل الى الشام فان وجدوا مساغا ساغوا والا امسكوا ما قدروا عليه فقالوا ما ضرك
لو فعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذى اخبرنى بما اخبرنى فدعا
بخت نصّر فبعثه ثم انتخب معه اربعة الاف فانطلقوا وساقهم فجاسوا خلال
الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا وان صيحون الملك مات
فقالوا استخلفوا ملكا قالوا على رسلكم حتى تأتى اصحابكم فانهم فرسانكم فامتهلوا
حتى جاء بخت نصّر بالسّبى وما معه فقسمه بين الناس فقالوا ما رأينا احدا احق
بالملك منه فهذه القصّة الاولى فملكوه على انفسهم وقال السّدى باسناده
ان رجلا من بنى اسرائيل رأى فى المنام ان خراب بيت المقدس وهلاك بنى اسرائيل
على يد غلام يتيم ابن ارملة من اهل بابل يدعى بخت نصّر وكانوا يصدقون فتصدق
رؤياهم فأقبل يسأل عنه فنزل فى بيت امّه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى رأسه
حزمة حطب فالقاها ثم قعد فى جانب من البيت فكلمه ثم انه اعطاه ثلاثة دراهم
ثم قال له اشتر بهنّ طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا
فاكلوا وشربوا حتى كان اليوم الثانى فعمل به مثل ذلك حتى كان اليوم الثالث فعل به
مثل ذلك ثم قال له الاسرائيلى انى احبّ ان تكتب لى امانا ان ملكت يوما من الدهر
فقال بخت نصّر اتسخر بى قال انى لا اسخر بك ولكن ما عليك ان تجعل عندى لك يدا
فكلمته امّه فقالت ما عليك ان كان والا لم ينقصك شيا فكتب له امانا فقال ارأيت
ان جئتك والناس حولك قد حالوا بينى وبينك فاجعل لى علامة تعرفنى بها قال ترفع
صحيفتك على قصبة فاعرفك بها فكتب له امانا واعطاه اياه ثم ان ملك بنى اسرائيل
كان يكرم يحيى بن زكريا عليه السّلام ويدنى مجلسه ويستشيره فى امره ولا يقطع
امرا دونه وان الملك هوى ان يتزوج بنت امرأة له هذا قول السّدى وقيل كانت
بنت اخيه وهو الاصح ان شاء الله تعالى لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال

بعث الله عيسى ويحيى فى اثنى عشر الف من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما
نهاهم نكاح بنت الاخت قال وكان لملكهم ابنة اخ تعجبه يريد ان يتزوجها وكان لها
فى كل يوم حاجة يمنيها وذكر الحديث فى مقتل يحيى بن زكريا عليه السلام رجعنا
الى حديث السدى قال فسأله عن ذلك فنهاه عن نكاحها فقال لست ارضاها لك
فبلغ امها فحقدت على يحيى بن زكريا عليه السلام حين نهاه يحيى ان يتزوجها فعمدت
ام الجارية حين جلس الملك على شرابه فألبست ابنتها ثيابا حمرا رقاقا فاخرة وغمرتها
فى الحلى وطيبتها والبستها من الحلى شيا لا قيمة له من غايته والبستها فوق ذلك كسا
أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها ان تسقيه الخمر وان تتعرض له فان راودها عن
نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سالته فيكون الذى تسأله ان يؤتى برأس يحيى بن
زكريا فى طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتتعرض له فلما اخذ منه الشراب
راودها عن نفسها فقالت لا افعل حتى تعطينى ما اسئلك قال ما تسأليني قالت
اسئلك ان تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتينى برأسه فى هذا الطشت فقال ويحك
سليني غير هذا قالت ما اريد غير هذا فلما ابت عليه بعث اليه فأوتى برأسه فجعلت
الرأس تتكلم حين وضعت بين يديه وهى تقول انها لا تحل لك فلما اصبح الملك
واذا دمه يغلى فامر بالتراب فألقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلى فالقى عليه ايضا
فارتفع الدم فوقه فغلى عليه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو
مع ذلك يغلى فبلغ سنجاريب ملك بابل ذلك فنادى فى الناس واراد ان يبعث لهم
جيشا ويؤمر عليهم رجلا فاتى بخت نصر وكلمه وقال ان الذى ارسلت تلك المرة
ضعيف وانى قد دخلت المدينة وسمعت كلام اهلها فابعثنى فبعث بخت نصر حتى
اذا بلغوا ذلك المكان ورآهم اهله تحصنوا فى مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليه
المقام وجاع أصحابه ارادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بنى اسرائيل وقالت
اين امير الجند فاتى بها اليه فقالت له بلغنى انك تريد الرجوع بجندك قبل ان تفتح
هذه المدينة قال نعم وقد طال مقامى وجاع أصحابى فلست استطيع المقام فوق
الذى كان منى قالت ارأيت ان افتحت لك المدينة تعطينى ما اسألك وتفعل ما آمرك
به قال نعم قالت تقتل من آمرك بقتله وتكف اذا امرتك ان تكف قال لها نعم قالت
اذا اصبحت فاقسم جندك اربعة اقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا ايديكم
الى السماء ونادوا انا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا فانها سوف تتساقط ففعلوا
ذلك فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها فقالت له كف يدك واقتل على هذا الدم
حتى يسكن فقتل عليه سبعين الفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان
الله تعالى اذا قتل نبى لم يرض حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله وأتاه صاحب
الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن اهل بيته وخرب بيت المقدس وامر ان تطرح فيه

مطلب في ذكر قصة دانيال عليه السلام

الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته في تلك السنة واعانه على خرابه الروم من أجل ان بني اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بخت نصر ذهب ومعه وجوه بني اسرائيل وسراياهم * قصة دانيال عليه السلام * وذهب دانيال وقوم من اولاد الانبيا وذهب معه برأس ذلك الملك فلما قدم بخت نصر ارض بابل وجد سنجاريب قد مات فمكث مكانه واستقام له الامر واتت على ذلك مدة ثم ان بخت نصر رأى رؤيا عجيبة فافزعته فسأل عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها وتعبيرها فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن مع اصحابه وقد احبه صاحب السجن واعجب به لما رأى من حسن سيمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد احسنت الي وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله علي لاعبرها له فجاء السجان واخبر بخت نصر بقصة دانيال فقال علي به وكان لا يقف عليه احد الا سجد له فاتوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذي منعك من السجود لي فقال له ان لي ربا اتاني العلم والحكمة وامرني ان لا اسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره ان ينزع عني الحكمة والعلم الذي اتاني ويهلكني فاعجب به وقال نعم ما فعلت وقد احسنت حيث وفيت بعهده واجللت علمه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا قال نعم فابشر فاخبره رؤياه التي رآها قبل ان يخبره الملك ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما اخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بخت نصر رأى في منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربى الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأى شجرة اصلها في الارض وفرعها في السماء رأى عليها رجلا بيده فاس وسمع مناديا ينادي اضرب جذعها ليتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك اصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال اما الصنم الذي رايت راسه من ذهب فانت الرأس الذهب وانت افضل الملوك واما الصدر الذي رأيت من فضة فانه يملك ولدك من بعدك واما البطن الذي رأيت من نحاس فملك يكون بعد ولدك واما ما رأيت من الفخذ الذي من حديد ففارس يكونون الملوك واما الفخار يكون آخر ملكهم دون الحديد واما الحجر الذي رأيت قد وقع من السماء وربى حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبي يبعثه الله في آخر الزمان فيفرق ملكهم كله ويربو ملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب واما الشجرة والطير التي عليها والسباع والدواب التي تحتها وما امر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طائرا تكون نسرا عظيما ملك الطيور ثم يردك الله ثورا تكون ملك الدواب ثم يردك الله اسدا تكون ملك السباع والوحوش وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرناه سبع سنين في ذلك كله وقلبك قلب الانسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض

ومن عليها واما ما رأيت من ان اصلها قائم فان ملكك قائم فمسخ بخت نصّر نسرا في الطيور
وثورا في الدوابّ وأسدًا في الوحوش ثم ردّ الله له ملكه فآمن ودعا الناس الى عبادة
الله فسئل وهب بن منبه اكان مؤمنا أم لا فقال وجدت اهل الكتب اختلفوا في ذلك
فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه حرق بيت المقدس والكتب
التي فيها وقتل الانبيا وغضب الله عليه غضبا شديدًا فلم يقبل منه يومئذ توبة
قالوا فلما عبّر دانيال لبخت نصر رؤياه واخبره بها اكرمه واكرم اصحابه وجعل يقبل
عليه ويستشيره في اموره حتى كان اكرم الناس عليه واحبّهم اليه فحسده المجوس على
ذلك فوشوا له وباصحابه الى بخت نصّر فقالوا له ان دانيال واصحابه ما يعبدون
الهك ولا ياكلون ذبيحتك فدعاهم وسالهم فقالوا ان لنا ربّا نعبده ولسنا ناكل
من ذبيحتكم فأمر باخدود فخدّ لهم وألقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضاري
لياكلهم ثم قال انطلقوا الناكل ونشرب فذهبوا فاكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا
فوجدوهم جلوسا والسّبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم احدا ولم ينكاهم
بشئ ووجدوا معهم رجلا فخدّوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السّابع
وانما كانوا ستة فخرج اليهم السّابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بخت نصر لطمة
فصار في الوحوش والسّباع ومسخه الله سبع سنين ثم ردّه الى صورته وردّ عليه
ملكه قال السّدي فلما ردّ الله عليه ملكه كان دانيال واصحابه اكرم الناس عنده فحسدهم
المجوس ايضا ووشوا بهم ثانية وقالوا لبخت نصّر انّ دانيال اذا شرب الخمر لم يملك
نفسه ان يبول وكان ذلك فيهم عارًا فجعل لهم بخت نصّر طعاما وشرابا فاكلوا
وشربوا منه ثم قال للبوابين انظروا اول من يخرج عليكم ليبول فاضربوه بالطبرزين
فان قال انا بخت نصّر فقولوا كذبت وقولوا بخت نصّر امرنا فحبس الله عن دانيال
واصحابه البول فكان اول من قام من القوم يريد البول بخت نصّر فقام مدلا
وكان ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شدّ عليه فقال انا بخت نصّر
فقال كذبت ان بخت نصّر امرني ان اقتل كل من يخرج اول فضربه فقتله واما
محمد بن اسحاق بن يسار فانه قال في بخت نصر غير ما قال السّدي وذلك انه قال
باسناده لما اراد الله هلاك بخت نصّر قال لمن كان في يده من بني اسرائيل
ارايتم هذا البيت الذي خرّبت وهؤلاء الناس الذي قتلت من هم وما هذا البيت
فقالوا هذا بيت الله ومسجد من مساجده وهؤلاء اهله كانوا من ذراري الانبيا
فظلموا وتعدّوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوّهم بذنوبهم قال فاخبروني ما الذي
يطلع بي الى السّماء واطلع عليها فاقتل من فيها فأتخذها ملكا فاني قد فرغت من الارض
وما فيها قالوا وما يقدر عليها احد من الخلق قال لتفعلنّ او لاقتلنكم عن آخركم
فشكوا الى الله وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليريه ضعفه وهوانه فسلط

لعله بالطبر

الله

الله عليه بعوضة فدخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى مضت نؤم دماغه فما كان
يفتر ولا يسكن فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله اذا انا مت فشقوا رأسي
وانظروا ما الذي قتلني فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأم
دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقي في يديه من بني
اسرائيل وترحم عليهم وردهم الى ايليا والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا
على أحسن ما كانوا عليه فزعموا ان الله أحيى المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم
ثم انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بخت نصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد
من الله فجدد الله توراتهم وردها اليهم على لسان عزير وسنذكر القصة فيه
ان شاء الله تعالى وكان عمر بخت نصر فيل مسخه نيفا وخمسمائة عام وخمسين
يوما فلما مات بخت نصر استخلف الله فلسطاس وكانت آنية بيت المقدس
الذي حملها بخت نصر الى بابل عنده وكان ينجسها بلحوم الخنازير وشرب فيها
الخمر واقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزله دانيال فبينما فلسطاس قاعد ذات يوم
اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة احرف بمشهده ثم غابت فعجب
من ذلك وتحير ولم يدر ما هي فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله
أن يقرأ له ذلك ويخبره بتاويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن
فخفف ووعد فانجز وجمع فتفرق فقال أما قوله وزن فخفف أي وزن عملك في
الميزان فخفف ووعدها بحراي وعد ملكك بالخراب فخربه وجمع ... أي جمع لك ولوالديك من قبلك
ملكا عظيما ثم تفرق اليوم فلا يجتمع الى يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى
أهلكه الله تعالى وضعف ملكهم وبقي دانيال عليه السلام بأرض بابل الى أن
مات بالسوس والله اعلم * خبر وفاة دانيال عليه السلام * قال اهل الاخبار
لما فتح الله السوس على يد ابي موسى الاشعري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قتل ابو موسى الاشعري ملكها سابور واحتوا على المدينة فغنم ما فيها وأخذ
اموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزائن فيأخذ ما فيها حتى أفضى الى
خزانة مقفلة وقد ختم على قفلها بالرصاص فقال ابو موسى الاشعري لاهل
السوس ما في هذه الخزانة فاني أراها مختومة بالرصاص فقالوا له ايها الملك
ليس فيها شئ من حاجتك فقال لا بد لي من ان أعلم ما فيها فافتحوا بابها حتى
انظر ما فيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر فاذا هو
بحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد تعفن في اكفانه وهي
منسوجة بالذهب ورأسه مكشوف قال فتعجب ابو موسى من طوله وكذلك
كل من كان معه ثم انهم شبروا أنفه فاذا أنفه يزيد على شبر فقال ابو موسى
لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل

مطلب في ذكر وفاة دانيال

العراق اذا احبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فاصابنا من قحط المطر ما كان يصيب اهل العراق فأرسلنا اليهم وسألناهم أن يدفعوه الينا حتى نستسقي به فأبوا علينا فرهنا عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأى ان لا نرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى ان ادركه الموت فمات فهذه قصته وحاله قال فأقام ابو موسى الاشعرى بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب فى كتابه امر ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعا عمر اكابر الصحابة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبى غير مرسل كان فى قديم الزمان مع بخت نصر ومن كان بعده من الملوك وجعل على بن ابى طالب رضى الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصة دانيال من اولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى ابى موسى الاشعرى صاحبك ومره ان يصلى عليه ويدفنه فى موضع لا يقدر عليه اهل السوس فكتب عمر الى ابى موسى بذلك فلما قرأ ابو موسى كتاب عمر امر اهل السوس ان يكفوا نهرهم الى موضع آخر ثم امر بدانيال فكفن باكفان غير التى كانت عليه فوق تلك الاكفان ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم امر بقبر يحفر له فى وسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام فى نهر السوس والما يجرى عليه الى يومنا هذا والله اعلم قال الاستاذ رضى الله عنه فهذا الذى ذكرت جميع امر بخت نصر ما جاء فى التفسير الا أن رواية من يروى ان بخت نصر هو الذى غزا بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى غلط عند اهل السير والاخبار والعلم بأمور الماضين من اهل الكتاب والمسلمين وذلك انهم مجمعون على ان بخت نصر انما غزا بنى اسرائيل عند قتلهم نبيهم اشعيا وفى عهد ارميا عليه السلام وهى الوقعة الاولى التى قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعنى بخت نصر وجنوده قالوا ومن عهد ارميا وتخريب بخت نصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا اربعمائة سنة واحد وستون سنة وذلك انهم يعدون من لدن تخريب بخت نصر بيت المقدس الى آخر عمرانه فى عهد كورش بن احشوارش بن اصهيد بن قاتل بن تيمان بن اسفيديار ابن كشاسب سبعين سنة ثم من بعد عمرانه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس وحصاره ملكها وضمها الى مملكته ثمانية وثمانين سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا ثلاثمائة وثلاثون سنة وانما الصحيح من ذلك ما ذكره محمد بن

اسحاق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل الشام بعد خراب بخت نصر
بيت المقدس وسبيهم منها فجعلوا يحدثون الاحداث بعد
مهلك عزير عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقا
يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من انبيائهم زكريا
ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من اولاد داود وقتل يحيى بن زكريا بسبب
نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين اظهرهم وقتلوا يحيى
ابن زكريا وبعض الناس يقولون لما قتلوا يحيى بن زكريا بعث الله عليهم ملكا
من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم من بابل حتى دخل عليهم الشام فلما
دخل عليهم امر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنورازادان صاحب القتل
فقال له اني قد حلفت بالهي لان انا ظهرت وظفرت على اهل بيت المقدس لاقتلنهم
حتى تسيل دماهم وسط عسكري الا ان لا اجد احدا اقتل فامره ان يقتلهم حتى يبلغ
ذلك منهم وان بنورازادان دخل بيت المقدس فاقام في البقعة التي كانوا يقربون
فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسالهم عنه فقالوا هو دم قربان قربناه فلم يقبل
منا فلذلك هو يغلي كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فيقبل
منا الا هذا قال ما صدقتموني الخبر فقالوا له لو كان كاول دمائنا لقبل
منا ولكنه قد انقطعت منا الملوك والانبيا والوحي فلذلك لم يقبل فذبح منهم
بنورازادان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدئ الدم فامر
بسبعة الآف من سبيهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهد فلما رأى
بنورازادان الدم لا يهدى قال لهم ويلكم يا بني اسرائيل اصدقوني قبل ان افنيكم
واصبروا على امر ربكم فلقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون فيها ما شئتم قبل ان
لا اترك منكم نافخ نار لا انثى ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجد وشدة القتل صدقوه
الخبر وقالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله فلو انا
اطعناه فيها كان ارشد لنا وكان يخبرنا بامركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه يغلي
فقال بنورازادان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتموني لنيل نبيكم
هذا منكم فلما رأى بنورازادان انهم صدقوه ضحك وقال اغلقوا ابواب المدينة
واخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوش وابنوا من بقي من بني اسرائيل ثم قال يا يحيى بن
زكريا قد علم ربك ما اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم من اجلك فاهدى باذن
الله تعالى قبل ان لا ابقى احدا من قومك فهدى دم يحيى بن زكريا باذن الله تعالى
ورفع بنورازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به
وايقنت انه لا رب غيره فاوحى الله تعالى الى راس من رؤس بقية الانبياء ان بنوا
رزادان حنون صدوق وحنون بالعربية حديث الايمان ثم ان بنورازادان

قال لبني اسرائيل ان عدو الله خردوش امرني ان اقتل منكم حتى تسيل دماكم وسط عسكره وانى لست استطيع ان اعصيه فقالوا له افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا ثم امر باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم فى العسكر وامر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم وكانوا فوقهم فلما نظر خردوس الى ما فى الخندق من بنى اسرائيل وبلغ الدم الى عسكره ارسل الى بنوزاذان ان ارفع عنهم القتل فقد بلغنى دماهم ثم انه انصرف عنها الى بابل وقد افنى بنى اسرائيل او كاد ان يفنيهم وهى الوقعة الاخيرة التى انزل الله تعالى على بنى اسرائيل فى قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين الآيات وكانت الوقعة الاولى لبخت نصر وجنوده ثم رد الله لهم الكرة عليهم وكانت لهم الديانة والرياسة وكانت الوقعة الاخيرة لخردوش وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك قائمة وانتقل عن الشام ونواحيها الى الروم واليونانية الى ان تناسلوا بنو اسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك وكانت لهم الديانة والرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا فى نعمة ومنعة الى ان بدلوا واحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط الله عليهم فلسطوس وضرب عليهم الذل فليسوا فى امة من الامم الا وعليهم الصغار والجزية والملك فى غيرهم وبقى بيت المقدس خرابا الى ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمره المسلمون بامره

مطلب فى ذكر الذى مر على قرية

* باب فى ذكر الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال الله تعالى او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله الاية اختلفوا فى ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن انس والضحاك والسدى هو عزير بن سرخيا وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير هو ارميا بن حلقيا وكان من سبط هارون بن عمران وهو الخضر واختلفوا ايضا فى القرية التى مر عليها فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هى بيت المقدس وقال الضحاك هى الارض المقدسة وقال السدى هى سلماباد وقال الكلبى هى ديرساباد وقيل هى دير هرقل وقيل هى قرية العنب وهى على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب فى ذلك ما روى محمد بن اسحاق بن يسار عن وهب بن منبه ان بخت نصر لما وطئ الشام وخرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل وسباهم طار ارميا حتى خالط الوحوش فلما ولى بخت نصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل اقبل ارميا على حمار له ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى عاين ايليا فلما وقف عليها وعاين خرابها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها ثم ربط ارميا حماره بحبل جديد والقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه الروح مائة عام وعصيره وتينه عنده واعمى الله

عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع السباع والوحوش لحمه فلما مضى من موته
سبعون سنة ارسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوشك فقال
له ان الله يأمرك أن تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايليا وأرضها حتى تعود أعمر
ما يكون فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا
يعمرونها وأهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله تعالى من
بقى من بنى اسرائيل ولم يمت منهم احد ببابل وردهم الله جميعا الى بيت المقدس
ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما مضت
المائة عام على عزير أحيى الله منه عينه وسائر جسده ميتا ثم أحيى الله جسده وهو
ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء أيتها
العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعى فاجتمعت بعضها الى بعض واتصل بعضها
ببعض ثم نودى ان الله يأمرك أن تكتسى لحما ودما وجلدا فكان كذلك ثم نودى ان الله
يأمرك أن تحيى فقام حماره ينهق باذن الله تعالى وعمر الله أرميا فهو الذى
يوجد فى الفلوات * اخبرنى ابن فنجويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس
فى الجنة كلب ولا حمار الا كلب أهل الكهف وحمار ارميا الذى أماته الله مائة عام ثم
بعثه وقال ان الذين قالوا انه عزير ان بخت نصر لما خرب بيت المقدس
قتل اربعين الف رجل من قرآء التوراة والعلماء فيها وقتل فيهم ابا عزير وجده وكان
عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم فى العلم فاقدمه مع سبى بنى اسرائيل
الى ارض بابل وهو من ولد هارون وكان مع سبيه سبعة الاف من أهل بيت
داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل على دير هرقل على شاطئ
دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر
من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة تين وفضل العصير فى زق فلما
رأى خراب القرية وهلاك اهلها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها لم يشك فى البعث
ولكن قاله تعجبا ثم ربط حماره بحبل ونام فأماته الله مائة عام ثم بعثه فأتاه
جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وذلك ان الله
تعالى اماته ضحى واحياه آخر النهار وقبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو
يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال او بعض يوم
فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعنى التين
وشرابك يعنى عصير العنب لم يتسنه يعنى لم يتغير وانظر الى حمارك
قال قوم لم يمت حماره وقال الآخرون بل مات وأحياه الله تعالى
ثم قال انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم
ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة فى عنقه جديد لم يتغير وهذا قول الضحاك

وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها وقال آخرون اراد عظام حماره كما قدمنا ذكره فذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس اى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو انه عاد الى قريته شابا واولاده واولاد اولاده شيوخا والنسا عجائز وهو اسود الرأس واللحية اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما احيى الله عزيرا بعدما اماته مائة سنة فركب حماره حتى اتى محلته فانكره الناس وانكر الناس وانكر منازله فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عميا مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرين سنة وكانت امة له فخرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة وكانت عرفته وعقلته فلما اصابها الكبر واصابها الزمن فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت ما رأيت منذ كذا وكذا سنة يذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فانى انا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فانى انا عزير كان الله قد اماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه الله تعالى ويشفيه فادع الله تعالى ان يرد على بصرى حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا ربه ومسح بيده على وجهها وعينيها فاستجاب الله له فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم اخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته فقالت اشهد انك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم فى انديتهم ومجالسهم وابن العزير شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فى المجلس فنادت هذا عزير قد قدم وجاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم دعا ربه فرد على بصرى واطلق رجلى وزعم ان الله اماته مائة سنة ثم بعثه فيهم قال فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كانت لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير عليه السلام * باب فى

ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه قال الله تعالى وقالت اليهود عزير بن الله روى عطية العوفى عن ابن عباس قال كان عزير من اهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله ان يعملوا ثم اضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله تعالى انهم قد اضاعوها وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها من صدورهم فارسل الله عليهم مطرا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمشى كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا بعد ما نسخت التوراة وكان عزير قد امر علماءهم ان يدعوا الله تعالى فدعا الله هو واياهم وابتهل اليه ان يرد اليه ما نسخ من صدره

فبينما

فبينما هو يصلى مبتهل الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه
الذى كان ذهب من صدره من التوراة فأذن فى قومه وقال يا قوم قد آتانى الله التوراة
وردها الىّ فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم ثم ان التابوت
نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كان
يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتى عزير هذا الا لانه ابن الله قال
السدى وابن عباس فى رواية عمار بن أبى عمار انما قالت هذا لان العمالقة ظهرت
عليهم فقتلوهم واخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا كتب التوراة
فى الجبال وغيرها ولحق عزير بالجبال والوحوش وجعل يتعبد فى رؤس الجبال
ولا يخالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد وجعل يبكى ويقول يا رب تركت بنى
اسرائيل بغير عالم فجعل يبكى حتى سقطت اشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما
رجع فاذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من تلك القبور وهى تبكى وتقول
يا مطعماه يا مكسياه فقال لها عزير يا هذه اتقى الله واصبرى واحتسبى أما علمت
أن الموت سبيل الناس ثم قال لها ويحك من كان يطعمك ويسقيك ويكسوك قبل
هذا الرجل يعنى زوجها الذى كانت تندبه فقالت الله تعالى قال فان الله عز وجل
حى لا يموت أبدا قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله تعالى
قالت فلم تبك عليهم وقد علمت ان الموت حق وأن الله حى لا يموت فلما علم عزير انه
قد خصم ولى مدبرا قالت له يا عزير انى لست امرأة ولكنى الدنيا أما انه سينبع لك
فى مصلاك عين وتنبت شجرة فكل من ثمر تلك الشجرة واشرب من ماء تلك العين
واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ ويعطيك شيأ فما اعطاك فخذ منه فلما اصبح نبعت
العين فى مصلاه ونبتت شجرة ففعل ما أمر به فجاء شيخ وقال له افتح فاك ففتح فاه
قال فألقى فيه شئ كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعا كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال
له ادخل هذه العين فامش فيها حتى تبلغ قدمك قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه
الا زيد فى علمه فرجع اليهم وهو من أعلم الناس بالتوراة ثم قال يا بنى اسرائيل
قد جئتكم بالتوراة قالوا يا عزير ما كنت كذابا فربط على كل اصبع له قلما وكتب
بأصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه فأحيى لهم التوراة والسنة فلما
رجع العلماء استخرجوا كتبهم التى دفنوها وقابلوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها
فقالوا ما أعطى الله له هذا الا لانه ابنه وقال الكلبى ان بخت نصر لما ظهر على بنى
اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير اذ ذاك غلاما
صغيرا فاستصغروه فلم يقتلوه ولم يدروا أنه قد قرأ التوراة فلما مات مائة سنة
ورجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله
فيهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فأتاهم عزير وقال أنا عزير

فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة
ثم ان رجلا قال ان ابى حدثنى عن جدى ان التوراة جعلت فى خابية دفنت فى كرم فلان
فى موضع كذا فانطلقوا معه حتى احتفروها واخرجوا الخابية والتوراة فيها فاخذوها
وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوا غاب منها آية ولا حرف فعجبوا وقالوا ان الله
تعالى لم يقذف التوراة فى قلب رجل واحد منا بعد ما ذهبت من قلوبنا الا انه ابنه
فعند ذلك قالت اليهود عزير بن الله * مجلس فى ذكر غزوة بخت نصر العرب — مطلب فى غزوة بخت نصر العرب
وقصة يوحيا بن برخيا وخراب حضور قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت
ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله حصيدا خامدين قال هشام بن محمد
الكلبى وغيره كان بدو نزول العرب ارض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار منزلا
ان الله تعالى اوحى الى يوحيا بن برخيا بن زربابيل بن شنبسل وسنبسل هذا هو
اول من اتخذ الطفشيل وكان من ولد يهودا بن يعقوب ان ائت بخت نصر وامره
أن يغزو العرب فاخبره بما اوحى الله اليه وقص عليه ما امره به وذلك فى زمن معد بن
عدنان فاوحى الله تعالى الى يوحيا انى قد سلطت بخت نصر على اهل عرقة لا ننتقم به منهم
فعليك بمعد بن عدنان الذى من ولده النبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى اخرجه
فى آخر الزمان واختم به النبوة وارفع به من اطاعه فخرج تطوى له الارض حتى سبق
بخت نصر فلقى عدنان وقد تلقاه بطوله الى معد ولمعد يومئذ اثنى عشر سنة
فحمله يوحيا وردفه خلفه فانتهيا الى ارض نجران من ساعتهما قالوا ووثب بخت نصر
على من كان فى بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه للتجارة والمتاعات
والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبنا لهم حصنا من التحف على الارض المرتفع وحصنه
ثم ضمهم فيه فقيدوا ووكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى فى الناس بالغزو فتأهبوا
لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين
فاستشار بخت نصر فيهم يوحيا فقال ان خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك
اليهم رجوعا منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم واحسن اليهم قال فأنزلهم بخت نصر
على السواد على شاطئ الفرات والتقى بخت نصر العرب فهزمهم بخت نصر واثخن
فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان فى قومه من العرب وبخت
نصر بذات عرق ونادى مناد من جوف السما يا لثارات الانبيا فأخذتهم السيوف
من خلفهم ومن بين ايديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى
فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا اى تسرعون هاربين فأخذتهم
السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم
الاية فلما عرفوا انه واقع بهم أقروا بالذنوب فقالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين
فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى فما زالت

تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع بخت نصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فألقاهم فى الانبار فقيل أنبار العرب وانضم اليه المستأمنون من العرب وخلى بخت نصر أهل الدين بعد فراغه من غزو العرب فابتنوا لأنفسهم بلدين فسمى أحدهما الانبار والاخرى الحين وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا فى حياة بخت نصر فلما مات بخت نصر رجع معد بن عدنان معه وأنبياء بنى اسرائيل حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج الأنبياء معه

مطلب فى ذكر لقمان عليه السلام

* مجلس فى ذكر لقمان الحكيم عليه السلام * وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعنى العقل والعلم والعمل به والاصابة فى الامور واختلفوا فى نسبه فقال محمد بن اسحاق بن بشار هو لقمان بن باعور ابن ناخور بن تارخ وهو آزر وقال وهب كان ابن اخت أيوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب وقال الواقدى كان قاضى بنى اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا أسود اغليظ الشفتين مشقق القدمين وروى الأوزاعى عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب فسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فانه قد كان خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولقمان الحكيم كان أسود انوبيا من سودان مصر ذو مشافر حدثنا الامام أبو منصور الحمشاوى لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا وأخبرنى ابن فنجوية باسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول حدثنا أبو منصور الحمشاوى عنه باسناده أنه قال كان نبيا وقال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا صمصامة كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه الله فمن عليه بالحكمة كان نائما نصف الليل فجاءه النداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الأرض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم على فسمعا وطاعة فانى أعلم انه ان فعل بى أعاننى وعصمنى فقالت الملائكة لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان اصاب فأرجو أن ينجو وان أخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الاخرة تفته الدنيا ولا تبقى له الاخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودى

داود بعده فقبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك ويعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته واعطى داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة * باب في ذكر بعض ماروى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآيات أخبرنا أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مملوك على سيده قال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشئ من ثمره فجاؤا وليس معهم شئ وقد اكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاسقني واياهم ماء حميما ثم أرسلنا فلتقذفه ففعل فجعلوا يتقايئون الفاكهة وجعل لقمان يتقيأ ماء نقيا فعرف صدقه من كذبهم قال فأول ما رأى من حكمته أنه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يتجع منه الكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج على حكمته وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر أقواما على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعى لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال اخرج كرسيك وأباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أي شئ خاطرتموني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها موادا فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد اخبرنا ابن فنجويه باسناده عن خالد الربعي قال كان لقمان حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فقال له أما كان فيها شئ أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتني بأخبث مضغتين منها فجاءه باللسان والقلب فقال له امرتك ان تاتيني بأطيبها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تأتيني بأخبثها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب فقال انه ليس بأطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وأخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس أخبرنا عبد الله باسناده عن أبي هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له ألست العبد الاسود الذي كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني اخبرني الحسين بن محمد عن أبيه قال قال لقمان ضرب الوالد لولده كالماء للزرع وأخبرني اسماعيل عن ابن عباس عن عبد الله

مطلب في ذكر بعض حكم لقمان

ابن دينار أن لقمان قدم من سفر فتلقاه غلامه فى الطريق فقال له ما فعل أبى
قال مات قال الحمد لله ملكت أمرى قال فما فعلت امرأتى قال ماتت قال جدد
فراشى قال ما فعلت اختى قال ماتت قال سترت عورتى قال ما فعل أخى قال مات
قال انقطع ظهرى اخبرنا الحسين بن الحسن بن محمد باسناده عن شقيق قال
قيل للقمان أى الناس أشرف قال الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيأ وقيل للقمان
ما أقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على النافش وروى المحاربى عن
سفيان الثورى قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير
فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وليكن حشوها ايمانك بالله وشراعها التوكل على الله
فلعلك تنجو وما اظنك ناجيا يا بنى كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم فى كل
يوم ينقصون يا بنى خذ من الدنيا بلغة ولا تدخل فيها دخولا لا يضر فيها
باخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم
صياما يمنعك عن الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم يا بنى لا تتعلم
العلم لتباهى به العلما وتمارى به السفهاء أو ترائى به فى المجالس ولا تترك العلم
زهادة فيه ورغبة فى الجهالة يا بنى اختر المجالس على عزمك فان رأيت قوما
يذكرون الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما وان
تكن مستاهلا يعلموك ولعل الله أن يطالعهم برحمته فتعمك معهم واذا رأيت
قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فانك ان تكن عالما لا ينفعك علمك وان تكن
جاهلا يزيدوك جهلا فلعل الله يطالعهم بالعقوبة فتعمك معهم يا بنى لا تنشر
بذكر الا عند باغته كما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر
خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين
السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يا بنى كن عند الاخيار ولا تكن عند
الأشرار يا بنى كن أمينا تكن غنيا ولا تراءى الناس أنك تخشى الناس وقلبك
فاجر يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم
والطف بهم فى السؤال اذا تركوك ولا تعجزهم فيملوك يا بنى لا تطلب من الأمر
مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأى ويزرى بالفعل يا بنى ان
تأدبت صغيرا انتفعت به كبيرا يا بنى اذا سافرت فلا تنام على دابتك فان ذلك
سريع فى ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا أن يكون فى محمل يمكنه فيه
التمدد واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك ثم ابدأ بعلفها قبل نفسك فانها
نفسك قال واياك تبدأ بسفر من أول الليل وعليك بالتعريس والادلاج فى
نصف الليل الى اخره وسافر بخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك
ومخرزك وتزود معك الادوية تنتفع بها أنت ومن معك وكن لا صحابك

موافقا موافيا الا فى معصية الله يا بنى اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يا بنى لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضئ للناس ويحرق نفسه يا بنى لا تحقرن صغار الامور فان صغار الامور غدا تصير كبارا يا بنى اياك والكذب فانه يفسد دينك ويهين عند الناس مروئتك فعند ذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهان ولا يسمع منك اذا احدثت ولا تصدق اذا قلت ولا خير فى العيش اذا كان هكذا يا بنى اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب والزم نفسك التودد فى أمورك والصبر على مرورات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه وأظهر بشره وتنشطه حظي عند الأبرار وأحبه الأخيار وجانبه الفجار يا بنى لا تعلق نفسك الهموم ولا تشغل قلبك الأحزان والطمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك تقر بالزهد عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان أردت أن تجمع غناء الدنيا فاقطع طمعك مما فى أيدي الناس فانما بلغ الأنبياء والصديقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم مما فى أيدى الناس يا بنى ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل وقليل من قليل وبقى من القليل قليل يا بنى اجعل معروفك فى أهله ولا تضعه فى غير أهله فتخسر فى الدنيا وتحرم ثوابه فى الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطه تبذيرا يا بنى اكرم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وشيد أخلاق الحكمة يا بنى للحاسد ثلاث غلامات يغتاب صاحبه ان غاب ويتملق اذا شهد ويشمت بالمصيبة * مجلس فى قصة بلوقيا * أخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله الجزرقى باسناده عن عبد الله بن سلام الاسرائيلى قال كان فى بنى اسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبنى اسرائيل وكان قد عرف بعث النبى عليه السلام وامته فى التوراة فخبأه وكتمه عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه فى بنى اسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده اوشيا وبقى بلوقيا والامامة فى يده والقضاء فى يده ففتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا بقفل من حديد فسأل الخزان عن ذلك فقالوا لا ندرى فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه أوراق فيها نعت النبى صلى الله عليه وسلم وامته مختومة بالمسك ففكه وقرأه على بنى اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت وكتمته عن بنى اسرائيل من الحق ورده الى أهله فقال بنوا اسرائيل يا بلوقيا لولا انك امامنا وكبيرنا لنبشنا قبره وأخرجناه

مطلب فى قصة بلوقيا

منه

منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لاضير انما اتبع حظ نفسه وخسر في دينه ودنياه فالحقوا ببعث النبي صلى الله عليه وسلم وأمته في التوراة قال وكانت أم بلوقيا من الاحيا فاستأذن امه في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ ببلاد مصر فقالت له وما تصنع بالشام فقال أسال عن محمد وأمته فلعل الله تعالى ان يرزقني الدخول في دينه فأذنت له فبرز بلوقيا وقدم بلاد الشام فبينما هو يسير اذا انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كأمثال الابل عظما وفي الطول ما شاء الله وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأوه قلن له ايها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك فقال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهم بلوقيا أيتها الحيات من أنتن فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن هاهنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا الى هاهنا ثم نعود اليها فشدة الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم درك من دركاتها ولا باب من أبوابها ولا سرادق من سرادقاتها الا وقد كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا أيتها الحيات هل في جهنم مثلكن أو اكبر منكن فقلن ان في جهنم حيات تدخل احدانا في أنف احداهن وتخرج من فيها ولا تشعر بها لعظمها قال فسلم بلوقيا ومضى حتى أتى جزيرة اخرى فاذا هو بحيات كامثال الجذوع والسواري وعلى متن احداهن حية صغيرة صفرا كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فاذا نفخت صرن تحت الارض خوفا منها فلما رأيتها ورأتني قالت أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فأخبريني أيتها الحية من أنت قالت أنا موكلة بالحيات واسمي تمليخا ولولا أني موكلة بالحيات لقتلت بني آدم كلهم في يوم واحد ولكني اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتي دخلن الماء الذي تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فأتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الحبر فأتاه فسلم عليه فقال له يا بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بينك وبينه قرون وسنون ثم قال عفان الحبر يا بلوقيا أرني موضع الحية التي اسمها تمليخا فان قدرت أن أصيدها رجوت أن أنال معك ملكا عظيما ونحيا حياة طيبة الى أن يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل في دينه

فمن حرص بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال أنا أريك
المكان فقام عفان وأخذ تابوتا من حديد وعمل فيه قدحين من فضة في أحدهما
خمر وفي الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى انتهيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت
وتنحيا فجاءت الحية تبغي الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر
فسكرت ونامت فقام عفان ودب الى التابوت دبيبا خفيفا فأغلق عليها باب
التابوت وحصنه وأخذاها ومرا جميعا فلم يمرا بشجر ولا نبت إلا كلمهما
باذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها القرظ فقالت يا عفان من يأخذني
ويقطعني ويدقني ويعصر ماءي ودهني ويطلي به قدميه فانه يخوض البحار
السبعة فلا تبتل قدماه ولا يغرق فقال عفان اياك طلبت ثم انه قطع تلك
الشجرة فدقها وعصر دهنها وجعلها في كوز ثم خلى عن الحية فطارت بين
السماء والأرض وهي تقول يا بني آدم ما أجراكم على ربكم ولن تصلون الى ما
تريدون قال فذهبت الحية وسار عفان وبلوقيا الى البحر فطليا أقدامهما
ثم دخلا في اليم ومشيا في الماء كأنما كانا يمشيان على الأرض حتى قطعا البحر
الاول ثم الثاني فاذا هما بجبل في وسط البحر ليس بعال ولا ممتدان ترابه
كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير
شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على صدره والشمال
على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه تنين وخاتم بالشمال
وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكه في خاتمه وكان خاتمه
من ذهب وفصه من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل
سطر اسم من اسم الله الاعظم وكان عفان عنده علم من الكتاب فقال بلوقيا
من هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه
ونملك ملكه ونرجوا الحياة الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال
بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي
فأعطاه اياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان الى يوم القيامة لدعائه
فقال عفان يا بلوقيا اسكت ان الله معنا ومعنا اسم الله الاعظم ولكن
أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان
من اصبعه فقال التنين ما أجراك على ربك ان غلبتنا باسماء الله تعالى
فنحن نغلبك بقدرة الله تعالى قال فكلما نفخ التنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى
فلم تعمل نفخات التنين فيهما شيأ ودنى عفان من السرير لينزع الخاتم
من اصبعه فاشتغل بلوقيا بالنظر الى نزول جبريل عليه السلام من السماء
فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الأرض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت

مياه

مياه البحار وهاجت والتطمت حتى صار كل عذب مالحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج من بطنه شعلة كأنها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته في البحر فما مرت النفخة بشيء الا أحرقته ولا بماء الا سخنته وأغلته وان بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله الأعظم فلم ينله مكروها ثم تراآى له جبريل عليه السلام في صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجرأك على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله فقال له أنا جبريل أمين الله رب العالمين فقال بلوقيا يا جبريل انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطاء ولم أتعمده قال فبذلك نجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضى بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدهن فضل الطريق الذى جاء منه وأخذ في طريق اخرى فسار ومضى سبعة أبحر ووقع في السابع فاذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل والرمان فقال بلوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنى بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة يا خاطئ يا ابن الخاطئ لا تأخذ مني شياء فبقي متعجبا واذا بجذاء الشجرة قوم يتراكضون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم يثنا وشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رؤا بلوقيا أحاطوا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوآ فذكر بلوقيا اسم الله فتعجبوا منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا بأجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بني آدم فقالوا ما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقالوا نعرف آدم ولا نعرفك فما أوقعك الينا فقال انى خرجت في طلب نبي يسمى محمدا صلى الله عليه وسلم وانى قد ضللت الطريق الذى أردته ورأيت من الأهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن مؤمنون ونحن مع ملائكة الله في السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن هاهنا مقيمون نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامة ولسنا نموت الى يوم القيمة وأنت تصير معنا فقال بلوقيا لملك الجن وكان اسمه صخر يا صخر أخبرني عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسنة وخلق منها خلقين خلق في سمائه سماه جبليت وخلق في أرضه سماه تمليت فأما جبليت فانه خلق في صورة أسد وتمليت في صورة ذئب وجعل الاسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الأسد بمنزلة ذنب الحية وأمرهما أن ينتفضا في النار انتفاضة فسقط من ذنب

الذنب عقرب ومن ذنب الأسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك ثم
أمرهما أن يتناكحا فحملت الذئب من الأسد فولدت سبع بنين وسبع بنات
فأوحى الله اليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين
أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس وكان اسمه الحارث
وكنيته أبومرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وان دوابنا لا تثبت مع
الانس ولكنني اجلل فرسي وابرقعه حتى لا يعرف من راكبه واركب عليه
على اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمالي على ساحل بحر كذا وكذا فاذا
أنت بشيخ وشاب ومشائخ معهما فانك ستلقاهما هنالك فادفع الفرس اليهما
وامش في حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم
فسلم على الشيخ والشاب ونزل من على الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل
من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا
منذ كم فارقت الملك قال فارقته غدوة قالوا ما أسرع ما جئت قد اتعبت
فرسنا فقال بلوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه
ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء
والارض ليريح نفسه منك فكم تراه جاء بك قال خمس فراسخ أو اكثر قالا بل
جاء بك في مثل هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بين السماء
والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال فحلوا عنه السرج واللجام
والبرقع فاذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وله جناحان انقضا
وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا
والله لعجيب فقالوا عجائب الله لا تنقضي ثم سلم عليهما ومضى فركب اليم
فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو
يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت
أيها الخلق المخلوق قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم ثم
قال له بلوقيا ايها الملك ما اسمك قال اسمي يوحاييل وأنا
ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين
قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي يدي اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار
الليل ضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة
النور لأظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا وبين يدي لوح معلق
فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت
الظلمة واذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة واذا رأيت السطر الأبيض
يزداد زدت النهار واذا انتقص نقصت فكذلك الليل في الشتاء أطول من

النهار والنهار أقصر وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم بلوقيا ومضى
فاذا هو بملك قائم يده اليمنى في السماء ويده اليسرى في الارض وهو فيما تحت
الثرى وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك
ما أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم
ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال أصحابيل قال فما بالي أرى يمينك في
السماء وشمالك في الماء قال احبس الريح بيميني والماء بشمالي ولو رفعت شمالي
عن الماء لزخرت البحار كلها في ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله تعالى ويدي
اليمنى في الهوى أحبس الريح عن ولد آدم لأن في السماء ريحا تسمى الهائمة ولو
أرسلتها لنسفت من في السماء ومن في الارض قال فسلم بلوقيا ومضى فاذا
هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر
والثالث رأسه كرأس الأسد والرابع رأسه كرأس الانسان فأما الملك الذي
رأسه كرأس الثور فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبهم وارفع عنهم برد
الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم لهم الرأفة والرحمة كيلا
يكدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله
عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس النسر فيقول اللهم ارحم
الطيور وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف واجعلني من أهل شفاعة محمد
صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس الأسد فيقول اللهم
ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف وبرد الشتاء واجعلني
من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه
كرأس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وارحم المسلمين ولا تعذبهم وادفع عنهم النار واجعلني من أهل شفاعة
محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة قال بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جبل
قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل قاف محيط بالدنيا من
ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك
فقال له الملك من أنت قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم
فقال له الملك وأين تريد قال خرجت في طلب نبي من العرب يقال له محمد
ولست أدري أثره ولا أدري بأي بلاد أنا فقال له الملك لا اله الا الله محمد
رسول الله قد امرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي
حزقيائيل قال وما تصنع هاهنا قال أنا أمين الله على جبل قاف واذا في يده
وتر مرة يعقده ومرة يحله وعروق الارض كلها مشدودة عليه والوتر
في كف الملك فاذا أراد الله أن يضيق على عباده أمرني أن أمد الوتر وأعقده

وَاوثق عروق الارض فتضيق الدنيا على العباد وَاذا أراد الله أن يوسّع عليهم
أمرني أن ارخي الوتر فأفتق عروق الارض فتتسع الدنيا على العباد وَاذا أراد الله
أن يخوّف قوما أمرني أن احرّك عروق تلك الارض فمن أجل ذلك موضع
يهتز وَموضع لايهتز وَموضع يتزلزل وَموضع لايتزلزل قال بلوقيا أيّها
الملك ما وَراء ق قال وَراء ق أربعون دنيا غير الدنيا التي جئت منها في كلّ
دنيا أربعمائة ألف باب في كل باب أربعمائة ألف ضعف مثل الدنيا التي
جئت منها وَليست فيها ظلمة بل كلها نور وَأرضها ذهب عليها حجب من
نور وَسكانها الملائكة لايعرفون آدم وَلا ابليس وَلا جهنم وَهم يقولون
لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وَسلم بذلك ألهموا ولذلك خلقوا
وَبه أمروا الى يوم القيامة قال بلوقيا فما وَراءهم أيها الملك قال حجب وَوراء
الحجب علم الله وَقدرته قال بلوقيا اخبرني أيها الملك على أيّ شئ هذا الجبل
موضوعًا قال بين قرني ثور وَاسمه قربيطه وهوَ أبيض رَأسه بالمشرق
وَمؤخره بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وَهوَ ساجد لربّه
تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم الأرضون وَكم البحار قال
الأرضون سبع وَالبحار سبع قال فجهنم أين هي قال تحت الارض
السابعة قال فسلم عليه بلوقيا وَمضى حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء
وَأسفله في الماء عليه باب مقفل وَعليه خاتم من نور وَعلى الباب ملكان
أحدهما رأسه كرأس الثور وَالآخر رَأسه كرأس الكبش وَبدنه كبدن الثور
وَهم يقولون لا اله الا الله محمد رَسول الله قال فسلم بلوقيا فردّا عليه السّلام
وَقالا لبلوقيا أيها الخلق المخلوق ما أنت وَما اسمك قال اسمي بلوقيا وَأنا
من بني اسرائيل من وَلد آدم فقالا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله
عليه وَسلم هذه أسامي ما عرفناها قال كيف تعرفون محمدا وَما تعرفون آدم
وَمحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهذا امرنا وَلم نسمع باسم آدم وَلا اسرائيل
فقال بلوقيا افتحا الى الباب حتى أجوز فقالا ما نحسن فتحه فان لله ملكا
في السماء اسمه جبريل عسى أن يقدر على فتحه فدعا بلوقيا رَبه قال فأمر الله
تعالى جبريل عليه السّلام فنزل اليه وَفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجرأك
على الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحرين بحر مالح وَبحر عذب فلما صار الى
البحرين رَأى بينهما حاجز وَفي البحر المالح جبل من ذهب وَفي البحر العذب
جبل من فضة وَبينهما ملك على صورة النملة وَمعه ملائكة على تلك الصورة
فسلم عليهم بلوقيا فردّوا عليه السّلام وَقالوا من أنت فأخبرهم بقصته
ثم قال لهم بلوقيا من أنتم قالوا نحن امناء الله على هذين البحرين لايلتقيان

ولا يبغيان فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الاحمر قالوا هذا كنز الله فى الارض
فكل ذهب يظهر فى الارض من هذا الجبل الاحمر وكل ما فى الدنيا من ماء عذب
انما هو من ماء هذا البحر وهذا البحر انما يجئ من تحت العرش من قبل أن يخلق الله
الملائكة وكل ماء مالح فهو يجرى من ماء ذلك البحر وذلك الجبل الابيض
هو من فضة من كنز الله وكل فضة فى الدنيا ومعدن فضة فمن عروق
هذا الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كثيرة
عظيمة قد اجتمعت وبينهم حوت عظيم يقضى بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا
قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسلم عليه بلوقيا وأخبره
بحال النبى صلى الله عليه وسلم وأنه خرج يطلبه فرد عليه السلام ثم قال له
يا بلوقيا ان لقيت محمدا فاقرئه منى السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى
ثم انه قال أيها الحيتان انى جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وما أجد
ما آكل قال فقال الحوت الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما تسير أربعين
سنة لا تعيا ولا تنام ولا تجوع ولا تعطش قال فأطعمه ذلك الحوت قرصا
أبيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغها رأى شابا يجرى
على الماء كأنه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذى خلقنى فسار
بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر يمر على الماء ضوءه كضوء القمر فقال له
بلوقيا من أنت قال سل الذى خلقنى فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بثالث
كأنه القمر يلوح فى اخر الشمس فقال له بلوقيا انشدك الله الا ما وقفت على
فوقف وقال لبلوقيا لماذا تستحلفنى قال خشيت أن تفوتنى مثل أصحابك
الماضين فمن كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور والثانى ميكائيل صاحب
المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى فقال له بلوقيا
فما ذا تصنعون فى هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه فدعوا
عليها فاستجاب الله دعاءهم وانا امرنا أن نسوقها الى جهنم ليعذب الله
بها الكفار يوم القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة
ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة فقال بلوقيا ايكون فى جهنم
مثل هذه الحية أو اكبر منها قال نعم ان فى جهنم من الحيات ما تدخل
هذه الحية فى أنف احداهن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بها
من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى الى جزيرة اخرى فاذا هو بغلام
أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له يا شاب من أنت وما اسمك
قال اسمى صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبى والآخر قبر امى
وكانا صالحين فماتا هاهنا وأنا عند قبرهما حتى أموت فسلم عليه بلوقيا

ومضى حتى انتهى الى الجزيرة فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من
ذهب وعيناه من ياقوتة ومنقاره من لؤلؤ ويديه من زعفران وقوائمه
من زمرد واذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوي
فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام فقال له بلوقيا من أنت أيها
الطائر قال أنا من طيور الجنة وان الله تعالى بعثني الى آدم بهذه المائدة
لما اهبط من الجنة واني كنت معه حين لقي حواء وأباح الله له الاكل وأنا هاهنا
من لدن ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها
يأكل منها وأنا أمين الله عليها الى يوم القيامة فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص
فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا فأكل منها قال كل فأكل
حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معي أبو العباس يأتيني
أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فلما ذكر الخضر واذا به
قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة الا نبت الحشيش تحت قدميه
قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله فقال بلوقيا طالت غيبتي واريد
الرجوع الى امي فقال الخضر بينك وبين امك مسيرة خمسمائة عام وأنا
أردك اليها في مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائر ان كان بينك وبينها مسيرة
خمسمائة سنة فأنا أردك اليها في مدة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام
فأنا أردك اليها في ساعة واحدة ثم قال له أغمض عينيك فغمضهما ثم قال له
افتح عينيك ففتحهما فاذا هو جالس عند أمه فسألها من جاء بي قالت له
جئت على متن طير أبيض يطير بك بين السماء والارض فوضعك قدامي
ثم ان بلوقيا حدث بني اسرائيل بما رأى من العجائب والاخبار فأثبتوها
وكتبوها الى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب
في البحر والبر وسهلا وجبلا والله أعلم * مجلس في ذكر قصة ذي
القرنين عليه السلام * قال الله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين مطلب في ذكر ذي القرنين
قل سأتلوا عليكم منه ذكرا * باب في نسبه ولقبه قال اكثر
أهل السير هو الاسكندر بن فيلبس بن بطريوس بن هرمس بن هردش بن
منطون بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن ثوبة بن سرحون بن رومية
ابن بربط بن توفيل بن رومي بن الاصفر بن ايلثغوا بن العيص بن اسحاق بن
ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القدما أن الاسكندر هو أخو
دارا بن دارا وذلك أن دارا الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن كستاسب
كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانا
وأنها حملت الى زوجها دارا الاكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتال

في زوال ذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيرا من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها لبقية نتنها وعافها فردها على أهلها وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاما فسمته باسمها واسم الشجرة التي غسلت بمائها اسكندروس فهذا أصل اسمه ثم خفف فقيل اسكندر وكني بذي القرنين واختلفوا في سبب تسميته بذلك فقال بعضهم سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الأيسر وقيل لانه كان له ذوابتين حسنتين والذوابة تسمي قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وامه وقيل لأنه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لانه اعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله اعلم

قوله فسمته باسمها الخ الذي تقدم ان اسمها هلانا وسكندروس لم يكن فيه شئ من حروف اسمها ولا من معناه فتأمل أو يقال فسمته باسم الشجرة ولفظة باسمها مقحمة اهـ مصححه

مطلب في ذكر بدو أمر ذي القرنين

باب في ذكر بدو أمره وسبب استكمال ملكه قال الله تعالى انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا وقال قوم كان فيلسوف اليوناني أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الأصغر وكان أبوهما جد الاسكندر لانه ملك من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التي كان أبو الاسكندر يؤديها الى ملوك الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا عزيمة وقوة ومكر غزا ملوك الروم فقهرهم واستجمع له ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فأنس بذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الأصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فأجابه الاسكندر اني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض واكلت لحمها فلما وصل اليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤدبه بحسن صنيعه في امتناعه عن حمل الخراج اليه وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيز من سمسم واعلمه فيما كتب به اليه انك صبي وانه ينبغي لك أن تلعب بالصولجان والكرة التي بعثت بها اليك ولا تتقلد الملك ولا تتلبس به وانك ان لم تقتصر على ما أمرتك به ولا تتعاطى الملك ولا تستعصي والا بعثت اليك من يأتي بك في وثاق ولو كانت جنودك بعدد حب السمسم الذي بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر في جواب ذلك اني قد فهمت ما كتبت واني قد

قوله ملك فارس الذي تقدم أن دارا الاصغر أخو الاسكندر وهما ملكا الروم والذي هنا ان دارا الاصغر ملك فارس وهذا هو الاقرب الا أن يقال ان دارا الاصغر ملك الفرس ودارا الاصغر أخو الاسكندر غيره فلا تضاد اهـ مصححه

نظرت الى ما ذكرت فى كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بالارض وانى محتو على ملكك وأضيفه الى ملكى وأضيف بلادك الى بلادى وانى نظرت الى السمسم الذى بعثته الى كنظرى الى الصولجان والكرة وبعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب انما بعثت اليك بذلك لان جنودك مثل ذلك فلما وصل الى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة الاسكندر وان الاسكندر أيضا تأهب للقائه ونادى فى عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان مما يلى الخزر واقتتلا أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته وقيل ان أحدهما كان صنيعه فطعناه فأردياه عن مركبه وأرادا بطعنهما اياه الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دارا أسيرا ولا يقتل فاخبر بشان دارا فاسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره انه لم يهم قط بقتله وان الذى أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به ثقاته ثم قال له سلنى عما بدالك فاسعفك به فقال له دارا ان لى اليك حاجتين أحدهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتكا بى وسماهما وبلادهما والثانية أن تتزوج ابنتى زوستك فاجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأمر أن ينادى عليهما هذا جزاء من اجترى على ملكه وغش أهل بلده وتزوج ابنته زوستك وكان ملك دارا أربعة عشر سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا * باب فى ذكر الحوادث التى كانت فى ايام ذى القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره الى البلاد والآفاق قالت العلماء بأخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان فى بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بأرض الهند من بيوت الاوثان وقتل الفرائده وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد قال المرتضى فى سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثنى عشر ألفا فأحرقوها لحصول ذلك الذهب وبنى اثنى عشر مدينة منها ثلاث مداين بخراسان هراه ومرو وسمرقند ومدينة بأرض أصفهان فبنيت على مثال الحية ومدينة بارض اليونانية هيلافوس ومدينة بارض بابل لزوجته زوستك بنت دارا ومدينة الاسكندرية ثم انه رأى فى منامه انه اخذ بقرنى الشمس وأمر فى منامه أنه

مطلب فى ذكر الحوادث التى كانت فى أيام ذى القرنين

يسير

يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا واختلف العلماء فى نبوته فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدرى أكان ذو القرنين نبيا أم لا فلو صح الحديث لكان الخوض فى مثل هذه المسئلة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله انه كان نبيا غير مرسل لما روى وهب وغيره من اهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجل من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندروس ويقال كان اسمه عياش وكان عبدا صالحا فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين انى قد بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم وهذا تأويل رؤياك وانى باعثك الى امم الارض كلهم وهم سبع امم مختلفة ألسنتهم منهم امتان بينهما عرض الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث امم فى وسط الارض وهم الانس والجن ويأجوج ومأجوج فاما الامتان التى بينهما طول الارض فامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة اخرى بحيالها يقال لها منسك وأما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فامة فى قطر الارض الأيمن يقال لها هاويل والاخرى بحيالها فى قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله له ذلك قال ذو القرنين الهى انك قد ندبتنى الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فأخبرنى عن هذه الامم التى بعثتنى اليها بأى قوة أكابرهم وبأى جمع وحيلة أكاثرهم وبأى صبر اقاسيهم وبأى لسان اناطقهم وكيف لى بأن أفقه لغاتهم وبأى سمع اسمع أقوالهم وبأى بصر أنقدهم وبأى حجة اخاصمهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قوة قلب وحكمة ادبر أمرهم وبأى قسط أعدل بينهم وبأى علم اصابرهم وبأى معرفة أفصل بينهم وبأى علم ايقن امورهم وبأى يد أسطو عليهم وبأى رجل أطأهم وبأى طاقة احصيهم وبأى جند اقاتلهم وبأى رفق اآلفهم وليس عندى يا الهى شئ مما ذكرت يقوم لهم ويقوينى عليهم وأنت الرؤف الرحيم الذى لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقها بل أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك ما حملتك أشرح لك صدرك وسمعك فتسمع وتعى كل شئ وأشرح لك فهمك فتفقه كل شئ وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شئ وأفتح لك بصرك فتنقد كل شئ واحصى لك قوتك فلا يفوتك شئ وأشد لك عضدك فلا يهولك شئ وأشد لك ركنك فلا يغلبك شئ وأشد لك قلبك فلا يفزعك شئ وأشد لك يديك

فتسطو على كل شئ وأشدلك وطأك فتهلك كل شئ وألبسك الهيبة فلا
يروعك شئ وأسخرلك النور والظلمة وأجعلها جندا من جنودك يهديك
النور أمامك وتحوط بك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته
نفسه بالمسير وألح عليه قومه فلم يفعل وقال لا بد من طاعة الله تعالى
ثم أمرهم أن يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه
مائتي ذراع وعرض أساس حائطه أربعمائة وعشرون ذراعا وطوله في
السماء مائة ذراع وأمرهم أن ينصبوا فيه السواري قالوا كيف نصنع قال
اذا فرغتم من شان الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكبس مع حائط
المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره
وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا
من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم متمكنون من العمل كيف
شئتم على أرض مستوية وتجعلوا طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة
وعشرون ذراعا ومائتي ذراع فيما بين الحائطين لكل حائط اثني عشر ذراعا
ثم تدعو المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة
فمن حمل شيأ فهو له ففعلوا ذلك فاخرج المساكين ذلك التراب واستقر
السقف بما عليه واستغنى المساكين فكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم
أربعة أجناد في كل جند عشرة الآف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف
ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جند دارا ستمائة
ألف ومن المساكين أربعين ألفا ثم انطلق يؤم الأمة التى عند مغرب الشمس
فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة أى
ذات حماء ومن قرأ حامية بالالف من غير همز فمعناه حارة أخبرنا عبد الله
ابن حامد الاصفهانى باسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبى بن كعب
كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة وقال ابن عباس كنت
جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فقلت
ما نقرأها الا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأها قال اقرأها
كما قرأتها يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فأطلت الجدال معهما فأرسل
معاوية الى كعب فجاءه فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب
قال العربية فأنتم أعلم بها منى فانى أجدها في التوراة في ماء وطين
وأنشدك ما تزداد به تبصرا وهو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلى مسلما * ملك تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغى * أسباب أمر من حكيم يرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثاط حرمد
فقال معاوية ما الخلب يا كعب فقلت الطين بكلامهم قال فما الثاط قلت
الحماءة قال وما الحرمد قلت الاسود فدعا رجلا فقال اكتب القول هذا فلما
بلغ مغرب الشمس وجد جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى وقوة وناسا
لا يطيقهم الا الله تعالى ورأى ألسنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك
قوله تعالى وجد عندها قوما يعنى ناس فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة
فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم فى
مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن
به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت فى
أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت فى بيوتهم ودورهم
وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما خوفوا صاحوا وتحيروا
فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة
فدخلوا فى دعوته فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلها جندا واحدا ثم انطلق
بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور امامه يقوده ويدله
وهو يسير فى ناحية الارض الأيمن وهو يريد الامة التى فى قطر الارض اليمين
التى يقال لها هاويل وسخر الله له قلبه وجنده ويده ورأيه وعقله ونظره
فلا يخطى اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهى تتبعه حتى اذا انتهى
الى بحر أو مخاضة بها سفنا من ألواح صغار مثل النعال فنظمها فى ساعة ثم
يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم وتلك الجنود واذا اقطع البحار والانهار
فتقها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث حمله فلم يزل
ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل ففعل فيها كفعله فى ناسك فلما فرغ منها مضى
على وجهه فى ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند طلوع الشمس وجدها
تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله فى الأمتين اللتين قبلها
ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد ناويل وهى الامة التى
بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها
وجند جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك انهم كانوا فى مكان
لا يستقر عليه بناء وكانوا يكونون فى أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا
الى معايشهم وحروثهم وقال الحسن كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء
وكانوا اذا اطلعت الشمس عليهم تهوروا فى الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا
فتداعوا كما تتداعى البهائم وقال ابن جريج جاءهم مرة جيش للتفرج على طلوع

الشمس فنهاه أهلها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فنراها ثم انهم قالوا
ما هذه العظام فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فماتوا ههنا
قال فذهبوا هاربين في الارض وقال الكلبي هم امة يقال لها منسك حفاة
عراة عماة عن الحق قال وحدثنا عمر بن مالك بن امية قال وجدت رجلا
بسمرقند يحدث الناس وهم حوله مستمعون له مجتمعون فسألت بعض من
سمع حديثه فأخبرني أنه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت
حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان بينك وبينهم يوما وليلة
فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتى صبحتهم فاذا أحدهم
يفرش أذنه ويلبس الاخرى وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم فقالوا
له اذا انتظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة
الصلصلة فغشي علي فوقعت فلما أفقت قمت وهم يمسحون علي بالدهن
فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة
الفسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سربا لهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار
خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج والله
أعلم * باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به قال
الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون
قولا قالت العلماء بأخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من غزو الامم الذين هم
في أطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الارض
من الجن والانس ويأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع
الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذه
الجبال خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم أشباه البهائم يأكلون
العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما يفترس السباع ويأكلون حشرات
الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله في الارض
وليس لله خلق ينمو نماهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت اطلعت على ما ينمو
من نمائهم وزيادتهم فلا تشك أنهم سيملئون الارض ويخرجون أهلها منها
ويظهرون عليها ويفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا
ونحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك
خرجا أي جعلا وأجرا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا حاجزا فلا يصلون
الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي خير أي قواني عليه فأعينوني
بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال
فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال

مطلب في صفة سد ذي القرنين

آتونی زبر الحدید واحدتها زبرة وآتونی بالنحاس فقالوا من أین لنا الحدید والنحاس ما یسع هذا العمل قال سأدلكم علی معادن الحدید والنحاس واستخرج لهم معدنا آخر یقال له السامور وهو أشد ما خلق الله فی الأرض بیاضا وهو الذی قطع به سلیمان أساطین بیت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بین الجبلین ثم أوقد علی ما جمع من الحدید والنحاس النار وصنع منها زبرا مثل الصخور العظام ثم أذاب النحاس فجعله کالطین والملاط لتلك الصخور التی من الحدید ثم بنا وکیفیة بنائه علی ما ذکر أهل السیر أنه لما قاس ما بین الجبلین وجد ما بینهما مائة فرسخ فلما أنشأ فی عمله حفر له الاساس حتی بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسین فرسخا ثم وضع الحطب بین الجبلین ثم نسج علیه الحدید ثم نسج الحطب علی الحدید فلم یزل یجعل الحطب علی الحدید والحدید علی الحطب حتی ساوی بین الصدفین وهما الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فیه ثم قال انفخوا حتی جعل یفرغ القطر فیه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تأکل الحطب ویصیر النحاس مکان الحطب حتی لزم الحدید النحاس فصار برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحدید وغبرته فصار سدا طویلا عظیما حصینا قال تعالی فما اسطاعوا أن یظهروه أی یعلوه وما استطاعوا له نقبا قال قتادة ذکر لنا أن رجلا قال یا نبی الله قد رأیت سد یاجوج وماجوج قال انعته لی قال کالبرد الحبرة طریقة سودا وطریقة حمرا فقال له قد رأیته ویقال ان موضع السد وراء زخرد بغرب مشرق الارض بینه وبین الخزر مسیرة اثنین وسبعین یوما وذکر الواثق بالله أمیر المؤمنین کانه رأی فی المنام کأن السد مفتوحا فوجه سلام الترجمان فی خمسین رجلا وأعطاه خمسة الاف دینار وأعطی کل رجل من الخمسین خمسین ألف درهم ورزق سنة وأعطاه مائتی بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأی بکتاب من الواثق أبی اسحاق بن اسماعیل صاحب أرمینیة الی اسحاق وکتب له اسحاق الی صاحب السریر وکتب له صاحب السریر الی ملك اللان وکتب له ملك اللان الی الازالی طلجند فی بلاد شاه ملك الخزر فأقام عنده حتی اخذ معه خمسین رجلا ادلا فساروا خمسة وعشرین یوما حتی انتهوا الی أرض سودا منتنة الریح وکانوا قد حملوا معهم شیأ یشمونه من الرائحة الزکیة فساروا تسعة وعشرین یوما ثم سالوا عن سبب نتن الریح ما هی فقالوا مات هاهنا قوم ثم ساروا فی مدن خراب عشرین یوما فسألوا عن تلك المدن فقالوا انها قد ظهر فیهم یاجوج وماجوج فخربوها ثم ساروا الی حصون بالقرب من الجبل یتکلمون بالعربیة وبالفارسیة یقرؤن

القرآن ولهم كتاتيب ومساجد فقالوا لنا من هؤلاء القوم قلنا رسل أمير
المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين قالوا من أولاد العباس ملك بالعراق
فتعجبوا منه وقالوا شيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم فارقوهم
وساروا الى جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبلا مقطوعا بواد عرضه
مائة وخمسون ذراعا واذا عضادتان مبنيتان متقابلتان الجبل من جنبى
الوادى عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا الظاهر من تحتها عشرة
أذرع مبنية بلبن من حديد مركبة فى نحاس فى سمك خمسين ذراعا واذا دروند
من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على
العضادتين على كل واحدة مقدار عشرة أذرع فى عرض خمسة أذرع فوق
الدروند بناء بذلك اللبن الحديد المغيب فى النحاس الى رأس الجبل وارتفاع
مد البصر وفوق ذلك شرف من حديد فى طرف كل شرافة قرنان مبنى بعضها
الى بعض منظومة كل واحدة فى صاحبتها فاذا باب له مصراعان منصوبان
من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا فى ارتفاع خمسين ذراعا قائمتاهما
فى دورهما على قدر الدروند وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ
ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل
مقدار خمسة اذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف
معلق فى سلسلة طولها ثمانية أذرع فى استدارة أربعة اشبار والحلقة
التى فى السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع فى
طول مائة ذراع سوى ما فى العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا
كله بذراع السواد ورأس تلك الحصن تركب كل جمعة عليها عشرة فوارس
مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحدة منهن خمسون منا فيضرب
القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت
ويعلمون أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء ان أوليك لم يحدثوا فى الباب
حدثا فاذا ضربوا اصغوا اليه باذانهم فيسمعون من داخل دويا وبالقرب
من هذا الجبل حصن كبير عظيم يكون عشرة فراسخ فى مسيرة مائة فرسخ
لانها عشرة فى عشرة ومع الباب حصنان يكون كل واحد منهما مائتى ذراع
فى مائتى ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء
عين عذب فى أحد الحصنين آلة البناء التى بناها السد من قدور الحديد
ومغارف من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق بعضه ببعض
من الصدى واللبنة ذراع ونصف فى عرض شبر وسألنا اهل وراء ذلك
أحد من أهل ياجوج وماجوج فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف

فهبت

فهبت ريح سوداء فألقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل فى رأى العين
شبرا ونصف قال فلما انصرفنا أخذنا الأدلة على نواحى خراسان فعدلنا
اليها فوقعنا الى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن
زوّدونا الطعام ثم صرنا الى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل
كل رجل كان معى بخمسمائة درهم واجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل
ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الرىّ ورجعنا الى سرّ من رآى بعد ثمانية
وعشرين شهرا والله أعلم * باب فى دخول ذى القرنين

مطلب فى دخول ذى القرنين الظلمات

الظلمات مما يلى القطب الشمالى لطلب عين الحياة * روى عن على بن أبى طالب
كرّم الله وجهه أنه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان
له خليل من الملائكة اسمه رفاييل يأتيه ويزوره فبينما هما ذات يوم يتحدثان
اذ قال له ذو القرنين يا رفاييل حدثنى عن عبادتكم فى السماء فبكى وقال
يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان فى السماء من الملائكة من هو قائم
لا يجلس أبدا ومنهم الساجد لا يرفع رأسه أبدا ومنهم الراكع لا يستوى
قائما أبدا يقولون سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك
حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال انى احب أن أعيش فأبلغ
من عبادة ربى حق عبادته فقال رفاييل أوتحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم
قال رفاييل فان لله عينا فى الأرض تسمّى عين الحياة فيها من الله عزيمة
أن من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذى يسأل ربه الموت
فقال له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير انا
نتحدث فى السماء ان لله فى الأرض ظلمة لا يطاها انس ولا جان فنحن نظن
أن تلك العين فى تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة
الكتب وآثار النبوة فقال لهم اخبرونى هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله
تعالى وما جاءكم من الأحاديث وسألتم من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع
فى الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء انى
قرأت وصيّة آدم عليه السلام فوجدت فيها ان الله خلق فى الارض ظلمة
لم يطاها انس ولا جان ووضع فيها عين الخلد فقال ذو القرنين أين وجدتها
قال وجدتها فى الأرض التى على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين
وحشر اليها الفقهاء والاشراف من الناس والملوك ثم سار يطلب مغرب الشمس
فسار اثنى عشر سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا ظلمة تفور مثل الدخان
ليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال انى أريد أن
أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك انه كان من قبلك من الملوك

وَالانبيَاء لم يطاؤا هَذه الاَرض فلا تطأها فانا نخاف أن يَنفتح عليك أمر تكرهه وَيكون فيه فساد الاَرض وَمَن عليهَا فقال لَابد من أن اسلكها فقالوا أيها الملك كف عَن هَذه الظلمة وَلا تطلبها فانا لو نعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد وَلم يَسخط الله عَلينا لاتبعناك وَلكنا نخاف العيب من الله تعَالى وَفسادا فى الارض وَمن عليها فقال ذو القرنين لابد من أن أسلكها فقالت العلماء شانك بهذا فقال ذو القرنَين أىّ الدوَاب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وَأىّ الخيل بالليل أبصر قالوا الإناث قال وَأى الاناث أبصر قالوا البكارى قال فأرسَل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس انثى ابكارا ثم انتخب مِن عَسكره أهل الجَلد وَالعقل ستة آلاف رَجل فدفع لكل رَجل منهم فرسا وعقد للخضر عَليه السَّلام على مقدّمته على ألفين وبقى ذو القرنين فى أربَعة آلاف رَجل وَقال ذو القرنين لبقيّة عَسكره لا تبرَحوا مِن معسكركم هَذا الى اثنى عَشر سَنة فان نحن رَجَعنا اليكم وَالا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك انا نسلك الظلمة وَلا ندرى كم السّير فيها وَلا يبصر بَعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا أصَابنا فدَفع ذو القرنين الى الخضر عليه السّلام خرزة حمرَاء وقال لَه حَيث يصيبكم الضلال فاطرح هَذه فى الارض فاذا صَاحَت فليرجع اليهَا أهل الضلال اين صَاحت قال فسَار الخضر بَين يَدى ذى القرنين يرتحل الخضر وَيحط ذو القرنين فبينما الخضر عَليه السّلام يسير اذ عَرض له وَاد فظن الخضر أن العَين فى الوَادى وألقى فى قلبه ذلك فقامَ عَلى شفير الوَادى وَمكث طويلا ثم أجابته الخرزة فطلب صَوتها فانتهى اليها فاذا هى عَلى جَانب العين فنزع الخضر ثيَابه ثم دَخل العين فاذا ماء اشد بيَاضا من اللبن وَأحلى من الشهد فشرب وَاغتسَل وَتوضا وَلبس ثيَابه ثم انه رَمى الخرزة نحو أصحَابه فوَقعت وَصَاحَت فرَجع الخضر الى صَوتها والى أصحَابه فركب وَقال لاصحَابه سيروا عَلى اسم الله وَان ذو القرنين مَرّ فأخطأ الوَادى فسَلكوا تلك الظلمة فى أربَعين يَومًا ثم انهم خرَجوا الى ضوء ليس كضوء شمس وَلا قمر وَالارض حمراء رملة خشخاشية فاذا هم بقصر مَبنى فى تلك الاَرض طوله فرسخ فى فرسخ عَليه بَاب فنزل ذو القرنين بعَسكره ثم انه خرج وَحدَه حتى دخل القصر فاذا حَديدة قد وضع طرفاهَا عَلى جَانب القصر من هاهنا وَهَاهنا وَاذا طائر أسوَد يشبه الخطاف مزموما بأنفه الى الحَديدة معَلقا بين السّماء وَالاَرض فلما سمع الطائر خشخشة ذى القرنين فقال مَن هَذا قال أنا ذو القرنين فقَال الطائر يَاذا القرنين ماكفاك ما وَراءي حتى وَصَلت الىّ ثم قال يَاذا القرنين حَدثنى فقَال سَل فقال هَل كثر

بناء الجص والآجر في الارض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ
فبلغ ثلث الحديدة ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت شهادة الزور في الارض
قال نعم قال فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدة وسد ما بين جدرات
القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقا شديدا فقال الطائر
لا تخف حدثني قال سل قال هل ترك الناس شهادة أن لا اله الا الله بعد قال
لا فانضم الطائر الى ثلثه ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد
قال لا فعاد الطائر كما كان ثم قال يا ذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة
درجة الى أعلا القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدري على
ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب
قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع
خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال يا ذا القرنين ان
الساعة قد قربت واني منتظر أمر ربي يأمرني أن أنفخ في الصور ثم ان صاحب
الصور أخذ شيأ من بين يديه كأنه حجر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فان شبع
هذا شبعت وان جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى الى أصحابه
فحدثهم بأمر الطائر وما قال له وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع
علماء عسكره وقال اخبروني ما هذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك اخبرنا
ما قال لك صاحب الصور فقال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا شبعت وان
جاع جعت فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعو
في الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا
معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا
يضعوا حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فمال بالألف
جميعا فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسحر هذا أم علم ولا نعلمه
فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا أعلم علمه فاخذ الخضر عليه السلام
الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في أحد الكفتين
وأخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الاخرى ثم أخذ كفا من تراب
فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلما
سجدا لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله لقد وضعنا
معه ألف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك ان سلطان
الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى
خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم
والعالم بالجاهل وانه ابتلاني بك وابتلاك بي فقال ذو القرنين صدقت

فأخبرني ما هذا فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور
ان الله تعالى مكن لك في الارض والبلاد فأعطاك منها ما لم يعط أحدا من خلقه
وأوطأك منها ما لم يوط لاحد من خلقه فلم تشبع وأتيت نفسك شرهها حتى
بلغت من سلطان الله ما لم يطأه انس ولا جان فهذا امثلا ضربه لك صاحب
الصور ابن آدم لا يشبع ابدا حتى يحثى عليه التراب ولا يملى جوفه الا التراب
فبكى ذو القرنين ثم قال صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل لاجرم لا طلبت أثرا
في البلاد بعد مسيري هذا حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان في وسط
الظلمة وطئ الوادي الذي فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت
حوافر دوابهم ما هذا الذي تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان
من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيأ ومنهم من تركه فلما خرجوا
من الظلمة ونظروه اذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي ذي القرنين لو ظفر بوادي الزبرجد في مبداء أمره
ما ترك منه شياء حتى كان يخرجه الى الناس لانه كان راغبا في الدنيا ولكنه ظفر
به وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها ثم انه رجع الى العراق وملك ملوك الطوائف
كلها ومات في طريقه قبل وصوله بشهر وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
انه رجع الى دومة الجندل وكانت منزله فاقام بها حتى مات قالوا وكان عمره
ستة وثلاثين سنة وكان ملكه سبعة عشر سنة وكان قتل دارا في أول
السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى امه بالاسكندرية ودفن هناك قالوا
فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس من بعده فأبى واختار
النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم فيما قيل بطليموس بن لوسوع وكان
ملكه ثمانية وثلاثون سنة وكانت المملكة في حياة الاسكندر وبعد وفاته
الى أن تحول الملك الى الروم المصاص واليونانية ولبني اسرائيل بيت المقدس
ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك الى أن خرب بلادهم الفرس
والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكرياء عليهم السلام والله أعلم

مطلب في قصة زكريا وابنه يحيى

* مجلس في قصة زكرياء وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام * وهو
مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحاق بن بشار وغيره من اهل الاخبار
عمرت بنو اسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام
ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث
فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان أقرب
من بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه
السلام

مطلب في نسب زكريا عليه السلام

* نسب زكريا عليه السلام * هو زكريا بن يوحيا بن ادن بن مسلم بن

مطلب في ذكر مولد مريم

صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناخور بن سلوم
ابن نهفاساط بن ابابن رخيعم بن سليمان بن داود عليه السلام * باب
في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران
رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآيات قال المفسرون هي حنة بنت فاقود
من قبيل ام مريم جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن
ماثان وليس بعمران أب موسى وبينهما ألف وثمانمائة سنة وكان بنوا ماثان
رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقال ابن اسحاق هو عمران بن ساهم بن امور
ابن منسا بن خرقيا بن احرنق بن يوثان بن عزازيا بن امضيا بن ناوس بن نوثابن
بارض بن نهفاساط بن رادم بن ابابن رخيعم بن سليمان بن داود وكانت القصة
في ذلك ان زكريا بن يوحيا وعمران بن ماثان كانا متزوجان باختين أحدهما
عند زكريا بن يوحيا وهي اشياع بنت فاقود أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران
وهي حنة بنت فاقود أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت
وكانوا اهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائرا يطعم
فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت
اللهم لك علي ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته
وخزنته نذرا وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو
فقالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا أي عتيقا عن الدنيا وأشغالها خالصا
لله تعالى وخادما لبيتك المقدس حبسا عليه مفرغا لعبادة الله تعالى ولخدمته
فتقبل مني الكائن انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر ونذر
جعل المحرر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها
حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وان
أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة والخزنة ليكون
خروجه عن علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمائهم
الا من نسله محررا لبيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان وكانت الجارية
لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في
بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها ويحك ماذا صنعت أرأيت ان كان ما في
بطنك انثى وعورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك فهلك عمران
وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون
غلاما اعتذارا الى الله تعالى رب اني وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت
وليس الذكر كالانثى في خدمة الكنيسة والعباد التي فيها لعورتها وضعفها
وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى واني سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة

والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأفضلهن في وقتها * اخبرني الحسن بن محمد باسناده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين اربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واني اعيذها واجيرها اي أمنعها بك وذريتها من الشيطان الرجيم اخبرنا عبد الله ابن حامد باسناده انا ابو سهيل احمد بن محمد بن هرون باسناده عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم واخبرنا شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى وامه عليهما السلام جعل بينهما حجاب واصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شئ قال وذكروا لنا انهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الهاء راجعة الى النذرية اي فتقبل الله النذرية اي مريم من حنة وانبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير تشويه زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في المدة اليسيرة ما ينبت المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج وانبتها ربها في غذاها ورزقها نباتا حسنا حتى تمت امرأة بالغة قالوا فلما ولدت مريم اخذتها أمها حنة فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كما يلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها منكم لان عندي خالتها فقالت له الاحبار لا نفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس واقربهم اليها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلا الى نهر جار قال السدي هو نهر الاردن فالقوا اقلامهم اي سهامهم وقيل اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت اقلامهم ورسبت في الماء قاله ابن اسحاق وجماعة وقال السدي بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كانه في طين وجرت اقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بأمرها وقال ابن اسحاق فلما كفلها زكريا ضمها الى خالتها ام يحيى واسترضع لها حتى اذا نشأت وبلغت مبالغ النساء بنا لها محرابا

اي

اي غرفة في المسجد وجعل بابه الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب
الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها في كل
يوم وكان زكريا عليه السلام اذا خرج اغلق عليها بابها فاذا دخل عليها غرفتها
وجد عندها رزقا اي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة
الشتاء في الصيف فيقول لها انى لك هذا فتقول هو من عند الله من قطف الجنة
قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا
من اين لك هذا فتقول هو من عند الله قال الحسن وكانت وهي صغيرة يأتيها
رزقها وقال محمد بن اسحاق ثم اصابت بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك من
حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج الى بني اسرائيل وقال يا بني اسرائيل
تعلمون والله اني لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فايكم يكفلها بعدي
فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من الجهد ما ترى فتدافعوها بينهم
ثم لا يجدوا من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل صالح
نجار من بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عم
مريم فحملها قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له
يا يوسف احسن الظن بالله فان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق لمكانها
منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها وهي في الكنيسة
انماه الله تعالى وكثره فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس
بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب اخبرنا عبد الله بن حامد باسناده
عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام اياما لم يطعم
طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل ازواجه فلم يصب في بيت
احد منهن شيأ فاتى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنية هل عندك شيء آكل
فاني جائع فقالت لا والله بابي انت وامي فلما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من عندها بعثت اليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم فاخذته منها
ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لاوثرن بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم على نفسي ومن عندي وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة من طعام
فبعثت حسنا او حسينا الى جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت
بابي انت وامي يا رسول الله قد آتانا الله بشيء فخبأته لك قال فهلمي به فاتي به
فكشف عن الجفنة فاذا هي مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت اليه بهتت وعرفت
انها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه فقال عليه السلام من اين
لك هذا يا بنية قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب

فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة
بسيدة نساء بنى اسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه
قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فاتى فاكل الرسول وعلى وفاطمة
والحسن والحسين وجميع أزواج البنى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم
جميعا حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هى قالت فاطمة رضى الله عنها وأوسعت
منها على جميع جيرانى وجعل الله فيها بركة وخيرا طويلا وكان أصل الجفنة
رغيفين وبضعة لحم والباقى بركة من الله تعالى * باب فى مولد
يحيى بن زكريا عليهما السلام * قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب
هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء بأخبار الانبياء
لما رأى زكريا عليه السلام ان الله يرزق مريم الفاكهة فى غير حينها قال ان الذى
قدر على أن يؤتى مريم بالفاكهة فى غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر
على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولدا على الكبر فطمع فى الولد وكان أهل بيته
قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك أى فعند ذلك دعا
زكريا ربه قال رب هب لى أى أعطنى من لدنك ذرية طيبة نسلا نقيا صالحا
رضيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعنى جبريل وذلك أن زكريا كان
الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى
يأذن لهم بالدخول فبينما هو فى محرابه عند المذبح قائم يصلى والناس ينتظرون
أن يأذن لهم بالدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه
وهو جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى فذلك قوله تعالى
وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى واختلفوا فيه لم سمى
يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى أحيى به عقر أمه وقال قتادة وغيره لان
الله تعالى أحيا قلبه بالايمان والنبوة وقال الحسن بن الفضل لان الله تعالى
أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية دليله ما أخبرنى به الحسن
ابن فنجوية باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من أحد يلقى الله عز وجل قد هم بخطيئة أو عملها الا يحيى
ابن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل قال الاستاذ وكان شيخنا أبو القاسم الجنيد
يقول سمى بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال البنى
صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة
قال وسمعت أبا منصور الحمشاوى يقول قال عمر بن عبد الله المقدسى
أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام أن قل لسارة وكان اسمها كذلك

مطلب فى مولد يحيى ابن زكريا

اني مخرج منكما عبداً لا يهم بمعصيتي اسمه حي فهبي له من اسمك حرفاً فوهبت
له أول حرف من حروفها الياء فصار يحيى مصدقاً بكلمة من الله يعني عيسى
عليه السلام فسمي كلمة لان الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقع عليه
اسم الكلمة لانه بها وجد ويحيى أول من آمن به وصدقه وذلك أن أمه كانت
حاملة به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أم يحيى يا مريم
أحامل أنت فقالت لماذا تقولين هذا قالت اني أرى ما في بطني يسجد لما
في بطنك فذلك تصديقه له وايمانه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر
وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل
ان يرفع عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيداً السيد الفقيه
العالم وقال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك
السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذي لا يغضب وقال سفيان الذي
لا يحسد وحصوراً قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي
النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات
وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذي لا باءة له ودليل هذا التأويل
ما أخبرني به ابن فنجوية باسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه
يعذبه عليه ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيداً وحصوراً
ونبياً من الصالحين ثم أومأ النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض
فأخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاة وقال المدني الحصور الذي لا يدخل
في اللعب ولا الأباطيل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب
أي يا سيدي قاله لجبريل هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل
انما قال زكريا يا رب لله لا لجبريل اني يكون لي غلام من أين يكون لي
ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر لا تلد عقيم قال الكلبي كان زكريا
يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة
وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت
امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فاجيب كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل
لم انكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أكان ذلك شكاً في وحيه
أم انكاراً لقدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان فكيف الأنبياء
فالجواب عنه ما قال عكرمة والسدي أن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه
الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله وانما هو صوت
الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحاه اليك خفية كما ناديته خفية

وكما يوحى اليك فى سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو انه لم يشك فى الولد وانما شك فى كيفيته والوجه الذى يكون منه الولد فقال انى يكون لى ولد اى كيف يكون لى ولد اتجعلنى وامرأتى شابين أم ترزقناه كذا على كبرنا أم ترزقنى من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك مستخبرا لا منكرا وهذا قول الحسن قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل بكليتك على عبادتى وطاعتى لأنه حبس لسانه من الكلام ولكنه نهى عنه يدل عليه قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار هذا قول قوم من اهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة ايام الا رمزا أى اشارة وعلى هذا اكثر المفسرين وقال عطاء اراد بر صوم ثلاثة ايام لأنهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا فولد يحيى بن زكريا عليه السلام وفى بعض الاخبار انه لما ولد يحيى رفع الى السماء تغذى بانهار الجنة حتى فطم ثم انزل الى ابيه وكان يضئ البيت لنوره وحسن وجهه وجماله * باب

مطلب في صفة يحيى

فى صفته وحليته عليه السلام قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر قصير الاصابع طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الغيرة قويا فى طاعة الله تعالى وقد ساد الناس فى عبادة الله وطاعته * فصل فى نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل ان يحيى قال له اترابه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون انه نبئ صغيرا فكان يعظ الناس ويقف لهم فى اعيادهم وجمعهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل وامره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلا فامرهم أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيأ وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبيدا من خالص ماله ثم اسكنهم داراله ودفع لهم ما لا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منه ما يكفيه ويؤدوا اليه فضل الربح فعمد العبيد الى فضل الربح فدفعوه الى غير سيدهم وامرهم بالصلاة فقال ان مثل المصلى كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فاقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يمينا وشمالا ولم يهم بحاجته فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وامرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل اسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدى اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق وامرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل

مطلب في سيرة يحيى

قوم لهم حصن ولهم عدو فاذا اقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر
عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وامرهم بالصيام
وقال مثله كالجنة لا يصل عدوه اليه * واما سيرته فروى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال كان من زهد يحيى انه اتى بيت المقدس فنظر الى
المجتهدين من الاحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر والصوف وبرانس
الصوف واذاهم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوها الى
سوارى المسجد فلما نظر الى ذلك اتى امه فقال يا اماه انسجي لى مدرعة من
شعر وبرنسا من صوف حتى آتى الى بيت المقدس واعبد الله تعالى مع الاحبار
والرهبان فقالت له امه حتى يأتي نبي الله زكريا عليه السلام فأوامره في ذلك فلما
دخل زكريا اخبرته بما قال لها يحيى فقال له زكريا يا بني ما ندعوك الى هذا وانما انت
صبي صغير فقال له يا ابت اما رايت من هو اصغر مني ذاق الموت قال بلى فقال
يحيى لامه انسجي لى مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع المدرعة
على بدنه ووضع البرنس على راسه ثم اتى بيت المقدس واقبل يعبد الله مع
الاحبار والرهبان حتى اكلت مدرعة الشعر لحمه فنظر ذات يوم الى ما قد نحل
من جسمه فبكى فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى اتبكي لما قد نحل من جسمك وعزتي وجلالي
لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدرعة الحديد فضلا عن المسوح
فبكى يحيى حتى اكل الدمع لحم خديه وبدى للناظرين اضراسه فبلغ ذلك
امه فدخلت عليه واقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا
لابنه يحيى ما ندعوك لهذا يا بني انما سألت ربي ان يهبك لي لتقربك عيني
قال انت امرتني بذلك يا ابت قال ومتى قال الست القائل ان بين الجنة
والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا الباكون من خشية الله تعالى قال
بلى قال فجد واجتهد وقام يحيى فنفض مدرعته فاخذته امه فقالت أتأذن
لى يا بني ان اتخذ لك قطعتين من لبد يواريان اضراسك وينشفان
دموعك فقال لها شانك فاتخذت له قطعتين لبد يواريان اضراسه
وينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه ثم اخذهما فعصرهما فتحدرت
الدموع من بين اصابعه فنظر زكريا الى ابنه والى دموع يحيى فرفع راسه الى السماء
وقال اللهم ان هذا ابني وهذه دموع عينيه وانت ارحم الراحمين وكان زكريا
اذا اراد ان يعظ بني اسرائيل التفت يمينا وشمالا فاذا راى يحيى لم يذكر جنة
ولا نارا فجلس يوما يعظ بني اسرائيل واقبل يحيى قد لف راسه بعباءة وجلس
في غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فانشأ يقول حدثني حبيبي
جبريل عن الله عز وجل ان في جهنم جبلا يقال له السكران في اصل ذلك الجبل واد

يقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى فى ذلك الوادى جب قامته مائة عام فى ذلك الجب توابيت من نار فى تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه فقال واغفلتاه من السكران ومن غضب الرحمن ثم خرج هائما على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها يا أم يحيى قومى فاطلبى يحيى فانى قد تخوفت أن لا نراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت فى طلبه فمرت بفتيان من بنى اسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدين قالت أطلب ولدى يحيى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرت براعى غنم فقالت يا راعى هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا قال لعلك تطلبين يحيى بن زكريا قالت نعم ذلك ولدى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا ناقعا قدميه فى الماء رافعا يديه الى السماء يقول وعزتك يا مولاى لا أذوق بارد الشراب حتى أنظر الى منزلتى منك فأقبلت أمه فلما رأته دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين يديها وقالت وهى تناشده بالله أن ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك أن تخلع مدرعتك الشعر وتلبس مدرعة الصوف فانه لين ثم انها طبخت له عدسا فأكل واستوفى فذهب به النوم فلم يقم لصلاته فنودى فى منامه يا يحيى أردت دارا خيرا من دارى وجوارا خيرا من جوارى فاستيقظ وقام وقال رب أقل عثرتى وعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لامه ناولينى مدرعة الشعر فقد علمت انكما ستوردانى المهالك فتقدمت اليه أمه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا يا أم يحيى دعيه فان ولدى قد كشف له عن قناع غفلته ولن ينتفع بالعيش فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله مع الأحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم * باب

فى مقتله عليه السلام اختلف العلماء فى سبب قتله فقال بعضهم كان يحيى عليه السلام فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل وكان له امرأة وهى ابنة ملك صيدا وكانت قتالة للأنبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيى يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزى كاشفة وجهك وكان كثيرا ما يقول لها مكتوب فى التوراة ان الزناة يوقفون يوم القيامة وريحهم أنتن من الجيف فأمرت بيحيى فسجن وكان قد حبس رجل من أولاد الملوك وكان كثيرا ما يختلف اليها بالليل فعلم بها وبه يحيى فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فجملت بنتا لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لم فعلت ذلك فقالت

مطلب فى مقتل يحيى

وجب لها عليك حق فقال سلي ما شئت فقالت البنت استوهبت منك أهل الحبس أصنع بهم ما شئت فظن أبوها أنها ترحمهم و تسرحهم فقال أبوها قد فعلت فأمرت امها بأهل السجن فعرضوا عليها فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح فى طشت ثم حملت الطشت الى أبيها بأمرها و قالت أيها الملك انى قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم ما وجدته ولو كان مثله ألف لذبحتهم لك قال وما هو قالت يحيى بن زكريا فقال هلكت وأهلكت أبويك فغير الله ما بهم من النعم و سلط عليهم عدوا فذبح البنت و أبويها و سلط عليهم الكلاب و السباع حتى أكلتهم * وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى بن مريم و يحيى بن زكريا فى اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان لملكهم بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكان لها فى كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ ذلك امها انه ينهاه عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك فقولى حاجتى أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها حاجتها فقالت حاجتى أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلي غير هذا فقالت ما أسئلك الا هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا و دعى بطشت فذبحه فيه فنبذت من دمه قطرة فلم تزل تغلى حتى بعث الله عز وجل بخت نصر عليهم فجاءت عجوز من بنى اسرائيل فدلته على ذلك الدم فألقى الله فى قلبه أن يقتل على ذلك الدم حتى يسكن فقتل سبعين ألفا منهم على سن واحد فسكن و قال السدى باسناده كان ملك بنى اسرائيل يكرم يحيى بن زكريا و يدنى بمجلسه و يستشيره فى أمره ولا يقطع أمرا دونه وأنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحيى فنهاه عن ذلك و قال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت ام الجارية حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها من الحلى وألبستها فوق ذلك كساء أسود و أرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه و أن تتعرض له فاذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا أعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا فى طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه و تتعرض له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطينى ما أسألك قال وما تسأليني قالت أن تبعث الى برأس يحيى بن زكريا فى هذا الطشت قال ويحك سليني غير هذا قالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه بعث اليه فأوتى برأسه و الرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلى فأمر بتراب فألقى عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلى ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور

المدينة وهو مع ذلك يغلي وذكر الحديث الطويل الذي في قصة سنجاريب وبخت نصر كما قدمنا ذكره في أخبار بخت نصر وقالت علماء النصارى الذي قتل يحيى ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيرودوس بسبب امرأة يقال لها هردويا كانت امرأة أخ له يقال له فلفوس عشقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيى وأعلمه أنها لا تحل له فسألت المرأة هيرودوس أن يأتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط في يديه وجزع جزعا شديدا قال كعب الاحبار كان يحيى من أجمل الناس وجها وأحسنهم في زمانه فاحبته امرأة الملك الذي كان في زمانه حبا شديدا فارسلت اليه تراوده عن نفسه فأرسل اليها انه لا علم له في النساء والملك أحق أن يطأ فراشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لي أن أقتله ولا يخبر الناس اني قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فارسلت اليه وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود من يضرب عنقه ويأخذ رأسه فلما أرادوا أن يأخذوا رأس يحيى خسف الله بها وبأهلها عقوبة بقتلها يحيى عليه السلام * ذكر مقتل زكريا عليه السلام قال كعب الاحبار فلما سمع زكريا أن ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم فانطلق هاربا في الارض حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يا نبي الله الي ههنا فلما أتاها انفتقت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم فلذلك تصنع اليهود الخيوط في أطراف أرديتهم لا يدرون لما امروا بذلك وأخذ الملك وأهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم ابليس اللعين لعنه الله فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس انه دخل في هذه الشجرة قالوا لا نصدقك قال فاني ان أريتكم علامة تصدقوني بها قالوا فارنا اياها فأراهم طرف ردائه فأخذوا المناشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين فسلط الله عليهم أخبث اهل الارض علجا مجوسيا فانتقم الله به من بني اسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظماء بني اسرائيل وسبى منهم مائة وسبعين ألفا وقيل ان السبب في قتل زكريا ان ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف بمريم زكريا وقال ما أحبلها أحد غير زكريا وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعه سفهاؤهم وأشرارهم فسلك واديا كثير الاشجار فتشبه له الشيطان في صورة راع فقال يا زكريا قد أدركوك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها وخرج هدب ردائه منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعي هل رأيت رجلا ها هنا قال نعم انه أتى هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدب ردائه

مطلب في ذكر مقتل زكريا

فقطعوا

فقطعوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فلقتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفى الخبر ان الشمس بكت على يحيى أربعين صباحا وكان بكاؤها ان طلعت وان غربت حمراء ويروى أن يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله أعلم * مجلس فى مولد عيسى عليه السلام وفى حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به قال الله تعالى واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قالت العلماء بأخبار الانبياء لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمسة عشر سنة وقيل بنت ثلاثة عشر سنة وكان مع مريم فى المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليما نجارا يتصدق بعمل يده وكان يوسف ومريم فيما ذكر فى خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التى فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم فى السنة وأشده حرا نفد ماؤها فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقى فقال ان عندى لفضلا من ماء اكتفى به يومى هذا الى غد قالت ولكنى والله ما عندى ماء فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثنى اليك لأهب لك غلاما زكيا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أى مؤمنا مطيعا قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه علمت أن التقى ذو رحمة وخشية وهى تحسبه رجلا من بنى آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها فى صورة رجل شاب أمرد مضئ الوجه جعد الشعر سوى الخلق قالت الحكماء انما أرسله الله فى صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدر على استماع كلامه ولو انزل على صورته التى هو عليها لفزعت ونفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ جيب درعها وكانت وضعته فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد وقال السدى وعكرمة ان مريم عليها السلام تكون فى المسجد ما دامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أى مشرقيا لانه كان فى الشتاء فى أقصر يوم من السنة قال الحسن انما اتخذت النصارى المشرق

مطلب فى مولد عيسى عليه السلام

قبلة لأن مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا
أي سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هي كذلك في تلك
الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ في جيب درعها قال وهب فلما
اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا
منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من
أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان
لخدمته فضل عظيم وكانا يليان معالجته بأنفسهما وتجميره وتطهيره وكان
لا يعلم في زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من انكر حملها ابن عمها
وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذي بها استعظمه وقطع به ولم يدر ماذا يصنع
من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه
ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك
عليه كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد وقع في نفسي من أمرك شئ
وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدري
فقالت له قل قولا جميلا قال لها أخبريني يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت
نعم قال فهل نبتت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت
ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من
الزرع الذي أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الشجر من غير غيث
وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة أو تقول
ان الله لا يقدر على أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على
انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء
يقول لذلك كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم
وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي
بها شئ من أمر الله وأنه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها لذلك
ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة
جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتو بطنها وضعف قوتها وكان جبل
صهيون على باب بيت المقدس وسمعت من الثقاة أن قبر داود عليه السلام
فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا
صهيون والكنيسة التي خدم فيها مريم ويوسف هذه وقد أفصح فيها عيسى
ودعا الخلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل
بيت المقدس يدعون أن عيسى عليه السلام لما قتل دفن فيها وبعد ثلاثة أيام
عرج به الى السماء فلا ينقطع أبد الدهر منها وأنه ينزل فيها * باب في ذكر　مطلب في ذكر ميلاد عيسى

ميلاده عليه السلام قالوا فلما أثقلت مريم ودنى نفاسها أوحى الله تعالى اليها
ان مسجد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذى طهر ورفع ليذكر فيه
اسمه فابرزى الى موضع تلدين فيه فتحولت مريم الى بيت خالتها اخت أمها أم
يحيى فلما دخلت عليها قامت ام يحيى واستقبلتها فالتزمتها وقالت امرأة زكريا يا مريم
شعرت أنى حبلى وأنت أيضا شعرت انك حبلى فانى أجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك
فذلك قوله تعالى ومصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها
انك ان ولدت بين أظهر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاظعنى
من عندهم أى فاخرجى وقال الكلبى قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من
الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار
له ليس بينها وبين الاكاف شئ فانطلق بها يوسف حتى اذا كان قريبا من أرض مصر
فى منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس فألجاها الى أصل نخلة وذلك فى زمان
الشتاء قال الكلبى لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فأتاه جبريل فقال
له انه من روح القدس فلا تقتلها واختلف العلماء فى مدة حمل مريم عليها السلام
ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر
كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية اخرى لانه لم يعش مولود
لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة
واحدة وقال ابن عباس ما هو الا أن حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع
والانتباذ الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل
فحملته فانتبذت به مكانا قصيا أى بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته أمه فى
ساعة وصور فى ساعة ووضع فى ساعة حين زالت الشمس من يومها وهى بنت
عشر سنين وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد
بها المخاض التجأت الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف
ولا عروق فاحتوشتها الملائكة وكانوا صفوفا محدقين بها أى محيطين
بها وكانت تلك النخلة فى موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر ياليتنى
مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا أى حيضة ملقاة فنوديت أن لا تحزنى قد جعل
ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك
قوله تعالى فناداها من تحتها أن لا تحزنى من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل
عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما
خرج من بطن أمه ناداها وكلمها باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى
الله لها نهرا من ماء عذب باردا اذا شربت منه وفاترا اذا استعملته فذلك
قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب

جبريل عليه السلام برجله الأرض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يبسها
فتدلت غصونها وأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل لها هزى اليك بجذع
النخلة أى حركيه تساقط عليك رطبا جنيا غضا جنيا قال الربيع بن خيثم ما للنساء
عندى خير من الرطب وقرأ هذه الآية وقالت عائشة رضى الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة حين يولدون
وقال بعض البلغاء فى وصف التمر علة الصغير وطهية الكبير قالوا ثم ان يوسف
النجار عمد الى حطب فجعله كالحضيرة حواليها بالقرب منها اذ قد ضربها البرد
ثم أشعل لها نارا لتصطلى مريم بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت فى خرجه فأطعمها
اياها فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز قال وهب
فلما ولد عليه السلام أصبحت الاصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤسها ففزعت
الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله
وغضب عليه وهو فى عرش له فى لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء
فأتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فزع من
ذلك ولم يرهم جميعا منذ فرقهم قبل تلك الساعة وانما كان يراهم أشتاتا
فسألهم فأخبروه أنه حدث فى الأرض حدث فأصبحت الاصنام كلها منكوسة
على رؤسها ولم يكن شئ أعون على هلاك بنى آدم منها انا ندخل فى أجوافها
فنكلمهم وندبر أمرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم فلما أصابها هذا الحدث
صغرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبد وها بعد هذا واعلم أنا
لم نكن نأتيك حتى أحصينا الأرض وقلبنا البحار وكل شئ فلم نزدد بما أردنا
الا جهلا فقال لهم ابليس فما يكون الا أمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس
عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فمر فيهن بالمكان الذى ولد فيه عيسى
فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم أن ذلك الحدث فيه فأراد ابليس
لعنه الله أن يأتيه من فوقه قال فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم
أراد أن يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة راسية فأراد أن يدخل
من بينهم فنعوه من ذلك يدل عليه حديث النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن
آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعه حين يولد الا عيسى بن مريم عليه
السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن فى الحجاب قال وهب فذهب
ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ما جئتكم حتى أحصيت الأرض كلها مشرقها
ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجو الأعلى وكل هذا بلغته فى ثلاث
ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد
الا بعلمى ولا وضعته الا وأنا حاضرها وانى ان يضل به أكثر ممن يهتدى به

وماكان بنى أشد على وعليكم من هذا المولود ثم انه خرج قوم فى تلك الليلة
يؤمونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون أن مطلع ذلك النجم من علامات
مولود فى كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فمروا
بملك من ملوك الشام فسألهم اين تريدون فاخبروه بذلك قال فما بال المر
والذهب واللبان أهديتموه بهذه الاشياء قالوا تلك أمثاله لان الذهب
سيد المتاع كله وكذلك هذا النبى سيد أهل زمانه ولان المر يجبر به الكسير
والجرح وكذلك هذا النبى يشفى الله به كل سقيم ومريض ولأن اللبان دخانا
يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبى يرفعه الله الى السماء
ولا يرفع فى زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله
فقال لهم اذهبوا فاذا علمتم بمكانه فاعلمونى بذلك فانى راغب فى مثل مارغبتم
اليه فى أمره فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا ماكان معهم من الهدية اليها
عليها السلام وأرادوا أن يرجعوا الى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فلقيهم ملك
وقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه بمكانه فانه انما أراد قتله فانصرفوا
فى طريق آخر قال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى
عليه السلام حدثنى وحدثته فاذا اشغلنى عنه انسان سبح فى بطنى وأنا أسمع

مطلب فى رجوع مريم بابنها عيسى

* باب فى رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة
قومها من بيت لحم قال ثم ان جماعة من قومها لما هيأ الله تعالى لامه مريم عليها
السلام أمرها ويسر الله لها أسباب ولادتها قال وكلى يا مريم من الرطب
واشربى من الماء العذب وقرى عينا وطيبى نفسا فاما ترين من البشر أحدا
فسألك عن ولدك أو لامك عليه فقولى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا
وكذلك هو فى قرأة ابن مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا اذا صاموا أمسكوا
عن الطعام والشراب والكلام فلن أكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قال
الكلبى احتمل يوسف مريم وعيسى الى غار فأدخلها فيه أربعين يوما فكلمها
عيسى فى الطريق فقال يا أماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على
أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا يا مريم
لقد جئت شيأ فريا فظيعا عظيما يا أخت هارون قال قتادة كان هارون
رجلا صالحا من أتقياء بنى اسرائيل وليس بهارون أخى موسى وذكروا أنه
تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمون هارون
وقال وهب كان هارون من أفسق بنى اسرائيل وأظهرهم فسادا فشبهوها
به ماكان أبوك عمران امرأ سوء وماكانت امك حنة بغيا أى زانية فمن أين
لك هذا الولد فأشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف

تكلم من كان فى المهد صبيا قال وهب فأتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما انى عبد الله آتانى الكتاب الآية فأقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيبا لليهود والزاما للحجة عليهم قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا يرجموها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم لم يتكلم بشئ بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان

* باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسى بعد مضى اثنين وأربعين سنة من ملك اعسرطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة فى ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة فى الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بنى اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم فى كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره ان يهرب بالغلام وامه الى مصر وأوحى الله الى مريم أن الحق بمصر فان هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعى الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهى الربوة التى قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ذكر أبو اسحاق الثعلبى فى التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله ابن سلام هى دمشق وقال أبو هريرة هى الرملة وقال قتادة وكعب هى بيت المقدس وقال كعب هى أقرب الأرض الى السماء وقال أبو زيد هى مصر وقال الضحاك هى غرصة دمشق وقال أبو العالية ايليا وقال الفرا الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر اثنى عشر سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل فى اثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد فى منكبها والوعاء الذى فيه السنبل فى منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنى عشر سنة وروى عن محمد بن على الباقر رضى الله عنه أنه قال لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب وأقعدته بين يدى المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدرى ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يا مؤدب لاتضربنى ان كنت تدرى والا فاسألنى حتى أفسر لك فقال له المؤدب فسره لى فقال عيسى الالف لا اله الا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله هوز الهاء هى

مطلب فى ذكر خروج مريم وعيسى الى مصر

جهنم وهي الهاوية والواو ويل لاهل النار والزاى زفير جهنم حطى حطت
الخطايا عن المستغفرين كلمن كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سعفص والجزاء
بالجزا قرشت نقرشهم حين نحشرهم أى نجمعهم فقال المؤدب لامه أيتها المرأة خذى
ابنك لقد علم ولا حاجة له الى المؤدب اخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين المفسر
باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى
أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى وما بسم الله
قال ما أدرى قال الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا *

مطلب في صفة عيسى وحليته

باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام قال كعب كان عيسى بن مريم
رجلا احمر الى البياض ما هو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى
يمشي حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حلية ولا متاعا ولا ثيابا ولا ورقا الا قوت يومه وكان
حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الاكمه والأبرص
ويحيي الموتى باذن الله وكان يخبر قومه بما يدخرون لغد وكان يمشي على وجه الماء
في البحر وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة حريصا
على عبادة الله وكان سياحا في الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله
الى السماء والله أعلم *

مطلب ذكر الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى

باب في ذكر الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى
عليه السلام في صباه الى أن نبئ قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى
أن امه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أنزلها بها يوسف النجار حين
ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوى اليها المساكين فسرق للدهقان
مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى
عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتحبين أن أدله على
ماله قالت نعم يا بنى قال قولى له يجمع لى المساكين الى داره فقالت مريم للدهقان
ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد الى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد
فحمل المقعد على عاتق الاعمى وقال له قم به فقال الاعمى أنا أضعف عن ذلك
فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا
الأعمى حتى قام فلما استقل قائما هوى المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان
هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال
الأعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضعه
في خزانته وقال يا مريم خذى نصفه فقالت اني لم اخلق لذلك قال الدهقان
فأعطيه لابنك قالت هو أعظم مني شأنا ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس
لابن له فصنع له عيدا فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما
انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به

وليس عنده يومئذ شراب فلما رآى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشي فكلما أمر يده على جرة امتلأت شرابا حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثني عشر سنة * آية اخرى قال السدى كان عيسى عليه السلام اذ كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي الى أهله فيبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا هاهنا فقال لهم فما في هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذاهم خنازير ففشى ذلك في الناس فهمت به بنوا اسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت به هاربة الى مصر * آية اخرى لما خرج عيسى وامه عليهما السلام يسيحان في الارض اذ جاء في بني اسرائيل نزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن اليهما وكان ملك تلك المدينة جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شان زوجك أراه حزينا فقالت لها لا تسأليني فقالت أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدى فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يومنا وليس عندنا متعة قالت فقولي له لا يهتم له بشئ فانه قد أحسن الينا واني آمر ابني أن يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال ان فعلت ذلك يقع شرا قالت فلا نبالي لانه أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولي له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحما ومرقا وماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فان خمري قد اوتي به من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هو من أرض اخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال اخبرني على الحق قال فأنا اخبرك عندى غلام ما سأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل لانه ان عاش وقع شرا فقال الملك لا ابالي بعد أن أراه قال عيسى ان أحييته تتركوني أنا وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته

قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا اكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما اكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه * آية اخرى قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فوكزه برجله فقتله فألقاه بين يدى عيسى وهو ملطخا بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فأخذوه وانطلقوا به الى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لا أدرى من قتله وما أنا بصاحبه فأرادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم ائتونى بالغلام فقالوا له ما تريد منه قال أريد أن أسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فأخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدعاء فأحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلني فلان على الذى قتله فقالوا بنى اسرائيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم قالوا فمن هذا الذى معه قال قاضي بنى اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى امه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له امه يا بنى ألم أنهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين * آية اخرى قال عطا سلمت مريم عيسى بعد ما أخرجته من الكتاب الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج فى سفر لا أرجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذى يصنع به فاحب أن تكون فارغا منها وقت قدومى ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا على لون واحد وأدخل فيها جميع الثياب وقال لها كونى باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها فى جب واحد فقال يا عيسى ما فعلت قال فرغت منها قال أين هى قال فى الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها فى جب واحد لقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا أخضر وثوبا أحمر الى أن أخرجها على الالوان التى أرادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل اعلم *

مطلب فى رجوع مريم وعيسى الى بلادهما

باب فى ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنى عشر سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكنا فى جبل الخليل فى قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان

عيسى يتعلم فى الساعة علم يوم وفى اليوم علم شهر وفى الشهر علم سنة فلما تمت له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه أن يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الأمثال ويداوى المرضى والزمنا والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما أمره به فحببه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنا فى الساعة الواحدة خمسون ألفا فمن أطاق منهم يمشى اليه مشى اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعا بشرط الايمان ودعاه الذى يشفى به المرضى ويحيى به الموتى اللهم أنت اله من فى السما واله من فى الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من فى السموات وجبار من فى الأرض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من فى السموات وملك من فى الارض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكم من فى السموات وحكم من فى الارض لا حكم فيهما غيرك قدرتك فى الارض كقدرتك فى السماء وسلطانك فى الارض كسلطانك فى السماء أسالك بأسمائك الكرام انك على كل شئ قدير * باب

مطلب فى قصة الحواريين

فى قصة الحواريين عليهم السلام قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين ألهمتهم ووفقتهم أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون اعلم ان الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه وأرضياه وأنصاره ووزراه وكانوا اثنى عشر رجلا وأسماؤهم بطريس ويعقوبس ويحنيس وأندرايس وقسليس ويلما وميتا وتوماس ويعقوب بن حلفاما وبراسيس وقيابيا ويودس عليهم السلام قال واختلف العلماء فيهم ولم سموا بذلك قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى فقال لهم ما تصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم الا تمشون معى حتى نصطاد الناس قالوا له وكيف ذلك قال من أنصارى الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحدا من الأنبياء فوقك قال نعم النبى العربى لو خلعت نعليه كان أهلا له فاتبعه اولئك وآمنوا به وانطلقوا معه قال السدى كانوا ملاحين وقال أبو أرطاه كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها * اخبرنا ابن فنجويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنى عشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح الله من أفضل منا اذا شئنا

أطعمنا

أطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يعملون الثياب بالكرا قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعى الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك انى أترك ملكى وأتبعك فانطلق بمن معه منهم فهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة قال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله ابن المبارك حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبهاؤها وبياضها وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الأحور والحور وقال الحسن الحواريون الأنصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن سهيل الحوارى خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لكل نبى حوارى وحوارىّ الزبير فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام فأما حواريو هذه الامة فأخبرنا الحسين بن محمد الدينورى باسناده عن سفيان بن معمر قال قال قتادة ان الحواريين كلهم من قريش وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين * ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التى ظهرت على يديه بعد مبعثه الى أن رفع صلوات الله عليه * منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها فى سورة المائدة واذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذى نفخ فيه الروح أضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أى الروح الطاهر سمى روحا قدسيا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحولة ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام وهو أنه كان قرينه ورفيقه يوحى اليه ويعينه ويسير معه حيث ما سار الى أن صعد به الى السما، قال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الأعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس تلك العجائب ومنها تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرأهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أى الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل ومنها خلقه الطير من الطين كما قال تعالى مخبرا

مطلب فى ذكر خصائص عيسى

عنه انى قد جئتكم بآية من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه
فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى وكان
يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير
الخفاش وانما خص بالخفاش لانه أكمل الطير خلقا فيكون أبلغ فى القدرة لان لها
ثديا وأسنانا وهى تلد وتحيض وتطهر قال وهب كان يطير ما دام الناس
ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى
واعلم ان الكمال لله عز وجل * ومنها ابراء الاكمه والأبرص كما قال تعالى وتبرئ
الأكمه والأبرص باذنى والأبرص الذى به وضح والاكمه الذى ولد أعمى ولم ير
ضوأ قط ولم يكن فى الاسلام اكمه غير قتادة وانما خص بهذين لانهما غالبان
وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم الله المعجزة من تلك * ويروى أن
عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا
للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم فقال لهم ما دعاكم الى هذا قالوا خفنا
عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار
والأفاضل امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم
جميعا قيام ينظرون * ومنها احياؤه الموتى قال الله تعالى واحيى الموتى باذن الله
وقال تعالى واذ تخرج الموتى باذنى وأحيا أمواتا منهم العازور وكان صديقا
له فارسل اخته الى عيسى ان أخاك العازور يموت فأته وكان بينه وبينه
مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام
فقالوا لأخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو فى صخرة
مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتنى
الى بنى اسرائيل أدعوهم الى دينك واخبرهم انى أحيى الموتى باذنك فأحيى
العازور فقام العازور وأوداجه تقطر فخرج من قبره وبقى وولد له *
ومنها ابن العجوز وكانت القصة فيه أن عيسى مر فى سياحته ومعه الحواريون
بمدينة فقال ان فى هذه المدينة كنز فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا يا روح الله
لا يدخل هذه القرية أحد غريب الا قتلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى
أعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل
الدار غريب فأطعموه فقالت له امرأة عجوز أما ترضى أن أدعك لا أذهب
بك الى الوالى حتى تقول أطعمونى فبينما عيسى بالباب اذ أقبل ابن العجوز
فقال له عيسى أضفنى ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال
له عيسى اما انك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى اما
أن تكون مجنونا واما أن تكون عيسى بن مريم فأضافه وبات عنده فلما

أصبح

أصبح قال له اغدُ وادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيأمر
بضربك واخراجك فمضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت أخطب
اليك ابنتك فأمر بضربه فضرب واخرج فرجع الفتى الى عيسى فأخبره الخبر
فقال اذا كان غدا فاذهب اليه واخطب منه فانه ينالك بدون ذلك ففعل
الفتى ما أمره عيسى فضرب بدون ذلك الضرب فرجع الى عيسى فأخبره فقال
ارجع اليه فانه سوف يقول لك أنا ازوجك اياها على حكمي وحكمي قصر من
ذهب وفضة وما فيه من فضة وزبرجد فقل له أفعل ذلك فاذا بعث
معك أحدا فاخرج به فانك سوف تجده فلا تحدث فيه شيئا ثم انه دخل على
الملك لخطب فقال تصدقني بحكمي فقال وما حكمك فحكم بالذى سماه عيسى فقال
نعم رضيت ابعث من يقبض ذلك فبعث معه رجالا فدفع اليهم ما سأله الملك
فتعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله
تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذا الحال فقال له عيسى انى اثرت ما يبقى
على ما يفنى فقال الفتى أنا أيضا أدعه وأصحبك فتخلى من الدنيا واتبع عيسى
فأخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكنز الذى قلت لكم وكان
معه ابن العجوز الى أن مات ومر به ميتا على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره
ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع
الى أهله فبقي وولد له * ومنها ابنة العازر وقيل له أتحييها وقد ماتت بالامس
فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولد لها * ومنها سام بن نوح قال له الحواريون
وهو يصف لهم سفينة نوح لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك
فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا كعب سام بن
نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الأعظم وضرب التل
بعصاه وقال احيا باذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف
رأسه فقال قد قامت القيامة قال لا ولكني دعوتك باسم الله الاعظم قال
ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو
شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط أن يعيذنى
الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا
الخبر فى قصة نوح عليه السلام * ومنها عزير عليه السلام قالوا لعيسى عليه
السلام أحييه والا أحرقناك بالنار وجمعوا له حطبا كثيرا من حطب الكرم
وكانوا فى ذلك الوقت يدفنون موتاهم فى صناديق من حجارة مطبقة
فوجدوا قبر عزير مكتوب على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا
أن يخرجوه من قبره فرجعوا الى عيسى فأخبروه فناولهم اناء فيه ماء وقال

لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به عيسى وهو في اكفانه
والارض لا تاكل أجساد الانبياء ثم انه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء
ووجهه وشعره ينبت ثم قال احيا يا عزير باذن الله تعالى فاذا هو جالس وكل
ذلك تراه أعينهم فقالوا للعزير ما تشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد
أنه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك يبقيه لنا ليكون بين أظهرنا
حيا فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى قبره فعاد ميتا وانه آمن بعيسى
ابن مريم من آمن وعبده من عبده قال الكلبي كان عيسى يحيي الموتى بياحي
ياقيوم ومنها اخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل اخبارا عنه
وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم قال الكلبي لما ابرأ عيسى الاكمه
والابرص وأحيي الموتى قالوا هذا ساحر ولكن أخبرنا بما ناكل وما ندخر
فكان يخبر الرجل بما ياكل في غدائه وبما ياكل في عشائه ومنها مشيه عليه
السلام على الماء يروى أنه خرج في بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير
وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة ويقين
فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه
الماء فداخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على
الماء قال فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه
وقال له ما قلت يا قصير فأخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت
نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله
بما قلت فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا
يحسد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الحمشاوي باسناده عن
معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته
لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا أنت
يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى بن مريم مشى على
الماء قال نعم ولو ازداد خوفا ويقينا لمشى على الهوى قالوا يا رسول الله ما كنا
نرى أن الرسل تقصر فقال ان الله تعالى أبلغ شأنا من أن يبلغ أحد شأنه *
ذكر حديث جامع في هذا الباب قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسيح
في الارض فصحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع عيسى
رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى
أنه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم فقام الى الصلاة فذهب صاحبه واكل
رغيفا فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر
فقال ما كان الا رغيف واحد فاكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا

فجاء الى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح
فقال افعل فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرأيت أن اعالجك
حتى يرد الله عليك بصرك هل تشكره قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله له
فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودى بالذى أراك الاعمى بصيرا كم كان معك
من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فاذا
هما بمقعد فقال له عيسى أرأيت ان عالجتك فعافاك الله هل تشكره قال
نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب
عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذى أراك الأعمى بصيرا والمقعد
صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فحلف له ما كان معه الا رغيف واحد
فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى نهر عجاج خوار فقال عيسى لا أرى
جسرا ولا سفينة فخذ بحجزتى من ورائى وضع قدمك موضع قدمى ففعل
فمشيا على الماء فقال له عيسى بالذى أراك أمر الأعمى والمقعد وسخر لك الماء
من صاحب الرغيف الثالث فقال لا والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى
ثم انطلقا فاذا هما بظباء يرعين فدعا عيسى بظبى فذبحه وشوى منه بعضا
واكلاه ثم ضرب عيسى بقية الظبى بعصاه وقال قم باذن الله عز وجل فاذا
الظبى يعدو فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذى أراك هذه الآية
من صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فمرا بصاحب
بقر فنادى عيسى يا صاحب البقر اجزر لنا من بقرك هذه عجلا فقال ابعث
صاحبك اليهودى يأخذه فانطلق اليهودى فجاء به وذبحه وشواه وصاحب
البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظما فلما فرغوا قذف بعظامه فى
جلده ثم ضربه بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار فقال له
عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت قال أنا عيسى بن مريم
قال عيسى السحار ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذى أحيا العجل كم كان
معك من رغيف فقال ما كان معى الا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى
دخلا قرية فنزل عيسى فى أسفلها واليهودى فى أعلاها فأخذ اليهودى عصى
عيسى وقال أنا الآن ابرئ المرضى واحيى الموتى قال وكان ملك تلك القرية
مريضا مدنفا فانطلق اليهودى ونادى من يبتغى طبيبا حتى أتى باب الملك فأخبر
بوجعه فقال ادخلونى عليه فأنا ابرئه وان رأيتموه قد مات فأنا احييه
فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه
الا صلبه فقال ادخلونى عليه فادخل عليه فضرب الملك بعصاه فمات فجعل
يضرب الملك بالعصى وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يقم فأخذ ليصلب

فبلغ ذلك عيسى فاقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أرأيتم
لو أحييت لكم الملك هل تتركون لى صاحبى قالوا نعم فدعا الله عز وجل فأحياه
وقام فانزل اليهودى من الخشبة فقال يا عيسى أنت أعظم الناس على منة
والله لا افارقك أبدا فقال له عيسى انشدك الله الذى أحيا الظبى والعجل بعد
ما أكلناهما وأحيى هذا بعد ما مات وأنزلك من على الجذع بعد ما صلبك كم
كان معك من رغيف قال فحلف بهذا كله وقال والله ما كان معى الا رغيف واحد
فقال عيسى لا بأس فانطلقا حتى أتيا قرية عظيمة فيها كنز وثلاث لبنات من
ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال
عيسى أجل واحدة لى وواحدة لك وواحدة للذى أكل الرغيف الثالث فقال
اليهودى لعيسى أنا أكلته وأنت تصلى فقال عيسى هى لك كلها فانطلق عيسى
وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة وكل ما أراد أن يحمل
واحدة ثقلت عليه فقال له عيسى دعه فان له أهلا يهلكون فجعلت نفس
اليهودى تتطلع الى المال ويكره أن يعصى عيسى ويعجزه حمل المال فانطلق مع
عيسى فبينما هو كذلك اذ مر بالمال ثلاثة نفر فأتوا عليه فقال اثنان منهما
لصاحبيهما الثالث انطلق الى بعض هذه القرى فأتنا بطعام وشراب ودواب
نحمل عليه هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر هل لك أن نقتله
اذا رجع ونقتسم المال فيما بيننا قال نعم وقال الذى ذهب فى نفسه هو ذا أنا
أجعل فى الطعام سما فاذا اكلاه ماتا ويصير المال كله لى ففعل ذلك فلما رجع
اليهما ووصل قتلاه واكلا الطعام الذى جاء به اليهما فماتا وان عيسى عليه
السلام مر به وهم حوله مقتولون فقال لا اله الا الله هكذا تصنع الدنيا بأهلها
ثم ان عيسى أحياهم باذن الله فاعتبروا ولم يأخذوا من المال شيأ فتطلعت
نفس اليهودى صاحب عيسى الى المال فقال أعطنى المال فقال خذه لك فهو
حظك من الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الأرض فانطلق عيسى عليه
السلام * ومنها نزول المائدة وذكر قصتها قال الله تعالى اذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله
إن كنتم مؤمنين الى آخر القصة اختلف العلماء فى صفة نزول المائدة وكيفيته
وما كان عليها فروى قتادة عن جابر بن عمر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك أنهم سألوا عيسى طعاما
يأكلون منه ولا ينفد قال فقال لهم انى فاعل ذلك وانها مقيمة لكم ما لم
تخبأوا أو تخونوا فان فعلتم ذلك غدركم قال فما مضى يومهم حتى خانوا
وخبأوا وفى بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال أظنها لا تنزل أبدا

طلب نزول المائدة وذكر قصتها

فرفعت

فرفعت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى لبني اسرائيل
صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوما
فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا ان عملنا لاحد فقضينا عمله لأطعمنا طعاما وانما
صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافترش
الرماد ثم دعا الله تعالى فقال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء الآية فأقبلت
الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات وضعتها بين
أيديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل أولهم وروى عطاء بن السائب عن
ماذان وغيره قال كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت عليهم
الأيدي من السماء تاكل الطعام الا اللحم وقال عطية العوفي نزلت سمكة من السماء
فيها طعم كل شئ وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار
الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل
وقال ثمان بزايات تنزل عليهم بكرة ويأكلون منها ما شاؤا وحين شاؤا وقال
وهب أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا فقيل لوهب ما كان ذلك يغني
منهم قال لا شئ قال ولكن الله أضعف لهم البركة فكان قوم يأكلون ثم
يخرجون ويجئ آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم وفضل وقال كعب
الأحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض
عليها كل طعام الا اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام
فقال اني منزلها عليكم كما سألتم فمن اكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته
مثلا ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون الصفار وكان
أفضل الحواريين فقال هل معك طعام فقال معي سمكتان صغيرتان
وستة أرغفة فقال علي بها فقطعهن عيسى قطعا صغارا وقال اقعدوا
في روضة وترافقوا رفاقا كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى
فاستجاب له ونزل فيها البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا صحاحا ثم قام عيسى
فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا بسم الله فجعل الطعام يكثر
حتى بلغ ركبهم فاكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة الاف ونيف وقال
الناس جميعا شهدنا أنك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة اخرى فأنزل الله خمسة
أرغفة وسمكتين فصنع بهما ما صنع في المرة الاولى فلما رجعوا الى قراهم
وأستروا هذا الحديث ضحك منهم يشهد وقال ويحكم انما سحر أعينكم فمن
أراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن أراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا
قردة وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة فمكثوا بذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا
ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ويروى عن

عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ماتبع عيسى من المساوى
ولا انتهر يتيما ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا على وجهه ولا أخذ عن أنفه
من نثر شئ قط ولا عبث قط ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم الموائد
صنوفا قال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء الآية وارزقنا عليها طعاما
ناكل وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة حمرا بين غمامتين غمامة من فوقها
وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوى منقضة حتى سقطت بين أيديهم
فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
مثلة وعقوبة واليهود ينظرون اليها فنظروا الى شئ لم يروا مثله قط ولم
يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى لهم احسنكم عملا فيكشف عنها
ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى
بذلك منا فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف
المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها
فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلانا من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها
خل وحواليها من أنواع البقول ماخلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد
منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس
قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال
عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن
افتعلته القدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا
يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال عيسى ياسمكة احيى
باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال
عيسى مالكم تسألون أشياء اذا اعطيتموها كرهتموها قال فما أخوفني عليكم
أن تعذبوا ياسمكة عودى كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت
قالوا يا روح الله كنت أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن
آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل
الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتليين وقال كلوا من رزق الله
ولكم المهنى ولغيركم البلا فأكلوا منها وصدر عنها الف وثلثمائة رجل وامرأة
من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشى ثم نظر عيسى الى السمكة
فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون
اليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برئ ولا زمن الا صح
ولا مبتلى الا عوفى ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى يموت وندم الحواريون
ومن لم يأكل وكانت اذا انزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار

وا

والرجال والنساء يزدحمون عليها فلما رأى ذلك عيسى جعلها نوبة منهم فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحًا فلا تزال منصوبة يوكل منها حتى اذا فاء الفيئ طارت صعدا وهم ينظرون فى ظلها حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود قال فأوحى الله الى عيسى اجعل مائدتى ورزقى للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هلكتم فشمروا العذاب الله فأوحى الله تعالى الى عيسى انى شرطت على المكذبين شرطا ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم فى ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات فى الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى ابن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم لا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا * ومنها ما روى أن عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا فقال يا عبد الله أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال يا روح الله هذه امرأة كانت لى من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولى عندها وديعة قال أفتحب أن أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من أنت فقال يا رسول الله أنا رجل فى عذاب منذ أربعمائة سنة فلما كان فى هذه الساعة قيل لى أجب فأجبت ثم قال يا رسول الله قد مر على من أليم العذاب ما ان ردنى الله الى الدنيا أعطيته عهدا أن لا أعصيه فادع الله لى فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فمضى فقال صاحب القبر يا رسول الله لقد غلطت بالقبر انما قبرها هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتى فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فأخذ الرجل بيدها حتى انتهيا الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه فى حجرها فمر بها ابن الملك فنظرها ونظرت اليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فأشار اليها فوضعت رأس زوجها عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها ففقدها فلم يجدها فطلبها فدل عليها فتعلق بها وقال امرأتى فقال الفتى هى جاريتى فبينما هم كذلك اذ طلع عيسى عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى ما تقولين قالت

أنا جارية هذا ولا أعرف هذا فقال عيسى ردّي علينا ما أعطيناك قالت قد فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجلا أماته الله كافرا ثم بعثه فآمن وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت ومنها رفعه الى السماء قال الله تعالى يا عيسى اني متوفيك ورافعك الىّ ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما رأى عيسى ذلك دعا عليهم فقال اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب امي فاستجاب الله دعاه ومسخ الذين سبوه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل عليه السلام فأدخله خوخة وأراه في سقفها ورفعه الله تعالى من تلك الروزنة فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل ططيانوس لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال أحضروني الليلة فلي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضيهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال الا من رد علي شيأ مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم أنا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي الا ليكن لكم بي أسوة وانكم ترون اني اخترتكم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم وأما الحاجة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها فقالوا والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه فقال يذهب بالراعي ويبقى الغنم وجعل

يأتي بكلام مثل هذا يعني نفسه ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك
ثلاث مرات وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا
وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحابه
فجحد وقال ما أنا من أصحابه فتركوه ثم أخذوا الآخر فجحده كذلك ثم سمع صوت
ديك فبكى وأحزنه ذلك فلما أصبح أتى أحد الحواريين ذلك اليهود فقال لهم
ما تجعلون لي ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها
ودلهم عليه فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا
يقودونه ويقولون أنت كنت تحيي الموتى وتبرئ المجنون أفلا تفك نفسك
من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم انهم نصبوا له خشبة
ليصلبوه عليها فلما أتوا به الى الخشبة ليصلبوه أظلمت الارض وأرسل الله له
الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه واسمه
يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم
رفعه الى السما فذلك قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من
الذين كفروا فلما صلب الذي هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان
عيسى دعا لها وأبرأها من الجنون فأتيا تبكيان عند المصلوب فأتاهما عيسى
وقال لم تبكيان قالا عليك فقال ان الله تعالى رفعني فلم يصبني الا خير وان
هذا شئ شبه لهم وقال مقاتل ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه
رقيبا ومعه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاء الملك فأخذه الى السماء
وألقى الله شبه عيسى على الرقيب فظنوا اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول
لهم اني لست عيسى اني فلان بن فلان فلم يصدقوه فقتلوه وصلبوه قال قتادة
ذكر لنا أن نبي الله عيسى قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول
فقال رجل من القوم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه
اليه وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلي يسمى أشيوع بن
قنديرا * ذكر نزول عيسى بعد رفعه من السماء بسبعة أيام قال وهب

مطلب في ذكر نزول عيسى

وغيره من أهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة أيام
ثم قال الله له ان أعداك اليهود أعجلوك عن العهد الى أصحابك فانزل عليهم
وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانها لم يبك عليك أحد بكاها ولم يحزن
عليك أحد حزنها فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلحق بك وأمرها فلتجمع
لك الحواريون فتبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى وكانت قصة مريم
المجدلانية أنها كانت من بني اسرائيل من قرية من قرى أنطاكية يقال لها
مجدلان وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها أشراف بني

اسرائيل فامتنعت فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما
أرادت بذلك اخفا نفسها وعلتها عنهم فلما سمعت بمجئ عيسى عليه السّلام وبما
كان يشفي الله على يديه من المرضى والزمنا أقبلت الى عيسى رجاء الشفا فلما رأت
عيسى وما ألبسه الله من هيبة سُلطانه استحيت فانصرفت الى وراءه ووضعت
يدها على ظهر عيسى عليه السّلام فقال لها عيسى لقد شفى ذو عاهة بنية حسنة
ولقد أعطاه الله مارجاه وطهره بطها رتي فأذهب الله عنها ما بها وبرئت وطهرت
فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه فأهبطه الله عليها فاشتعل
الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الأرض دعاة الى الله ثم رفعه
الله فكساه الريش وألبسه النور وقطع منه لذة المطعم والمشرب فهو يطير
مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون
حيث أمرهم فتلك الليلة التي اهبط فيها هي الليلة التي تدفن فيها النصارى قالوا
فوجه بطرس الى رومية واندرانيس أفضى الى الأرض التي تأكل أهلها الناس
وتوماين الى أرض المشرق وقيليس الى القيروان وافريقية ونحبس الى
اقسوس قرية أصحاب أهل الكهف ويعقوفس الى أزوى شلم وهي ايليا
أرض بيت المقدس وابريلما الى الاعرابية وهي أرض الحجاز وسمين الى أرض
بربر فأصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يحدث بلغة من أرسله عيسى
اليهم قال ابن اسحاق ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشمسونهم
ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقيل
له ان رجلا كان فى هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بنى اسرائيل عدوا عليه
فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله قد أحيى لهم الموتى وأبرأ لهم الأسقام وخلق
لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائرا باذن الله وأخبرهم بالغيب
وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا هذا لى من أمره فوالله
لو علمت لخليت بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم
فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فأخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل
شبه عيسى من الخشبة التى صلب عليها فأكرمها وصانها لما مسها منه وغزا على
بنى اسرائيل فقتل منهم قتلا كثيرا فمن هناك كانت أصل النصرانية فى الروم
وقال أهل التواريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاثة عشر سنة وولدت عيسى
ببيت لحم من أرض اورى شلم لمضىّ خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر
على بابل ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانين وأوحى الله اليه
على رأس ثلاثين سنة فكل نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه
ست سنين والله أعلم * ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليها السّلام قال وهب مطلب في وفاة مريم

لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آخى بين الحواريين فأمر رجلين
منهما يقال لأحدهما شمعون الصفا والآخر يحيى أن يلتزما امه ولا يفارقانها
فانطلقا ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله
تعالى اليه قبل ذلك يورس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون ويورس فقتلا
وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب
فلما فانشقت لهما الأرض فغابا فيها وأقبل ماروت ملك الروم وأصحابه
يحفر واذلك الموضع فلم يجدوا شيئا فردوا التراب على حاله وعلموا أنه أمر من الله
تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فأخبروه به فأسلم كما ذكرنا والله أعلم

مطلب في ذكر نزول عيسى في آخر الزمان

* ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان
قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين بن الفضيل
هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو أنه لم يتكهل
في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء أخبرنا أبو صالح شعيب بن
محمد البيهقي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنبياء
لخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد واني أولى الناس بعيسى ابن مريم عليهما
السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا
وانه نازل على أمتي وخليفتي عليكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق
الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه تقطر وان لم يصبه بلل ينزل بين
ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال
وليهل من الروحاء حاجا أو معتمرا أو لتلبيتهما جميعا ويقاتل الناس على الاسلام
حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب
العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الامنة
في الأرض حتى ترتعي الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض أربعين
سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة
بجنب عمر اقرؤا إن شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم
القيامة يكون عليهم شهيدا قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات
وأخبرنا محمد بن القاسم الفارسي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا أهبط الله المسيح فيعيش في هذه الامة ما يعيش
فيموت في مدينتي هذه ويدفن الى جانب قبر عمر فطوبى لابي بكر وعمر يحشران
بين نبيين وأخبرني أبي قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي باسناده
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يهلك الله أمة

مطلب في ذكر قصة الرسل الثلاثة

أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها * باب
في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليه السلام الى أنطاكية وذلك
في أيام ملوك الطوائف قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها
المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام اذ أرسلنا اليهم اثنين واختلفوا
في أسمائهما فقال ابن اسحاق باروص وماروص وقال وهب يحيى ويونس
وقال مقاتل يومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فعززنا
بثالث أي فقوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين
في قول أكثر المفسرين وقال مقاتل اسمه سلوم وقال مقاتل سمعان قالت
العلماء بأخبار الأنبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى
مدينة أنطاكية فلما قربا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب
النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام
يدعوكم من عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نحن
نبرئ المريض ونشفي الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا
صاحب مرض مدة سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله فأتى
بهما الى منزله فلما نظرا الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة فقربا اليه ودعيا
له ومسحاه بيديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشى الخبر في المدينة
وشفى الله على يديهما كثيرا من الامراض وكان في مدينة انطاكية فرعون من
الفراعنة يعبد الأصنام يقال له سلاحن وقال وهب اسمه أبطيحيس
وكان من ملوك الروم قالوا فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما فقال لهما من
أنتما قالا رسولي عيسى قال وما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفي
المرضى باذن الله تعالى قال وفيما جئتما قالا جئناك ندعوك من عبادة
ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك أولنا اله سوى
آلهتنا قالا نعم قال من قالا من أوجدك بعد عدمك وآلهتك قال قوما
حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق وقال
وهب بعث عيسى بهذين الرسولين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها
وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب
الملك فأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب
الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما
لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنهم
أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه
ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما

قوله وقال مقاتل سمعان لعله وقال غيره لانه اولا كان هو مقاتل اسمه سلوم او سمعان تأمل اه مصححه

حين

حين دعوا الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى ها هنا قالا الذى خلق كل شئ فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد قال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى والزمنا باذن الله قال فأمر الملك فجئ بغلام مطموس العينين موضع العينين كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاها على حدقته فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس لى عنك سر ان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذى تعبدانه يقدر على احياء ميت قالا الهنا يقدر على كل شئ فقال الملك ان ها هنا ميت قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم انى قد مت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لى فرأيت شابا حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قولهم قد أثر فى الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون وقال كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى بن ياس صاحب يس وقال ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل النجار قال وهب وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة أنطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين يطعم نصفا عياله ويتصدق بنصفه الآخر فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه فى غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى فى كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل

ومؤمن بالهم فقال ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون الى قوله
انى آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه
ولم يكن أحد يدفع عنه وقال عبدالله بن مسعود وطئوه بأرجلهم حتى خرج
قصبه من دبره وقال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى
حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن خرقوا خرقا فى حلقه وعلقوه فى سور المدينة
ودفنوه فى سوق أنطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة
فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى
من المكرمين قالوا فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم النقمة وأمر جبريل
فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من
بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت
الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون ميتون أخبرنا أبو بكر الخشاوى باسناده
عن ابن أبى ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم
ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن
آل يس وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم * قصة يونس
ابن متى عليه السلام وقيل متى أمه ولم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى
ابن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذى قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ينبغى لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى
وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء بأخبار القدماء كان يونس رجلا
صالحا يتعبد فى جبل وكان فى قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان
قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس بن متى عليه السلام بالنهى
عن الكفر والأمر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر
على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن القراءة يستمع الى
قراءته الوحش كما كان لداود فى زمانه وكان يعتريه حدة ولذلك نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله بخفة وعجلة ظهرت منه
قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن
كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر على قومه والمدارات لهم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه خفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ
تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا واختلف
العلماء فى صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه
وهى رواية الضحاك والعوفى عن ابن عباس قال كان يونس بن متى وقومه
يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسباهم وأخذ منهم سبعة أسباط ونصفا

مطلب فى قصة يونس ابن متى

أى الجمل الصغير

وبقى

وبقي سبطان ونصف وكانوا عشرة أسباط فيهم النبوة والملك فأوحى الله الى أشعيا النبي أن سر الى حرقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فانى ألقي الخوف في قلوب أولئك الأسباط حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجي قال لا قال هل سماني لك قال لا فقال ههنا غيري أنبياء أقوياء أمناء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك ولقومه فأتى بحر الروم وكان من أمره ما كان وقال الحسن البصري انما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقيل له الأمر أسرع من ذلك ولم ينظر حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعله يلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا في خلقه ضيق فقال أعجلني ربي أن آخذ نعلا فذهب مغاضبا وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس عليه السلام فقال انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم ان لم يتوبوا قال التمس دابة قال الأمر أعجل من ذلك فانطلق الى البحر فركب السفينة فكان من أمر الحوت ما كان فعلى هذه الأقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس انما كانت رسالة يونس بعد أن نبذه الحوت ودليل هذا القول أن الله ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة انما ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعد ما وعدهم وذلك أنه قد كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد استحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا فقال والله لا أرجع اليهم كذابا أبدا أوعدتهم العذاب في يوم ولم يأتهم وفي بعض الاخبار ان قومه كانوا يقتلون من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذي وعدهم خشي أن يقتلوه فغضب وقال كيف أرجع الى قومي وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم سبب صرف العذاب عنهم لانه قد كان خرج من بين أظهرهم لنزول العذاب قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان أحدهما روبيل وكان عليما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهم فلما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما أسرع

مَا دعوت على قومك ارجع اليهم فادعهم أربعين ليلة اخرى فان أجابوك
والا فاني مرسل عليهم العذاب فرجع فدعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه
فقام خطيبا فيهم فقال انى محذركم العذاب الى ثلاثة أيام ان لم تؤمنوا ثم
قال لهم ان آية ذلك أن تتغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم
قد نزل بكم ما قال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان يات بكم الليلة
فامنوا من العذاب وان لم يات فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كانت ليلة
الاربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين
أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب قال سعيد بن جبير كما يغشى التراب
القبر اذا دخل فيه صاحبه قال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل
وقال ابن عباس قدر ثلثي ميل قال وهب اغامت السماء غيما أسود هائلا
تدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا
ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله
فى قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة لله وأخلصوا
النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والانعام فحن
بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلطت بأصواتهم وحنينها بحنينهم
وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب
دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلهم وذلك يوم عاشورا
وقيل كان يوم الاربعا يوم النصف من شوال قال ابن مسعود فبلغ من توبة
أهل نينوى أن ترادوا المظالم بينهم حتى أن الرجل ليأتى الى الحجر وقد وضع
عليه أساس بنائه فيقتلعه ويرده وروى صالح المرى عن أبى عمران الجونى
عن أبى خالد قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم
فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حى حين لا حى يا حى حين
تحيى الموتى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب فمتعوا الى حين
كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت أى فلم تكن قرية آمنت وضع الاستفهام
موضع النفى لان فى الاستفهام ضربا من الجحد فنفعها ايمانها فى وقت اليأس عند
معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا نفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت لما علم الله
من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا
وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم فأقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه
فلم ير شيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف أرجع الى قومى
وقد كذبتهم فانطلق عاتبا ربه مغاضبا الى قومه فأتى البحر كما قال تعالى وذا النون

إذ

اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أى أن لن نقضي عليه العقوبة
تقول العرب قدر الله الشئ يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقد قرئ
بهما جميعا فى قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذى قدر فهدى
هذا قول أكثر المفسرين وقال عطاء معناه فظن أن لن نضيق عليه معناه
الحبس من قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى ويضيق
وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقال ابن زيد هو استفهام معناه فظن
أن لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن أن لن يعجز ربه فلا يقدر عليه
قال وبلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا الى ربه واستنزله
الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه
للشيطان فلما أتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرة فلما
دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون
ان فيها عبدا ابقا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر
فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق فقالوا لا تلق فى الماء
فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه فى الماء فذلك
قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين فلما وقع فى الماء وكل الله به حوتا
فابتلعه وأوحى الله تعالى الى الحوت انى لم أجعله لك رزقا بل جعلناك له
حرزا ومسكنا فخذه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت
حوت آخر فأهوى به الى مسكنه فى البحر فالتقمه حوت آخر وانطلق به من ذلك
المكان حتى مر به على الايلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوى ويقال
ان الله تعالى رقق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما فى البحر فلما انتهى به
الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فأوحى الله تعالى اليه وهو
فى بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت
الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بأرض مجهولة
قال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر فقالوا العبد
الصالح الذى كان يصعد لك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال
فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت قال
ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك انى كنت من
الظالمين وروى سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى
دعوة يونس بن متى فقلت يا رسول الله هى ليونس بن متى خاصة أم لجماعة
المسلمين فقال هى ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع

قوله تعالى فنادى فى الظلمات الى قوله وكذلك ننجى المؤمنين فلما دعا به
يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال
تعالى فنبذناه بالعراء أى بوجه الأرض وهو سقيم أى عليل ضعيف كالفرخ
الممعط واختلفوا فى مدة مكث يونس فى بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة أيام
وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدى والكلبى
أربعين يوما فلما أخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو
القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها لبنا فذلك
قوله تعالى وأنبتنا عليه أى عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى
عليها فأوحى الله اليه أتبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة الف أو يزيدون
أردت أن أهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من
أين أنت يا غلام قال أنا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم
انك لقيت يونسا فقال الغلام ان كنت يونس فأنت تعلم أنه ان لم يكن لى بينة
قتلت فمن يشهد لى فقال يونس يشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه
الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام مرهم قال لهم يونس اذا جاءكم هذا
الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك انى لقيت
يونس وانه يقرأ عليكم السلام فأمر الملك بقتله وقال كذبت فقال ان لى بينة
فأرسلوا معى أحدا يشهد فأرسلوا معه رجالا فأتى البقعة والشجرة والشاة
وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين
فقالوا للملك شهد له الشجرة والأرض والشاة فأخذ الملك بيد الغلام
وأجلسه فى مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان منى قال فأقام لهم أمرهم
ذلك الغلام أربعين سنة ثم انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا
به وآمنوا به فأقام لهم أمرهم قال ومضى يونس عليه السلام من عندهم
فنزل قرية ليلا فأضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فأوحى
الله اليه يا يونس أأمر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له
يونس فلما سمع منه شتمه وقال شئ عملته بيدى أعيش فيه وأتمتع بثمنه
أنا وعيالى تأمرنى بكسره فبكى يونس فأوحى الله اليه هذا عمل فخار من طين
لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسا ووطنتها على هلاك مائة ألف
أو يزيدون من عبادى فمضى يونس وهبط واديا فلما شهدت الشجرة والأرض
والشاة للغلام وكانت الشاة التى كانت مع الغلام قالت لهم ان أردتم يونسا
فاهبطوا الى الوادى فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونها
وسألوه أن يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لى فى مدينتكم فبكوا وألحوا

عليه

عليه فأجابهم للدخول فأتى له بعجلة من فضة وأجلس عليها فتمثل له جبريل عليه
السلام عاضا على سبابته وهو ينادى هذا مجلس الجبارين فوثب يونس عن العجلة
وجعل يمشي حتى دخل المدينة فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج
سائحا وخرج الملك معه وصير الغلام الراعى ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم
يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكان نبوة يونس في
زمان ملوك الطوائف * باب في قصة أصحاب الكهف قال الله تعالى

مطلب في قصة أصحاب الكهف

أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء في
الرقيم فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد باسناده عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لأهليهم
فبينما هم يمشون اذ أصابتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت عليهم صخرة من
الجبل فانطبقت على باب الكهف فاوصدت عليهم فقال قائل منهم كل منكم
يذكر أحسن عملا عمله فلعل الله يرحمه يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة
حسنة كان لى أجراء يعملون عملا لى فاستأجرت كل رجل منهم بأجرة معلومة
فجاءنى رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشرط أصحابه فعمل في
بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت على من الاكرام أن لا أنقصه
مما استأجرت به أصحابه لما جهد في عمله فقال رجل منهم أتعطى هذا مثل
ما أعطيتنى ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيأ من
شرطك انما هذا الى احكم فيه بما شئت قال فغضب وذهب وترك أجرته فوضعت
حقه في جانب من البيت ما شاء الله ثم مرت بى بعد ذلك بقرة فاشتريتها
فبلغت ما شاء الله فمر بى بعد شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لى ان لى عندك حقا
فقلت له اذكره لى حتى أعرفه قال فذكره فقلت له اياك أبغى وهذا حقك
وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بى ان لم تصدقنى فأعطنى حقى فقلت
والله ما أسخر ان هذا لحقك ومالى فيه شئ فدفعتها اليه اللهم ان كنت فعلت
هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء وقال
الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتنى
امرأة تطلب منى معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت على وذهبت
ثم انها رجعت فذكرتنى بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فأبت
على وذهبت وذكرت ذلك لزوجها فقال لها زوجها أعطيه نفسك وأغيثى
عيالك فرجعت الى تنشدنى بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك
فلما رأت ذلك أسلمت الى نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتى
فقلت لها ما شأنك فقالت انى أخاف الله رب العالمين فقلت لها خفتيه في الشدة

ولم أخفه فى الرخاء فتركتها وأعطيتها ما يحق على نفسى بما تكشفتها اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا هذه الصمة فانصدع الجبل حتى عرفنا وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى أبوان كبيران وكان لى غنم فكنت أطعم أبوىّ وأسقيهما ثم أرجع الى غنمى قال فاصابنى يوما غيث فحبسنى حتى أمسيت فأتيت وأخذت محلبى فحلبت غنمى وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى أبوىّ فوجدتهما قد ناما فشق علىّ أن اوقظهما وشق علىّ أن أترك غنمى فما برحت جالسا ومحلبى فى يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه قال النعمان لكأنى أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الجبل طاق ففرج الله عنهم فخرجوا فقال ابن عباس الرقيم واد بين عطفان وايلة دون فلسطين وهو الوادى الذى فيه أصحاب الكهف قال كعب هى قريتهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه فى صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر أصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر أصحاب الكهف فى أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما السلام وأما قصتهم فيقال لما ولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا له يا عمر أنت ولى الأمر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد أن نسألك عن خصال ان أخبرتنا بها علمنا أن الاسلام حق وأن محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا أن الاسلام باطل وأن محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا أقفال السموات ما هى وأخبرنا عن مفاتيح السموات ما هى وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو وأخبرنا عن من أنذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على الارض ولم يخلقوا فى الأرحام وأخبرنا ما يقول الدراج فى صياحه وما يقول الديك فى صراخه وما يقول الفرس فى صهيله وما يقول الضفدع فى نهيقه وما يقول الحمار فى نهيقه وما يقول القنبر فى صفيره قال فنكس عمر رأسه فى الأرض ثم قال لا عيب بعمر اذا سئل عن ما لا يعلم أن يقول لا أعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد أن محمدا لم يكن نبيا وأن الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسى وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو على بن أبى طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أغث الاسلام فقال وما ذاك فأخبره الخبر فأقبل يرفل فى بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه عمر وثب

قائماً فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى فدعى على كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبى صلى الله عليه وسلم علمنى ألف باب من العلم فتشعب لى من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال على كرم الله وجهه ان لى عليكم شريطة اذا أخبرتكم كما فى توراتكم دخلتم فى ديننا وآمنتم فقالوا نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ما هى قال أقفال السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فأخبرنا عن مفاتيح السموات ما هى قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فجعل بعضهم ينظر الى بعض ويقولون صدق الفتى قالوا فأخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذى التقم يونس بن متى فسار به فى البحار السبعة فقالوا أخبرنا عن من أنذر قومه لا هو من الجن ولا من الانس قال هى نملة سليمان بن داود قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فأخبرنا عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا فى الارحام قال ذلك آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصى موسى قالوا فأخبرنا ما يقول الدراج فى صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوى قالوا فأخبرنا ما يقول الديك فى صراخه قال يقول اذكروا الله يا غافلين قالوا أخبرنا ما يقول الفرس فى صهيله قال يقول اذا مشى المؤمنون الى الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فأخبرنا ما يقول الحمار فى نهيقه قال يلعن العشار وينهق فى أعين الشياطين قالوا فأخبرنا ما يقول الضفدع فى نعيقه قال يقول سبحان ربى المعبود المسبح فى لجج البحار قالوا فأخبرنا ما يقول القنبر فى صفيره قال يقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر فقال اثنان منهم نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ووثب الحبر الثالث فقال يا على لقد وقع فى قلوب أصحابى ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقى خصلة واحدة أسألك عنها فقال سل عما بدا لك فقال أخبرنى عن قوم فى أول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم قال على رضى الله عنه يا يهودى هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودى ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم ان كنت عالما فأخبرنى بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها فاحتبا على كرم الله وجهه ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أخى العرب حدثنى حبيبى محمد

صلى الله عليه وسلم انه كان بأرض رومية مدينة يقال لها أفسوس ويقال هي طرطوس وكان اسمها في الجاهلية افسوس فلما جاء الاسلام سموها طرطوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فاقبل في عساكره حتى دخل افسوس فاتخذها دار ملكه وبنا فيها قصرا فوثب اليهودى وقال ان كنت عالما فصف لى ذلك القصر ومجالسه فقال يا أخي اليهود ابتنى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ فى عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج فى كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرقى المجلس ثمانين كوة ولغربيها كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين تغيب تدور فى المجلس كيف ما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا فى عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فأجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فأجلس عليها هراقلته ثم هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودى وقال يا على ان كنت عالما فاخبرنى مما كان تاجه فقال يا أخا اليهود كان تاجه من الذهب السبيك له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضئ كما يضئ المصباح فى الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من أبناء البطارقة فمنطقهم بمناطق الديباج الاحمر وسرولهم بسراويل القز الاخضر وتوجهم ودملجهم وخلخلهم واعطاهم عمد الذهب وأقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من أولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع أمرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره ثم قال على كرم الله وجهه حدثنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره فمرطليوس وكشطولس وساديوس وكان يستشيرهم فى جميع أموره وكان اذا جلس كل يوم فى صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاث غلمة فى يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفى يد الثانى جام من الفضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع فى جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحه ثم يصيح به الثانية فيطير الطائر فيقع فى جام المسك فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحه ثم يصيح به الثالثة فيطير الطائر فيقع على تاج الملك فينفض رأسه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فمكث الملك فى ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه

وماله

وحاله عتى وطغى وتجبر واستعصى وادّعى الربوبيّة من دون الله تعالى ودعا
اليه وجوه قومه فكل من أجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه
ويتابعه قتله فأجابوا له بأجمعهم فأقام فى ملكه زمانا يعبد ويتبع من دون الله
تعالى فبينما هو ذات يوم جالس فى عيد له على سريره والتاج على رأسه اذ أتى
بعض بطارقته فأخبره ان عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم
لذلك غما شديدا حتى سقط التاج من على رأسه وسقط هو من سريره فنظر
أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تمليخا
فتفكر وتذكر فى نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا الها كما يزعم لما حزن ولما
كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليس هذه الافعال من صفات الاله
وكانت الفتية الستة يكونون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم
نوبة تمليخا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا
يا تمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتى وقع فى قلبى شئ منعنى عن
الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال أطلت فكرى فى
هذه السماء فقلت من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة
من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أطلت
فكرى فى هذه الارض فقلت من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها
وربطها بالجبال الرواسى لئلا تميد ثم أطلت فكرى فى نفسى فقلت من
أخرجنى جنينا من بطن أمى ومن غذانى وربانى ان لهذا صانعا ومدبرا
سوى دقيانوس الملك فانكبت الفتية على رجليه يقبلونها وقالوا يا تمليخا
لقد وقع فى قلوبنا ما وقع فى قلبك فأشر علينا فقال يا اخوتى ما أجد لى
ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الرأى
ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم وصرها فى ردائه وركبوا
خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تمليخا
يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا امره فانزلوا عن خيولكم
وامشوا على أرجلكم لعل الله يجعل لكم من امركم فرجا ومخرجا فنزلوا عن خيولهم
ومشوا على ارجلهم سبع فراسخ حتى صارت ارجلهم تقطر دما لانهم لم
يعتادوا المشى على أقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا أيها الراعى عندك
شربة ماء او لبن فقال عندى ما تحبون ولكنى أرى وجوهكم وجوه الملوك
وما اظنكم الا هرابا فاخبرونى بقصتكم فقالوا يا هذا انا دخلنا فى دين لا يحل
لنا الكذب افينجينا الصدق قال نعم فاخبروه بقصتهم فانكب الراعى على
رجلهم يقبلها ويقول قد وقع فى قلبى ما وقع فى قلوبكم فقفوا لى ههنا

حتى أردّ الأغنام الى أربابها وأعود اليكم فوقفوا له فردّها وأقبل يسعى
فتبعه كلب له فوثب اليهودي قائما فقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني ما كان
لون الكلب واسمه فقال يا أخي اليهود حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم
أن الكلب كان أبلق بسواد وكان اسمه قطمير قال الاستاذ اختلف العلماء
في لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان أنمر وقال مقاتل كان أصفر
وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبي
لونه كالثلج وقيل لون الحمرة وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا فروى
عن علي كرم الله وجهه أن اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي
احدى الروايات عن علي وقال شعيب الجبائي كان اسمه حمران وقال الأوزاعي
نتوى وقال مجاهد قنطور وقال عبدالله بن سلام نسيط وقال كعب ضهى
وقال وهب اسمه بقي وأخبرني ابن فنجوية باسناده عن أبي حنيفة رضي الله عنه
أن اسم كلبهم كان قطمون وقيل قطيفير أخبرني أبو علي الزهري باسناده
عن ابن عباس في قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من اولئك القليل
هم مكسلمينا وتمليخا ومرطليوس وبينوس وساونوس ودوانس وكسطوس
وهو الراعي والكلب اسمه قطمير كلب أنمر فوق القلطي ودون الكركي
وقال محمد بن امست القلطي الكلب الصغير وقال ما بقي بنيسابور محدث
الا كتب عني هذا الحديث وكتبه أبو عمرو الجبري عني * رجعنا الى الحديث
قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انا نخاف أن يفضحنا
هذا الكلب بنبيحه فالحوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد
الحوا عليه بالحجارة والطرد أقعى على رجليه وتمطى وقال بلسان طلق ذلق
يا قوم لم تطردوني وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له دعوني
أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا
فصعد بهم الراعي جبلا وانحط بهم على كهف فوثب اليهودي وقال يا علي
ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين يا أخي اليهود اسم الجبل
ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم * رجعنا الى الحديث قال واذا
بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء
وجنهم الليل فأووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه
وأمر الله ملك الموت فقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين
يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين
قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة مرة لئلا تأكل الأرض لحومهم ويقال
إن يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة كان لهم في كل سنة

تقليبتان

تقليبتان * رجعنا الى الحديث قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت
تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال
فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها
غيرك وخرجوا هرابا منك فركب فى ثمانين ألف فارس وجعل يقفوا آثارهم
حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام
فقال لو أردت أن اعاقبهم بشئ ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم
فأتونى بالبنائين فأتى بهم فردم عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة
ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لالههم الذى فى السماء ان كانوا صادقين
يخرجوا من هذا الموضع فمكثوا ثلثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح
وهبوا من رقدتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه
الليلة عن عبادة الله تعالى قوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار
قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمرنا هذا فى عجب مثل هذه العين قد
غارت فى ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت فى ليلة واحدة فألقى الله
عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فليأتنا بطعام
منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذى يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله
تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما
أى أجل وأجود وأطيب فقال لهم تمليخا يا اخوتى لا يأتيكم أحد بالطعام
غيرى ولكن أيها الراعى ادفع الى ثيابك وخذ ثيابى فلبس ثياب الراعى ومر
وكان يمر بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا
عليه علم أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا
وعليه وسلم فطفق الفتى يمسح عينيه ويقول أرانى نائما فلما طال عليه ذلك
دخل المدينة فمر بأقوام يقرؤن الانجيل واستقبله أقوام لا يعرفهم حتى
انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له ياخباز ما اسم مدينتكم هذه قال
أفسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تمليخا ان كنت صادقا
فان أمرى أمر عجيب ادفع الى بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك
الوقت ثقالا كبارا فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودى وقال
يا على ان كنت عالما فاخبرنى انكم كان وزن الدرهم منها فقال يا أخى اليهود
خبرنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم
وثلثى درهم فقال له الخباز يا هذا انك قد أصبت كنزا فأعطنى بعضه
والا ذهبت بك الى الملك فقال تمليخا ما أصبت كنزا وانما هذا من ثمن تمر
بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه المدينة وهم

تعبدون دقيانوس الملك فغضب الخباز وقال لا ترضى أن أصبت كنزا أن لا تعطيني بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان يدعي الربوبية قد مات منذ ثلثمائة سنة وتسخر بي ثم أمسكه واجتمع الناس ثم انهم أتوا به الى الملك وكان عاقلا عادلا فقال لهم ما قصة هذا الفتى قالوا أصاب كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز الا خمسها فادفع الى خمس هذا الكنز وامض سالما فقال له أيها الملك تثبت في أمري ما أصبت كنزا وانما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهل هذه المدينة قال نعم قال أفتعرف فيها أحدا قال نعم قال فسم لنا فسمى له نحوا من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا ما نعرف هذه الاسماء وليست هي من أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار فقال نعم أيها الملك فابعث معي أحدا فبعث معه الملك وذهب الناس معه حتى أتى بهم دارا أرفع دار في المدينة وقال هذه داري ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزعا مرعوبا مذعورا فقال أيها الناس ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت الى تمليخا ولببه وقال له ما اسمك قال تمليخا بن فلسطين فقال له الشيخ أعد علي فأعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فانهى ذلك الى الملك فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه وحمل تمليخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه وقالوا له يا تمليخا ما فعل بأصحابك فأخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان ملك مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذا تمليخا فلما صاروا قريبا من الكهف قال لهم تمليخا يا قوم اني أخاف أن اخوتي يحسوا بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم والسلاح فيظنوا أن دقيانوس قد غشيهم فيموتوا جميعا فقفوا قليلا حتى أدخل عليهم فأخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تمليخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس فقال دعوني منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاؤكم فقالوا له يا تمليخا تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين قال فماذا تريدون قالوا ارفع يديك ونرفع أيدينا فرفعوا

أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب في أنفسنا الا قبضت
أرواحنا ولم يطلع علينا أحد فامر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس
الله باب الكهف وأقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان
له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فأيقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم وان
أحوالهم كانت عبرة أراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا أنا ابني على باب
الكهف مسجدا وقال النصراني بل ماتوا على ديني فأنا أبني على باب الكهف ديرا
فاقتتل الملكان فغلب المسلم النصراني فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله
تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يا يهودي ما كان
من قصتهم ثم قال علي كرم الله وجهه سألتك بالله يا يهودي أوافق هذا ما في
توراتكم فقال اليهودي ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا أبا الحسن لا تسميني
يهوديا فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنك أعلم هذه
الامة وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين
ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب
وأخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله في قلوبهم
الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه
فقالوا لأنفسهم من غير أن يظهر بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم
لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس
فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر
ذلك ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض
ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه ايمانه مخافة على أنفسهم ثم قالوا لبعضهم
ليخرج كل فتيين منكم فيتخابران ثم يفشي كل واحد منكم أمره الى صاحبه
فخرج فتيان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمر صاحبه فأقبلا وهما
مستبشرين الى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد واذاهم جميعا على
الايمان واذا الكهف من الجبل قريبا منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى
الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف
ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم
فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدموا كتبوا أسماءهم في يوم
كذا وأنسابهم وكتبوا في لوح فلان وفلان ابنا ملوكنا فقدناهم في يوم كذا
في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة
الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن واخبرنا
الحسن بن الحسين الثقفي باسناده عن أبي جعفر الباقر قال كان أصحاب الكهف

سيار فة وقال وهب جاء حوارى من أصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقال له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد الا سجد له فكره أن يدخلها فأتى الى حمام قريبا من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامى وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام فى حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله فى حسن الهيئة وكان يشرط على صاحب الحمام ان الليل لى لا يحول بينى وبينه أحد فيصلى فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيره بها الحوارى وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيى ابن الملك وذهب ثم رجع مرة اخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت اليه ثم انهما دخلا معا فماتا جميعا فى الحمام فأتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمسه فلم يقدر عليه فقال من كان يصحبه أيها الملك أن له رفقة فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم فى زرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا انهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبه حتى أواهم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت هاهنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رايكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك فى أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فأدخلت فيه غنمى من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا وقال محمد بن اسحاق مرج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت ومنهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فى ذلك ممن أقام على دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك فى قرية ينزلها أحدا يدين بدين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهى أفسوس فلما نزلها كبر ذلك على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا فى كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر حين دخلها أن يتبع أهل الايمان فيجمعوا اليه واتخذ شرطا من كبار أهلها وجعلوا يتبعون أهل

الايمان فى أماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم الى الجامع الذى يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرغب فى الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة بالايمان بالله جعلوا يسلموا أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم يقطعون ويربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان فمنهم من أقر وترك ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس والدعاء وكانوا من أشراف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلا وانعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينما هم على ذلك اذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا فى مصلى فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ويسئلوه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم اولئك الكفرة قالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم الى دقيانوس ثم قالوا له الجميع ان هؤلاء الفتية من أهل بيتك وهم يسخرون منك ويعصونك فلما سمع ذلك أتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم فى التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح للألهة التى نعبدها فى الارض وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم ثم انهم خيروا اما أن يذبحوا لالهتهم كما ذبح غيرهم من الناس واما أن يقتلهم الملك فقال مكسلمينا وكان اكبرهم ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة لن ندعو من دونه الها أبدا ولن نقر بهذا الذى تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد ربنا له التحميد والتكبير والتسبيح والتقديس من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاه والخير واما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا ما بدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك أمر بهم فنزع لبوس كانت عليهم من لبوس عظمائهم ثم قال لهم انكم اذا فعلتم ما فعلتم وانى مؤخركم وأتفرغ لكم فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما ينبغى أن أعجل لكم ذلك لانى أراكم شبابا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا فتراجعوا فيه عقولكم ثم أمر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قريبا منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكرهم

فأتمروا أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا
بما بقي ثم ينطلقون الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ناجلوس فيسكنون
فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع
بهم مايشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه وأخذ
نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان
لأحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه قال ابن عباس هربوا ليلاً من
دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وقال
كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فنبح عليهم فطردوه ففعلوا ذلك مراراً
فقال لهم الكلب ماتريدون مني لا تخشوا جانبي أنا أحب الله فناموا حتى
أحرسكم * رجعنا الى حديث ابن اسحاق فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم
عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له
تمليخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سراً وكان من أجلدهم وأجملهم
فكان تمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ
ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ درهما فينطلق الى
المدينة فيشتري طعاما وشرابا ويسمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكرونهم
بشيء ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا بذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة
فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا
بالمدينة يشتري طعاما فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام فأخبرهم
أن دقيانوس دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة
ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجداً يدعون الله
تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم
يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطعموا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم
وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على أنفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب
الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فبيناهم
كذلك اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد
بباب الكهف فأصابهم ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس
والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية
الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبوا أني غضبان عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمري
ما كنت أحمل عليهم في نفسي ولا لواحد منهم ان تابوا وعبدوا آلهتي فقال
عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم
ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الأجل

ولكنهم

ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أما نحن فلم نعصك ولم تقتلنا بقوم مردة وأنهم خالفونا وانطلقوا الى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدري ما يصنع بالفتية فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى ان يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظا يعلمون ما يصنع وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال قال ثم ان رجلين كانا مؤمنين وكانا في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما تندروس والآخر روباس ائتمروا أن يكتبوا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعلاه في تابوت من رصاص ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعلا ذلك وبنيا عليه فبقى دقيانوس ما بقى ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقى في ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس في ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكى الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأى من أهل الباطل يريدون يظهرون على أهل الحق وأنهم يقولون لاحياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد وأما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما في الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرسل الى من فيه خير وأنهم أئمة في الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فكان ليله ونهاره زمانا يتضرع ويبكي مما يرى فيه الناس ويقول يارب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ثم ان الرحمن الرحيم جل وعز الذي يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها وأنه يستجيب لعبده

الصّالح تندوسيس وأن يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذى أعطاه ولا يعبد الا الله لاشريك له ولا يشرك به شياء وأن يجمع من كان تبدّد من المؤمنين فألقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل اولياس أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حضيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ليبنيان بها تلك الحضيرة حتى نزعاما على فم الكهف وفتحا عليهم باب الكهف فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف أفاقوا من رقدتهم فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم التى يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصّلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لايرى فى وجوههم ولا أبشارهم ولا ألوانهم شياء ينكرونه وأنهم كهيئتهم حين رقدوا ويرون أن ملكهم دقيانوس وأنه فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقاتهم بيّن لنا ما الذى قال الناس فى شاننا عشيّة أمس عند هذا الجبّار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيّل لهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون فى الليلة التى أصبحوا بها حتى تسألوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا ان التمستم فى المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا قالوا فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدا ثم قالوا يا تمليخا انطلق الى المدينة فتسمّع ما يقال عنا بها اليوم وتلطف ولا يشعرن بك أحدا وابتع لنا طعاما وأتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به أمس فانه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به الى الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لأهل الايمان فلما رآها عجب وجعل ينظر مستخفيا اليها فنظر يمينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى مثل ذلك

اى الجمل الصغير

فجعل

فجعل يتخيل له أن المدينة ليست بالذى كان يعرف ورأى ناسا كثيرا
بحرس لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم
انه رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت
شعرى أما هذه عشية أمس وكان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون
بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلى حالم ثم يرى أنه لم ينم فأخذ كساءه وجعله
على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى بين أظهر أهل سوقها فجعل يسمع ناسا
يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسندا
ظهره الى جدار من جدر المدينة وهو يقول فى نفسه والله ما أدرى ما هذا
أما عشية أمس فليس على الارض أحد يذكر عيسى الا قتل وأما الغداة فاسمعهم
وكل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال فى نفسه لعل هذه ليست
بالمدينة التى أعرفها فانى أعرف كلام أهلها ولا أعرف واحدا منهم والله ما أعلم
مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجه وجها ثم انه لقى فتى من أهل
المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة قال افسوس فقال فى نفسه لعل بى
مسا أو أمرا أذهب عقلى والله يحق لى أن ابادر الخروج منها قبل أن يصيبنى
شر فأهلك هذا ما يحدث به تمليخا أصحابه حتى يبين لهم ما هم فيه ثم أفاق
وقال ان لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بى لكان أيسر لى فدنى
من الذين يبيعون الطعام ثم أخرج الورق الذى كان معه فأعطاها رجلا منهم
وقال يا عبد الله بعنى بهذه طعاما فأخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها
فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم
من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون من أجله ففرق فرقا
شديدا فجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن
يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس قال وجعل ناس أخر يأتونه ويتعرفونه فقال
لهم وهو شديد الفرق افصلوا قد أخذتم ورقى فأمسكتموها فلا حاجة لى
فى طعامكم فقالوا يا فتى من أنت وما شانك والله لقد وجدت كنزا من كنوز
الاولين فأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه
نخفف عليك ما وجدت فانك ان لم تفعل فنأت السلطان ونسلمك اليه فلما
سمع قولهم عجب فى نفسه ثم قال قد وقعت فى كل شئ كنت أحذر منه ثم
قالوا والله يا فتى انك لا تستطيع أن تكتم ما وجدت ولا تظن فى نفسك أنه
سيخفى عليك فتحير فى نفسه وليس يدرى ما يقول لهم وما يرجع اليه وفرق
حتى ما يخبرهم بشئ فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه فى
عنقه ثم جعلوا يقودونه فى سكك المدينة مليا حتى سمع به من فيها وقيل

أخذ رجل عنده كنز فاجتمع عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا
ينظرون اليه ويقولون ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها
قط فجعل تمليخا ما يدري ما يقول مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل
المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال انه من اهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا
أن أباه واخوته في المدينة وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها فانهم
سيأتونه اذا سمعوا وقد استيقن أنه عشية أمس وأنه يعرف كثيرا من أهلها
وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه
بعض أهله فيخلصه من أيديهم فبينما هو كذلك اذ قد اختطفوه وانطلقوا
به الى رئيسي المدينة وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أربوس واسم الآخر
اسطيوس فلما انطلقوا به ظن تمليخا أنهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل
يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران
فجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والأرض
أفرغ علي اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل
يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون ما لقيت فيأتوني
فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قد تواقفنا لنكونن معا ولا نفترق
في موت ولا حياة أبدا ياليت شعري ما هو فاعل بي هل هو قاتلي أم لا هذا
ما حدث به تمليخا أصحابه عن نفسه حين رجع اليهم فانتهى به الى الرجلين الصالحين
فلما علم أنه لم يذهب به الى دقيانوس أفاق وسكن فأخذ أربوس وأسطيوس
الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي وجدت يا فتى
فقال ما وجدت كنزا وانما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة
وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال أحدهما
من أنت فقال له تمليخا قال فمن أبوك ومن يعرفك بها فأنبأهم باسم أبيه فلم
يجدوا أحدا يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا فلم يدر تمليخا
ما يقول غير أنه نكس بصره الى الأرض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال
بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقام أحدهم ونظر
اليه نظرا شديدا وقال له أتظن انا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك
ولضرب هذا الورق ونقشه أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب فتظن أن
تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها
وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار لأعذبنك
عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفني هذا الكنز الذي وجدت فلما قال له ذلك قال
له تمليخا أنبئوني عن شئ أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل

لا نكتمك

لا نكتمك شيأ قال ما فعل بالملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال له تمليخا فوالله ما أجد من الناس أحدا يصدقني ما أقول لقد كنا فتية وان الملك دقيانوس اكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا فلما انتبهنا خرجت لأشترى لأصحابى طعاما وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معى الى الكهف الذى فى جبل ناجلوس اريكم أصحابى فلما سمع أربوس ما يقول تمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه فانطلق معه أربوس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا أن تمليخا قد احتبس لانه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم فى القدر الذى كان يأتى فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفون اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وأنه بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأتى أخانا تمليخا فانه الآن بين يدى دقيانوس ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهرى الكهف لم يشعروا الا وأربوس وأصحابه وقوف على باب الكهف وان تمليخا سبقهم فدخل عليهم وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم انهم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على اثر تمليخا أربوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة وفتح التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما ان مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونش ودانيوس وبكريوس وبطسونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم كتب هذا فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله الذى أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أربوس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن ذلك الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أربوس وأصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح تندوسيس أن أعجل لعلك تنظر الى آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله

في مملكتك فاعجل الى فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما
أتى الخبر قام من السدة الذى كان عليها وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض
تطولت علىّ ورحمتني برحمتك فلم تطفئ النور الذى جعلته لآباءى وللعبد الصالح
قسطيطوس الملك فلما نبا به أهل المدينة ركبوا اليه وسار وامعه حتى أتوا
الكهف فلما رأى الفتية تندوسيس الملك فرحوا به وخرّوا اسجّدا لله على وجوههم
وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض
يسبّحون الله ويحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ
عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والانس فبينما
الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك اليهم
فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوتا من ذهب فلما أمسوا أتوه
في المنام فقالوا انّا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى
التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك
حينئذ بتوابيت من ساج فجعلوا فيها وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب
فلم يقدر أحد أن يدخل وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه
وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل انهم لما أتوا باب الكهف
قال تمليخا دعوني أدخل على أصحابي فأبشرهم فدخل وقبض الله روحه وأرواحهم
وعمى عليهم مكانهم فلم يهتد واليه كما ذكر علىّ بن أبي طالب كرم الله وجهه فهذا
خبر أصحاب الكهف ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن
يراهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار أصحابك
ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل كيف أبعثهم قال ابسط كساءك واجلس على طرف من أطرافه أبي بكر
وعلى الثاني عمر وعلى الثالث علىّ بن أبي طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أبا ذرّ
ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله أمرها أن تطيعك ففعل
النبىّ عليه السلام ما أمره به فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم الى باب الكهف فلما
دنوا من باب الكهف قلعوا منه حجرا فقام الكلب حين أبصر الضوء وهز وحمل
عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف
فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردّ الله عليهم أرواحهم
فقاموا بأجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا انّ نبي الله
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله
السلام ما دامت السموات والارض وعليكم بما بلغتم ثم انهم جلسوا بأجمعهم
يتحدثون فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا أقرؤا

محمدا صلى الله عليه وسلم السلام ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم
الى آخر الزمان عند خروج المهدي فيقال ان المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله
تعالى له ثم انهم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم انهم
جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح الرخاء فهبط جبريل عليه السلام
فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم
قال كيف وجدتموهم وما الذى أجابوا فقالوا يا رسول الله دخلنا عليهم
وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام بأجمعهم وبلغناهم رسالتك فأجابوا
وأنابوا وشهدوا أنك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك
وتوجيه رسلك اليهم وهم يقرؤنك السلام فقال عليه السلام اللهم لا تفرق
بيني وبين أصهاري وأحبائي واغفر لمن أحبني وأحب أهل بيتي وأحب أمتي
وأحب أصحابي * باب في ذكر خبر جرجيس عليه السلام أخبرنا

مطلب في ذكر جرجيس عليه السلام

أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه اليماني قال كان
في الموصل ملك يقال له زاذانه وكان قد ملك الشام كلها ودان له أهلها وكان
جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له أفلون وكان جرجيس عبدا صالحا من
أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وكان
تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن
يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه
اليه لئلا يجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا دونه فجاءه وقد برز في مجلس
له وأمر بصنمه أفلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من
خالفه بأنواع العذاب وقد أوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لأفلون ألقي
في تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام ما يصنع فظع به وهاله وأعظمه
وحدث نفسه بجهاده وألقى الله في نفسه بغضه ومجاهدته فعمد الى المال
الذى أراد أن يهديه له فقسمه في أهل ملته حتى لم يبق منه شئ وكره أن
يجاهده بالمال وأحب أن يلي ذلك بنفسه فأقبل عليه وقال له اعلم أنك
عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك وان لك ربا هو الذى يملكك
وغيرك وهو الذى خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك
وانك انما عمدت الى خلق من خلقه وقال له كن فصار أصم لا يسمع
ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني عنك شيأ فزينته بالذهب والفضه وجعلته
فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك له أن سأله عن حاله
وأمره ومن هو وأين هو فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته
أذل عباده وأفقرهم اليه من التراب خلقت واليه أصير فقال له الملك

أو كان ربك الذى تزعم كما تقول لرؤى أثره كما رؤى أثرى على من حولى
ومن هو فى طاعتى فأجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره ثم قال له أتعدل
أفلون الاصم الابكم الذى لا يغنى عنك شياء برب العالمين الذى قامت
السموات والارض بأمره أم تعدل طرقاتنا وما نال فى ولايتك فانه عظيم
قومك بما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان فى بدو أمره آدميا
يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى أنبت له الريش وكساه
النور فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخلطيس
وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى
فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله آية للمعتبرين أم تعدل هذه
الروح الطيبة التى اختارها الله بكلمته وسواها على ايمانه وما نالت بولاية
الله بأربيل وما نالت بولايتك فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فأسلمها
الله مع عظم ملكها حتى اقتحمت عليها الكلاب فى بيتها فانتهشت لحمها وولغت
فى دمها وقطعت الضباع أوصالها فقال له الملك انك لتحدثنا بشئ ليس لنا
به علم فائتنا بالرجلين الذى ذكرتهما حتى أنظر اليهما فانى انكر هذا من أمر
البشر فقال له جرجيس انك انما جاءك الانكار من قبل الغرة بالله تعالى وأما
الرجلان فلن تراهما ولا يرياك الا أن تعمل بعملهما فتنزل منازلهما فقال له
الملك أما نحن فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك فخرت بامور عجزت
عنها ولم تأت بتصديقها ثم ان الملك خير جرجيس بين العذاب وبين
السجود لأفلون فقال له جرجيس ان كان أفلون هو الذى رفع السما ووضع
الارض فقد أصبت ونصحت لى والا فاخسأ أيها النجس الملعون فلما سمعها
الملك غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل عليها
أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه وانضح
فى خلال ذلك بالخل والخردل فحفظه الله من ذلك الألم والهلاك فلما رأى
الملك أن ذلك لم يقتله أمر بست مسامير من حديد فأحميت حتى جعلت
نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الألم والهلاك فلما رأى ذلك
أنه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتى اذا جعله نارا أمر به فأدخل
فى جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله
دعا به فقال له يا جرجيس أما تجد ألم هذا العذاب الذى تعذب به فقال ان
ربى الذى أخبرتك به حمل العذاب عنى وصبرنى لاحتج عليك فلما قال له ذلك
أيقن بالشر وخافه على نفسه وملكه وأجمع رأيه على أن يخلده فى السجن
فقال له الملأ من قومه انك ان تركته طليقا فى السجن فيكلم الناس أوشك

أن يميل بهم عليك ولكن مُر له بعذاب في السجن فيشغله عن كلام الناس فأمر به فبطح على وجهه ثم أوتده في يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد في كل ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على ظهره ثم انه حمل على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فظل يومه ذلك موتدا تحت الحجر فلما أدركه الليل أرسل الله تعالى اليه ملكا وذلك أول ما أيده الله تعالى بالملائكة وأول ما جاءه الوحي فقلع عنه الحجر ونزع الأوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبح اخرجه من السجن ثم قال له الحق بعدوك فجاهده في الله حق جهاده فان الله يقول لك اصبر وابشر فاني قد ابتليتك بعدوي هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات وفي كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كان في القتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعروا الا وقد وقف جرجيس على رؤسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك يا جرجيس من أخرجك من السجن فقال أخرجني الذي سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك ملئ غيظا ودعا بأصناف العذاب حتى ما يخلف منها شئ فلما رآها جرجيس أوجس في نفسه خيفة وجزعا ثم أقبل على نفسه يعاقبها بأعلا صوته وهم يسمعون فلما فرغ من عتابه قال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق رأسه فنشروه حتى سقط من بين رجليه وصار جزئين ثم عمدوا الى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة أسود ضارية كانت لهم في جب وكانوا صنفا من أصناف عذابهم فرموا بجسده اليها فلما أهوى اليها أمرها الله عز وجل فخضعت برؤسها وأعناقها وقامت على براثنها تقيه الالم فظل يومه ذلك ميتا وكانت أول موتة ماتها فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذي قطعوه بعضه الى بعض حتى سواه ثم رد الله اليه روحه وأرسل الله له ملكا فأخرجه من قعر الجب فأطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبحوا قال له الملك يا جرجيس قال لبيك قال له اعلم أن القدرة التي خلق الله بها آدم هي التي أخرجتك من قعر الجب اخرج فالحق بعدوك وجاهده في الله حق جهاده ومت موت الصابرين فلم يشعر الملك وأصحابه الاخرون الا وقد أقبل جرجيس وهم عكوف على عيد لهم قد صنعوه فرحا بموت جرجيس فلما نظروا الى جرجيس مقبلا قال الملك ما أشبه هذا الرجل بجرجيس فقالوا كأنه هو فقال الملك ليس هو حقا ألا ترون الى سكون ريحه وقلة هيبته فقال جرجيس بل هو أنا فلبئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فأحياني الله بعد ذلك فهلموا الى الرب العظيم الذي أراكم ما أراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر أعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من السحرة فلما جاء السحرة

قال الملك لكبيرهم أعرض على من كبير سحرك ما يسر عيني فقال ادع لي بثور من البقر فلما أتى به نفث في احد أذنيه فانشقت باثنتين ثم نفث في الأذن الاخرى فاذا هو ثوران ثم دعا ببذر فحرث وبذر ونبت الزرع واحصد ثم داس وذرّا وطحن وعجن وخبز كل ذلك في ساعة واحدة وهم يرون فقال له الملك هل تقدر أن تمسخ لي جرجيس دابة فقال الساحر أيّ دابة تطلب أمسخه لك قال كلبا فقال الساحر ادع لي بقدح من ماء فلما أوتي بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه أن يشربه فشربه جرجيس حتى أتى على آخره فلما فرغ منه قال له الساحر ما ذا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت قد عطشت فعطف الله لي بهذا الشراب وقوّاني به عليكم فلما قال ذلك أقبل الساحر على الملك وقال أيها الملك اعلم انك لو كنت تقايس رجلا مثلك اذا لكنت غلبته ولكنك تقايس جبار السموات والارض وهو الملك الذي لا يرام وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بجرجيس وما يصنع من الاعاجيب فأتته وهو في أشد ما فيه من البلاء فقالت له يا جرجيس أنا امرأة مسكينة ولم يكن لي مال الا ثورين أحرث عليهما فماتا فجئتك لترحمني وتدعوا الله أن يحيي لي ثوريّ فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحيي لها ثوريها ثم انه أعطاها عصى وقال لها اذهبي الى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصى وقولي لهما احييا باذن الله تعالى فقالت له يا جرجيس ان ثوراي قد ماتا منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع وبيني وبينهما أيام فقال لها لو لم تجدي منهما الا شيئا يسيرا وقرعتيه بالعصى فانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى أتت مصرعهما وكان أول شئ بدا لها من ثوريها أحد قرنيه وشعر أذنيه فجمعت احدهما الى الاخرى وقرعتهما بالعصى وقالت كما أمرها فقاما الثوران باذن الله تعالى وعملت عليهما حتى جاءهم الخبر بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم عند الملك انكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر وانكم قد عذبتموه فلم يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساحرا يدرأ عن نفسه الموت وأنه أحيا ميتا قط فقالوا له ان كلامك لكلام رجل قد صبا اليه فلعله استهواك اليه فقال آمنت بالله وأشهد اني بريء مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقتلوه فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس وذلك الميت أربعة آلاف آمنوا فعمد اليهم الملك فلم يزل يعذبهم بألوان العذاب حتى أفناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك فأحيا لك أصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك

فقال

فقال له جرجيس ما خلى بيني وبينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له مخليطس انك زعمت يا جرجيس أن الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمرا ان فعلته آمنت بك وصدقتك وكفيتك نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيا ومائدة بيننا عليها أقداح وصحاف من أشجار شتى فادع ربك ينشئ هذه الكراسى والاوانى كما بدأها أول مرة تعود خضرا فيعرف كل عود منها انبوبته وورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سألت أمرا عزيزا علىّ وعليك وانه على الله لهين فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسى والأوانى كلها وساخت عروقها والتبست اللحم وتشعبت وأورقت وأزهرت وأثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم مخليطس الذى تمنى عليه ما تمنى فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يبطل به كيده ثم انه عمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الحشو فى جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شئ فيها واختلط جرجيس فى جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فملأت السما سحابا أسودا فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله اعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى اسود بين السماء والأرض فمكثوا أياما متحيرين فى تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التى فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب بها الأرض ففزع من روعها أهل الشام فخروا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما أنه وقف يكلمهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السما والأرض فرجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوفيليا لا ندرى يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذى يصنع فادعه يحيى لنا موتانا التى فى هذه القبور فان فيها أمواتا منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس لقد علمت ان ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويريكم هذه الأعاجيب الا كانت عليكم حجة فتستوجبون بها غضبه ثم انه أمر بالقبور فنبشت وهى عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رهط وخمس نسوة وثلاث صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال له يا جرجيس اسمى توبيل قال متى مت قال فى زمن كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الى ما فعل قالوا ما بقى من أصناف العذاب شئ الا وقد عذبتموه به الا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمدوا

الى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحصروه فى بيتها
وكانوا لا يوصلوا له من عند أحد طعام ولا شراب فلما بلغ به الجوع قال للعجوز
هل عندك من طعام أو شراب فقالت لا والذى يحلف به ما عهدنا الطعام
عند كذا وكذا وسأخرج ألتمس لك شيا فقال لها جرجيس هل تعرفين الله
تعالى قالت نعم قال وإياه تعبدين قالت لا فدعاها الى الله فصدقت ثم انها
انطلقت تطلب له شياء وكان فى بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب
البيت فأقبل على الدعاء فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل
أو تعرف حتى كان مما أنبتت اللوبيا والليازهو مثل البردى يكون بالشام
وظهر للدعامة فرع من فوق البيت أظله وما فوقه فأقبلت العجوز وهو
فيما شاء يأكل رغدا فلما رأت الذى حدث فى بيتها من بعدها قالت آمنت بالذى
أطعمك فى بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفى ابنى قال لها ادنيه منى
فأدنته فبصق فى عينيه فأبصر ونفث فى أذنيه فسمع فقالت له أطلق
لسانه ورجليه رحمك الله فقال لها أخريه فان له يوما عظيما وكان الملك
قد خرج يوما يسير فى مدينته اذ وقع بصره على الشجرة فقال انى أرى
شجرة بمكان ما كنت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر
الذى أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز
الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فأمر الملك بالبيت فهدم والشجرة أن
تقطع فلما هموا بقطعها أيبس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها
وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر بعجل فأوقر
أسطوانا وجعل فى أسفل العجل خناجرا وشفارا ثم أمر بأربعين ثورا فنهضت
بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فأمر بقطعة
أن تحرق فألقيت فى النار حتى عادت رمادا فبعث بذلك الرماد وبعث معه
رجالا فذروه فى البحر فما برحوا من مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر
ان الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فانى اريد أن أعيده
كما كان ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد
صبرة كهيئته قبل أن يذر فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا
ورجع جرجيس وأخبروا الملك خبر الصوت الذى سمعوه والريح الذى
جمعته فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لى ولك مما نحن فيه ولولا
يقول الناس انك غلبتنى وقهرتنى لاتبعتك وآمنت بك ولكن اسجد له
لأفلون سجدة واحدة واذبح له شاة واحدة ثم انى أفعل ما يسرك فقال له
نعم مهما شئت فعلت فأدخلنى على صنمك ففرح الملك بقوله وقام اليه

وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له أعزم عليك أن لا تظل هذا اليوم ولا تبيت
هذه الليلة الا في بيتي وعلى فراشي وفي كرامتي حتى تستريح ويذهب عنك وصب
العذاب ويرى الناس كرامتك على فأخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتى اذا أدرك
الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة الملك
استجابت له فلم يشعر الا وهي خلفه تبكي معه فدعاها جرجيس الى الايمان فآمنت
به وأمرها فكتمت ايمانها فلما أن أصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها
فلما سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها وتوبخ جرجيس والناس
مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظروا
واذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما ثم ان جرجيس دعا ابن
العجوز باسمه فنطق وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه
يمشي على رجليه ولم يكن يطأ الأرض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدي
جرجيس قال له اذهب فادع لي هذه الاصنام وهي يومئذ سبعون صنما على
منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها القمر فقال له الغلام كيف
أدعو الاصنام فقال له قل لها ان جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقك
الا ما أجبتيه فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت
اليه ركض الأرض برجله فخسف بها وبمنابرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف
صنم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلمه
جرجيس فقال له جرجيس أخبرني أيها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذي
يحملك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم أنك وجندك
تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين ما أشرقت عليه الشمس
وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم وضلالته لاخترت
هلكته على ذلك كله وانه ليقع لي من الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما يتلذذ
به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى أسجد لابيك آدم جميع الملائكة
فسجد واله كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال
هذا خلى سبيله جرجيس فما دخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله
بعدها فيما يذكرون أبدا فقال الملك يا جرجيس غررتني وخدعتني وهلكت
آلهتي فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آلهة لامتنعت
مني فكيف ثقتك ويلك بآلهة لم تمنع نفسها مني وانما أنا مخلوق ضعيف لا أملك
الا ما ملكني ربي فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت
لهم عن ايمانها وعددت لهم أفعال جرجيس والعبر التي أراهم الله تعالى
اياها وقالت لهم أما تنتظرون من هذا الرجل الا دعوة فيخسف بكم الأرض

كما خسف باصنامكم الله الله أيها القوم فى أنفسكم فقال لها الملك ويحك
ياسكندره ما أسرع ما أضلك هذا الساحر فى ليلة واحدة وأنا اقاسيه منذ
سبع سنين فلم يظفر منى بشئ فقالت له أما رأيت الله كيف يظفره بك
ويسلطه عليك فيكون له الفلج والحجة عليك فى كل موطن فلما سمع كلامها أمر بها
الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التى كان علق عليها وجعلت عليها
الامشاط التى جعلت على جرجيس فلما ألمت قالت ادع ربك يا جرجيس فيخفف
عنى فانى قد آلمنى العذاب فقال لها انظرى فوقك فلما نظرت ضحكت فقال
لها ما الذى يضحكك قالت أرى ملكين فوقى معهما تاج من حلى الجنة ينتظرون
به خروج روحى فلما خرجت روحها زيناها بذلك التاج ثم صعدا بها الى الجنة
فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء فقال اللهم أنت اكرمتنى بهذا البلا
لتعطينى منازل الشهداء فهذا آخر أيامى الذى كنت وعدتنى فيه الراحة
من بلاء الدنيا فانى أسألك أن لا تقبض روحى ولا أزول من مكانى هذا
حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم به حتى
تشفى به صدرى وتقر به عينى فانهم ظلمونى وعذبونى اللهم وأسألك
أن لا يدعو بعدى داع فى بلاء وكرب فيذكرنى وينشدك باسمى الا فرجت
عنه ورحمته وأجبته وشفعتنى فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله
عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق
ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها
وصارت رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت
زمانا من الدهر يخرج من تحتها دخان منتن لا يشمه أحد الا سقم سقما
شديدا وهذا ما كان من أمر جرجيس وقتل معه أربعة وثلاثون ألفا
وامرأة الملك قال الاستاذ كان آخر قصة جرجيس فى أيام ملوك الطوائف
والله أعلم * باب فى قصة شمسون النبى عليه السلام قال الله
تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر أخبرنا
أبو عمرو العراقى باسناده عن أبى نجيح أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا
من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك
فانزل الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة
القدر خير من ألف شهر الذى لبس الرجل فيها السلاح فى سبيل الله ألف شهر
أخبرنا عبد الله بن الضبي باسناده عن وهب بن منبه أن رجلا من أهل قرية
من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل
وكانت أمه قد جعلته يديره وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله

مطلب فى قصة شمسون النبى

وكان

وكان منزلته فيها على أميال غير كثيرة وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب الأموال وكان اذا قاتلهم لقيهم بالجحفة لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فتعب وعطش انفجر له من الحجر الذي في اللحي ماء عذب فيشرب منه حتى يروى وكان قد اعطي قوة من البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره فجاهدهم في الله ألف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شيء فاحتالوا عليه وقالوا لا نأتيه الا من قبل امرأته فجعلوا لها جعلا على ذلك فأجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام فأوثقي يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام أوثقت يده الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذبه بيده فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فأرسلت اليهم وقالت لهم اني قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيأ فأرسلوا اليها بجامعة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها في عنقه فلما نام جعلتها في عنقه ثم أحكمتها فلما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل في الارض شيأ يغلبك قال لا الا شيء واحد قالت وما هو قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان أمي كانت أخبرتني أن لا يغلبني شيء أبدا ولا يغيظني الا شعري فلما نام أوثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فأوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا وأخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفقاؤا عينيه وأوقفوه للناس بين ظهراني المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على أن يسلطه عليهم فأمر أن يأخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعا فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدما وهلكت أيضا امرأته معهم ورد على شمسون النبي بصره وما أصابوا من جسده تاما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون في أيام ملوك الطوائف

مطلب في قصة أصحاب الاخدود

* باب في قصة أصحاب الاخدود

قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات روى عطاء عن ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث لي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبد الله ابن التامر يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة

أبيه فجعل يختلف الى الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فأعجبه وكان يبطئ عند الراهب ويأتى الى المعلم فيضربه ويقول له ما الذى حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له ما أبطاك فشكى الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت الى المعلم فقل له حبسني أبي واذا أتيت أباك فقل حبسني المعلم وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فمر بها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فأتى الى الراهب فأخبره فقال له الراهب أنت قتلتها قال نعم قال ان لك لشأنا وقد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدلن على فكان الغلام يبرئ الاكمه والأبرص ويشفى المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاء مع قائد وقال له أنت قتلت الحية قال لا قال فمن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والأرض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا فادع الله أن يرد على بصرى فقال له الغلام أرأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والأرض فقال له الملك أخبرنى من علمك هذا فأبى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجئ بالغلام فقال له الملك يا بنى قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام انى لا أشفى أحدا وانما يشفى الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجئ بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار ووضعه في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقتان ثم جئ بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروة الجبل فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ثم جاء الغلام يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فغاظ الملك ذلك فدفعه الى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقور وهى السفينة واطرحوه في البحر وتجوبوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاقذفوه في البحر وغرقوه فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك

فقال

فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك اقتلوه بالسيف
فنبا السيف عنه وفشى خبره في الارض وعرفه الناس وعظموه وعلموا أنه
هو وأصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلي الا أن
تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك
فتصلبني على جذع ثم ترميني بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل الملك
ذلك ثم رماه وقال بسم الله فأصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال
الناس لا اله الا اله عبد الله بن الثامر ولا دين الا دينه فلما آمن الناس برب
العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك
وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم
عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه
في الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم
رضيع فقال لها الملك أترجعين عن دينك والا ألقيتك وأولادك في النار
فأبت فأخذ ابنها الاكبر فالقى في النار ثم أخذ الاوسط وقال لها ارجعي عن
دينك فأبت فالقى أيضا في النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي فأبت فأمر بالقائه
في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا أماه لا ترجعي عن الاسلام
فانك على الحق ولا بأس عليك فالقي الصبي في النار وأمه على اثره وقد روى هذا
بنحو ما ذكرنا مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أبو القاسم
الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمثل معناه وقد تكلم ستة في المهد شاهد الصديق
وابن ماشطة بنت فرعون ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج
الراهب وصاحب الاخدود وقال سعيد بن المسيب كنا عند عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع
يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر واروه
حيث وجدتموه وقال مقاتل كان الأخدود ثلاثة واحد بنجران اليمن والآخر
بالشام والآخر بفارس فهو بخت نصر وكانت قصته ما أخبرنا عبد الله
ابن حامد باسناده عن أبي أروى قال لما هزم المسلمون أهل الاسفندهار
وانصرفوا فجاءهم نعي عمر فاجتمعوا وقالوا أي شئ يجرى على المجوس من الاحكام
فانهم ليسوا بأهل كتاب وليسوا من مشركي العرب فقال علي كرم الله وجهه
بالجنة بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمرة قد أحلت
لهم فتناول ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها
فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج

منه فقالت المخرج منه أنك تخطب الناس فتقول أيها الناس ان الله قد أحل لكم الاخوات واذا ذهب هذا في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال أيها الناس ان الله أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا ما جاءنا بهذا نبي ولا أنزل علينا في كتاب فرجع الى أخته وقال ويحك ان الناس قد أبوا علي فقالت ابسط فيهم السوط فأبوا فقال لها ان الناس قد أبوا قالت فجرد فيهم السيف فأبوا أن يقروا قالت فخد لهم الاخدود ثم أعرضهم عليه فمن تابعك خل عنه ومن أبى فاقذفه في النار فخد الاخدود وأوقد فيه النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله فأنزل الله تعالى فيهم قتل أصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق فبذوها الذى في اليمن فهو يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن تبع بن السرح الحميرى وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحاق بن بشار عن وهب بن منبه ان رجلا كان بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فأجابوه فخيرهم ذو نواس بين القتل واليهودية فأبوا عليه فاحرق منهم اثنى عشر ألفا وقال مقاتل انما قذف في النار يومئذ منهم سبعة وسبعين انسانا وقال الكلبي كان أصحاب الاخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنين في النار خرجت النار من على شفير الأخدود فأحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثنى عشر ذراعا ونجا ذو نواس فسلط الله عليهم أرياط الحبشي حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فأغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو بن معدي كرب *

أتوعدني كأنك ذو رعين * بأنعم عيشة أو ذو نواس
وقد ما كان قبلك في نعيم * وملك ثابت في الناس راس
فقد تم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاس
فأمسى أهله بادوا وأمسى * ينقل في أناس من أناس

ويروى * أزمن الدهر عليهم * يحول * صحّح * من أناس في أناس

مطلب قصة أصحاب الفيل

* باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحاق بن بشار كان من حديث أصحاب الفيل ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعن من بقى من علماء اليمن وغيرهم أن ملكا من ملوك حمير يقال له ذرعة ذو نواس كان قد تهود واستجمعت معه حمير على ذلك الا ما كان من أهل نجران فانهم كانوا على النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبد الله ابن الثامر فدعاهم الى اليهودية فأبوا فخيرهم فاختاروا القتل فخد لهم

الاخدود

الاخدود وصنف لهم أصناف القتل فمنهم من قتل ومنهم من ألقى فى النار الا رجلا من أهل سباء يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم فى الرمل فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكنى اكتب لك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فكتب له الى النجاشى يأمره بنصره فلما قدم على النجاشى بعث معه رجلا من الحبشة يقال له ارياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واخرب ثلث بلادها وابعث الىّ بثلث سباياها فلما دخلها ناوشهم القتال فتنضر قواعن ذونواس واقتحم بفرسه فاستعرض به البحر فهلكا جميعا فكان آخر العهد به ودخلها ارياط فعل بما أمره النجاشى فقال درنجان الحميرى فيما أصاب أهل اليمن شعرا

دعينى لا أبالك لم تطيقى * لحاك الله قد أنزفت ريقى
لذا عرف القيان اذا انتشينا * وان نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عار * اذا لم يشكنى فيها رفيقى
وانّ الموت لا ينهاه ناه * ولو شرب الشفاء مع النشوق
ولا مترهب فى اسطوان * يناطح جلده بيض الأنوق
وغمدان الذى نبئت عنه * بنوه ممسكا فى راس نيق
لمنهمة وأسفله حروث * وحرّ الموحل اللثق الزليق
مصابيح السليط يلحن فيه * اذا يمسى كومضان البروق
فأصبح بعد جدته رمادا * وغيّر خشبه لهب الحريق
ونخلته التى غرست اليه * يكاد البسر يهصر بالعذوق
وأسلم ذونواس مستبينا * وحذّر قومه ضنك المضيق

قال فأقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشى أن اثبت بجندك ومن معك فأقام حينا ثم ان أبرهة بن الصباح ساخطه فى أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنى بعضهم من بعض أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تغر الحبشة بعضها على بعض ولكن اخرج الىّ فأينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فأرسل اليه انك قد أنصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيما عظيما وسيما فى يده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا وكان ذا دين فى النصرانية وكان خلف أبرهة وزير له يقال له عتوده فلما دنوا رفع ارياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمى أبرهة الأشرم فلما رأى عتوده ذلك حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة فبلغ

النجاشي ما صنع أبرهة فغضب وحلف لا يدع أبرهة حتى يجز ناصيته ويطأ
بلاده ثم انه كتب الى أبرهة انك عدوت على أميرى فقتلته بغير أمرى
وكان أبرهة رجلا باردا فلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وملأ جرابا
من تراب أرضه وكتب الى النجاشي أيها الملك انما كان ارياط عبدك وأنا
عبدك اختلفنا فى أمرك وكنت أعلم بأمر الحبشة وأسوس لها وكنت أردته
أن يعتزل فأبى فقتلته وقد بلغنى الذى حلف عليه الملك وقد حلقت رأسى
وبعثت به اليك وملأت جرابا من تراب أرضى وبعثته اليك ليطأه الملك
فيبر قسمه فلما انتهى اليه ذلك رضى عنه وأقره على عمله وكتب اليه بأن تثبت
بمن معك من الجند ثم ان أبرهة بنى كنيسة بصنعا يقال لها القليس ثم انه
كتب الى النجاشي انى قد بنيت لك بصنعا كنيسة لم يبن لملك مثلها قط
ولست منتهيا حتى أصرف اليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بنى مالك
ابن كنانة فخرج الى القليس فدخلها ليلا فقعد فيها وتأبها وتغضبا للكعبة
فبلغ ذلك أبرهة ويقال انه أتاها ناظرا اليها فدخلها فوجد العذرة فيها
فقال من اجترى على هذا فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل البيت
الذى يحجونه سمع بالذى قلت فصنع هذا فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن
الى الكعبة حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة الى مكة وأخرج معه الفيل
فبلغ ذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك
من ملوك حمير يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه وأخذ
ذو نفر فأتى به أبرهة فقال له أيها الملك لا تقتلنى فان استبقاءك لى خير
لك من قتلى فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم خرج سائرا
حتى اذا دنى من ديار خثعم فخرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلتى
خثعم وهما شهران وناهش ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم
وأخذ نفيل أسيرا فقال له أيها الملك انى دليلك بأرض العرب فلا تقتلنى
وها أنا نادى على قومى بالسمع والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه
يدله حتى اذا مر بالطائف فخرج اليه مسعود بن مغيث الثقفى فى رجال
من ثقيف وقال له أيها الملك انما نحن عبيدك فليس لك عندنا خلاف
وليس بيتنا هذا الذى تريد يعنى به اللات انما تريد البيت الذى بمكة
ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى
اذا كانوا بالمغمس مات أبو رغال فهو الذى ترجم قبره العرب وبعث
أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمة
خيله فجمع اليه أموالا وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم

مائتى

مائتي بعير ثم ان ابرهة بعث حياطة الحميري الى اهل مكة سفيرا فقال له سل
عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك به اليه ابلغه اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم
هذا البيت فانطلق حياطة حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال له
ان الملك ارسلني اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا ان تقاتلوه انما اتى
لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب سنخلي بينه وبين
ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان
يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخلي بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله
ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على
بغلة له كان راكبا عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر وكان
ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غنا
فيما نزل بنا فقال ما غنا رجل اسير لا يأمن من ان يقتل بكرة او عشيا
ولكني سأبعث لك الى انيس فانه صديق لي فاسأله ان يصنع لك عند
الملك ما استطاع اليه من الخير ويعظم منزلتك وحظك عنده قال فارسل
الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يعطي
ويطعم الناس في السهل والجبل والوحوش والطير في رؤس الجبال
وقد اصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه
فانه صديق لي واني احب ما يصل اليه من الخير ثم ان انيس دخل على ابرهة
هو وعبد المطلب فقال له ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير
مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤس
الجبال وقد جاءك اغبر ناصب لك حربا ولا يخالف عليك يستأذن عليك
وانا احب ان تاذن له فيكلمك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا
جسيما وسيما فلما دخل عليه جلس بين يديه فاقامه واجلسه معه
ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد
المطلب حاجتي ان يرد علي مائتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه
قل له لقد كنت اعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك فقال له
قال ولم قال جئت الى بيت هو دينك لاهدمه لم تكلمني فيه
وتكلمني في مائتي بعير اصبتها فقال له عبد المطلب قل له انا رب هذه
الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني فقال له
انت وذلك ثم امر له بابله فردت عليه قال محمد بن اسحاق وكان فيما
يزعم بعض اهل العلم ان عبد المطلب قد ذهب الى ابرهة بعمرو بن
معدي كرب بن الديل بني بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ

سيد بني كنانة وخويلد بن واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على ابرهة ثلث اموال تهامة على ان يرجع عنهم ولا يهدم البيت فابى ان يرجع قال فلما ردت الابل على عبد المطلب رجع فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش اذ دخل ففعلوا ثم اتى عبد المطلب الى الكعبة فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يا رب لا ارجو لهم سواكا * يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * فامنعهم ان يخربوا قراكا

وقال ايضا

ألا يا رب ان المرء يمنع رحله * فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدالك

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول مكة وعبا جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى ابرهة وكان فيلا لم ير مثله في الارض عظما وقوة وجسما وقال الكلبي لم تكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وقال الضحاك كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثني عشر فيلا وانما وحد على هذا التاويل لوفاق رؤس الاي ويقال نسبهم الى الفيل الاعظم قالوا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم فاخذ باذنه وقال ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى ان يقوم فضربوه بالمعول في رأسه فابى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم ثم ان نفيلا خرج من عندهم وصعد في الجبل وارسل الله تعالى طيرا من البحر كامثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم ارسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا اهلك

وليس كل القوم اصابت فذلك قوله تعالى طيرا ابابيل اى متفرقة من هاهنا وهاهنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور واكف كأكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع وقال سعيد ابن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال ابو الجوزا انشأها الله فى الهوى فى ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل اى سل وجل قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل الاخرج من الجانب الاخر واذا وقع على راس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف ماكول اى كزرع قد اكل حبه وبقى نبته فلما رات الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاؤا منه ويسئلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين راى ما انزل الله بهم من نقمته شعرا

آين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب ليس الغالب

وقال ايضا فى ذلك

الاحييت عنا يا ردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا

ردينة لو رايت ولو تريه * لذا جنب المحصب ما راينا

اذا لعذرتنى وحمدت امرى * ولم تاس على ما فات بينا

حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

ينظر فى هذه الشطرة فانها على أصلها كما هى فى النسخة التى بيدى ولم فهمت لها معنى تأمل اه مصححه

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر ان طير الابابيل كانوا اقبلوا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة اصغرها مثل رؤس الرجال واكبرها كالابل البزل ما رمت اصابت وما اصابت قتلت ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وقد خرج وخرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله تعالى الى صنعا على ابرهة داء فى جسده فجعل تتساقط انامله كلما سقطت انملة اتبعتها انملة وقيح ودم فانتهى الى صنعا وهو مثل فرخ الطائر فيما بقى من اصحابه فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذى جر حديث اصحاب الفيل هو ان فئة من قريش خرجوا تجارا الى ارض النجاشى فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفى سند حقف من احقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشى واهل ارضه الماسرحسان فنزل القوم فى سند فجمعوا حطبا واججوا نارا واشتروا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم صائف

صائف فبعث الريَاح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريخ الى النجاشي
فاخبروه فاسف عند ذلك غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان
بمكة يومئذ ابو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف
ويشتوا بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا عاقلا وكان لعبد المطلب خليلا فقال
عبد المطلب يا ابا مسعود هذا يوم لا نستغنى فيه عن رأيك فما رأيك فقال
ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها هديا لله تعالى
وقلدها نعلا واثبتها فى الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها
فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم
الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال
ابو مسعود ان لهذا البيت ربا سيمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بصحن هذا
البيت واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما رأى
ذلك تبع كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورة ثم قال ابو مسعود
لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شياء فقال ارى طيرا بيضا نشأت
من جانب البحر وحلقت على رؤسنا فقال له هل تعرفها فقال عبد المطلب
والله ما اعرفها ما هى بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية وانها تطير
بارضنا غير مونسة قال ما قدرها قال امثال اليعاسيب فى مناقيرها
امرآ النحل
اه
حصى كانها حصى الخزف قد اقبلت كالليل المظلم تتبع بعضها بعضا امام
كل فرقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى اذا
حازت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها
بحيالها اهالت الطير ما فى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم
صاحبه ثم انها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما اصبح عبد المطلب
وابو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يونسا احدا ثم انهما
مشيا فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما بات القوم سامدين فاصبحوا نياما
فلما دنوا من معسكر الفيل فاذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة
احدهم فيفجرها ويقع فى دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى
الارض من شدة وقعه ثم ان عبد المطلب اخذ فاسا وحفر حتى اعمق فى
الارض فملاها من الذهب الاحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة
فملاها ثم قال لابى مسعود هات خاتمك واخيرك فاختر فان شئت اخذت
حفرتى وان شئت اخذت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال له ابو
مسعود اختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى جعلت اجود المتاع فى
حفرتى فهو لك ثم جلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب

فى الناس فرجعوا واصابوا من فضلها حتى ضاقوا بذلك ذرعا وساد
عبد المطلب بذلك على قريش واعطته الرياسة فلم يزل ابو مسعود
وعبد المطلب غنيين من ذلك المال الى ان ماتا وقال الواقدى باسانيد
اعدّ النجاشى ارياط فى اربعة الاف الى اليمن فغلب عليها فاكره الملوك
واستذل الفقرا فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة الاشرم ابو
يكسوم فدعا الى طاعته فاجابوه فقتل ارياط وغلب على اليمن فرأى
الناس يتجهزون ايام الموسم للحج فسال اين تذهب الناس فقيل يحجوا
بيت الله بمكة قال فما هو قالوا من حجر قال فما كسوته قالوا ما ياتى من هاهنا
من الوصائل فقال والمسيح لابنين خيرا منه فبنى لهم بيتا بالرخام
الابيض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه
بالجواهر وجعل له ابوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها
بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء وجعل لها حجابا وكان يوقد بالمندل
ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر وامر الناس بحجه فحجه كثيرة
من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتنسكون
فامهل نفيل الخثعمى حتى كان ليلة من الليالى لم ير احدا يتحرك فجاء بعذرة
فلطخ بها قبلته والقى فيه الجيف فاخبر ابرهة بذلك فغضب ابرهة
غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك غيظا لاجل بيتهم ثم انه قال
لانقضنه حجرا حجرا ثم انه كتب الى النجاشى يخبره بذلك ويسأله ان يبعث
اليه بفيله محمود وكان فيله لم ير مثله فى الارض عظما وجسما وقوة فبعثه
اليه فغزا البيت كما ذكرنا الى ان قال اقبلت الطير من البحر ابابيل مع كل
طير ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره فقذفت الحجارة عليهم
لا تصيب شيئا الا هشمته وبعث الله سيلا اتى عليهم فذهب بهم الى البحر
فالقاهم فيه وولى ابرهة ومن معه هاربا فجعل ابرهة يسقط عضوا
عضوا حتى مات واما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجى
واما الفيلة الاخر فتشجعت فحصبت وهلكت وهو اول وقت رؤى فيه
الجدرى والحصبة وقال ابو الصلت بن امية بن مسعود فى ذلك شعرا

ان آيات ربنا البينات * ما يمارى بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كانه معقور
حوله من رجال كندة فتيا * ن مصاليت فى الحروب صقور
غادروه ثم ولوا سراعا * كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبى لما اهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم الا ابرهة الاشرم

ابن يكشوم فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فاخبره بما اصابهم فلما استتم كلامه حتى رماه الطائر فسقط فمات فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك اصحابه وقال الواقدي كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقال مقاتل كان امر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقال عبيد الله بن عمرو الكلبي كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة وقال آخرون كان قصة الفيل في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا اكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما اخبرنا ابو بكر الجوزقي قال حدثنا عبد العزيز بن ابي ثابت ثنا الزبير بن موسى عن ابي الجوزاء قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لغياث بن اسيم الكناني يا غياث انت اكبر ام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر مني وانا اسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بي امي على روث الفيل ويدل عليه ايضا ما روي ان عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان فلما كفى الله امر اصحاب الفيل عظمت العرب قريشا وقالوا هم اهل الله وان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل اعلم واحكم وهو حسبنا ونعم الوكيل

تم كتاب العرائس بحمد الله
وعونه والحمد لله
رب العالمين
وصلى الله على
سيدنا
محمد
وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبدع سائر الكائنات على وفق ارادته * ومظهر اسرار الاختراع فى الموجودات
على طبق مشيئته وحكمته * والصلاة والسلام على سر مظهر الوجود * ومنبع
الخير فى كل مفقود وموجود * سيدنا محمد واسطة عقدهم والختام * عليه
افضل الصلاة والسلام من الله ذى الرحمة والانعام * وعلى آله واصحابه الكرام
البرره * سيما المختارين بالبشارة بالجنة منهم وهم العشره * وبعد فيقول
مصحح هذه الدرر الحسان النفائس * قصص الانبياء للاستاذ العلماء الثعالبى
المسماة بالعرائس * وهو الفقير الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * الراجى
عفو ربه الغفور الشكور * صالح اليافى الحنفى بن السيد محمد منصور * لما من
الله سبحانه وتعالى وله المنة والعطاء والجود والاحسان * على عبيده على القدر
والشان * سعادة ميرميران السيد على باشا برهان * لا زال ملحوظا بعناية
الملك الصمد الديان * بتوفيقه لاخراج هذه العرائس من خدرها بالطبع *
فيالها منة عظيمة صدرت عن ثاقب فكره والطبع * لاجل ان يقتبس من
انوار مشكاتها كل قاصد * ويرتوى من عذب لمامعانيها كل وارد * ليفوز
بخدمة انبياء الله الكرام * المؤيدين بالنصر بملائكته العظام * اختار
الفقير لتصحيح الفاظها التى تداولتها ايدى النساخ بالتحريف * ليندرج من جملة
خدمة هذه العصابة ويفوز بالتشريف * فلما ان رأيت الجد منه فى الطلب
فلم يمكننى غير الاجابة لما طلب * الا انه لم يكن هناك نسخ يعتمد عليها * ويرجع
قاصر الباع فى التصحيح اليها * الا النسخة التى بيدى * وهى المأخوذة من رواق
الترك * فلما رأيت ما بها من السقط والتحريف عزمت على الترك * فلاحت لى بارقة
من بوارق انوار النبوة والرسالة * فبها انشرح صدرى وازيل عنه ما به
من الكسل والملاله * وشممت منها رائحة الهدى والقبول * فبذلت همتى
فى التصحيح ولو قلة ما عندى من المحصول * فجاءت بحمد الله سبحانه وتعالى روضة
يانعة وديقه * وجنة ماءها عذب معين واغصانها وريقه * يتفكه فى محاسن
سطورها الناظر * وينشرح منها فؤاد من طالعها وينجبر الخاطر *
وكان نهاية تصحيح هذه القصص بالكمال والتمام * فى يوم
الثلاث المبارك التاسع عشر من شهر محرم الحرام * غرة سنة
سبع وسبعين ومائتين والف * من هجرة من حاز غاية المجد وتمام
الشرف * سيدنا محمد سيد خلق الله على الاطلاق * من رقى
ذروة المجد واخترق السبع الطباق * صلى الله عليه وعلى آله
واصحابه اجمعين * وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبدع سائر الكائنات على وفق ارادته * ومظهر اسرار الاختراع في الموجودات
على طبق مشيئته وحكمته * والصلاة والسلام على سر مظهر الوجود * ومنبع
الخير في كل مفقود وموجود * سيدنا محمد واسطة عقدهم والختام * عليه
افضل الصلاة والسلام من الله ذي الرحمة والانعام * وعلى آله واصحابه الكرام
البرره * سيما المختارين بالبشارة بالجنة منهم وهم العشره * وبعد فيقول
مصحح هذه الدرر الحسان النفائس * قصص الانبياء للاستاذ العلما الثعالبي
المسماة بالعرائس * وهو الفقير الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * الراجي
عفو ربه الغفور الشكور * صالح اليافي الحنفي بن السيد محمد منصور * لما من
الله سبحانه وتعالى وله المنة والعطاء والجود والاحسان * على عبيده على القدر
والشان * سعادة ميرميران السيد على باشا برهان * لا زال ملحوظا بعناية
الملك الصمد الديان * بتوفيقه لاخراج هذه العرائس من خدرها بالطبع *
فيالها منة عظيمة صدرت عن ثاقب فكره والطبع * لاجل ان يقتبس من
انوار مشكاتها كل قاصد * ويرتوي من عذب لما معانيها كل وارد * ليفوز
بخدمة انبياء الله الكرام * المؤيدين بالنصر بملائكته العظام * اختار
الفقير لتصحيح الفاظها التي تداولتها ايدي النساخ بالتحريف * ليندرج من جملة
خدمة هذه العصابة ويفوز بالتشريف * فلما ان رايت الجد منه في الطلب
فلم يمكنني غير الاجابة لما طلب * الا انه لم يكن هناك نسخ يعتمد عليها * ويرجع
قاصر الباع في التصحيح اليها * الا النسخة التي بيدي * وهي المأخوذة من رواق
الترك * فلما رايت ما بها من السقط والتحريف عزمت على الترك * فلاحت لي بارقة
من بوارق انوار النبوة والرسالة * فبها انشرح صدري وازيل عنه ما به
من الكسل والملاله * وشممت منها رائحة الهدى والقبول * فبذلت همتي
في التصحيح ولو قلة ما عندي من المحصول * فجاءت بحمد الله سبحانه وتعالى روضة
يانعة وديقه * وجنة ماءها عذب معين واغصانها وريقه * يتفكه في محاسن
سطورها الناظر * وينشرح منها فؤاد من طالعها وينجبر الخاطر *
وكان نهاية تصحيح هذه القصص بالكمال والتمام * في يوم
الثلاث المبارك التاسع عشر من شهر محرم الحرام * غرة سنة
سبع وسبعين ومائتين والف * من هجرة من حاز غاية المجد وتمام
الشرف * سيدنا محمد سيد خلق الله على الاطلاق * من رقى
ذروة المجد واخترق السبع الطباق * صلى الله عليه وعلى آله
واصحابه اجمعين * وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين